الشيخ العلامة والأديب الرحالة

محمد بن ناصر العبودي

حياته العلمية جهوده الدعوية رحلاته العالمية آثاره الحميدة

تأليف

محمد بن أحمد سيد أحمد

عضو هيئة التدريس بدار الحديث الخيرية

بمكة المكرمة

تقديم

معالي الشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حميد

رئيس مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ العلامة

عبد الله بن عبد العزيز العقيل

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى

المجلد الثاني

يطلب من

مكتبة الثقافة العصرية

للنشر والتوزيع

الشيخ العلامة والأديب الرحالة

ⓒ محمد أحمد سيد أحمد، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أحمد، محمد أحمد سيد

الشيخ العلامة والأديب الرحالة محمد بن ناصر العبودي. / محمد أحمد سيد أحمد - جدة ١٤٣١هـ

٩٥٠ص ، ١٧×٢٤ سم، ٢مج

ردمك: ٢-٤١١٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- العبودي ، محمد بن ناصر ٢- الرحالة السعوديون أ- العنوان

ديوي ٩, ٩٢٣ ١٤٣١/٤٠١

رقم الإيداع: ١٤٣١/٤٠١

ردمك: ٢-٤١١٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

يُطلب من

مكتبة الثقافة العصرية

للنشر والتوزيع

جدة / ٦٨٧٤٤٩٤-٦٨٧٦٠٠٩/٠٢

الشيخ العلامة والأديب الرحالة

محمد بن ناصر العبودي

عفا الله عنه

بيانه العلمية جهوده الدعوية رحلاته العالمية آثاره الحميدة

تأليف

محمد بن أحمد سيد أحمد

عضو هيئة التدريس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

تقديم

معالي الشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حميد
رئيس مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ العلامة
عبد الله بن عبد العزيز العقيل
رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقًا

المجلد الثاني

مكتبة الثقافة العصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الخامس

الرحـــلات

******

وفيه خمسة مباحث:

- **المبحث الأول: السفر .. أسبابه وثمراته**
- **المبحث الثاني: الرحـــلات وأهميتها**
- **المبحث الثالث: دواعـــي الرحـــلات**
- **المبحث الرابع: أدب الرحـــــلات**
- **المبحث الخامس: مقارنة وموازنة بين الرحّالتين**

(ابن بطوطة و العبودي)

المبحث الأول

السّـفر .. أسبابه وثمراته

السفر نعمة ونقمة، قطعة من العذاب ومتعة للنفس، تسافر فيه الهموم عن مواطن القلوب، وتغرب فيه شمس الحزن عن أفق النفس، وعلى الرغم مما يحدث فيه أحياناً من العنت والمشقة، إلا أن فوائده عظيمة، وآثاره جليلة..

ولقد رغب القرآن الكريم في السفر إذا كان لأغراض سامية، ونتائج مثمرة، ومقاصد شريفة، ومنها:

١ - التأمل والتفكر في مخلوقات الله وآثار عظمته وقدرته.

قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.(١)

٢ - أخذ العبرة من الأمم الغابرة والقرون السالفة، يقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾.(٢)

ويقول تعالى: قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾.(٣)

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٢٠).

(٢) سورة الحج: الآية (٤٦).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٣٧).

٣- رؤية مصارع الظالمين والجبابرة على مر العصور، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.(٢)

٤- البحث عن أسباب الرزق وتأمين سبل العيش، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.(٣)

٥- السفر لطلب العلم والتفقه في الدين، يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.(٤)

وفي قصة موسى مع الخضر التي ذكرها الله تعالى أكبر دليل على الترغيب في السفر لطلب العلم والتزود من المعرفة، كما جاءت الأحاديث النبوية مؤكدة لهذا المعنى موضحة لآداب السفر، ومن ذلك:

- ما رواه الطبراني في الأوسط عن حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا وسافروا تستغنوا))(٥).

---

(١) سورة غافر: الآية (٢١).

(٢) سورة النمل: الآية (٦٩).

(٣) سورة الملك: الآية (١٥).

(٤) سورة التوبة: الآية (١٢٢).

(٥) حديث ضعيف - أخرجه الطبراني في الأوسط (ج٢/ ق٢٢/أ)، وأبو نعيم في الحلية (ق٢٤/ ١-٢)، قال الحافظ: العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٧٥) رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في -

- وما رواه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوِ عنا بعده، اللهم أنت الخليفة في الأهل والصاحب في السفر، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل))[1]

٦- انفراج الهم وزوال الغم والتجديد على النفس وكسب الأصدقاء والتعرف على البلاد، يقول الشافعي جامعاً لبعض فوائد السفر:

تغرب عن الأوطان في طلب العُلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

- قال الخليفة المأمون: (إنه لاشيء ألذ من السفر في كفاية وعافية؛ لأنك تحل كل يوم في محلة لم تحل فيها، وتعاشر قوماً لم تعرفهم)[2].

- ويقول أحد الأدباء: (السفر أحد أسباب العيش التي بها مقامه وعليها انتظامه، والمسافر يسمع العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب).

- وقال أحد حكماء العرب: (السفر يسفر عن أخلاق الرجال).

وقال بعضهم يريد السفر فيمنعه والده إشفاقاً عليه:

ألا خلني أمضي لشأني ولا أكن على الأهل كلاً إن ذا لشديد
هيبني ريب المنون ولم أكن لأهرب عما ليس عنه محيد

الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وضعفه الألباني، انظر: ضعيف الجامع رقم: (٣٥٠٤).

(١) ررواه مسلم: (١٣٤٢).

(٢) انظر أعلام الجغرافيين العرب. د/ عبد الرحمن حميده. (ص: ٤٢).

فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي ... وقيل إذا أخطأت: أنت رشيد
فدعني أجول الأرض عمري كله ... يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال آخر:

إذا ما ضاق صدرك من بلاد ... ترحّل طالباً أرضاً سواها
عجبت لمن يقيم بأرض ذل ... وأرض الله واسعة فضاها
فنفسك فز بها إن خفت ضيماً ... وخلّ الدار تنعى من بناها
فإنك واجدٌ أرضاً بأرض ... ونفسك لم تجد نفساً سواها

وقال آخر وقد أحسن:

ارحل بنفسك عن أرض تضام بها ... ولا تكن لفراق الأهل في حُرق
من ذلّ بين أهاليه ببلدته ... فالاغتراب له من أحسن الخلق
الكحل نوع من الأحجار منطرحاً ... في أرضه كالثرى يرأى على الطرق
لمّا تغرب نال العز أجمعه ... وصار يحمل بين الجفن والحدق

وقال الشافعي - رحمه الله -:

ما في المقام لذي عقل وذي أدب ... من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضاً عمن تصاحبه ... وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب
والأسد لولا فراق الغاب ما قنصت ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت في الفلك دائمة ... لملّها الناس من عجم ومن عرب
والبدر لولا أفول منه ما نظرت ... إليه في كل حين عينُ مرتقب
والتبر كالترب ملقى في أماكنه ... والعود في أرضه نوع من الحطب
فإن تغرّب هذا عزّ مطلبه ... وإن أقام فلا يعلو على رتب

وقال آخر:

إن العلى حدثتني وهي صادقة ... فيما تحدث إن العز في النقل
لو كان في شرف المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل

وقال كعب بن مالك:

إن كنت تعلم أن الأرض واسعة ... فيها لغيرك مرتاد ومرتحل
فارحل فإن بلاد الله ما خلقت ... إلا ليسلك منها السهل والجبل
إن ضاق بي بلد هيأ له عوضاً ... وإن نأى منزلٌ بي كان لي بدل
وإن تغير لي عن وُدّه رجل ... أصفى المودة لي من بعده رجل
لم يقطع الله لي من صاحب أملاً ... إلا تجدد لي من بعده أمل[1]

(١) انظر أنيس المسافر وسلوة الحاضر. د/ ناصر بن مسفر الزهراني (ص: ١٧).

المبحث الثاني

الـرحـــــلات وأهمـــيتها

إذا قلنا إن فناً من فنون القول العربي يعرض في مضمونه إلى ناحية أو إلى أخرى من نواحي الحياة، فإنما نقول إنّ نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان.

فالرحلات منابع ثرّة لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مرّ العصور، فالرحالة وهو يطوي الأرض أثناء رحلته، يغطي في نفس الوقت ملاحظة مظاهر مختلفة من الحياة يشاهدها أو يسمعها أحياناً وينقلها في رحلته.

ولا شك أن الرحّالين يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظاتهم وفي درجة اهتمامهم وفي نوع هذا الاهتمام، كما يختلفون أيضاً في درجة صدقهم وأمانتهم.[1]

(١) انظر أدب الرحلة عند العرب، د/ حسني محمود حسين (ص: ٦).

المبحث الثالث

دواعـــي الـــرحـــلات

سنجعل الفتوح الإسلامية نقطة البداية في هذا الحديث مع أن عرب الجاهلية كان لهم رحلاتهم التجارية إلى بلاد العراق والشام واليمن وغيرها، ثم إن بعض الشعراء كانت لهم رحلاتهم في داخل الجزيرة وإلى خارجها.

ومع أن هذه الرحلات لم يدوَّن منها شيء أكثر مما ورد في مضامين الشعر وكتب اللغة فيما بعد، إلا أنه لابد أنها أفادت العرب فوائد عملية كبرى في فتوحاتهم التي انطلقوا فيها إلى ما جاورهم من بلاد لهم بها سابق معرفة عن طريق هذه الرحلات وغيرها مثل رحلات عبور البدو.

وجاءت عملية الفتوح رحلة أو رحلات في ذاتها قدمت للعرب تجارب ومعارف جديدة كلما توسعوا في فتوح هذه المدن و تلك البلدان.

ولقد تحمل المؤرخون من أصحاب السير والمغازي مهمة وصف هذه المدن وسكانها وأحوالهم.

وبتحديد الأمور وتبلورها مع الأيام استقل البعض بوصف المدن والأقاليم والتعريف بها وبطرقها وبخراجها.

وكان متولّوا البريد وأشباههم أصلح الناس للقيام بهذه المهمة، فلم يكن غريبا إذاً أن يؤلف (ابن خرداذبة) كتابه (المسالك والممالك)[1]، تقريراً عن جباية الدولة العباسية، وهو يومها متولي البريد والخبر بنواحي الجبل

---

(١) هو أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المشهور (بابن خرداذبة) توفي حوالي (٢٧٢هـ - ٨٨٥م). انظر أعلام الجغرافيين العرب د/ عبد الرحمن حميدة (ص: ١٠٦).

بفارس، وحرره في سامراء بعيد عام (٢٣٠هـ).

ثم كان كتاب (الخراج) لقدامة بن جعفر، بيّن فيه الطرق والمسافات فضلا عن قيمة جباية المملكة، ضمنه أخباراً كثيرة تتعلق بأحوال الدولة والبلاد المتاخمة لها.

وفضلا عن ذلك فإن الرغبة في أداء فريضة الحج وشد الرحال إلى الديار المقدسة يعتبر من أهم دواعي الرحلات، وقد اقتضى هذا النوع من الرحلات وصف طرق الحج لتعيين طرق القوافل ومنازل الحجاج بين البلاد والأماكن المقدسة في الجزيرة، ثم إن كثيراً من الحجاج والتجار قد وصفوا في كتب خاصة الطرق والبلاد التي رأوها.

ومن الدواعي أيضاً: الرحلة في طلب العلم وشد الرحال إليه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.(١)

ولاشك أن طلب العلم في مراكز البلدان كان يقتضي رحلة طلابه من أطراف ومدن عديدة في أنحاء البلاد إلى مراكز العلم فيها، ويساعدهم في ذلك وحدة البلاد السياسية والدينية والثقافية؛ فكان ذلك أحد أسباب الرحلة الداخلية ووصف المشاهدات وتأليف الكتب فيها، كما كان عند البعض روح المجازفة والمغامرة على غرار رحلة الفتية المغررين في بحر الظلمات، حتى إنه ليظن أن من العرب من وصل إلى أمريكا قبل كولومبس.

وبعد القرن الحادي عشر - وإن ظلت بعض المصادر الأدبية وخاصة الكتب التاريخية تزودنا بالمعارف الجغرافية المعتمدة على المعاينة - فقد أخذت

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٢٢).

الكتب الجغرافية الصرفة يتميز طابعها أكثر فأكثر بالتنسيق الأدبي للمواد الواردة في المصنفات المتقدمة، وبدأ بعد ذلك نمط آخر ينال القبول لدى الجمهور، ذلك هو وصف الرحلات (ولم تدون الرحلات على هيئة كتب) (المسالك والممالك) المعروفة لنا، بل دونت على هيئة مذكرات يومية مع تفاوت في الدقة فيما يتعلق بتدوينها من يوم لآخر.

وأول من وضع الأساس لهذا الفن - وكان ذلك قبل نصف قرن من ابن جبير-(١)، هو الفقيه أبو بكر محمد بن العربي (٤٦٨ - ٥٤٣هـ : ١٠٧٦ - ١١٤٨م).

---

(١) ولد أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني، الشاطبي، البلنسي، في العاشر من شهر ربيع الأول ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م في بلنسية، وينحدر من أسرة عربية عريقة، سكنت الأندلس في عام ١٢٣هـ/ ٧٤٠م، قادمة من المشرق، وقد شغف أول ما شغف بعلوم الدين فسمعها من أبيه، وأخذ القرآن عن أبي الحسن بن أبي العيس، ولكن ميوله برزت في العلوم الدنيوية أيضاً، بدأ ابن جبير رحلته إلى الأراضي الحجازية في شوال سنة ٥٨٠هـ/ شباط ١١٨٦م برفقته صديقه أحمد بن حسان وكان من رجال الطب والعلم والأدب، ثم قام برحلة ثانية في سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م عندما بلغه نبأ فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م واستمرت هذه الرحلة سنتين، أما رحلته الثالثة والأخيرة فقد بدأها من سبته سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م وكان قد بلغ الثالثة والسبعين من عمره، وقد أحزنه وفاة زوجته التي نظم فيها ديوانه « نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح »، وقد قامت شهرته على كتابه الذي دوّن فيه أخبار الرحلة الأولى في شبه مذكرات يومية يعرف باسم « تذكرةٌ بالأخبار عن اتفاقات الأسفار » والمرجح أنه كتبها سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م، ولكن كتابه اشتهر فيما بعد تحت اسم « الرحلة » التي يروي فيها حجته الأولى إلى مكة، والذي لا يعتبر أول كتاب من هذا النمط فحسب، بل أيضاً كنموذج يُحتذى بالنسبة للآخرين. توفي ابن جبير سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م.

انظر: أعلام الجغرافيين العرب، د. عبد الرحمن حميدة، ص: (٤٠٩-٤١٠).

وأصله من أشبيلية، ولكن لم يلبث أن غادرها إلى المشرق بعد زوال دولة آل عباد، وكان هدفه الدراسة (فطاف في الشام والعراق والحجاز ومصر وعاد إلى الأندلس).

أما وصف رحلته فمفقود، وكان يحمل عنوان (الرحلة) أو ترتيب الرحلة.

وقد نقل عنه ابن خلدون والمقري، وجاء ابن جبير بعد ابن العربي ليؤصّل هذا الاتجاه في كتابه « الرحلة » بصياغة أدبية عالية، حتى ليمكن القول بأن كتب الرحلات تبدأ من هذا العهد برحلة ابن جبير، وتلاه فيما بعد بحوالي قرنين ابن بطوطة ليقدم في ظروف خاصة نمطاً جديداً من الرحلات يختلف عن سابقه ابن جبير في أنه نحى منحى الغرائب والعجائب في رحلته. فقد كان من أهم بواعث هذه الرحلات الحج وطلب العلم.

وابتداءً من القرن الثالث عشر يبدأ طابع الرحلة في (طلب العلم) يطغى على نمط الرحلة، كما نشاهد في رحلة أبي محمد العبدري، وابن عمر عبد الله بن رشيد النشريسي، وفي هذا النمط من الرحلة يحتل الصدارة لدى صاحبها التعريف بأساتذته وبالعلماء الذين التقى بهم، ووصف المكتبات ودور العلم التي زارها، ونحى بعضهم في هذا النمط من الرحلة منحى آخر، استند فيه الرحالة على أساس ترجمة حياته الشخصية (أوتو - بيوجرافيا) والتعريف بنفسه، وقد يتحول فيه أحياناً إلى معجم للسير يترجم فيه لشيوخه وللعلماء الذين التقى بهم، وإلى معرض لمختارات أدبية تعطي

فكرة جيدة عن الذوق الأدبي لعصره، وأكثر من يمثل هذا الاتجاه عبد الرحمن بن خلدون[1] في كتابه (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً و شرقاً).

وهكذا فقد شهدت القرون التالية لابن جبير كثيرين من الرحالة الذين أغنوا الأدب العربي وبعض العلوم العربية الأخرى بما كتبوه في رحلاتهم من أمثال: عبد اللطيف البغدادي، وياقوت الحموي، وابن سعيد في القرن الثالث عشر الميلادي. وابن بطوطة، وابن خلدون، ومحمد بن رشيد الفهري الأندلسي، ومحمد التجاني في القرن الرابع عشر. ثم رحلة الظاهري، و الملك قايتباي في القرن الخامس عشر، وحتى هذا القرن فقد ظل العرب متفوقين في ميدان الرحلات إلى أن قامت حركات الاستكشاف الأوربية، وكان العرب منوا بفترة من التأخر امتدت ثلاثة قرون أو يزيد، عم خلالها الضعف والجهل في جميع ميادين الحياة، ولم يصلنا خلال هذه القرون شيء ذو بال من الرحلات، وظل هذا الجمود العام ينطبق على أدب الرحلة في جملة ماينطبق عليه من حياة الأمة العربية، حتى كانت النهضة الحديثة ففتحت على أساسها أبواب أوروبا على البلاد العربية، وراح الكثير من أبنائها يرحلون إلى تلك البلاد طلباً للعلم أو العمل أو السياحة أو غيرها، فبدأ أدب الرحلة ينتعش، وبدأت زهوره في التفتح من جديد، وكان الفيض الغامر من هذا الأدب في القرنين الأخيرين.

---

(١) هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن إبراهيم بن خلدون الحضرمي، ولد سنة ٧٣٢هـ وتوفي سنة ٨٠٨هـ - (١٣٣٢ - ١٤٠٦م).

وينتمي ابن خلدون إلى فرع بن كنده. كان يقيم قبل الإسلام بحضر موت، ثم هاجر إلى الأندلس.

(انظر أعلام الجغرافيين العرب. د/ عبد الرحمن حميدة. ص:٥٨٠).

ومن أبرز أصحابه في القرن الماضي الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي، وشهاب الدين الألوسي، وعبد الله فكري وأحمد فارس الشدياق، وسليمان البستاني.

أما في القرن العشرين فقد زاد الاتصال وتعمقت آثاره ونضجت العلوم والتفكير أكثر مما كانت عليه وزاد الوعي واليقظة.

إن كتابة الرحلات تعد من روائع فنون الأدب وبدائعه، لاسيما إذا كان كتّاب الرحلات علماء يعرفون قيمة السفر وما يترتب على نتائجه من معرفة التضاريس الجغرافية والمعالم الأثرية والطبائع البشرية والعوالم الكونية وكل ما هو موجود على ظهر الكوكب الأرضي المعمور.[1]

إن الرحلات السفرية المدونة تقدم للقراء والباحثين علوماً عجيبة وأخباراً غريبة وقصصاً شيقة وحكايات ممتعة تزوّد الكتّاب والمؤرخين بفوائد جمة ومعلومات غزيرة.

وإذا كانت الرحلات تعد مورداً ثرياً لعلوم الكون، وفنون الأدب - جنينا من ثمارها طائفة كثيرة من عيون الكتب في وصف البلاد وطبائع العباد، وتراجم الرجال وغرائب العادات والتقاليد - فإنه يأتي في هذا السياق وينتظم فيه ما كتبه وألفه العلامة الشيخ محمد العبودي من عيون كتب الرحلات وآدابها لما تتسم به من غزارة المعلومات، وسلاسة الأسلوب، ووضوح القصد، ولما يتسم به كاتبها من صحة العلم، وسلامة الحكم، ودقة الفهم، وخفة الروح، ولطف النادرة، والعقلية الموسوعية لرحّالة بحّاثة.

---

(١) انظر أدب الرحلة عند العرب د/ حسني محمود حسين (ص: ١٢-١٥).

إن دواعي الرحلة ودوافعها عند الشيخ العبودي تميزت بالرغبة الأكيدة والنية الصادقة في التعرف على أوضاع المسلمين، وأحوال معيشتهم ومدى التزامهم بآداب دينهم، وكذا التعرف على الأقليات المسلمة وما تطلبه كل أقلية، وكيفية التغلب على التحديات التي تواجهها.

وأنعم به من دافع، وأكرم به من هاجس.

المبحث الرابع

أدب الرحـــــلات

إن مما لا يشك فيه أن الرحلات منابع ثرة لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور، وقد تقدَّم أن الرحالة وهو يطوي الأرض أثناء رحلته يغطي في نفس الوقت ملاحظات مظاهر مختلفة في الحياة، يشاهدها أو يسمعها أحياناً وينقلها في رحلته، ولا شك أن الرحالين يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظاتهم وفي درجة اهتمامهم وفي نوع هذا الاهتمام، كما يختلفون أيضاً في درجة صدقهم وأمانتهم وفي تنوع فهمهم للأمور تحت الظروف المتغايرة التي يخضعون لها، ومع ذلك فإننا ننظر من هذه الناحية إلى الرحلات كمبدأ وككل، مهما كان بينها من اختلاف وتنوع في الاتجاه والتقدير، ومن هنا كان للرحلات قيمتان عظيمتان، قيمة علمية وأخرى أدبية.

أما القيمة العلمية، فقد تأتت لها مما تحتويه معظم هذه الرحلات من كثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، مما يدونه الرحالة تدوين المعاين في غالب الأحيان من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة وبالناس وبالحياة خلال رحلته، فإن الرحالة وهو يُدوِّن مشاهداته الجغرافية على سطح الأرض، إنما يعمل في خدمة هذا العلم من هذه الناحية على الأقل إذا لم يتجاوزها إلى الخطوة التالية لها في منهجه، فهو عندما يصف الممالك والأصقاع والأقاليم، والمدن والمسالك، ويتحدث عن المناخ والطبيعة، وعن ظاهرات توزيع السكان، وغير ذلك مما يعتبر من صميم الدراسات الجغرافية، إنما يعتبر من هذه الناحية مرجعاً أساسياً، ومعيناً كبيراً للعالم

الجغرافي الذي يدرس تلك الموضوعات، ومثل ذلك يمكن أن يقال في الرحالة بالنسبة لباقي العلوم التي يتعرض لمجال دراستها.

ومن المعروف أن بعض المؤرخين والجغرافيين العرب يُعتبرون رحّالين، إذ كانوا يجمعون مواد موضوعاتهم عن طريق الرحلة قبل أي طريق آخر، وهذه العلوم المختلفة مرّت بعدة مراحل قبل أن تصل إلى ما هي عليه اليوم من دقة وتحديد وضبط، وقبل أن تتخذ صفة العلم القائم بذاته بفضل تقدم العقل البشري وأدواته العلمية.

إن من المتفق عليه أن الرحالين العرب قدموا على مر العصور خدمات جليلة في دراسة أحوال البلاد العربية والإسلامية من مختلف نواحيها، ولم تقتصر إفادتهم في ميدانهم هذا على البلاد الإسلامية وحدها؛ وإنما تعدّوها في رحلاتهم وأخبارهم إلى بلاد أجنبية أخرى في آسيا وأفريقيا وفي أوربا فيما بعد، ولم يكن وصلها الإسلام فأمدونا عنها بمعلومات من الدرجة الأولى خصوصاً إذا قورنت هذه المعلومات بما كان يعرفه العالم عنها من العصور الوسطى حتى الكشوف الجغرافية المتأخرة لدى الأوربيين، ولقد كان للرحالة العرب في العصور الوسطى فضل كبير قدموه للإنسانية كجغرافيين، ويتجلى في حفظهم ودراستهم للمادة الجغرافية الهائلة التي أورثها العلماء اليونان من أمثال استرابون وبطليموس وغيرهما للعصور الوسطى واستفادتهم من هذه المادة استفادة كبيرة، ولا يقلل ذلك من قيمة ما كتبه الرحالون العرب في المادة الجغرافية وما خضعوا فيه للنظريات الموروثة عن الأوائل أو ما نقلوه من خرافات وأساطير دون أن يُحكِّموا فيه العقل ومَلَكة النقد والتحليل التي يبدو أنها كانت ضعيفة لديهم في ذلك الوقت؛ مما جعل مثل هذه النظريات تأخذ طريقها إلى أفكارهم مع أنها لم ترق إلى

مستوى تجربتهم العلمية التي أسهموا عن طريقها بتقديم مواد جغرافية جديدة وذات قيمة عظيمة.

وأما القيمة الأدبية في الرحلات فتتجلى فيما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني، وبرغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره؛ فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد القصصي المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى.

وقد أفاد أدب الرحلة بغنى موضوعاته في صرف أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو والعبث اللفظي والتكلف في تزويق العبارة، إيثاراً للتعبير السهل المؤدي للغرض لنضجه بغنى تجربة صاحبه، مما يفتقده كثير من الأدباء والمحترفين في بعض عصورنا الأدبية، ولا يعني هذا أن الأسلوب في هذا الأدب قد تخلص من كل الصفات والعيوب الأسلوبية الأخرى.

ومع هذا يظل مشوباً في أغلب الأحيان بشيء من الطراوة والاخضرار يُبقيانه غضاً وعلى شيء من اللين، وقد أثار هذا الأدب اهتماماً بالغاً بسبب تنوعه وغنى مادته، وبهذه المميزات والخصائص المتعلقة بأسلوب أدب الرحلة وبموضوعه الشمولي الغني بما فيه من علم وأدب، يمكننا اعتباره نمطاً خاصاً من أنماط القول الأدبي ففيه تجتمع أساليب هذه الفنون وبموضوعاته كلها من غير أن تضبطه معاييرها أو أن يخضع لمقاييسها.

يقول الدكتور حسن بن فهد الهويمل: إن أدب الرحلة بوصفه لوناً من ألوان السرديات، تتنازعه معارف متعددة، فهو كما الثقافة، يأخذ من كل شيء بطرف، إذ يكون تاريخاً أو جغرافيا أو علم اجتماع أو علم سكان أو سيرة ذاتية، أو ما شئت من أنواع السرديات العلمية والإبداعية.. والرحالة

وحده القادر على إعطاء (أدب الرحلة) عنده نكهة خاصة، تُمَيِّزُه عن غيره ممن كتب في هذا اللون.

فما(أدب الرحلة): فنياً وتاريخياً وموضوعياً؟ ومن هم أعلامه؟ وما نصيب الحضارة الإسلامية من هذا القول السردي؟.. وحديثي عن عَلَمٍ من أعلام هذا الأدب يقتضي اللمحة دون البسط، إذ لست بحاجة إلى الرصد التاريخي لهذا الفن، وفي الوقت نفسه لن أطيل الوقوف على الأبعاد الفنية وتحولاتها، ذلك أن (أدب الرحلة) واكب الوعي الإنساني، واختلط بعلوم: (الجغرافيا) و(التاريخ) و(السياسة).

ولم يكن علماً مستقلاً، وإن أشير إليه عرضاً في دراسة الأعمال أو الشخصيات.

لقد كان لكل حضارة نصيب من هذا الفن، ولا أحسبنا بحاجة إلى الدخول في ضوائق المفاضلة أو الريادة، فالرحلة لصيقة بالإنسان، وحديثه عما لقيه فيها من نصب، وما شاهده من أشياء يأتي عفوياً.

والشعر العربي يفيض برصد ما يعانيه الشعراء المسافرون في ظعنهم وإقامتهم، ولكن تسجيل معاناتهم، وما يتحدثون عنه من راحلة ورحلة وأطلال ومحبوبة وموارد مائية وجبال شاهقة وأودية سحيقة: غائرة الماء أو واقعاً في صميمها، ومطالع القصائد العربية القديمة لا تخرج عن وصف ما يمر به الشعراء، وما يقفون عليه من إقواء وعفا وأحجار وملاعب وأطلال ومواقد.

أما على مستوى (أدب الرحلة) في المملكة العربية السعودية، فقد استوفى جانباً منه الأستاذ (عبد الله بن أحمد حامد آل حمادي) في رسالته الأكاديمية (أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية).

وفيما يتعلق بأدب الرحلة عند العبودي فقد تقصَّاه الأستاذ(محمد بن عبدالله المشوح) في كتابه المطبوع حديثاً(عميد الرحالين محمد بن ناصر العبودي)، وممن كانت لهم كتب في(أدب الرحلة) من علماء المملكة العربية السعودية وأدبائها ومؤرخيها فهم: العلاَّمة(حمد الجاسر)، و(أحمد عبدالغفور عطار)، و(عاتق البلادي) و(عبد العزيز الرفاعي) وغيرهم. وهؤلاء يتفاوتون في مستوياتهم واهتماماتهم، ولكنهم جميعاً لم يتميزوا بما كتبوا في أدب الرحلة، بمثل ما تميز به (العبودي) لا من حيث الكثرة العددية التي لم تسبق، ولا من حيث التقصي والشمول والتنوع، وقد يتفوق بعضهم على بعض بأسلوبه أو بتبويبه أو بعمق ثقافته أو بدقة معلوماته.

وفضلاً عن ذلك فإن معالي الأستاذ محمد العبودي عالم وأديب، له اهتماماته التاريخية والجغرافية والأدبية، وله نشاطاته التعليمية والدعوية، ويأتي أدب الرحلة في مقدمة إنجازاته التأليفية كثرة واتساعاً واشتهاراً.

وإذا عُرف العقاد مفكرا وهو شاعر، فقد عرف العبودي رحالة وهو العالم المتعدد الاهتمامات والقدرات والمؤلفات.، ذلك أن عمله الرسمي تعانق مع اهتمامه بالرحلة وأدبها... اهـ.

ويصف الدكتور إبراهيم بن عبد الله السماري الرحالة فيقول: هو عملة نادرة في كل مجتمع؛ لأن عمله يوصف بأنه مُتعِبٌ بدنياً وذهنياً، وإنما يُخفف وطأته ما يتحلى به هذا الرحالة غالباً من الرغبة في توسيع الدائرة المعرفية، ولذا كانت الرحلات مصدراً مهماً من مصادر المعرفة عموماً بما تتضمنه من الإشارة إلى الأحداث والوقائع والتعريف بالأحداث والأمكنة والأشخاص، ووصف الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في زمن محدد هو زمن الرحلة التي تتحدث عن مكان ما، أو حادثة ما، كما تتحدث

عن طبيعة العلاقات والمعاملات التي تحكم سير المجتمعات البشرية في حقبة تاريخية معينة وهكذا؛ ومما يزيد أهمية الرحلات بصفتها مصدراً معرفياً مهماً، أن الرحالة يحرص على الاتصال بالأشخاص العاديين الذين هم عادة يعبرون عن انطباعاتهم وانفعالاتهم بعفوية واسترسال لا تثقله قيود التحفظات بحكم أنهم يتحدثون في مجالسهم ومع أشخاص يشاركونهم حياتهم، ويزيد التألق تألقاً أن تصاغ الرحلة بأسلوب أدبي مميز، ولاسيما إذا كانت لدى كاتب الرحلة ذائقة أدبية وبلاغية ثرية.

ومعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي رحالة مميز، وأحسب أن الله - عز وجل - قد ضرب له - بعد توفيقه - بسهم وافر في أدب الرحلات؛ حيث يملك دقة متناهية في وصف الرحلة والتعريف بدقائقها، فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما هو في متاحات البشر إلا سجَّله وسلَّط عليه إضاءات لإشباع نهم المتلقي بما يملكه من قدرات وتوفيق في مجال تصيد تساؤلات وتوقعات المهتمين بمتابعة أخبار الرحلة، كما رزقه الله توفيقاً آخر يتمثل في أسلوبه السهل الممتنع عند عرض عناصر رحلته، وأين العجب في ذلك وهو قد حاز ميدالية الاستحقاق في الأدب عام ١٣٩٤هـ، فإذا تحدث عن رحلاته بلسانه فستجد أنه يشد المستمع له بما يملكه من أدوات التأثير واللغة المحببة ونبرات صوته المميزة والترابط المنطقي بين ما يعرضه من مواقف وأحداث ورؤى، مع حرصه على نطق الأسماء والمسميات كما ينطقها أهلها، وغوصه كثيراً في تعليل مدلولاتها.

من المؤكد من وجهة نظري أن بعض الرحلات تكتسب خصوصية تضفي عليها مزيد أهمية، وهذه الخصوصية ترجع حيناً إلى طبيعة الرحلة، وأحياناً إلى صاحب الرحلة، وأحياناً إلى مكانها وأحياناً إلى زمانها، وأحياناً

إلى الظروف المحيطة بها، ولكني في رحلات الشيخ العبودي أكـاد أجـزم أن صاحب الرحلة يفيض على كل رحلة من رحلاته شيئاً كثيراً من ذاته وذائقته فتكسب بذلك أهمية وخصوصية، والله يرزق من يشاء بغير حساب.[1]

(١) انظر أدب الرحلة عند العرب د/ حسني محمود حسين. (ص: ٦-١٦). وأدب الرحلة تاريخه وأعلامه/ جورج غريب. (ص: ٦٢-٦٤). وعميد الرحالين لمحمد بن عبد الله المشوح (ص: ١٥٣). وجريدة الجزيرة - عدد الثلاثاء الموافق: ١٢/ ١٢/ ١٤٢٤هـ العدد: (١١٤٥٠).

المبحث الخامس

مقارنة وموازنة بين الرحّالتين (ابن بطوطة[1] و العبودي)

إن التاريخ الإسلامي حافل بالرّحالة الأعلام من العرب والمسلمين الذين أوقفوا حياتهم على طلب المعرفة ونقلها من جيل إلى جيل، وتحملوا في سبيل ذلك المتاعب والآلام، وتجشّموا المصاعب والأخطار في جمع شواردها واقتناص أوابدها، واستنباط قوانينها وقواعدها، وأنفقوا أثمن ما يملكونه من مال وجهد ووقت في سبيل هذه المعرفة ونقلها للخلق.

إن تاريخ الإسلام سيسجل بكل فخر وإعزاز جهود هؤلاء العلماء الذين طافوا الدنيا وسبروا أغوار العالم: محمد بن بطوطة، ومحمد بن ناصر العبودي، وقد عقدت لهما موازنة ومقارنة لنطلع القارئ الكريم على جهودهما، وما تميز به كل واحد منهما، وقد كتبت هذه الموازنة بقلم الإنصاف والتجرد ليتجلّى فيها خصائص وصفات هذين العَلَمين البارزين.

أولاً: أن ابن بطوطة متقدم في الرحلة والاستكشاف؛ فقد أمضى قرابة ثلاثة عقود في اقتحام الأخطار واكتشاف البلاد والأمصار، ومن المقرر في

---

(١) ولد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي في طنجة في ٢٤ شباط ١٣٠٤م، أو رجب ٧٠٣هـ وينتسب إلى قبيلة لواته البربرية (ايلواتن بلغة البربر) التي انتشرت بطونها على طول سواحل أفريقية حتى مصر، وينحدر من أسرة عالية أتيح لكثير من أبنائها الوصول إلى منصب القضاء والنبوغ في العلوم الشرعية، وكان والده قاضياً، وفي طنجة أتم دراسته الشرعية وفقاً للمذهب المالكي السائد في أقطار المغرب، إلا أن حوادث طفولته ومستوى تعليمه مجهول ولا شك في أنه قد تمتع ببعض المعرفة في هذا المجال، فقد حدث له أن شغل خلال رحلته منصب القضاء وهو في ريعان شبابه. توفي سنة (٧٧٩هـ-١٣٧٧م). انظر أعلام الجغرافيين العرب. د/ عبد الرحمن حميدة (ص: ٥٥٩).

الأذهان أن الفضل للمتقدم، ومما لا شك فيه أن المتأخر يغترف من فضائله ويهتدي بدلالته، وما أحسن قول الشاعر:

ومما شجاني أنني كنت نائماً أعلل من فرط الكرى بالنَّسم

إلى أن قال:

ولكن بكت قبلي فهيج لي البُكا بُكاها فقلت الفضل للمتقدم

ويعجبني أيضاً قولهم في هذا المعنى

أنا الشجاع الذي قد كنت في ظمأ وسط الهجر على الرمضاء في الوادي
فجُدت بالماء فضلاً منك مبتدأ بغير قل فأشفى غلة الصادي
هذا جزاؤك منا لا نمُن به فضلاً بفضل وكان الفضل للبادي

أما العبودي وإن كان متأخراً في ميدان الرحلات واستكشاف البلاد، فإن له قصب السبق في كثير من العلوم والفنون.

يقول جمال الدين القاسمي: (اعلم أن نتائج الأفكار لا تقف عند حد، وتصرفات الأنظار لا تنتهي إلى غاية، بل لكل عالم ومتعلم منها حظ، يحرزه في وقته المقدر له، وليس لأحد أن يزاحمه فيه، لأن العالم المعنوي واسع كالبحر الزاخر والفيض الإلهي ليس له انقطاع ولا آخر، والعلوم منح إلهية، ومواهب صمدانية، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما لم يدخر لكثير من المتقدمين، فلا تغتر بقول القائل (ما ترك الأول للآخر) بل القول الصحيح الظاهر: (كم ترك الأول للآخر). فإنما يستجاد الشيء ويسترذل لجودته ورداءته في ذاته، لا لقدمه وحدوثه، ويقال: ليس كلمة أضر بالعلم من قولهم (ما ترك الأول شيئا) لأنه يقطع الآمال عن العلم، ويحمل على التقاعد عن التعلم، فيقتصر الآخر على ما قدم الأول من الظاهر، وهو خطر عظيم، وقول سقيم، فالأوائل وإن فازوا باستخراج الأصول وتمهيدها،

فالأواخر فازوا بتفريع الأصول وتشييدها).[1]

و قال ابن عبد ربه في العِقد الفريد: (إني رأيت آخر كل طبقة واضعي كل حكمة ومؤلفي كل أدب، أهذب لفظاً، وأسهل لغة، وأحكم مذهباً، وأوضح طريقة من الأول؛ لأنه ناقد متعقب، والأول بادئ متقدم).[2]

ثانياً: لقد عاش ابن بطوطة في عصر التفتت السياسي، عصر الدول والإمارات، إلا أن هذا العصر لم يخل من القوة والمجد، والذي تلا عهد القضاء على الصليبيين في المشرق، ومع ذلك فقد كثر في هذا العصر الثورات، ثورات الأمراء على الولاة، والولاة على الملوك، بل حتى ثورة الأبناء على الآباء، كما حصل لعنان المريني الذي يذكره ابن بطوطة ويطنب في مدحه ثار على والده أبي الحسن وحاربه، وكان السبب بعد تقدير الله في القضاء على ملكه، ثم في القضاء عليه.[3]

وفي هذا الجو من الاضطراب وعدم الاستقرار سافر ابن بطوطة وقام بجولاته ورحلاته إلى الشرق الذي يحمل له في ذاته احتراماً عميقاً، وهو من الذين تجسدت في نظرتهم إلى المشرق نظرتان:

الأولى: نظرة تقديس، إذ إن المشرق هو مهد الرسول ﷺ، والصحابة، ومكان النبوة، ومقصد الحجاج لزيارة الأماكن المقدسة، فلذلك مهما سما

---

(١) انظر قواعد التحديث ص: (٣٨،٤٩).

(٢) انظر العقد الفريد: (١/ ١٦٦).

(٣) ابن بطوطة. تحفة النظار في غرائب الأمصار شرح طلال حرب. وانظر أدب الرحلة تاريخه وأعلامه. جورج غريب (ص: ٦٢-٨٣).

المغرب في الحضارة فسيظل ينظر إلى المشرق نظرة تقديس على أنه المكان الذي يحتوي على الآثار المقدسة والتاريخ المقدس، فضلاً عن أنه مكان الحج الذي يقصده سنويًا مئات الآلاف من جميع الأقطار.

والنظرة الثانية: هي نظرة احترام وتقدير، فالمشرق هو مهد العلوم الدينية والفقهية والفلسفية واللغوية والشعرية، ففي المشرق شبت نهضة ثقافية ظل المغرب والأندلس ينظران إليها نظرة إجلال وتقدير، فقد كان المشرق بالنسبة إليهم ينبوع العلم ومقر المعرفة، وعلى الرغم من التفتت السياسي الذي صاحب عصر ابن بطوطة إلا أن الدين الإسلامي حافظ على توهجه في الميادين كافة، وتحققت أخوة إسلامية هائلة في قوتها وعطائها وثمارها...

أما العبودي فقد ولد وعاش في عصر ينعم بالاستقرار والأمن، فقد ولد في زمن التضامن الإسلامي الذي دعا إليه وحث عليه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل - رحمه الله - عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م حيث كانت البلاد الإسلامية عدا المملكة العربية السعودية واليمن ترزح تحت نير الاستعمار والاحتلال.

لقد واصلت المملكة العربية السعودية خطاها التطويرية، وكان الاهتمام موجها قبل كل شيء إلى نشر التعليم في مختلف المستويات، وإنشاء المدارس وافتتاح الجامعات، كما صدر الكثير من الأنظمة التي تُعنى بمختلف نواحي الحياة وتواجه التطور السريع الذي تعيشه البلاد، وفي هذا الجو المفعم بالنشاط واليقظة والاستقرار تطورت مسيرة النهضة السعودية في كل المجالات، وتغيرت أوجه الحياة في المملكة بشكل جذري، وأقيمت بنية أساسية متطورة. في هذا الجو الآمن والمتطور قام العبودي برحلاته العديدة والمتميزة في مضامينها وأهدافها وغاياتها. وهذه الرحلات مليئة بالتجارب،

مصقولة بخبرات الدعوة، فضلاً عن أنه راوية للتاريخ المعاصر يحفظ الوقائع والأحداث، وقد عرف عنه التجرد والإنصاف والموضوعية فيما يقول ويكتب، وهذا من أبرز ما يميزه عن غيره ممن سبق في هذا المضمار.

ثالثاً: كان ابن بطوطة رقيق الشعور، سريع التأثر، متدينا محباً لوالديه، وقد حفظ كل هذه العاطفة في أسفاره، وينحدر ابن بطوطة من أسرة عالية أتيح لكثير من أبنائها الوصول إلى منصب القضاء والنبوغ في العلوم الشرعية، وكان والده قاضياً، وفي طنجة أتم دراسته الشرعية وفقاً للمذهب المالكي السائد في أقطار المغرب، وقد أتيح له في أسفاره المتعددة فرصة الحج إلى بيت الله الحرام ثلاث مرات، ومع هذا التدين الذي وصف به فقد كان صوفيًا شديد التأثر بالمتصوفة.

يقول أحد المعاصرين له: ((وكم من مرة رأيناه يتبرك بقبور الأولياء ومزارات الصالحين ويبيت في الزوايا)).[1]

ويقول طلال حرب في شرحه على تحفة النظار في غرائب الأمصار: ((وكما اهتم ابن بطوطة بالأعلام اهتم أيضاً بأماكن الأولياء والأماكن المقدسة في نظره كقبور الأولياء وديار الصحابة وغيرهم)).

ويقول الشارح في موضع آخر: ((وانطلاقاً من إيمانه العميق وصف ابن بطوطة كرامات الأولياء الصوفيين، وذكر خوارق قد لا يؤمن بها البعض لكنها تعبر تعبيراً صادقاً عن تعلق ابن بطوطة الشديد بدينه، وبالرجال الصالحين المتصوفين في عصره)).

إن حكايات الرحلة وخرافاتها وموضوعاتها التي شدت انتباه صاحبها

---

(١) انظر أعلام الجغرافيين العرب. د/ عبد الرحمن حميدة (ص: ٥٦١).

تجعله أكثر قرباً إلى المعتقدات الشعبية، بل ومن كبار معتقديها؛ إذ احتلت المسائل المتعلقة بالخرافات وحكايات الكرامات والغرائب والدراويش المكانة الأولى بالنسبة له.

أما الحضارة العربية فتبدو في صفحات ابن بطوطة قليلة الحركة والنشاط والتوثب[1]، وفضلاً عن ذلك فإن هناك من يشكك في رحلة ابن بطوطة جملة وتفصيلاً..

ويقول الدكتور حسين محمود: (ونحن إذا غضضنا النظر عما يثيره بعض المستشرقين من شكوك حول هذه الرحلة أو حول بعض موادها، فإننا لا نستطيع أن نغضه عن شكوك ومحاذير أثارها وسجلها اثنان من معاصريه، وأولهما محرر رحلته ابن جزي، الذي لم يستطع أن يخفي حذره؛ إذ قال: (وأوردت جميع ما أورد من الحكايات والأخبار، ولم أتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار، على أنه سلك في إسناد صحاحها أقوم المسالك، وخرج عهدة سائرها بما يشعر من الألفاظ بذلك، وقيد المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط ليكون أنفع في التصحيح والضبط).

وثانيهما ابن خلدون الذي ذكره والتقى به شخصياً، وفيه يقول: (ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مُرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة، كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق، ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان، وكان يحدث عن شأن رحلته، وما رأى من العجائب بممالك الأرض، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون، فتناجى الناس بتكذيبه،

---

(١) انظر تحفة النظار في غرائب الأمصار (ص: ١٨).

ولقيت أيامئذ وزير السلطان (فارس بن وردار) البعيد الصعيد، ففاوضته في هذا الشأن، وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه).

ولقد ذكر السخاوي أن ابن بطوطة ذكر في رحلته أموراً يصعب تصديقها عقلاً، أولها: أنه ذكر أن المرأة من كفار الهنود (كانوا يسمون الهنادك في ذلك الوقت: كفار الهنود، لأن الدين الهندوكي ليس ديناً واحداً، و الهنادك ليسوا على دين واحد، وإنما كانوا يسمونهم كفار الهنود، لأن لهم مذاهب كفرية متعددة) قال: إن ابن بطوطة يقول: إن المرأة من نساء الكفار إذا مات زوجها أحرقوه في النار (وهذه عادة لهم، فكل من مات أحرقوا جثته بالنار) قال: ولكن الزوجة يحرقونها حية مع زوجها، وتدخل النار طائعة مختارة، وأن ابن بطوطة ذكر أنه شاهد ذلك، وشاهد أنها تغني، وأنها تدخل النار تتظاهر بالشجاعة وبعدم المبالاة بإحراقها بالنار. قال: وهذا أمر مخالف للعقل!.

وقال: الشيء الثاني: الذي يؤخذ على ابن بطوطة مما يخالف العقل أيضاً أنه ذكر: أن في بلاد البلغار (المقصود بذلك ليس جمهورية بلغاريا الموجودة في البلقان، بل المقصود بلاد البلغار القديمة الموجودة في أعالي نهر الفولغا، وهي الآن تقع أميل إلى جهة الشمال من موسكو. يعني تقع إلى الشرق من موسكو مع ميل إلى الشمال، أي إلى القرب من القطب الشمالي أو المنطقة المتجمدة الشمالية).

قال: إن الناس لا يعرفون ركوب الدواب، لأن الدواب لا تستطيع أن تسير في تلك البلاد، وإنما يركبون عربات على الثلج تجرها الكلاب، هكذا قال ابن بطوطة. وقال : وهذا غير صحيح. ثم ثبت الآن علمياً أن كل ما ذكره ابن بطوطة في هذا الأمر صحيح. وصحيح أن له أوهاما أخرى.

أما الرحالة العبودي فهو رجل علم وأدب، نشأ في بيئة معطرة بأنفاس العلم وسط أسرة محافظة، وفي مجتمع بعيد كل البعد عن فتن الحواضر ومفاسدها. لقد نشأ نشأة صالحة تغمرها العاطفة الدينية الجياشة، وتوثق عراها سلامة الفطرة وحسن الخلق والبعد عن الخرافات والخزعبلات، وكان لهذه النشأة الطيبة أثرها البالغ في حياة المترجم له؛ حيث بدأ حياته العلمية بحفظ كتاب الله تعالى على يد عدد من مشايخه آنذاك، كما أنه ينتمي إلى أسرة كريمة طيبة الأخلاق محمودة السيرة. وهو من أولئك الجادين الذين لا تغريهم المناصب، ولا تشغلهم مباهج الحياة؛ وكان يهوى رياضة الصيد لكنه تركها ليعاني من رياضة العقل.

لم يكن همه الرحلة قدر همه الكشف عن أحوال المسلمين وديارهم، مع أنه قد كشف عنها أو عن بعضها في أكثر من سبعين و مئة مؤلف بين مخطوط و مطبوع.

وهو رحالة متميز، وأحسب أن الله تعالى قد ضرب له بعد توفيقه بسهم راجح في هذا المجال؛ حيث يملك دقة متناهية في وصف الرحلة والتعريف بدقائقها، فلا يغادر صغيرة و لا كبيرة في متاحات البشر إلا سجله وسلط عليه الضوء بما يكفي لإشباع نهم المتلقين والمتابعين لأخبار الرحلات.

وإذا كان ابن بطوطة قد أشبعت نفسه بالتصوف والغلو في المتصوفين وشد الرحال إلى قبورهم؛ فإن العبودي صاحب منهج عقدي صحيح وُصف بالوسطية والاعتدال، والتوسط هنا مرادف العدل الذي لا يميل باتجاه الإفراط ولا يجنح نحو التفريط.

وانطلاقاً من هذا النهج الذي كان عليه سلف الأمة عرف العبودي بمحاربته لجميع أنواع الانحراف الفكري والغلو في الدين أو التهاون فيه، فهو ناصح أمين يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. ويفند شبه المبطلين ويدعو إلى تصفية العقيدة الإسلامية من شوائب الشرك والبدع و المعاصي، كما يحث على التئام الصف واجتماع الكلمة والاعتصام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا المنحى العقدي كان واضحاً في جهود العبودي خلال عمله في الجامعة الإسلامية، فكان له القدح المعلى والسهم الراجح في تأسيسها صرحاً إسلامياً شامخاً في المدينة النبوية، فقد كان شخصية متميزة اجتهد في رسم سياساتها، ووضع لوائحها وخطط سير دراستها وإعداد برامجها، ووضع مناهجها وعرض الاقتراحات على ولاة الأمر بشأنها.[1]

رابعاً: قام ابن بطوطة بثلاث رحلات، زار في الأولى بلاد المشرق الإسلامي بما فيها الهند والصين، وزار في الثانية بلاد الأندلس، وفي الثالثة بلاد السودان الغربي، وكان قد غادر طنجة مسقط رأسه في يوم الخميس الثاني من رجب عام ٧٢٥هـ قاصداً حج بيت الله الحرام، وهو لا يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، فمر بالجزائر وتونس وليبيا، ووصل مصر حيث تجول في مدنها، وذهب إلى الشام.

وبعد أن طاف بلدانها ذهب إلى الحجاز حيث أدّى فريضة الحج، وسافر منها إلى العراق وطوف فيه، وألم ببعض البدن في غربي إيران، ثم أدّى فريضة الحج مرة ثانية، ورحل من مكة إلى اليمن وإلى شرق أفريقيا، وعاد إلى

---

(١) انظر جريدة الندوة العدد ١٣٧٣٠ (الأحد ٢٧ شوال ١٤٢٤هـ الموافق ٢١ ديسمبر ٢٠٠٣م).

ظفار وعمان والبحرين، ثم إلى مكة ليحج للمرة الثالثة ويعود إلى مصر ثم الشام، وإلى جزيرة القرم والقوقاز والبلغار والى القسطنطينية، ومنها رحل إلى خوارزم و بخارى وأفغانستان، ثم دخل الهند سنة ٧٣٤هـ، ومنها ذهب إلى الصين عن طريق الملايو، وعاد عن طريق سومطرة ونزل في ظفار، واتجه إلى بلاد العجم فالعراق فالشام فمصر فالحجاز ليحج للمرة الرابعة وليعود بعدها إلى مراكش عن طريق مصر فليبيا فتونس فالجزائر، ووصل مدينة فاس في يوم الجمعة أواخر شعبان من عام ٧٥٠هـ ليحظى برعاية السلطان أبي عنان المريني، ومن فاس يزور مسقط رأسه طنجة، ثم يبدأ رحلته الثانية وهي رحلة قصيرة زار خلالها بلاد الأندلس، ثم عاد إلى مراكش ليصحب أبا عنان إلى فارس ويودعه منها ليقوم برحلته الثالثة في أواخر عام ٧٥٢هـ ويبقى في مدينة سجلماسة بضعة أشهر، ليبدأ الرحلة في غرة محرم سنة ٧٥٣هـ إلى بلاد السودان الغربي ويتوغل في مجاهل إفريقيا الوسطي ويعود بعدها في عام ٧٥٤هـ ليستظل رعاية السلطان في بلاطه بفاس حيث يمضي بقية حياته حتى عام ٧٧٦هـ.

هذا هو الهيكل العام لهذه الرحلة الطويلة التي استغرقت ثمانية وعشرين عاماً من حياة صاحبها، ولسنا بصدد الإسهاب في ذكر أحداثها وتفصيلاتها، وإنما نود أن نسجل بعض خصائصها و ما اتصف به صاحبها، وبعض الملاحظات حولها يمكن أن تعين في تحديد مكانها في مكتبة أدب الرحلة عند العرب، وأول ما يلفت النظر في هذه الرحلة هو أن صاحبها ما كادت تتفتح حياته على العقد الثالث من عمره، حتى خلف والديه في طنجة وراح يطوي البلاد و الأقطار في عزيمة شابة لم توهنها مشقات الزمان ولا أهوال الأخطار، فقضى ربيع حياته وشطراً من خريفه جوالا رحالاً، مغتربا عن

أهله ووطنه، بمحض إرادته واختياره، ولافتة أخرى هي أن هذا الرحالة الكبير ما كاد يستقر به بلاط فاس حتى راح يملي رحلته أو رحلاته على أحد كتاب الديوان محمد بن محمد بن جزّي الكلبي بأمر من أبي عنان السلطان.

ولعل سائلاً يسأل: ولكن لِمَ لم يطلب إليه السلطان أن يكتب رحلته بنفسه وقد آوى إلى ظل ظليل من رعايته وعطفه، ولم يرض الرحالة أن يملي رحلته إملاءً على محرر يبيح له التصرف فيما يملي عليه؟.

وثمة سؤال آخر؛ قد يقال كانت مذكرات رحلته في الشرق قد ضاعت منه، فأين مذكرات رحلتيه القصيرتين إلى الأندلس وإلى السودان الغربي وقد كانتا بعد تعرفه على أبي عنان، وربما كان قد أحس بضرورة تدوين الرحلة وأهمية ذلك، وهاتان الرحلتان دُونتا في عجالة قصيرة مع الرحلة الأم وبنفس طريقة تدوينها، إنه لأمر غير عادي، وإنها أسئلة ستبقى حائرة ما لم نقطع بالعقل بأن ابن بطوطة كان أعجميًّا لا يتقن الكتابة بالعربية، أو على الأقل ليست لديه ملكة الكتابة الأدبية، وليس من الضروري أن يتناقض ذلك مع ما هو معروف عن ابن بطوطة من أنّ أسرته عنيت بالعلوم الشرعية، ومن أنه درس الفقه والأدب، أو أنه تولّى قضاء المغرب، ثم تولى هذا المنصب في بعض البلاد التي زارها كالهند وجزر المالديف، فتوليه هذا المنصب ليس بحجة على أنه كان ذا علم واسع أو مقدرة كبيرة في علوم الشرع، ومع ذلك فالذي ذكره وأقلّ منه أيضاً يدل على حافظة قوية كان يتمتع بها هذا الرجل، ومع هذا فليس من الضروري أن يكون عالماً أو فقيهاً، حتى ولو صح اجتماعه بكل من ذكر أنه لقيهم من علماء ورجال دين وقضاء، فهو كما يُستشفّ من رحلته قد لا يخرج عن كونه رجلاً مغامراً شهماً كريماً يمثل شخصية المُسامر اللّبق، ومثل هذه الشخصية تليق للقيام بالدور الذي

قام به ابن بطوطة وبمستواه، أما أنه لو كان من نوعية العالم حقّاً، فعلى الأغلب لن تتسنّى له فرصة هذه الرحلة في الأرض بالطول والعرض، ثم هي إن سنحت فستثمر حتماً ثمراً غير هذا الثمر كيفاً وكمّاً..

وقد يبدو أثر الإسلام واضحاً في كثير من أجزاء الرحلة بالإضافة إلى بعض تعبيراته ودعواته الدينية من مثل (جزاه الله أفضل الجزاء عن الإسلام والمسلمين) و (استخرت الله عز وجل)، وبالإضافة إلى اهتمامه برجال الدين ومدح أهل بعض البلاد بأنهم أهل صلاح وديانة محافظون على الصلاة وحفظ القرآن، واستقباحه تعري النساء في بلاد السودان..

أما أسلوب كتابة الرحلة فإن ابن بطوطة لم يكن ذا ميل إلى الكتابة لسبب أو لآخر ولم يملك مذكرات لرحلته عند إملائها، ومن هنا فإن طريقة المشاركة بينه وبين المحرر (ابن جزي) في الإملاء والتدوين جعلت من الصعب الارتفاع بأسلوب الرحلة إلى النمط الجيد و التدوين المتكامل المترابط، فبدا اختلاط الأسلوبين واضحاً وعرى التسلسل مفككة و غير مترابطة في أكثر أجزاء الكتاب فجاء مفتقراً إلى التناسب والتناسق..

والغريب أن ابن بطوطة لم يخلف وراءه أي إنتاج أدبي؛ إذ لم يرد في كتاب الرحلة أو في المصادر الأخرى ذكر ما لمؤلفات أدبية منسوبة إليه وهكذا وصلنا سرد لقصة أسفار ابن بطوطة على شكل كتاب عنوانه (تحفة النظار في غرائب الأمصار) الشهير بكتاب (ابن بطوطة).[1]

وعلى أية حال فإن رحلة ابن بطوطة تحتوي على كثير من الموضوعات التي تهم الجغرافي و المؤرخ والعالم الاجتماعي والأديب، ونحن إنما نقصد

---

(١) أعلام الجغرافيين العرب. د/ عبد الرحمن حميدة.

بالرحلة هنا الكتاب بما قصّه الرحالة وبما أضافه المحرر، فقد نقل إلينا ابن بطوطة في رحلاته الطويلة هذه كثيراً عن أحوال بعض المجتمعات التي شاهدها وعاش فيها من عادات الناس وتقاليدهم وملابسهم وأطعمتهم وأشربتهم، وبعض شعائرهم الدينية..

أما الشيخ محمد العبودي فهو أحد أكثر الرحالة العرب، وقد أتاح له عمله في رابطة العالم الإسلامي هذا التجوال الذي شمل أنحاء الكرة الأرضية تقريباً.

يقول الأستاذ إسماعيل محمد العلوي: ونتحدث في هذه العجالة عن شخصية بارزة من الشخصيات الإسلامية التي ساهمت في خدمة الإسلام والمسلمين ألا وهو الشيخ محمد بن ناصر العبودي، حيث يعتبر من أبرز الشخصيات والرحالين، سواءٌ بقدر علمه وفكره وأدبه أو تعدد رحلاته وجولاته، وهو أحد الشخصيات النادرة، عالماً متبحراً بالتجارب والرحلات، حيث زار مشارق الأرض ومغاربها ليبحث عن أحوال المسلمين، وقد قام الشيخ محمد بن ناصر بجمع معلومات كثيرة وقيّمة عن أحوال المسلمين في هذه الرحلات التي قام بها في جميع أقطار الأرض التي قام بزيارتها.

ويقول فضيلة الدكتور محمد بن سعد الشويعر في كلمة له بعنوان (العبودي واتساع المعارف): كلمة مأثورة قالها أحد الشعراء (لا بأجدادي شرفت، بل شرفوا بي)، تنطبق على الشيخ محمد العبودي: الأديب الرحالة.

ذلك أن كثيراً من الناس، وخاصة في الخارج، يعرفون الشيخ العبودي بأنه الرجل الداعية، الذي يجوب البلاد في رحلات عالمية متتابعة، يعيد منها ذكرى رحلات ابن بطوطة المغربي، إلا أنه أوسع منه انتشاراً، وأكثر عطاءً،

فابن بطوطة زار بلاداً محدودة بالنسبة لمقاييس هذا الزمان، ذكرها في رحلته المطبوعة في مجلدين، لكن الشيخ محمد العبودي في رحلاته التي عبر عنها فيما دوّن من كتبه التي تزيد عن الثمانين، وفيما قدم من ملفات إذاعية استمرت سنوات، وما بقي في ذاكرته أكثر.

تلك المعلومات الشيقة في أحداثها الرصينة في طريقة عرضها، لأنها تشد المستمع في تسلسل الأحداث وطريقة العرض بأسلوب هو من السهل الممتنع.

ففي هذه العطاءات يتبين للقارئ المقارن أن الشيخ محمد العبودي قد فاق ابن بطوطة في الكم والكيف، الكم في البلدان التي زار، والكيف بما انصهر فيه وتابعه ووثقه من عادات الشعوب وحالة المسلمين، هذا الجانب الذي يهتم به كثيراً، ويبرز لمن يتابع ويهتم بهذا الجانب.

ويصح أن نطلق عليه تجاوزاً: ابن بطوطة القرن الحادي والعشرين، إذ ما كتب ورصد يعطيه وصفاً مميزاً يفوق ما تعرض له الرحالون قديماً وحديثاً بالرصد والتوثيق والانصهار مع الشعوب التي زار ديارهم.

ويتحدث الشيخ الدكتور أحمد محمود الشنقيطي عن الرحالة العبودي فيقول: إذا ما قارنّا رحلات الشيخ محمد بن ناصر العبودي برحلات ابن بطوطة نلاحظ ما يلي: أن الرحلات الأخيرة رحلات محمد بن ناصر شاملة تتناول جميع مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية.

صحيح أن الوسائل الحديثة قد أتاحت للإنسان الحديث الحصول على المعلومات بأقل كلفة وبأسرع ما يمكن لاسيما إذا كانت الطائرات ووسائل الاتصال الحديثة قد استخدمت ضمن الآليات المساعدة. لكن ذلك يصحبه تعقد الحياة وكثرة الشعوب المزورة، وتعدد الأهداف لهذه الشعوب، مما

يعكر الحصول على المعلومات بطريقة التلقي العادية التي كانت هي الطريقة التقليدية الوحيدة، فكان لا بد من تنظيم لقاءات متعددة ومختلفة تستطيع أن تلم الجميع أو على الأقل بما يمكن أن تلم به من حياة هذا البلد أو ذاك، بينما كان يجري العطف في النمط القديم على بعض شهادات الرحالة وتسجيلها حسب الطريقة وتعميم بعض الظواهر التي يمر بها الرحالة على الأجزاء الأخرى التي لم يمر بها وما أكثرها، فلا شك أن تلك الزيادات المتعددة التي قام بها محمد بن ناصر لجهات مختلفة هي التي أكسبت هذه الرحلات مصداقيتها وأعطتها قيمتها العلمية الشمولية، فقلما يزور بلداً إلاّ ونظم زيارات ميدانية للمراكز العلمية والهيئات الدينية والمساجد وبعض الأفراد المؤثرة، وإذا لم يتسن له ذلك فتراه يلتقي بالمسؤولين الإداريين كما هو الحال في معظم زيارته للاتحاد السوفياتي ولقائه برؤساء حكوماتها كما في بلدان أخرى.

بينما تقتصر الرحلات القديمة على وصف مشاهد الرحالة التي تكون اعتباطية حسب المكان الذي يمر له هذا الرحالة فلا تشمل جميع مناطق البلد.

وكتب أحد المحررين قائلاً: وللشيخ العبودي في الرحلات باع يعلو على من يطاوله في هذا الحقل من المعرفة، فهو رحالة جوّاب، لا يعرف الكلل ولا الملل في استكشاف معالم البلدان ومجاهل البقاع في الأرض، فقد طاف بقارات المعمورة وجال في ربوعها مفيداً ومستفيداً، فكان من حصيلة هذا الجهد الشاق أن أثرى المكتبة السعودية خاصة والعربية عامة بالعدد الكبير من الكتب المميزة والنفيسة عن مشاهداته وانطباعاته في مختلف بلدان العالم.

أما فيما يتعلق برحلاته فيقول الشيخ العبودي - حفظه الله -: هذا وقد

سافرت إلى بلاد خارجية في مهمات رسمية منها:

* في قارة آسيا:

(سوريا و لبنان و الأردن و العراق و الكويت و البحرين و دبي و عدن وتركيا و باكستان و أفغانستان والهند و سيلان و تايلند و إندنوسيا و ماليزيا و سنغافورة و اليابان و كوريا و الصين الوطنية وهونغ كونغ و مالديف وبنغلاديش و نيبال).

* وفي أمريكا الشمالية: بالولايات المتحدة الأمريكية إذ زرتها في أكثر من مهمة، و تجولت في أغلب ولاياتها.

* وفي قارة أفريقيا:

(مصر والسودان واريتريا والحبشة والصومال و تنزانيا وملاوي وروديسيا وزامبيا وجنوب أفريقيا وزايير (الكونجو سابقاً) وبور ندي ورواندا وأوغندا وكينيا وقابون ونيجيريا والمغرب والجزائر وتونس وليبيا والسنغال وجزر القمر ومدغشقر وموريشيوس ورينيون).

* وفي القارة الأوربية:

(اليونان وأسبانيا والبرتغال وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا والنمسا ويوغسلافيا وألمانيا والسويد والنرويج والدنمارك وفنلندا).

* وفي قارة أمريكا الجنوبية:

(البرازيل وفنزويلا وترينداد وجزر العذراء وبور توريكو).

الفصل السادس

رحلات الشيخ العبودي الدعوية والثقافية

******

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: الرحلة الأولى والثانية إلى إفريقية الخضراء
- المبحث الثاني: كتاب عن أفريقية الخضراء
- المبحث الثالث: مشاهدات وانطباعات في بلدان أفريقية
- المبحث الرابع: صور ونماذج من رحلاته
- المبحث الخامس: عجائب وغرائب في رحلات الشيخ العبودي

۞ رحلات الشيخ العبودي الدعوية والثقافية

كانت ولا تزال الرحلات الدعوية الاستكشافية التي قام بها العالم الموسوعي والجغرافي المخضرم محمد بن ناصر العبودي معيناً ثراً، وفيضاً غامراً، ومورداً عذباً لكثير من العلوم والفنون والثقافات، جَنيْنا من ثمارها طائفة كثيرة من عيون الكتب وأدب الرحلات في وصف البلاد، وطبائع العباد، وتراجم الرجال، وغرائب العادات، والتقاليد والمشاهدات.

فشخصية العالم الرحالة والأديب المبرَّز متعددة الثقافات، مصقولة المواهب، فهو رحّالة جوّاب لا يعرف الكلل ولا الملل في استكشاف معالم البلدان، ومجاهل البقاع والأصقاع، فقد طاف قارات المعمورة وجال في ربوعها مفيداً ومرشداً ومستفيداً، فهو موسوعي المعرفة، دقيق الملاحظة، وقد استفاد من وقته وسعة ثقافته وتعدد مواهبه، فقد أثرى المكتبة السعودية خاصة والعربية عامة بالعدد الكبير من الكتب المتميزة والنفيسة عن مشاهداته وانطباعاته في مختلف بلدان العالم، فهو يعتبر بحق رمزاً شامخاً من رموز الثقافة الإسلامية.

إن هذه الكتب الكثيرة فيها معلومات لا نجدها في غيرها عن بلدان يعيش فيها مسلمون، كما أن في هذه الكتب آراءاً وانطباعات وأحاسيس إنسانية، وهي كتب أسلوبها سهل ممتنع، تُصور المكان بأبعاده وألوانه، بمن فيه وما فيه، يأخذك مؤلِّفها معه في رحلاته، يتحدث معك بصدق، فتثق به وتأنس لما يقول.

بلغ عدد كتب الرحلات المنشورة إلى عام ١٤٢٨هـ مائة وثلاثة، إضافة إلى ستين كتاباً لم تنشر بعد.

وهذا الرقم قد يجعل العبودي أكثر مؤلف عربي معاصر ألف في مجال الرحلات، لكن تميز رحلات العبودي ليس بسبب كثرتها وحسب، وإنما أيضاً لكون هذه الكتب تعتمد على رحلات قام بها المؤلف لهدف خدمة الإسلام والمسلمين، خاصة في البلدان التي فيها أكثرية غير مسلمة، وبالأخص البلدان التي لا نعرف عن المسلمين فيها إلا القليل، أولئك المسلمون المنسيون من إخوانهم في الدول الإسلامية، من أجل هؤلاء رحل العبودي إلى كل القارات، وكثير من جزر البحار والمحيطات، وكتب عن المسلمين هناك وعن البلدان مذكرات يومية تحولت إلى هذا العدد من الكتب.

المبحث الأول

الرحلة الأولى والثانية إلى إفريقية الخضراء

المقدمات والنتائج [1]

لقد أسست الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لكي تستقبل العدد العديد من أبناء المسلمين في شتى أنحاء العالم، فتوفر لهم الدراسة الإسلامية النقية في عاصمة الإسلام الأولى، لكي يعودوا - بعد إتمام دراستهم - إلى بلادهم دعاة للخير، وهداة للنور الإسلامي المبين.

وقد درجت الجامعة الإسلامية على أن تخصص كل عام منحاً دراسية توزعها على المسلمين في مختلف الأقطار تحتضن من يستفيدون منها من قبل أن يغادروا بلادهم حتى يعودوا إليها. وكانت رئاسة الجامعة الإسلامية تضع في الاعتبار الأول حاجة القطر الذي تخصص له المنح الدراسية الإسلامية إلى التعليم الإسلامي قبل النظر في حجمه السكاني، أو مساحته القطرية، أو كثرة النسبة العددية للمسلمين فيه، وذلك من باب البداءة بالأهم قبل المهم، والأولى قبل غيره.

ولكن كانت رئاسة الجامعة تجد شيئاً من الغموض عندما تحاول أن ترسم التقدير الصحيح لبعض البلدان الإسلامية، أو البلدان التي يقطنها مسلمون، وذلك بسبب النقص في المعلومات. لذلك طرح هذا الموضوع على البحث في مجلس الجامعة - في أخريات عام ١٣٨٣هـ الموافق لعام ١٩٦٤م،

---

(١) انظر: ((في إفريقية الخضراء)) للشيخ محمد بن ناصر العبودي. ص: (٩-١٨)، ط: دار الثقافة: بيروت، وجريدة عكاظ الصادرة في: ١٨/ ١/ ١٤٢٥هـ. العدد (١٣٧٠٩)

وهو العام الثالث لإنشاء الجامعة، فرأى المجلس إيفاد بعثة تحت رئاسة الأمين العام للجامعة (كاتب هذه السطور) تسافر إلى بعض الأقطار الإفريقية المحتاجة للتعليم الإسلامي، وتطلع أحوال المسلمين هناك، ثم تأتي بتقارير وافية عما شاهدته.

وهكذا سارع صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نائب رئيس الجامعة الإسلامية آنذاك إلى العمل على إنجاح هذا المشروع كعادته الحميدة في المسارعة إلى فعل الخيرات.

وكان أن رفعت رئاسة الجامعة الإسلامية الأمر إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله -، وذلك للعرض على جلالته وطلب الموافقة، فحظي المشروع بالموافقة السامية، بل إن جلالته لم يقتصر على ذلك، وإنما أمر بأن تصطحب البعثة معها مبالغ من المال تدفع باسم الجامعة في المدينة المنورة إلى المؤسسات والمدارس والهيئات الإسلامية في البلاد التي تزورها البعثة شريطة ألا يعلن عن ذلك، أي عن المبالغ المالية شيء، وألا ينشر عنه شيء في الصحف في حينه، وأن يكون عمل البعثة مقتصراً على النشاط الإسلامي، وألا تقحم نفسها في أي نشاط سياسي، قد يؤثر على أداء مهمتها الإسلامية الخالصة.

* **خطة العمل:** تألفت البعثة على النحو التالي:

محمد بن ناصر العبودي، الأمين العام للجامعة، (كاتب هذه السطور): رئيساً.

فضيلة الشيخ عمر محمد فلالي، مدير دار الحديث بالمدينة، والمدرس بالمسجد النبوي الشريف: عضواً.

فضيلة الشيخ أبو بكر جابر بن موسى، المدرس بالجامعة الإسلامية،

والواعظ بالمسجد النبوي الشريف: عضواً.

ورسمت رئاسة الجامعة عمل البعثة فيما يلي:

١ - الاتصال بزعماء المسلمين وعلمائهم في الدول التي تزورها البعثة للاطلاع على أحوال المسلمين وفهم مشاكلهم.

٢ - إلقاء محاضرات وكلمات دينية في الأندية والمساجد والجمعيات الإسلامية.

٣ - تنظيم جداول إحصائية للسكان المسلمين في كل قطر ومواضع سكناهم منه، ونسبتهم إلى مجموع سكانه من غير المسلمين.

٤ - تقدير حاجة كل بلد إلى المساعدات التي يمكن تقديمها سواء من الجامعة الإسلامية، أو من الهيئات الأخرى في المملكة.

٥ - بذل المساعدة المالية للجمعيات والهيئات والأفراد الدعاة من المسلمين، للمساعدة على بناء المساجد، أو سير الدراسة في المدارس، وتشجيع الدعاة على الدعوة، وذلك في حدود المبالغ المالية التي تحملها البعثة.

٦ - توزيع المصاحف والكتب والمطبوعات الإسلامية حسب تقدير البعثة، على أن تعد بذلك بيانات ترسل بواسطة إحدى السفارات السعودية القريبة من البلد الذي تصرف له الكتب.

٧ - الاطلاع على النشاط الموجود في الدعوة إلى الإسلام بين المواطنين وغيرهم في كل بلد، ومعرفة ما إذا كان هناك نشاط معاد للإسلام فيه، ومدى فعاليته.

٨ - كتابة إيضاحات مفصلة عن أحوال المسلمين المادية، ومركزهم الاجتماعي، في كل بلد تزوره البعثة.

٩ - تنظيم جداول بعناوين ومراكز الهيئات والشخصيات الإسلامية الموجودة في كل بلد تزوره البعثة، ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة.

١٠- تحري الجمعيات والشخصيات الإسلامية التي تستحق المساعدة أكثر من غيرها إما لاتساع نشاطها، أو إخلاص أفرادها، أو لأنه يرجى أثرها في الدعوة أكثر من غيرها، وذلك ليكون لها الأولية من المساعدات في المستقبل، إذا لم يمكن تعميم المساعدة على الجميع.

١١- تقدير المنح الدراسية التي يحتاجها كل بلد في الجامعة الإسلامية في المدينة حسب درجة حاجته للتعليم الإسلامي.

١٢- المساعدة على طبع النشرات والكتيبات الإسلامية في حدود إمكانات البعثة.

١٣- تقدير حاجة المدارس الإسلامية إلى وجود المدرسين السعوديين الذين يدرِّسون الدين الإسلامي واللغة العربية، والذين قد تتوفر الظروف في المستقبل لابتعاثهم إلى تلك البلاد.

١٤- تقدير حاجة المسلمين هناك إلى الكتب والمطبوعات الإسلامية باللغة العربية واللغات الأخرى.

١٥- جمع المعلومات الممكنة عن الشخصيات والجمعيات الإسلامية في البلاد المجاورة للأقطار التي ستزورها البعثة.

١٦- تقديم الاقتراحات ممن تراهم البعثة أهلاً لأن تدعوهم الجامعة الإسلامية لإلقاء محاضرات فيها، أو للتعاون معهم في مجال الثقافة الإسلامية.

١٧- تقديم الاقتراحات بأسماء الشخصيات الإسلامية التي تستضيفها الهيئات والمؤسسات الإسلامية السعودية التي تعنى بشؤون المسلمين في الخارج لغرض تقوية الروابط الإسلامية العامة.

ثم زودت رئاسة الجامعة الإسلامية البعثة بأكثر من ثلاثة عشر ألف كتاب إسلامي يضاف إلى ذلك عدد من المصاحف والأجزاء القرآنية الكريمة لتقوم بتوزيعها في تلك البلاد.

وقد شحن الجزء الأكبر منها قبل سفر البعثة من ميناء جدة إلى مقديشو، عاصمة جمهورية الصومال، لكي تقوم البعثة بالتوزيع منها بطريق السفارة السعودية هناك.

وما أن علمت رابطة العالم الإسلامي بقرب سفر البعثة حتى دفع معالي الأمين العام للرابطة الشيخ محمد سرور الصبان مبلغاً مالياً طيباً مساهمة من الرابطة في عمل البعثة وليضاف إلى المبالغ المالية التي تحملها البعثة من الجامعة.

هذا وقد غادرنا المملكة العربية السعودية عن طريق مطار جدة الدولي إلى مطار الخرطوم في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني عام ١٣٨٤هـ الموافق لليوم الرابع من شهر أغسطس عام ١٩٦٤م.

تلك كانت قصة بداية رحلتي الأولى إلى إفريقية، وسوف أستصحبك - أيها القارئ الكريم - إلى أكثر البلدان والقرى التي مررنا بها في تلك الرحلة، عندما نقرأ معاً مذكراتي اليومية، فيما بعد، إن شاء الله.

وقد استغرق سفرنا مدة ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً، زرنا خلالها السودان، وأرتيريا، والحبشة، والصومال، وكينيا، وأوغندة، وبوروندي، وتنجانيقة، وروديسية الشمالية، (زامبيا).

* **الرحلة الثانية:** بعد أن قدمنا من رحلتنا الأولى رفعنا إلى رئاسة الجامعة الإسلامية تقاريرنا التي وضعناها عن الرحلة، فسارع فضيلة نائب رئيس الجامعة الإسلامية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى دراسة ماجاء فيها، وكان أهم ما عمله فضيلته أن قدَّم اقتراحاً لسماحة رئيس الجامعة، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بأن تُكوَّن لجنة لدراسة التقارير المذكورة من أعضاء من الجامعة الإسلامية، ودار الإفتاء، ووزارة الخارجية، ووزارة المعارف، ورابطة العالم الإسلامي.

وقد وافق سماحة رئيس الجامعة على الاقتراح المذكور، والتأم شمل اللجنة. وكان من أهم توصياتها اقتراح بأن ترصد الحكومة السعودية مبالغ معينة من المال، وتعتمد وظائف تقدر في البدء بخمسين وظيفة، تخصص لتعيين مدرسين ومرشدين يتعاقد معهم للعمل في أقطار أفريقية مختلفة، ويوضع لعملهم نظام خاص، ويكون عملهم بعيداً عن التدخل في الأمور السياسية، وإنما يقتصر على العمل في حقل التدريس والإرشاد، وتقديم النصح الديني المحض. وكان أن قام سماحة مفتي الديار السعودية، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس الجامعة، برفع هذا الأمر إلى جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله وزاده توفيقاً وتأييداً، فوافق جلالته على ذلك، وأصدر أمره السامي إلى وزارة المالية والاقتصاد الوطني برصد المبالغ المطلوبة، وفتح الوظائف اللازمة على أن يتم ذلك كله على يدي سماحة المفتي، وأن يكون تنفيذه بوساطة دار الإفتاء. وقد عهد سماحة المفتي حفظه الله إلى فضيلة نائبه في الإفتاء الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بالقيام بتنفيذه وإخراجه كاملاً إلى حيز الوجود. فصدع فضيلة الشيخ إبراهيم بن محمد بالأمر، وأخذ في الإجراءات السريعة الكفيلة بعدم تأخيره.

وكان من بين ما رآه فضيلته أن يصدر فضيلة المفتي، رئيس الجامعة، أمراً يقضي بتكليفي السفر إلى عدد من الأقطار الأفريقية المحتاجة للتعليم الإسلامي وذلك للاتصال بالجمعيات الإسلامية، والاتفاق معها على تعيين أماكن المدرسين، والمرشدين هناك، ثم إكمال الإجراءات اللازمة لاستقبالهم وتيسير إقامتهم. فوافق سماحته على ذلك. وتقدم لجلالة الملك فيصل بالتماس إعطائي مبالغ مالية مما أمر جلالته برصده للدعوة في إفريقيا أقوم بتوزيعها على الجمعيات والهيئات الإسلامية، وقد وافق جلالته على ذلك،

وأصدر أمره السامي إلى وزارة المالية بصرف المبالغ المطلوبة. وهي تزيد أضعافاً على المبالغ التي كنا قد وزعناها في رحلتنا الأولى.

وقد رأى فضيلة نائب رئيس الجامعة الإسلامية، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أن أقوم إلى جانب أداء هذه المهمة المذكورة بمهمة أخرى، وهي تقديم المنح الدراسية من الجامعة الإسلامية إلى المسلمين في تلك الأقطار الأفريقية واختيار الطلبة الذين يستفيدون من المنح المذكورة، وإكمال ترحيلهم إلى المدينة المنورة. وهكذا أصبحت المهمة التي وكل إليّ أمر تنفيذها في هذه الرحلة الثانية ذات ثلاث شعب:

أ – تعيين أماكن المدرسين والمرشدين في أقطار شرقي ووسط إفريقية الذين تزمع دار الإفتاء إرسالهم إليها.

ب – توزيع الإعانات المالية على الهيئات والمؤسسات والشخصيات الإسلامية هناك.

ج – تقديم المنح الدراسية من الجامعة الإسلامية واختيار الطلاب للمنح المذكورة.

هذا وقد اخترت لمرافقتي في هذه الرحلة الأستاذ عبد الله بن حمود الباحوث، رئيس المحاسبة بالجامعة الإسلامية، وذلك لخبرته في الشؤون المالية والحسابية التي أحتاجها في ضبط أوراق المبالغ المالية التي أحملها، ولأنه لا بد لي من مرافق في تلك الرحلة الطويلة، وقد رأيت فيه خير من يصلح لذلك.

وهكذا غادرنا المدينة المنورة يوم السبت ٥ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ الموافق ٢١ أغسطس عام ١٩٦٦م.

المبحث الثاني

كتاب عن إفريقية الخضراء[1]

يقول الشيخ محمد العبودي - حفظه الله -:

إن محتويات هذا الكتاب عبارة عن مشاهدات وانطباعات في مذكرات يومية كما قدّمت، لذلك أبقيتها كما كتبتها، ولم أضف إليها أي شيء مما يمكن إضافته من المصادر المكتوبة التي تحدثت عنها من تلك البلاد، لأنها معروفة للباحثين، ولمن يريد الاطلاع عليها.

وليس من اللائق أن يأخذ المرء ما ذكره غيره، وينسبه إلى نفسه. ولم أحذف من مذكراتي إلا ما كان منها شخصياً محضاً، أو متصلاً بالحديث عن بعض الشخصيات الإسلامية والمقابلات التي تمت مع المسؤولين المسلمين، مما لا يحسن نشره، أو لا فائدة في ذكره.

ولقد رتبت يوميات الرحلة الأولى لكل بلدٍ على حدة، ثم أتبعتها بيوميات الرحلة الثانية أو الثالثة إليه إن وجدت، ثم أتبعت ذلك بالحديث عن الأوضاع الإسلامية فيه حسبما توصلت إليه بنفسي مع زملائي وذلك ليسهل الرجوع إليه لمن أراد، أي أنني لم أرتب اليوميات على التسلل التاريخي لها.

ومن نتائج هذه الرحلات التي قمنا بها تقديم كثير من المساعدات للدول والبلدان الإسلامية التي مررنا بها.

---

(١) انظر: ((في إفريقية الخضراء)) للشيخ محمد بن ناصر العبودي. ص: (١٨-١٩)، ط: دار الثقافة: بيروت.

❊ المساعدات:

لقد بلغ عدد الجهات والمؤسسات والهيئات والمدارس الإسلامية التي صرفنا لها إعانات مالية أكثر من (٣٢٠) مؤسسة، كما أننا قدمنا منحاً دراسية في الجامعة الإسلامية لجميع البلدان التي زرناها، وقد وصل أكثر الطلبة من تلك البلدان، وهم الآن يواصلون دراستهم في الجامعة الإسلامية.

كما أرسلت دار الإفتاء، ولا تزال ترسل جماعات من المدرسين والمرشدين إلى الأقطار الأفريقية المختلفة، وهم الآن يؤدون الأعمال المنوطة بهم في حقل الإرشاد والتعليم والتوجيه الإسلامي على خير وجه ولله الحمد.

وبعد: فإن ما ورد في هذا الكتاب ليس تقريراً عما تم إنجازه في تينك الرحلتين؛ فذلك له مكانه في الأوراق والملفات الرسمية، ولكنه حديث الرحلة ذاتها، أو هو الحديث على هامش المهمة الرسمية وليس عن المهمة نفسها.

المبحث الثالث

مشاهدات وانطباعات في بلدان إفريقية

۞ في مسجد أم درمان: [1]

صلينا صلاة المغرب والعشاء في مسجد أم درمان، وسرني إذ رأيت الدروس الدينية فيه متصلة الحلقات من بعد صلاة العصر حتى صلاة العشاء، كما لاحظت أنه يحضر حلقات الدرس والوعظ عدد كبير من الناس، والشعب السوداني شعب متدين رقيق الحاشية لطيف المعشر، ما إن يرانا في مكان عبادة ويعرف أننا قد جئنا من المدينة المنورة حتى يبادر إلى تحيتنا وإظهار إكرامنا، وقد ألقى زميلنا الشيخ أبو بكر جابر موسى، موعظة في المسجد بعد صلاة العشاء نالت إعجاب الحضور الذين صافحونا جميعاً ودعوا لنا بالتوفيق.

يوم الخميس: ٢٨/ ٣/ ١٣٨٤هـ - ٦/ ٨/ ١٩٦٤م

استعرضنا في الصباح قائمة الأسماء التي في مفكرتنا للأشخاص والجمعيات الإسلامية فوجدنا فيها رئيس القضاة، ومفتي الجمهورية السودانية، ورئيس مصلحة الشؤون الدينية.

وكان قد زارنا هذا الصباح بعض الطلبة السودانيين في الجامعة الإسلامية، فذهبنا إلى بناء رئاسة القضاة الشرعيين والإفتاء والمحكمة الكبرى.

---

(١) انظر في: إفريقية الخضراء للشيخ محمد بن ناصر العبودي، ص: (٢٣-١٢٤).

۞ الخرافات:

مررنا بطريقنا بمقبرة وطنية، قبورها لاصقة بالأرض، فرأينا فوق بعض القبور رايات صغيرة مثل التي يلعب بها الأطفال؛ فسألنا مرافقنا السوداني عنها، فقال: إن بعض النسوة يأتين بهذه الأعلام للتقرب إلى صاحب القبر الذي يكون من المشايخ المعتقدين عندهن، وذلك لكي يشفع لهن عند الله في قضاء حوائجهن كما يخيل لهن، ومثل هذه البدع والخرافات منتشرة في السودان- للأسف- ويحتاج من يتصدى لعلاجها إلى حكمة ومهارة، لأنها متأصلة في كثير من العامة، يصعب انتزاعها من نفوسهم بسهولة، وهي منتشرة انتشاراً كبيراً.

* * * * * *

۞ الصيف في الربيع، والربيع في الصيف:

وعجيب أمر السودان؛ فأشد أيامه حراً - فيما يذكرون- هي أيام الربيع في غيره من الأقطار المعتدلة الشمالية، ففي شهر مارس وإبريل ومايو تشتد الحرارة حتى تصل إلى (٥٠) درجة مئوية، فيما يذكرون، فتعطل المدارس ويذهب القادرون إلى خارج السودان هرباً من الحر.

ويكون الحر الشديد مصحوباً في الغالب برياح (خمسينية) حارة تسفو التراب حتى توصله إلى داخل خزانات الملابس في المنازل، فإذا دخل فصل الصيف الحقيقي -ويسمونه هنا الخريف- وذلك في شهر يوليو، بدأ موسم الأمطار، وتحسن الجو، وهبطت درجة الحرارة، وخمدت الرياح السافية، وأخذ أهل السودان في الخارج يفكرون في زيارة السودان وقضاء الإجازة فيه.

* * * * * *

۞ أبو جنزير:[1]

رأينا قريباً من (فندق فيكتوريا) وفي فضاء على جانب شارع رئيسي عام، قوماً يذبحون بقرة، فاستغربنا ذلك في هذا المكان من مدينة الخرطوم، وفي حي يعتبر من الأحياء الراقية فيها؛ لأنه حي المال والأعمال. ولما سألنا خادم الفندق عن ذلك، فأجاب ببساطة: أنه أبو جنزير!.. فلم نفهم شيئاً. فأضاف: هذا أبو جنزير- ولي من أولياء الله - مات ودفن هنا، وأخذ الناس يتبركون به، ويأتون إلى قبره، يذبحون عنده الذبائح، وما هذه البقرة التي رأيتم إلا واحدة منها. فأفهمناه أن ذلك لا يجوز، وأن الذبح لغير الله شرك، و أن الميت في قبره لا ينفع ولا يضر، بل هو محتاج إلى من ينفعه بالدعاء والاستغفار له؛ فقال: أقول لكم الحق، إن بعض الناس أخذوا يشكون في أبو جنزير هذا؛ لأنه كان عليه جنزير قد أحيط به حماية له من الأذى تبرع به أحد الذين يعتقدون صلاحه، ولكن أحد اللصوص سرق الجنزير المذكور، فلو كان ذلك الميت ينفع أو يضر لدفع عن نفسه أذى اللص.. ولكن كثيراً من الناس يأتون إليه من باب التقليد وبدون بصيرة.

ثم قال: حتى بلدية الخرطوم تركت الأرض التي تحيط بالقبر فضاء، مع أن ما حولها قد عَمّه البنيان لأنها قد أصبحت ملكاً لصاحب القبر، ومجاملة للناس الذين يعتقدون به.

وقد أسفنا لذلك، وسألنا الله سبحانه وتعالى أن يفتح بصائر إخواننا السودانيين وينقذهم من تلك الخرافات التي هي من مخلفات عصور الانحطاط، وتفشي الخرافات والخزعبلات في العالم الإسلامي، وهي

---

(١) انظر: «في إفريقية الخضراء» للشيخ محمد العبودي (ص:٤٩-٥٠).

مناقضة لروح الدين الإسلامي الصافي النقي الذي لا يجيز للمسلم أن يتعلق قلبه بغير الله سبحانه وتعالى.

* * * * * *

۞ المركز الإسلامي الإفريقي:[1]

ثم ذهبنا إلى المركز الإسلامي الإفريقي في أم درمان، بسيارة السفارة السعودية، وكان السائق يخبرني عما نمر به - وهي أشياء كنت قد مررت عليها من قبل، ولكن لا يزال بعضها يلفت نظري - وأهمها أن شطآن النيل أو بعضها عارية من الأشجار والخضرة، وتذكرت قول الشاعر:

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الشفاء وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

لم نجد من المسؤولين في المركز الإسلامي سوى شخص واحد؛ حيث إن المركز في عطلة، والطلاب والمدرسون قد خرجوا. كما زرت مركز جمعية أنصار السنة المحمدية، وبحثت عن الأستاذ محمد هاشم هدية، رئيس الجمعية فلم أجده فيه. وقد اتصلت ببعض الطلبة الإفريقيين الذين يدرسون في المعهد التابع للمركز الإسلامي الإفريقي في أم درمان، وبعضهم من السنغال، وبعضهم من ارتيرية، والحقيقة أن فكرة المركز فكرة طيبة ومفيدة، وهو الآن يشغل بناية مستأجرة وهي صغيرة وغير كافية، وتنبغي مساعدته بكل تأكيد، لأنه قائم الآن على تبرعات أصحاب الخير والغيرة على الإسلام من إخواننا السودانيين. ثم انتقلنا منه إلى الجامعة الإسلامية بأم درمان، وقابلنا في الإدارة الأستاذ يوسف خليفة، المسجل العام، وكذلك قابلنا

---

(١) انظر: «في إفريقية الخضراء» للشيخ محمد العبودي (ص:٥٨-٥٩).

الدكتور كامل الباقر، مدير الجامعة، وبعض المدرسين فيها مثل الدكتور علي عبد الواحد وافي، وجرى البحث مع الجميع حول رسالة الجامعة الإسلامية في كل من أم درمان والمدينة المنورة، ونظراً لضيق الوقت، فقد تركت إدارة الجامعة على أمل العودة إليها غداً إن شاء الله.

* * * * * *

۞ الإسلام في جنوب السودان:[1]

لقد تبين لنا من الاتصالات التي قمنا بها والمعلومات التي حصلنا عليها أن مسألة الجنوب السوداني في أساسها مسألة دينية، وإن ما يبدو في ظاهره نزاعاً بين شمال السودان وجنوبه إنما أصله هو في الحقيقة الاختلاف بين ثقافتين دينيتين، وقد بدأت مشكلة الجنوب منذ أن أخذ الاستعمار الإنكليزي مع مطلع القرن الميلادي العشرين يعمل على فصل الجنوب عن الشمال ويسهل للإرساليات التبشيرية العمل والإقامة في جنوب السودان ويضع العراقيل أو يسد الطريق كلية أمام الدعاة إلى الإسلام هناك.

* **الاقتراحات:** ونرى أن مسألة الوضع في جنوب السودان لا ينبغي أن يقتصر الاهتمام بها على السودانيين وحدهم لأن بقاء جنوب السودان داخل الحظيرة الإسلامية يحتاج إلى تعضيد من المسلمين خارج السودان مثلما تساعد الهيئات العالمية الأقلية السودانية المسيحية في الجنوب بحيث كانت تمدها بالمال والمبشرين وغير ذلك من ألوان المساعدة، ونرى أن تكون مساعدة السودانيين في هذا الموضوع على شكل فتح مراكز إسلامية صغيرة

---

(١) انظر: «في إفريقية الخضراء» للشيخ محمد العبودي (ص:٦٢-٦٣).

في قرى وأرياف جنوب السودان للدعوة للدين الإسلامي على أن يشتمل كل مركز على كتّاب صغير يتولى التدريس فيه مدرس واحد ويقرر لكل طالب يدخله مقدار من الخبز أو غيره من الطعام يومياً مع كسوة بسيطة تصرف كلما دعت الحاجة، وتوكل مهمة التدريس والتبشير المذكورين إلى السودانيين ممن يعرفون بالدين والصلاح والاستعداد للدعوة والإرشاد، على أن تصرف لهم مكافأة شهرية لا تزيد على كفايتهم مدة تفرغهم لذلك العمل عن طريق سفارات الدول الإسلامية في الخرطوم أو بواسطة مندوب خاص من الدولة الإسلامية التي ترغب بالمساعدة وهو يتفاهم مع الرسميين السودانيين المعنيين بالشؤون الإسلامية على خطة العمل الدائم وأن تعنى المراكز المذكورة بإيواء الأطفال والأحداث من أبناء غير المسلمين لكي تتولى تنشئتهم تنشئة إسلامية، ولا شك في أن هذا العمل إذا نفذ بحكمة ووفق خطة مدروسة وبرنامج طويل الأمد فإنه سوف تكون له نتائج طيبة في المستقبل.

* * * * * *

۞ العربية في أسمرة:

أول ما يعجب له السائح العربي الذي يصل إلى أسمرة أن جميع الناس فيها بدون استثناء مسلمهم ومسيحيهم يتكلمون العربية أو شيئاً منها، حتى لتشعر عندما تكلمهم أنك في بلد عربي، على أنهم يتكلمون أيضاً لغتهم المحلية، وهي التجرينية، ونصف كلماتها - تقريباً - عربية، وهي غير الأمهرية، اللغة الرسمية للدولة، والتي لا يحسن التكلم بها إلا أقل القليل من الموظفين، كما أن هناك اللغة الإيطالية التي يعرفها كثير منهم لأنها لغة المستعمرين السابقين للبلاد، وقد كان جميع الموظفين والخدم في الفندق الذي

نزلناه يعرفون شيئاً من العربية، والكلمة المستعملة فيه للفندق عندهم هي (لوكاندة).

* * * * * *

۞ مسجد الخلفاء الراشدين:

وصلنا في تجوالنا إلى مسجد ضخم فخم نظيف، هو مسجد الخلفاء الراشدين، فصلينا فيه الظهر، وقد سررنا كثيراً لإقبال المصلين، بحيث ازدحم بهم المسجد على سعته. وملحق به أماكن للوضوء جميلة ونظيفة، كما ألحق به أيضاً غرف جانبية كبيرة، يسمون الواحدة منها خلوة - وهي مفروشة أيضاً - وتستعمل لإلقاء الدروس الدينية.

وقد علمنا أن مفتي اريتريا يلقي درساً هنا في المسجد بعد المغرب.

* * * * * *

۞ رأس مُدُر:

وهو (بضم الميم والدال)، وهذا المكان الذي يقع فيه الفنار المذكور يسمى رأس مدر، وهو المكان الذي نزل فيه المهاجرون الأولون من الصحابة عند هجرتهم من مكة المكرمة إلى الحبشة لما اشتد أذى الكفار على أصحاب رسول الله ﷺ فأبحروا من الشعيبة قرب جدة ونزلوا في هذا المكان، على أصح الأقوال، والمراد بملك الحبشة الذي ورد ذكره هنا هو ملك ارتيرية وأجزاء مما يسمى الآن أثيوبيا، وهو النجاشي الذي لازال يوجد مدفن يزعم أنه له، في بلدة تحمل اسمه حتى هذا الوقت، وتقع على بعد حوالي (١٥٠) كيلو متراً إلى الجنوب الشرقي من أسمرة في الطريق إلى ميناء عصب على البحر الأحمر في جنوب ارتيرية.

* * * * *

۞ في المركز الإسلامي:

ذهبنا اليوم بعه صلاة الفجر لزيارة مكتبة المعهد الديني الإسلامي في أسمرة وهي تقع في الجانب الغربي من مسجد الخلفاء الراشدين المتقدم ذكره، وقد علمنا فيما بعد أن المسجد والمكتبة والمعهد المذكور والميدان الذي يقع أمام المسجد، وهو مسور محفوظ، ويسمى ميدان صلاة العيد لأن صلاة العيد تقام فيه، وقاعة المحاضرات التابعة للمسجد: كل ذلك يطق عليه اسم المركز الإسلامي ويشرف عليه مفتي الديار الارتيرية، الشيخ إبراهيم المختار، وقد أنشئ في عهد الاستعمار الإيطالي وهو من المشاريع التي شجع الإيطاليون على إنشائها.

* * * * * *

۞ منظر مؤلم:[1]

و في الطريق إلى المركز، رأينا منظراً مؤلماً، فعلى الرغم من نزول المطر رذاذاً خفيفاً، وجدنا كومة من الأطفال المتشردين يبلغ عددهم زهاء بضعة عشر، وقد التف بعضهم على بعض حتى كونوا كتلة لا تعرف منها رأس الطفل من رجل آخر، وناموا على الرصيف - وقد صنعوا صنيعهم هذا ليتقوا به برد الصباح حتى يدفئ كل منهم الآخرين.

وكان منظرهم وهم على هذه الصفة وقد ارتدوا أسمالاً بالية وملابس قذرة مما يدمي الفؤاد. وبالله عليك كيف تكون أخلاق هؤلاء الذين يعيشون في مثل الجو وعلى مثل تلك الصفة..؟

---

(١) انظر: «في إفريقية الخضراء» للشيخ محمد العبودي (ص:٨٧-٨٨)، ط: دار الثقافة بيروت.

وصلنا إلى المكتبة فألفيناها مكتبة طيبة حافلة بأهم المراجع في جميع العلوم وأكثرها باللغة العربية وفيها بعض المؤلفات التاريخية باللغة الإيطالية.

كما تحتوي على بعض المجموعات من الصحف الارتيرية التي صدرت في عهود مختلفة.. وقد نظمت في خزائن جميلة، وقد وعدناهم بإرسال بعض الكتب الإسلامية التي تنقص المكتبة. وقد أرسلناها إليهم فعلاً بعد ذلك.

* * * * * *

۞ أفطرنا بخروف:

لم نكن قد تناولنا طعام الإفطار في أسمرة بسبب ضيق الوقت، فكان أن رأينا مقهى بلديا غير بعيد من محطة الأوتوبيس، فاتجهنا إليه، وجلسنا على كراس معدة فيه، ثم طلبنا من صاحبه أن يحضر لنا مائدة وشايا فلم يكد يحضر المائدة حتى جللتها أسراب من الذباب، فلم نستطع أن نشرب الشاي، فسألنا رجلاً إيطالياً عن مطعم نظيف، فأشار إلى مطعم غير بعيد. ذهبنا إليه فوجدناه غاية في النظافة، وقدم لنا فطوراً كاملاً مكوناً من البيض والجبن والزبدة والمربى مع القهوة والشاي. وطلب منا عند فراغنا (٤) دولارات و(٨) سنتات، أي ما يساوي حوالي ثمانية ريالات سعودية، وبعد أن تجولنا في سوق كرن رأينا رجلاً معه عنز كبيرة الحجم سمينة وبها بقية من لبن، فسألناه من باب الاستطلاع عن ثمنها، فقال إنه يبيعها لنا بخمسة دولارات أي ما يعادل ثمانية ريالات سعودية ونصفاً، فتعجبنا وقلنا إذن فقد أفطرنا بما يساوي قيمة خروف. ثم نادانا صاحب العنز، وقال: إنه مستعد لكي يخفض لنا الثمن. وقال لنا رجل آخر: إن معه تيساً ليس بكبير، و إنه يبيعه بثلاثة دولارات أي خمسة ريالات سعودية. وقد علمنا بعد ذلك أن

المواشي رخيصة في كرن خاصة وفي أرتيرية على وجه العموم وأنه يوجد مع الأسف شركتان إسرائيليتان تذبحان الماشية وتحفظان لحمها ثم يرسل معلباً إلى اليهود في المنطقة المحتلة من فلسطين. كما أن جزءاً من المواشي تصدر من هنا إلى المملكة. وليس هذا بغريب لوفرة المراعي من أشجار وأعشاب ولكون الأهالي لا يحسنون إلا الرعي وزراعة بعض المحاصيل البسيطة كالذرة والفول السوداني.

* * * * * *

۞ الإسلام والمسلمون في أريتيرية :[1]

لقد دخلنا اريترية بجوازات سفر عادية عليها تأشيرات دخول للسياحة، وكان دخولنا عن طريق الخرطوم وذلك لئلا تسترعي انتباه المسؤولين في اريترية الذين نعلم أن سياستهم معاداة الإسلام ومناهضة أهله والداعين إليه، وكنا نخشى إذا ما عرفت هويتنا أن لا نتمكن من أخذ المعلومات التي نريد الحصول عليها وأن يكون ذلك سبباً لإلحاق الضرر بمن نتصل بهم من زعماء المسلمين من أهل البلاد.

وقد قصدنا العاصمة (أسمرة) ثم سافرنا بطريق البر إلى شرقي البلاد حيث زرنا مدينة مصوع، ثم عدنا إلى أسمرة ومن هناك سافرنا إلى غرب البلاد وزرنا مدينة (كرن) ومدينة (اغردات) ولم نقم بإلقاء محاضرات أو كلمات دينية في مساجد اريترية حذراً من أن نلفت الأنظار إلينا ولأن ذلك ممنوع إلا بإذن من السلطات المختصة كما قيل لنا. وكنا نتصل بمن نتصل بهم

---

(١) انظر: « في إفريقية الخضراء » للشيخ محمد العبودي (ص:١١١-١٢٤)، ط: دار الثقافة - بيروت.

من أهل العلم والفضل خفية، وبطريق غير مكشوفة، وبتلك الطريقة قمنا بدفع مبالغ من المال كمساعدة رمزية باسم الجامعة الإسلامية إلى عدد كبير من الكتاتيب والهيئات الإسلامية التي تفقدناها هناك.

كما خصصنا كميات من المصاحف والأجزاء القرآنية الكريمة والكتب الإسلامية لتلك المؤسسات على طريق الهدية من الجامعة الإسلامية كما شجعنا كلاً من مدير معهد (كرن) ومدير معهد (اغردات) الدينيين على إنشاء مكتبة إسلامية في معهديهما وتعهدنا بإرسال كمية من الكتب والمراجع الدينية نواة للمكتبتين المذكورتين على أن ترسل تلك الكتب بواسطة السفارة السعودية في أديس أبابا، وقد أُرسلت فعلاً بعد ذلك.

الملاحظات: نتيجة لاتصالاتنا الواسعة في اريترية و التي كانت تتم خفية، في أكثر الأحيان وبطرق غير واضحة كما تقدم تحققنا مما يلي:

أولاً - أن الحكومة الإثيوبية تشدد الضغط على المسلمين في اريترية، وتسير في ذلك وفق سياسة دقيقة مستترة يشارك في تنفيذها بعض اليهود الإثيوبيين والمستشارين الإسرائيليين، وأهم مظاهر هذه السياسة ما يلي:

أولاً: الضغط على المدارس القليلة الباقية هناك التي تدرس العلوم الإسلامية، وتعنى باللغة العربية والتي كانت موجودة قبل الحكم الإثيوبي وذلك بعدم التأشير للمدرسين العرب بالدخول إلى اريتريا والتدريس في تلك المدارس، وفرض رسوم جمركية عالية على الكتب الإسلامية سواء أكانت مدرسية أم غير مدرسية، وملاحقة المدرسين الوطنيين الذين يبدون حيوية ونشاطاً في تعليم الدين الإسلامي، والدفاع عنه، وزجهم في السجون بدون محاكمة.

وعدم الاعتراف بشهادات المدارس الإسلامية، وقد أغلقت فعلاً نتيجة لذلك بعض المدارس الإسلامية، ومن بينها المعهد الديني في مصوع.

ثانياً: صدور قرار حكومي مشدد بإلغاء تعليم اللغة العربية في المدارس الحكومية وغير الحكومية التي لها صلة بالدولة، والتشديد على عدم استعمال اللغة العربية في المكاتب الحكومية ومكاتب الشركات وغيرها في المناطق والمدن الإسلامية التي كانت تستعمل اللغة العربية، واستبدال الانجليزية بها إذا لم يكن استعمال اللغة الأمهرية لغة الدولة الرسمية، وآخر مثال على ذلك صدور قرار حكومي بمنع استعمال اللغة العربية في المحاكم الشرعية للمسلمين واستبدالها بالأمهرية حتى الأختام المكتوبة بالعربية صدر الأمر الحكومي بتغييرها إلى الأمهرية وإن كان هذا الأمر لم يطبق حتى الآن بسبب معارضة رجال القضاء الإسلامي في ذلك ورفعهم التماساً إلى الإمبراطور بإبقاء اللغة العربية، وما يزال الأمر معلقاً حتى رحيلنا من ارتيرية.

ثالثاً: بث جاسوسية محكمة حول الشخصيات الإسلامية سواء من المواطنين أو من يفدون إلى اريترية من الخارج بالإضافة إلى التشديد على عدم دخول الشخصيات الإسلامية قبل وصولها إلى البلاد، وكان من نتائج تلك السياسة أننا لم نستطع مقابلة إحدى الشخصيات الإسلامية الكبرى هناك إلا بعد جهد كبير، وبعد أن اتصلت به بواسطة أحد العرب المقيمين هناك وقد تم اللقاء خفية.

رابعاً: بث المبشرين المسيحيين في البلاد الإسلامية ومنحهم الأراضي والاقطاعات وتسهيل إنشاء المدارس النصرانية وملاجئ الأيتام التابعة للكنيسة لمحاولة التأثير في ناشئة المسلمين من الفقراء والأيتام، وتغيير دينهم وتنشئتهم تنشئة نصرانية.

خامساً: إبعاد المسلمين عن دوائر الحكومة، ومراتب الجيش، وحصرها في أيدي الأحباش واليهود.

سادساً: تسهيل هجرة البغايا إلى المناطق والأحياء الإسلامية في المدن، ومنح الرخص لهن بمزاولة البغاء، ومضاعفة فتح الحانات ومحلات شرب الخمور بقصد إضعاف الروح الإسلامية وانتشار الفساد الخلقي بين المسلمين.

سابعاً: عدم السماح للطلبة من المواطنين المسلمين بالسفر إلى البلاد الإسلامية لتعلم الدين الإسلامي هناك، ومن أبرز مظاهر ذلك رفض الحكومة الحبشية المنح التي قدمتها الحكومة السعودية للطلبة المسلمين في ارتيرية والحبشة للتوجه من هناك إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ثامناً: رفض الحكومة الحبشية صراحة السماح للدول العربية بافتتاح قنصليات في ارتيرية ومن تلك الدول المملكة العربية السعودية.

* **الإسلام في أرتيرية:** الشعب الارتيري شعب مسلم عريق في الإسلام، وقد دخل الإسلام إلى تلك البلاد في أوقات مبكرة؛ بل إنها كانت أول قطر دخله المسلمون خارج الجزيرة العربية؛ إذ كانت الهجرة الأولى المعروفة بهجرة الحبشة إلى ارتيرية وليست إلى الحبشة المعروفة الآن بأثيوبيا.

ويبلغ مجموع عدد سكان ارتيرية مليوناً وسبعمائة ألف نسمة منهم ٧٤ ٪ من المسلمين، والبقية من المسيحيين، وأقلية ضئيلة من الوثنيين، وهذا حسب الإحصاءات الرسمية الحكومية زمن الاحتلال الانجليزي، ومن المحتمل أن تكون نسبة عدد المسلمين أكثر من ذلك بكثير.

وتنقسم ارتيرية إلى ثمان مديريات، خمس منها خالصة للمسلمين وهي: مديرية مصوع، ومديرية كرن، ومديرية الساحل، ومديرية عصب،

ومديرية اغردات، وثلاث منها مشتركة بين المسلمين والمسيحيين وهي: مديرية اكس غزاي، ومديرية سراي، ومديرية حماسين التي تقع ضمنها أسمرة العاصمة.

وينقسم السكان قبلياً إلى (٣٠) قبيلة، منها (٢٦٦) قبيلة مسلمة و(٧٥) قبيلة مسيحية يوجد فيها أقليات إسلامية.

* **النشاط الإسلامي والنشاط المعادي للإسلام:**

١ - منذ أن اتحدت ارتيرية رسمياً مع الحبشة والإسلام في موقف الدفاع، وقد أخذ المسلمون على غرة، وأصبح همّ الذين يستطيعون العمل للإسلام الدفاع عن مراكزهم الإسلامية، ومع ذلك فإنه يوجد بعض الدعاة إلى الإسلام في القرى والمناطق الريفية النائية ومن بينهم الشيخ محمد الحسن في غرب البلاد والسودان، ولكن أولئك الدعاة قلة وإمكاناتهم ضئيلة، وهم على جانب من الخوف والحذر من أن تكتشف الحكومة نشاطهم فتوقفه، ولذلك فإن البعثة لم تر من هو على استعداد للعمل علناً في الحقل الإسلامي، وترى أن يكون واسطة المساعدات إحدى السفارات الإسلامية. أو مندوباً خاصاً يأتي من الخارج باسم السياحة.

٢ - أما النشاط المعادي للإسلام فإنه يتمثل في كثرة المدارس المسيحية والملاجئ التي تشرف عليها الكنيسة، وفي تسهيل التحاق خريجي المدارس المسيحية بالوظائف العامة في الحكومة وفي الشركات، وإن أعظم من ذلك خطراً هو خطر الملاجئ الخيرية النصرانية، حيث تتولى تربية بعض أطفال المسلمين وتنشئتهم تنشئة نصرانية معادية للإسلام، كما يوجد في البلاد نشاط صهيوني هام وخاصة على الصعيد التجاري حيث تتولى شركتان إسرائيليتان شراء المواشي وذبحها وتعليب لحومها ثم تصدر إلى إسرائيل والخارج

وتتعمد مضايقة التجار المسلمين العرب وغيرهم.

* حالة المسلمين المادية:

إذا استثنينا بعض الشخصيات العربية المقيمة في اريترية والتي تملك شيئاً من الثروة، فإن المسلمين يعتبرون في الدرجة المتوسطة من الناحية المادية بالنسبة إلى أهالي المنطقة ويشتغل معظم المسلمين بالزراعة وتربية الأنعام من الإبل والبقر والغنم، وهم في الغالب أرفع في المستوى المادي من المسيحيين الاريتيريين الأصليين، ولكن تتخذ تدابير لزحزحتهم عن الميدان الاقتصادي بالسماح للشركات والشخصيات اليهودية بالعمل في التجارة ومضايقة المسلمين بقصد إبعادهم عن الميدان التجاري.

* المدارس والمؤسسات الإسلامية:

زارت البعثة المؤسسات والمدارس الآتية:

أولاً: المركز الإسلامي في أسمرة وقد أنشئ في العهد الإيطالي وعليه أوقاف كثيرة أوقفها المسلمون ويشتمل على ما يلي:

أ - المسجد الجامع الكبير ويسمى مسجد الخلفاء الراشدين وهو مسجد كبير فخم ساعدت على بنائه الحكومة الإيطالية في عهد الاستعمار وملحق به عدة خلوات لتدريس القرآن الكريم ولكن لا يدرس فيها الآن إلا درس ديني بعد العصر للكبار، والمسجد مفروش فرشاً حسناً ولا يحتاج إلى شيء.

ب - المكتبة الإسلامية: وهي مكتبة عامرة بالمراجع الإسلامية بالعربية وبالكتب التاريخية بالإيطالية وتضم حوالي (٣٠٠٠) مجلد، وقد أهدت إليها البعثة كمية من الكتب العربية التي تنقصها. والمكتبة تشغل بناية خاصة ملاصقة لمسجد الجامع المذكور، وفيها قاعتان صالحتان إحداهما لخزائن

الكتب والأخرى للمطالعة، وينقص المكتبة بعض الكتب الإسلامية والعربية الحديثة التي يتشوق النشء الجديد إلى قراءتها بالعربية.

ج - المعهد الديني الإسلامي: وقد أنشئ في زمن الوصاية وقامت على إنشائه الحكومة المصرية في عهد الملك فاروق. ويشغل مبنى ملاصقاً للجامع ويتكون ذلك المبنى من (٦) غرف محيطة بفناء صغير.

وقد كان هذا المعهد الإسلامي يعتمد على ما كانت تقدمه له الحكومة المصرية التي كانت تقوم بإرسال المدرسين المصريين فيه ودفع نفقات تنقلاتهم ومرتباتهم الشهرية، كما تقوم بتأمين الكتب الدراسية اللازمة له. وقد امتنعت الحكومة الإثيوبية في السنوات الأخيرة عن منح تصاريح الإقامة للمدرسين المصريين فاكتفت الحكومة المصرية بتعيين بعض خريجي الأزهر من المواطنين الاريتيريين للتدريس فيه وقامت بدفع مرتباتهم الشهرية على نفقتها، كما كانت ترسل مندوباً من قبليا للإشراف على الامتحانات السنوية فيه، ويقول المشرفون عليه إن مساعدات الحكومة المصرية للمعهد قد أخذت تتضاءل في الآونة الأخيرة. ويضم المعهد المذكور (١٢٥) طالباً موزعين على (٤) فصول ويتولى التدريس (٦) مدرسين ومناهجه الدراسية قريبة من مناهج المعاهد الأزهرية الثانوية.

د - مصلى العيد: وهو قريب من المسجد الجامع ويفصل بينهما شارع عام إلى المصلى وهو ساحة جميلة محاطة بسور ومنخفضة عن مستوى الشوارع المجاورة.

هـ - قاعة المحاضرات وهي قاعة متوسطة السعة ملحقة بالمسجد الجامع تخصص لإلقاء المواعظ، وقد تستعمل للاحتفال البدعي بموالد بعض

المشايخ والمعتقدين كالشيخ عبد القادر الجيلاني.

ثانياً: معهد كرن الإسلامي: ويديره الشيخ أبو بكر صالح عبد الله وهو متخرج من معهد أم درمان الديني في السودان ومقره ملحق بجامع مدينة كرن الكبير. وعدد طلبته (١٣٠) طالباً تقريباً والمدرسون (٤) ومرتب المدير (٧٠) دولاراً إثيوبياً أي (١٢٠) ريالاً سعودياً وراتب مساعده (٦٠) دولاراً إثيوبياً أي (١٠٥) ريالات سعودية والمدرس (٤٠) دولاراً، وهو قائم على تبرعات المحسنين وليس له أوقاف، وهناك لجنة لمساعدة المعهد تجمع التبرعات له وسكرتيرها ويسمى محمد إبراهيم نبراي في كرن والمعهد في أمس الحاجة إلى الكتب الإسلامية حتى المقررات المدرسية غير متكاملة فيه.

ثالثاً: معهد اغردات الإسلامي: ويديره الشيخ عبد الله الزور وهو متخرج من معهد أم درمان الديني في السودان وعدد طلابه حوالي (٥٠) طالباً وفي أيام العطلة المدرسية يحضر إلى المعهد بعض الطلبة، وهناك طلبة يحضرون بعد العصر ويوم الأحد فقط لتعلم القرآن الكريم، والمدرسون ثلاثة، وبنايته أهلية قامت على نفقات مجموعة من المسلمين وقد ذكر لنا مديره أن المدرسين لم يستلموا رواتب منذ مدة لعدم وجود نقود في صندوق التبرعات، ولكنهم يقومون بالتدريس في هذه الأيام تطوعاً.

رابعاً: معهد مصوع: وقد وجدته البعثة مع الأسف مغلقاً قد انقطعت الدراسة فيه بسبب نضوب موارده المالية التي منها فقدان بعض البيوت الموقوفة عليه.

خامساً: زارت البعثة عدداً كبيراً من الجوامع والمساجد الصغيرة التي

تضم بعض الخلوات لتعليم القرآن الكريم، وهي ترى أن الجوامع والمساجد الموجودة في اريتيرية كافية بالنسبة إلى حاجة المسلمين في الوقت الحاضر.

وأنه ينبغي أن توجه الجهود إلى الناحية التعليمية حفاظاً على دين الناشئة من المسلمين أن يضيع وتبصيراً للمسلمين البالغين في أمور دينهم.

سادساً: مدرسة الجالية العربية في أسمرة ومؤسسها الشيخ أحمد عبيد باحبيش رئيس الجالية العربية وهي مدرسة كبيرة تضم (٦٣٠) طالباً ويتولى التدريس فيها (٢٦) مدرساً كلهم من الوطنيين الاريتيريين ويبلغ مجموع مرتبات المدرسين وباقي الموظفين (٥٠٠٠) دولار إثيوبي أي ثمانية آلاف ريال سعودي شهرياً تقريباً، وتشغل مبنى خاصاً بها موقوفاً عليها، كما أن لها بعض المباني الموقوفة التي تدر عليها مبلغاً شهرياً لا يكفي كفاية تامة مصاريفها الكثيرة، وقد سبق للحكومة السعودية أن تبرعت للمدرسة المذكورة بمبلغ عشرين ألف ريال منذ أربع سنوات كما أخبرنا سكرتير الجالية العربية بذلك وقال إن التبرع المذكور استغل في شراء دار تؤجر شهرياً ويدفع ريعها للمدرسة وتساعد الحكومة المصرية المدرسة المذكورة بالكتب الدراسية كما ترسل إليها عدداً من المدرسين ليتولوا إجراء الامتحانات فيها لأنها قد خصصت - أي الحكومة المصرية- ست منح دراسية في الجامعات المصرية للمتفوقين من طلاب المدرسة المذكورة كل عام، وهي تعتبر مدرسة مدنية أي ليست دينية ومنهجها قريب الشبه بمناهج المدارس الثانوية المصرية إلا أن الذي يجعل لها أهمية خاصة كونها تدرس اللغة العربية وكون التدريس فيها باللغة العربية، كما أنها وسيلة لمحافظة الناشئة على اللغة العربية في هذا الوسط المعادي وجميع طلبتها من المسلمين عدا ثلاثة فقط من المسيحيين العرب من أصل لبناني.

* **الاقتراحات:** على ضوء ما سبق نقترح ما يلي:

أولاً: أن تتبنى إحدى الحكومات إنشاء ملجأ لأطفال المسلمين من الأيتام وأبناء الفقراء والمعوزين يتسع لمائتي طفل على الأقل في المرحلة الأولى، ويزود بعدد من المدرسين والمربين من الاريتيريين المسلمين وبخاصة من خريجي المدارس الإسلامية في المملكة أو غيرها إن وجدوا، و إلا فمن أي جنس أمكن. وذلك لإنقاذهم من الالتحاق بالملاجئ والمدارس غير الإسلامية، على أن يتم إنشاء هذا الملجأ بالاتصال بالحكومة الإثيوبية، فإذا وافقت كان بها، وإن لم توافق فيمكن أن يوكل أمر إنشائه إلى بعض كبار المسلمين في اريتيرية وتتولى الإنفاق عليه الحكومات الإسلامية.

ثانياً: معاضدة المعاهد والكتاتيب الإسلامية الموجودة الآن معاضدة مالية على أن تكون مساعدتها عن طريق استئجار دور لها وشراء أثاث و كتب ودفع رواتب بعض المدرسين الذين لا يستطيع المسؤولون عن المدارس دفع رواتبهم.

ثالثاً: زيادة المنح الدراسية المخصصة للطلبة الاريتيريين في الجامعة الإسلامية وغيرها من المدارس الدينية في المملكة وغيرها من البلاد الإسلامية.

رابعاً: تخصيص عدد من المنح للدراسة في الجامعات الدينية في البلدان الإسلامية لبعض خريجي المدارس المدنية في اريتيرية من أبناء المسلمين هناك؛ وذلك حتى لا يقتصر نشاط المسلمين على المجال الديني، وأن يكون منهم المهندس والطبيب والمحامي الخ.

خامساً: بذل المساعدة الممكنة في نطاق الظروف السياسية القائمة الآن للمسلمين الاريتيريين الذين يقاتلون الأحباش الآن في غرب وشمال اريتيرية

طلباً لاستقلال البلاد وفصلها عن تلك الإمبراطورية المتعصبة، ولقد لمسنا أثر الثورة في البلاد ولكننا لم نستطع الحصول على المعلومات الدقيقة المعتمدة منها؛ إذ لم يكن هدف البعثة تقدير الظروف السياسية إلا بالقدر الذي تتصل فيه بالشؤون الدينية.

۞ شلالات سبت:[1]

ثم ذهبنا بالسيارة إلى شلالات سبت وهي مساقط للمياه من جبال غربي أديس أبابا وسط حديقة تابعة لأملاك الإمبراطور هيلاسيلاسي، ولم يكن الطريف هو رؤية الشلالات وحدها ولكن الطرافة إلى جانب ذلك في منظر ضواحي أديس أبابا. وقد خرجنا من الجبهة الجنوبية الغربية مع طريق مسفلت قالوا إنه يصل إلى منطقة (جما) ويمتد مسافة ٣٥٠ كيلو متراً، وكانت (الفيلات) الجميلة تتناثر على جانبي الطريق وهي فيلات يسكن أكثرها الديبلوماسيون وعلى باب كل فيلا شرطي أو أكثر للحراسة، ثم خرجنا من المدينة إلى ضواحي يحار الطرف في جمالها الطبيعي؛ فالأرض كلها خضراء ما عدا مسالك الإقدام بين الحشائش، والأشجار الطبيعية والمغروسة تتناثر في مجموعات تكوّن غابات وإن كان معظم تلك الأشجار من أشجار الأخشاب التي تستعمل للوقود وبناء المنازل، وبين فينة وأخرى يمر الطريق المسفلت فوق مجرى للمياه وتسرع مياهه الطينية في الجريان إلا أن الذي يكدر من صفو السير على هذه الطريق وسط تلك الضواحي البديعة منظر الأهالي وهم يجرون خلف حمرهم على جوانب الطريق المسفلت الضيق، والحمار هنا هو الوسيلة الشعبية الرئيسية لنقل حوائج الفلاحين

---

(١) انظر: ((في إفريقية الخضراء)) للشيخ محمد العبودي (ص:١٣٥-١٣٨)، ط: دار الثقافة - بيروت.

وسكان القرى، وحمرهم صغيرة الحجم غير جيدة النوع تشبه الحمر الهكرية أو الهكري التي يستعملها الرعاة من العرب في جنوب العراق، أما الحمر الحساوية الفارهة الموجودة في المملكة فإنها لو وجدت هنا لكانت بين تلك الحمر كالخيل، وقد لاحظنا أن أكثرهم يسير خلف حماره ولا يركبه فسألنا عن ذلك فقالوا إنهم يرون من غير اللائق ركوب الحمار للرجال وأنه يشبه عندهم العيب وإنما يستعملونه لحمل الأحمال فقط، وهذه عادة كانت مأثورة عن بعض العرب في الجاهلية ولكن الإسلام يخالفها فقد ركب النبي ﷺ على حمار وأردف معاذ بن جبل خلفه.

وقد مررنا ببعض المنازل على الطريق وكلها عبارة عن أكواخ مكونة من غرفة أو غرفتين، لا تخلو من تنسيق، ورأينا بعض البيوت وهي تبنى وطريقتهم فيها أن يقيموا البيت من أعواد متراصة على شكل حظيرة ثم يطلون خارجه بالطين أو بقليل من الاسمنت حسب قدرة صاحبه المالية ثم يبنى فوقه سطحاً مسنماً من القش.

وقد وجدنا الحديقة المذكورة واسعة ومسورة، تركت الأشجار فيها على طبيعتها لترى منظراً طبيعياً وفيها غابة طبيعية جميلة، وقد تشابكت فيها فروع الأشجار وغطت أرضها الحشائش وتنتشر فيها أشجار القهوة، وقد وجدنا ثمرها أخضر لم ينضج بعد، وإن كان قد استكمل حجم حبوب القهوة العادية، وقد أكلنا منه وهو غض لذيذ الطعم، لا أثر للمرارة فيه، وثمر القهوة عبارة عن جرس يشبه العنبة الصغيرة لولا أنه بيضاوي الشكل، وفي داخل كل جرس حبتان من الحبوب. وينبت في أغصان الشجرة بين الأوراق كما ينبت ثمر التوت. وأشجار القهوة التي رأيناها تشبه أشجار اليوسفي والبرتقال الذي لم يكبر بعد، ولا يزيد طولها على قامة الرجل

الطويل، وأوراقها تشبه أوراق شجر الليمون، وقد قال لنا السائق الحبشي الذي يرافقنا: إن معظم الأشجار هنا لا يزيد طولها على هذا الارتفاع، ثم عدنا بعد ذلك إلى الفندق مع غروب الشمس.

* * * * * *

۞ جلد الأفعى بسبعة ريالات:[1]

وفي الطريق توقفنا في قرية صغيرة ووجدنا رجلاً معه جلد أفعى طوله ستة أذرع وعرضه يتراوح بين خمسة أصابع و أكثر من شبر، وقد اشتريناه منه بعد المماسكة بأربعة دولارات حبشية أي سبعة ريالات سعودية، كما اشترينا دجاجة حبشية مهاجرة تفوق الدجاجة المنزلية بكثير بدولار حبشي واحد وقد اصطادها أحد القرويين بشبكته وتساوي الدجاجة البيتية التي في حجمها في بلادنا ثمانية ريالات على الأقل. كما عرض علينا أحدهم خشفاً صغيراً أي ظبياً رضيعاً وطلب دولارين ثمناً له ولكننا رفضنا شراءه لأنه يحتاج إلى اللبن.

وفي الطريق رأينا مع أحدهم أرنباً برياً صغيراً أغبر اللون جميل الشكل فطلب منا (٤٥) سنتاً أي ما يساوي ريالاً إلا ربع الريال السعودي فرفضناه، أما البيض فهو هنا يساوي قرشاً سعودياً واحداً لكل بيضة، وقد سألنا صاحب الخشف من أين أحضره؟ فقال: إنه اصطاده من مكان غير بعيد، وعلمنا بعد ذلك أنه يكفي للمرء أن يخرج خارج أديس أبابا مسافة ثلاثين أو أربعين كيلومتراً ليجد الصيد من الظباء و الأرانب وغيرها وفيراً.

* * * * * *

---

(١) انظر: « في إفريقية الخضراء » للشيخ محمد العبودي (ص:١٤٤-١٤٥)، ط: دار الثقافة - بيروت.

۞ الذئاب والضباع في ضواحي العاصمة :

بهذه المناسبة فقد علمنا أن الذئاب والضباع وغيرها تذرع شوارع ضواحي العاصمة ليلاً، وحدثني كثير من الناس هنا أن الذئاب تتجول في الشوارع وأنه لا يستطيع الخروج بعد الساعة الثالثة في أماكن معينة إلا في سيارة خوفاً من أذى يلحقه منها، وهي لا تجد من يقتنصها ويريح الناس منها وذلك لقلة السلاح المرخص به من جهة وعدم الاهتمام بذلك من جهة أخرى، ولكثرة الغابات المحيطة بالمدينة والتي تختبئ فيها الوحوش.

وقد رأيت بنفسي كثرة الصيد وقلة الصائد حيث كنا وغيرنا ندنو من الطيور المائية والبرية فلا تفزع ولا تنفر.

* * * * * *

۞ البحيرة العميقة :

في طريق العودة إلى أديس أبابا وقبل الوصول إليها بخمسة وأربعين كيلو متراً، مررنا ببحيرة تدعى (باشفتو) وهي بحيرة في محل عميق تحيط به الجبال، ماؤها صاف رقراق ويظهر أنه لانخفاضها نابع من الأرض وليس متجمعاً من مياه الأمطار التي تجري على السطح، وقد أقيم على شاطئها فندق سياحي وهو فرع لفندق إثيوبيا (اثيوبيان هوتل) كما ألحق به مقصف مطل على البحيرة. وقد نزلنا بالسيارة إلى ضفاف البحيرة ذاتها في طريق ينحدر بنا إليها فألفيناها مكاناً بديعاً لقضاء إجازة يومية حيث تتدرج الخضرة القاتمة من شطآن البحيرة إلى سفوح الجبال المحيطة بها إلى قمم الجبال نفسها تحف بها من جهتها الشمالية أشجار الغابات الباسقة ويقع بالقرب منها قصر من قصور الإمبراطور هيلاسلاسي.

وقد افترشنا الحشائش على ضفاف البحيرة و أدينا صلاة العصر على مرأى من السياح وبعض الدبلوماسيين الأجانب الذين كانوا يقضون عطلتهم اليومية (الأحد) هنا، وكان منظرنا ونحن نصلي متجهين إلى البيت الحرام مسترعياً لانتباههم وربما كان يعادل في غرابته بالنسبة لهم منظرهم مع عائلاتهم ونسائهم بالنسبة لنا وقد خلعن ثوب الوقار ولم يبقين على أجسامهن من اللباس إلا تحلة القسم.

* * * * * *

۞ في مدرسة الفتح الإسلامية :

قصدنا مدرسة تدعى مدرسة الفتح، وقد دخلناها وتعرفنا على مديرها، وهي مدرسة إسلامية تقوم على تبرعات المسلمين، وقد أنشئت في الأصل ليتعلم فيها أبناء الجالية العربية في أديس أبابا، فألفينا فيها ما يزيد على أربعمائة طالب ما بين صبي وصبية وهم يقرؤون القرآن ويدرسون باللغة العربية، وقد أعجبتنا تلاوتهم للقرآن في هذا الوسط المسيحي، وتمنينا لو يأخذ المسلمون بيد هذه المدرسة الإسلامية الهامة. وقد قدمنا بعض التبرعات باسم الجامعة الإسلامية لترميم المدرسة كما خصصنا لها كمية من المصاحف والأجزاء القرآنية الكريمة.

* * * * * *

۞ الجسر العجيب:

جولة في بورتو إليقري في البرازيل يوم الاثنين ٢٩/ ٥/ ١٤٠٨هـ.

يقول: وصلنا بسرعة إلى نهر (قوابيا) الذي هو النهر الرئيس في المدينة، وهو نهر ضخم تسير فيه البواخر وكأنها تسير في بحر عميق، وذلك لعمق مياهه واتساعه.

فصرنا نماشيه وقد جعلناه على أيماننا، فرأيت عليه الجسر المشهور الذي هو من أعجب الجسور في العالم إذ هو مقام على هذا النهر العريض تمر فوقه السيارات والعربات، وفي وسطه جزء مخصص لمرور البواخر تحته، وقد جعلوه يرتفع آلياً بالكهرباء من جهتيه كلتيهما، أي من جهتي ذلك الجزء الذي في وسط الجسر، فتمر من تحته البواخر وتقف السيارات بطبيعة الحال، ثم يعود بالكهرباء أيضاً إلى وضعه الطبيعي بحيث يبدو وكأنه جزء لا يتجزأ من ذلك الجسر فتمر فوقه السيارات كما كانت تمر من قبل.[1]

* * * * * *

۞ مع محارب قديم:

في طشقند يوم الخميس ٥/ ١١/ ١٤١٢هـ وذلك في زيارة مسجد تاجي باي. يقول: ذهب بعض القوم يبحثون عن رئيس جمعية المسجد وإمامه وصرت أنتظر ذلك بالتجول حول المسجد الذي ذكروا أنه أول مسجد يبنى في الحي بعد سقوط الشيوعية.

ثم خرجت في جولة على الحي فأعجبتني نظافة الأطفال الذين رأيتهم فيه رغم كون ظواهر بيوتهم لا توحي بالنظافة فالتقطت لهم صوراً.

ثم تكرر عجبي من هذه البساتين الصغيرة من بساتين الفاكهة أمام البيوت ورأيت رجلاً أقطع الرجل أي أن رجله مقطوعة ولكنه قد علق على صدره نياشين وأوسمة عديدة فطلبت من أحد الإخوة المرافقين من أهل طشقند أن يستوقفه ويخبره بأننا من مكة المكرمة ثم سلمت عليه وسألته عن اسمه فذكر اسماً غريباً وهو (عبد الهاشم قادر) ولم أسمع بأحد تسمى بذلك

---

(١) انظر كتاب: في جنوب البرازيل ص ١٢٤ .

من قبل (عبدالهاشم) ولا أشك أن الذين سموه بـه لا يعرفـون معنـاه حـق المعرفة، وربما ظنوا لجهلهم أن الهاشم من أسماء الله تعالى، و إلا فإنه لا يجوز التعبيد لغير الله. و الأغرب من اسمه قصته فهو ذو رجل مقطوعة ولكنه ذكر أنها قطعت أثناء الحرب العالمية الثانية عندما كـان يحـارب الألمـان في الجـيش السوفيتي ومعروف أن السوفيت من الشيوعيين، لذلك سألته أأنت شيوعي فقال: أنا لست شيوعياً، أنا نقي القلب، أنا لست شيوعياً فقلـت لـه: كيـف قطعت رجلك: فقال في الحرب. قال: وليست إصابتي في رجلي فقـط، بـل أجريت لي إحدى عشرة عملية جراحية من إصابات أخرى، ولـذلك نلـت هذه الأوسمة والنياشين العديدة إن عددها (١٢) وساماً قال: وبعـد هزيمـة الألمان نلت وساماً رفيعاً هو وسام (ستالين). فسألته بهذه المناسبة عن رأيـة في ستالين؟ فقال: هو رجل قوي، فعرفت أنهم لم يعطـوه هـذه الأوسـمة إلا بعد أن تأكدوا أنه مخلص لهم، وقد سـارع يقـول: لقـد اشـتركت في دخـول مدينة برلين عاصمة الألمان. وما أدري لو سأله سائل قبل سـقوط الشـيوعية عن رأيه فيها ماذا كان يكون عليـه جوابـه، هـذا وبلـغ عمـره الآن سـبعين سنة.[1]

* * * * * *

۞ أكـل لحـم البشـر:

في القابون، يقول: وسكان الغابات منهم لا يفـرقون بين اللحـم المذكى وغيره، فالميتة عندهم مأكولة كما تؤكل المذكاة، وطبيعي أن هؤلاء ليسوا من المسلمين، وماذا عن أكل لحوم البشر؟

---

(١) انظر كتاب: العودة إلى ما وراء النهر ص: ٢٢٠ .

وكان هذا السؤال الذي يستغربه كثير من الناس في بلاد الحضارة غير أنه لا يكون غريباً في البلدان الحديثة العهد بالمدنية.

وكان الجواب المؤكد من عدة أشخاص موثوق بهم بأن لحم الآدمي في كثير من أنحاء الغابة، بل وفي القرى التي ليست داخلة في الغابة هو مأكول ومرغوب فيه.

وضربوا مثلاً على ذلك بقرية اسمها (بيفون) فقالوا: إن أهل هذه القرية متهمون بأكل لحوم بني آدم حتى الآن، وإن كثيراً من الناس من مواطنين وأجانب يتحاشون أن يمروا بسياراتهم إذا كانت بالقرب من هذه القرية؛ لأن السيارة إذا تعطلت واضطر راكبوها إلى السير على أقدامهم، أو اللبث خارجها فإنهم بلا شك عندهم يكونون من المأكولين غير المذمومين، فهم هنا ليسوا كالشعير عند العرب الذي يأكلونه ويذمونه.

وتبعد هذه القرية عن العاصمة مائة وأربعين كيلو متراً على الطريق نفسه الذي سرنا فيه، وتوقفنا عند البيوت الإفريقية التقليدية ورجعنا من هناك إلى العاصمة قبل أن نصل القرية المذكورة بأربعين كيلومتراً.

قالوا: وأهل القرية معروفون بذلك حتى عند الحكومة، وقد تكررت حوادث اختفاء الأجانب في القرية في الليل، وتحاول الحكومة، عبثاً أن تصل إلى خبر عنهم، والسبب في ذلك أن أهل القرية يتكتمون هذه الإخبار ولا ينم بعضهم على بعض فيها.

وسكان قرية (بيفون) هذه يستوي في بطونهم الغريب عنهم، والأبيض بالأسود والأسود بالأبيض.

وقال محدثونا: إن الحكومة لم تستطع أن تقتلع هذه العادة منهم لأنهم متحدون ضد الحكومة في هذا الأمر وهم ينكرون ذلك وهم من الوثنيين

الذين لا دين لهم، ولا يأكلون إلا الآدمي الحي حباً منهم في أكل اللحم الذي يصاحبه الدم، وبعضهم يهدون إلى أصنامهم رؤوس الآدميين يتقربون إليها بذلك. ورغم غرابة هذه الأقوال، وكونها تثير التقزز والاشمئزاز، فإنها متواترة سمعتها من أكثر من شخص، إلا أنها لا توجد إلا في الغابات والقرى النائية. و تكون حوادثها خفيه بحيث لا تعلم بها الحكومة، وإن كان الجميع يقولون إن ذلك يحدث ولكنهم لا يستطيعون أن يحددوا فاعلية. تنويه عن القابون.[1]

* * * * * *

۞ لحم القرد يباع:

في ليبرفيل في القابون:

يقول: أخذنا الأخ (بكري جاوارا) إلى سوق في العاصمة اسمه (أولومي) وهو سوق كبير إلا أن يومه الحافل بالمعروضات والمتسوقين هو يوم السبت بحيث يكون فيه مزدحماً، أما اليوم فإنها غير كثيرة.

ومع ذلك وجدناه حافلاً بالناس، مليئاً بالبائعات اللائي كلهن من دون استثناء من النساء على عادة الأفارقة في أن تتولى النساء بيع البضائع القليلة.

وكله عبارة عما نسميه في بلادنا بالبسطات، أي البضائع المعروضة على منصة خشبية، تحت مظلات وليس فيه حوانيت تفتح وتغلق.

من أهم ما رأينا فيه أنواعاً قليلة من السمك ما بين مملح ومدخن وطري وطماطم صغيرة غير جيدة، وثمار نخيل الزيت الذي يشبه البسر تماماً، إلا

---

(١) انظر كتاب: بقية البقية من حديث إفريقية ص ٥٩ .

أنه صلب ويعالجونه، ويستخرجون منه الزيت الذي يضيفونه إلى أنواع من طعامهم، وقروناً من البامية كل ثلاث قرون كومة واحدة، والبيع هنا بالعد وليس بالوزن.

ثم رأينا قرداً أسود غير مذبوح، فإذا هو ميتة قرد، وقد تبين في جسمه جرح من أثر رصاصة أو إطباق حبالة عليه وهو حديث الموت فيما يظهر من منظره، وجدناه عند بائعة فسألتها عن ثمنه؟ فقالت: خمسة آلاف فرنك ويعادل ذلك ثمانية وأربعين ريالاً تقريباً.

وجعلت أتأمله وأنا أغالب التقزز ورفيقاي يتبادلان الكلمات التي لا تدل على الارتياح؛ فعرفت البائعة أننا لسنا راغبين في الشراء وإنما نحن طلاب فرجة، لذلك عندما أخرجت المصورة - آلة التصوير - لألتقط صورة للقرد مانعت البائعة وسارعت تستره بجسمها.(١)

* * * * * *

۞ بـــــلاد الحمير:

خلال زيارة للشيخ محمد بن ناصر العبودي إلى مملكة (ليسوتو).

يقول: عندما رأيت الحمير لأول مرة في هذه البلاد ما بين المطار والمدينة عرفت أنها بلاد معتدلة في موقعها لو كان الموضوع يحتاج إلى تفكير، لأن الحمير تعيش في البلدان المعتدلة البعيدة نوعاً ما عن خط الاستواء مثل بلادنا، ولا تعيش في البلدان الاستوائية بسبب وجود أمراض وحشرات تؤذيها، ولا يناسبها الجو فيه.

---

(١) للاستزادة عن هذا الموضوع الرجوع إلى كتاب الشيخ: بقية البقية من حديث إفريقية ، ص: ٦٩ .

وقد تكررت رؤية الحمير في هذا الريف (الليسوتي) بعضها يركبونه، وبعضها يحملون عليه أمتعتهم.

مع أن حميرهم شهباء اللون، وهو لون الحمار الذي يكون بين البياض والسواد وهي قصيرة من النوع غير الجيد.

وبعد ذلك رأيت كثرة الحمير وأهميتها في بلادهم، وقد طبعوا صورتها على بطاقة من بطاقات البريد لكونها مما يميز بلادهم.[1]

۞ والدة الأيتام:

يقول: ذكر الإخوة المسلمون أن زيارة هذا المسجد (أماباني في مملكة سوازيلاند) لا تتم إلا إذا زرنا الأخت السيدة سكينة، وهي مشهورة بأنها تلتقط الأولاد الأيتام، فتربيهم تربية إسلامية، وتجمع لهم ما يحتاجون من أهل الخير حتى يتعلموا ويصبحوا رجالاً وهي لا تتخير الأيتام من أبناء المسلمين مثلاً، بل تأخذ أي يتيم وتحرص أكثر على أبناء الكفار الذين انقطعت صلتهم بأهلهم أو الذين لا أهل لهم، فتربيهم تربيه إسلامية وينشأون مسلمين.

وجدناها في بيت موقوف عليها حسبما أخبرونا واسمها (سكينه يما) وهي مسنة متحمسة لإسلامها، وذكرت أنها ربت أعداداً لا بأس بها من الأيتام حتى تعلموا وتوظفوا. قالت: وأما الآن فقد كبر سني وليس عندي إلا ستة منهم، رأينا بعضهم شباناً ذوي مظهر حسن وكلهم إفريقي أسود،

---

(١) انظر كتاب: إلى أقصى الجنوب الإفريقي.

وهذا اليتيم ليس يتيماً رسمياً وإنما تفعل ذلك بصفة غير رسمية، وحين سألتها عن البيت الذي تسكن فيه مع الأيتام لمن هو؟ قالت: لله.

ولاحظت أنه عامر باللوحات الإسلامية المعلقة، أكثرها من بيوت بعض الأثرياء المسلمين، ثم عدنا إلى الفندق الجميل فندق شمس سوازي أو (سوازي صن).[1]

* * * * * *

أغلى بامية في العالم:

المكان مدينة أكرا في غانة (ساحل الذهب) يوم الأربعاء ١٢/ ٥/ ١٤٠١هـ.

يقول: ليس في هذا الأمر مبالغة فقد رأيت بلاداً واسعة من بلاد العالم، وما لم أره ربما قرأت عنه؛ فلم أسمع بالبامية تباع في أي بلد في العالم بهذا الغلاء فقد رأيت خمسة قرون من البامية الغليظة القصيرة قيمتها سيديان أي بالصرف الرسمي للدولار ثلاثة ريالات سعودية وبالصرف الحر حوالي نصف ريال سعودي، وقد استغربت الأمر فسألته: إذا بكم يباع الكيلو الواحد منه؟ فأجاب: إنه لا يباع بالكيلو، وإنما بالعدد، والناس ليس لهم عادة أكله أو الإكثار منه.

وسألت غيره بعد ذلك - ومنهم سائق في السفارة يعرف شيئاً من العربية- فكلهم أيدوا ما ذكره من الغلاء وعدم استطاعة أكثر الناس

---

(١) انظر كتاب: إلى أقصى الجنوب الإفريقي.

الوصول إلى الباميا لذلك يباع بعدد القرون أو الحبات كما يعبر عنه في بلادنا.[1]

* * * * * *

۞ شجرة ليلى الماء:

المكان في حديقة بمبلي موساز في جزيرة موريشيوس.

يقول: وكان الدخول إلى حديقة (بمبلي موساز) واسمها من اسم شجر له ثمر يسمى بهذا الاسم وهي حديقة واسعة، وليست أهميتها في سعتها وإنما في نفاسة ما فيها من الأشجار حتى قال لي أحدهم إنها تعد الحديقة الثالثة في العالم من أهمية الأشجار والنباتات والزهور التي فيها، ولا أدري صحة ذلك ولكنها منسقة تنسيقاً قل أن يوجد له نظير، وتخللها قنوات وجداول للمياه تجري فيها دائماً لأنها تنزل من الأماكن المرتفعة متجمعة من مياه الأمطار الكثيرة في الجزيرة كما أن فيها عدة بحيرات صغيرة تسبح فيها أنواع من السمك الملون وتعيش عيشة طبيعية. ومن أعجب ما فيها من النباتات نبات يسمونه (ليلى الماء) له أوراق مدورة عظيمة إذا رآها المرء لا يصدق أنها طبيعية وإنما يخيل إليه أنها أوراق صناعية ذلك بأنها على شكل الأطباق الضخمة الخضراء ذات الحافات المعطوفة كأنها الصحاف القديمة التي تتسع الواحدة لذبيحة من الغنم وما يتبعها من الأرز والخضروات في بلادنا العربية وهي تعيش وسط الماء بحيث إن المرء لا يستطيع رؤية جذورها وليس هذا هو العجب الوحيد فيها وإنما الأعجب منه أنها تنتج

---

(١) انظر كتاب: شهر في غرب إفريقية. ص: ٣٧٠ .

أزهاراً تظهر من صفحة الماء بعيدة نوعاً ما عن الأوراق حتى لا يصدق المرء أنها متصلة بها من الأسفل وهي زهور كبيرة رأيتها بعد العصر وردية اللون وقال لنا شخص هناك يقول إنه يعمل دليلاً للناس داخل الحديقة إن زهرها هذا يكون في أول النهار أبيض وفي آخره أحمر ورديا.[1]

* * * * * *

۞ صورة نادرة:

المكان الحبشة مدينة دردوا يوم السبت ٢٨/ ٤/ ١٣٨٤هـ.

يقول: تعشينا اليوم في مطعم الطاووس، وقد أجفلت عندما رأيت رجلاً يشبه الوحش قد ترك جميع شعر رأسه وشاربه ولحيته ينمو في كل اتجاه، وقد اسودت ملابسه وتمزقت حتى صارت خرقاً متناثرة، وأكبر شيء ظاهر فيه هو عيناه الواسعتان، فظننت أنه فقير معتوه على شيخوخته.

فطلبت من خادم المطعم أن يخبرني بالمبلغ الذي يستهلكه حتى أدفعه، وعزمت على أن أطلب له لحماً، لأنه كان يأكل الخبز بقليل من المرق، فأجابني الخادم: إنه يأكل بدون مقابل وسألته لماذا؟ فأجاب: لأنه السيد.

إنه يعيش في المقابر ولا سكن له ولا يملك مالاً، وأنه يأتي هنا ليأكل الخبز بالعدس على صاحب المطعم الذي لا يأخذ منه شيئاً احتساباً للأجر، فعدت مرة ثانية أكرر النظر في هذه الصورة التي كثيراً ما قرأت رسمها في كتب التراجم والسير عامة، وفي كتب تراجم المتصوفة خاصة، عن الرجال الذين ينقطعون عن الدنيا ويسكنون المقابر مهملين مظاهرهم ومناظرهم، وكنت ظننت أنه لا يمكن لي أن أشاهدها رأي العين.

---

(١) انظر كتاب: جولة في جزر البحر الزنجي.

وعلى ذكر المطعم نسيت أن أدون أن كثيراً من الفقراء والمتسكعين من شباب وشيوخ وعاجزين وقادرين يقفون عند باب المطعم ويغافلون خدمه ويسرعون إلى بقايا الموائد التي يتركها أصحابها فيلتهمونه التهاماً أو ينهبونه ويأكلونه خارج المطعم، وإذا رآهم صاحبه كان يطردهم حرصا على راحة زبائنه.[1]

* * * * * *

۞ جولات في إفريقية الخضراء وحديث عن الإسلام والمسلمين:

- **حالة المسلمين في كينية:** دخل الإسلام ساحل كينيا منذ أكثر من عشرة قرون حيث نزل العرب في السواحل، أما داخل البلاد فلم يدخلها الإسلام إلا قبل ما يقل عن مائة سنة ويبلغ نسبة عدد المسلمين في كينيا إلى مجموع السكان ٢٠ ٪ يقطن معظمهم في منطقة ممباسة على ساحل المحيط الهندي حيث يقدر نسبة المسلمين في ممباسة بالنسبة إلى بقية السكان ٦٢ ٪ من العرب والإفريقيين، ثم في باقي المناطق الساحلية مثل ماليندي ولامو ووجيري التي معظم سكانها من المسلمين الصوماليين، أما بقية المسلمين فيوجدون متفرقين في كل مكان تقريباً حيث يقدر عددهم في العاصمة نيروبي ٣٦ ألفاً من مجموع سكانها البالغ ٢٤٥ ألفاً كما ذكر لنا قاضي كيسوموا أن عدد المسلمين في مقاطعة نيانزا يبلغ ٤٠٠٠ كما يبلغ في مقاطعة وسترن ٦٠٠٠ وفي مقاطعة رفي فالي ٣٥٠٠ من المسلمين وتسمى (كبرا) وتبعد (٥)كيلومترات إلى الغرب من نيروبي.[2]

---

(١) انظر كتاب: في إفريقية الخضراء ص ١٦٥ .

(٢) انظر في إفريقية الخضراء للشيخ العبودي (ص:٣٢١-٣٢٢)، ط: دار الثقافة - بيروت.

* **النشاط المعادي للإسلام:** لقد دخل التبشير المسيحي إلى كينيا مع الاستعمار الانكليزي الذي سبق غيره إلى داخل القارة، وقد نجح التبشير في تنصير عدد كبير من السكان الوثنيين ولا يزال يواصل جهوده حيث لا يزال قسم كبير من أهل البلاد في الداخل على وثنيتهم. كما يوجد نشاط صهيوني كبير يستخدم سلاح الدعاية والإغراء بالمنح الدراسية والدورات التدريبية في تحسين سمعة إسرائيل وتشويه سمعة العرب، وأقرب مثال على ذلك فيلم سينمائي ذكر أنه عرض منذ وقت قريب وهو يصور كفاح الإفريقيين للتخلص من العرب الذين كانوا يستعبدونهم ويذيقونهم صنوف العذاب على حد ما جاء في الفيلم المذكور. كما يوجد نشاط من الجماعات غير الإسلامية التي تتستر بالإسلام كالقاديانية والإسماعيلية ولكنها لم تحقق نجاحاً ذا بال مما جعل جهودها تتناقص وتصفي أعمالها في كثير من البلاد.

* **الاقتراحات:**

أ- تقترح البعثة إنشاء معهد إسلامي على غرار المعاهد الدينية الموجودة في المملكة، ويكون مقره في ممباسة ويقبل فيه طلبة من كينيا وأوغندة وتنجانيقة بنسبة مقررة لكل بلد حسب حاجته إلى التعليم الإسلامي، يقوم المعهد المذكور بتخريج مدرسي الدين الإسلامي واللغة العربية، كما يعد الطلبة الذين يودون مواصلة دراستهم في الجامعة الإسلامية ويحصلون على منح دراسية للالتحاق بها.

ب- عدم دفع المبالغ المالية النقدية لشخصيات تدعي خدمة الإسلام، إذ إن بعض من تسلموا مبالغ مالية من قبل قد ثبت للبعثة أنهم استأثروا بها لأنفسهم وعندما نازعهم الآخرون في ذلك رفع الأمر إلى الحكومة

وأصبحت حالتهم في النزاع والخصام موضع شماتة الأعداء. بل تدفع الإعانات للمؤسسات على شكل مشاريع أو كتب أو نحوها.

ج- تعيين ملحق ديني في السفارات الإسلامية تربط به رعاية الشؤون المتعلقة بالمسلمين وبالدعوة الإسلامية في شرق أفريقية.

د- الإكثار من إرسال المدرسين والمرشدين المسلمين باللغة الانكليزية، والعارفين باللغة السواحلية إلى كينيا لتدريس العلوم الدينية واللغة العربية في المدارس الحكومية لأبناء المسلمين ولإرشاد المسلمين في المساجد والمجتمعات على أن تفتح لهم دورات خاصة لتعليمهم اللغة السواحلية التي تعتبر لغة سهلة على من يعرف العربية، ويمكن أن يعرف المرء الضروري منها في أربعة أو ستة أشهر على أن يكمل معلوماته ويتمرن على التخاطب بها بعد ذلك في كينيا نفسها، ويمكن اختيار المدرسين المذكورين من خريجي الجامعة الإسلامية وكليات الشريعة الأخرى في المملكة.

رصد مبلغ من المال لمساعدة المدارس والكتاتيب الإسلامية الموجودة هناك على أن يصرف المبلغ المذكور على شكل استئجار دور للمدارس ومساعدة على دفع رواتب المدرسين وتوزيع المقررات المدرسية ولا تدفع المبالغ نقداً لئلا تصرف في غير ما أريدت له.

هـ- توزيع عدد كاف من الكتب الإسلامية باللغتين الانجليزية والسواحلية وطبع ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم باللغة السواحلية، إذ إن الترجمة الموجودة قام بها القاديانيون.

و- الإكثار من المنح الدراسية للطلبة الكينيين في المعاهد والمدارس الإسلامية في البلاد الإسلامية.

ز- تأكيداً لتشجيع المدارس والكتاتيب الإسلامية الموجودة هناك على الاستمرار في مهمتها الإسلامية نذكر هنا بياناً بأسماء الموجود منها في كينيا التي زرناها ودفعنا لها مساعدات مالية رمزية علماً بأن برنامج زياراتنا لم يسمح لنا بزيارة جميع ما في كينيا من المدارس والكتاتيب نظراً لانتشارها في طول البلاد وعرضها، وتباعد ما بينها.

وأثناء ذكرها هنا فإنما نقصد من ذلك بيان كثرتها، كما نقصد عرض أسمائها العربية الإسلامية، وأسماء القائمين عليها، ونحن إذ نفعل ذلك لا نقول إنها مستكملة لكل ما تستحق أن تسمى معه مدارس إسلامية، ولكن لأنها هي الوسيلة الوحيدة الموجودة هناك للإبقاء على تعليم مبادئ اللغة العربية والدين الإسلامي ويمكن استمرارها بل وتطويرها إلى أحسن في المستقبل مع قليل من الجهد والمال.

١- مدرسة الصالحين في كبكو في (ممباسة) عدد الطلاب (١٦٠) بين بنين وبنات، مديرها الشيخ أنور علي، ونائبه معلم حميد سالم، والمدرسة وقف على الطلبة من أحد البلوشيين.

٢- مدرسة الفلاح في بنديني (ممباسة) مديرها الشيخ مبارك بن حريز، وعدد الطلبة (٢١٠) بين بنين وبنات تشتمل على أربع غرف، وعدد المدرسين اثنان، والمبنى ملك لجمعية المدرسة وموقوف عليها.

٣- مدرسة الهدى الإسلامية في كنقراني ماجنقو (ممباسة) مديرها السيد عبد القادر بن حسين إسماعيل، يساعده اثنان من المدرسين، وعدد الطلبة (٢٢٥) وبنايتها مستأجرة.

٤- مدرسة الهدى الإسلامية في ماجنقو (ممباسة) مديرها الشيخ محمد بن سالم ناجي، عدد الطلبة (٤٢) أسست عام ١٣٤٨هـ.

٥- مدرسة الإصلاح الإسلامية في ماجنقو (ممباسة) عدد الطلبة (٨٠) مديرها الشيخ سعد بن أحمد باكثير.

٦- مدرسة المعاونة في ماجنقو (ممباسة) مسجد سكينة عدد الطلبة (٢٥٠) تتكون من أربعة فصول مديرها شافي بن راشد أفريقي، يساعده إسماعيل خميس، وعلي عمر، أسست عام ١٣٥٥هـ.

٧- مدرسة المحاسن الإسلامية في كولين (ممباسة) مديرها الشيخ جمعة بن محمد القرياس أفريقي، عدد الطلبة (٢٢٥) من بنين وبنات، وعدد الفصول أربعة أسست عام ١٣٥٨هـ ويساعده على التدريس أربعة رجال وثلاث نساء، بناية المدرسة ملك للمدير وأوقفها على الطلبة.

٨- مدرسة التهذيب الإسلامية قراية (ممباسة) مديرها السيد علوي قاسم علوي، عدد المدرسين ستة، والتلاميذ (٢٥٠) أسست عام ١٩٥٩م عدد الفصول خمسة، والتعليم فيها صباحاً ومساءً.

٩- المدرسة الدينية الإسلامية، صاحبها الشيخ صالح عبد المطلب العبيد قراية (ممباسة) عدد الطلبة ٩٧ طالباً، أسست عام ١٣٦٥هـ، وله مساعد واحد.

١٠- مدرسة الإرشاد الإسلامية في ماجوكالي (ممباسة) صاحبها المعلم سعيد بن أحمد القمري، يساعده اثنان، عدد الطلبة (٧٠) طالباً من بنين وبنات، أسست عام ١٣٦٥هـ.

١١- فرع مدرسة الصالحين، عدد الفصول أربعة، وعدد الطلبة (١٢٠) طالباً، ومديرها الشيخ طالب صالح عليان، يساعده اثنان، أسست عام ١٩٥٩م. وتقع في كيكوني(ممباسة).

١٢- المدرسة المحمدية الإسلامية في كيكوني، المدرس المعلم حسين بن طيب، والمساعد محمد ابن أحمد بن حسين، عدد الطلبة (٩٦) أسست عام ١٣٧١هـ.

١٣- مدرسة المسجد الأزهر ملحقة لمسجد يسمى الأزهر في ممباسة، مديرها علي بن منيكاني، عدد الطلبة (٣٥٠) المدرسة في جانب المسجد.

١٤- المدرسة الخيرية الإسلامية مديرها الأستاذ عيظة عبد الله عبيد في ماراقوي (ممباسة) عدد الطلبة (١٥٠) طالباً، المساعدون على التدريس أربعة، وهي ستة فصول أسست عام ١٣٦٦هـ.

١٥- مدرسة الرياضة الإسلامية التضامنية ماجنقو (نيروبي) رئيسها الشيخ حسين سليمان مجنبا، والسكرتير سعيد عثمان حبوقي، عدد المدرسين اثنان، وعدد الطلبة (٢٥٠) أسست عام ١٩٦٣م. المبنى وقف على المسلمين وهي ملحقة بمسجد الرياضة الإسلامية في ماجنقو، تدفع من التبرعات ويؤخذ من الطلبة شلنان أي ما يساوي ريالاً وربع ريال سعودي شهرياً فقط من القادرين.

١٦- مدرسة النجاح الإسلامية، ومديرها موسى عبد الله بوقو، عدد الطلبة (٧٥) أسست عام ١٣٦٦هـ.

١٧- مدرسة افريكان مسلم، ومديرها الشيخ جمعة أحمد، وعدد الطلبة (٥٣) كتاب سكينة (ممباسة).

١٨- مدرسة فرع الرياضة عدد الطلبة (٣٥) صاحبها السيد أبو بكر عدنان أسست عام ١٣٦٥هـ. ماجنقو (ممباسة).

١٩- مدرسة عائشة الإسلامية للبنات، عدد الطالبات (١٣) صاحبتها عائشة بنت خير، أسست عام ١٣٨١هـ. وهي في ماجنقو (ممباسة).

٢٠- مدرسة البنات الإسلامية في سباكي (ممباسة) عدد الطالبات (١٦٠) صاحبتها عائشة بنت عبد الله كي، أسست عام ١٣٨٢هـ.

٢١- مدرسة مسجد كنزي، صاحبها الشيخ السيد محمد صالح السقاف، أسست عام ١٣٨٤هـ عدد الطلبة (٥٠) طالباً.

٢٢- مدرسة الهدى الإسلامية في كنزي ساحل ممباسة، صاحبها عمر كينو، عدد المساعدين على التدريس اثنان، عدد الطلبة (٢٥٠) أسست عام ١٣٨٣هـ.

٢٣- المدرسة الخيرية في مالندي، صاحبها عبد الله بن عبيد، عدد الطلبة (٣٥) طالباً أسست عام ١٣٨٤هـ.

٢٤- المدرسة الابتدائية الإسلامية في مالندي صاحبها يسلم بن زمزم، عدد الطلبة (٤٤) أسست عام ١٣٨٢هـ.

٢٥- المدرسة الإسلامية في شيلة مالندي، ناظر المدرسة الشيخ سليمان البلوشي، عدد الطلبة (٦٢) وعدد الفصول أربعة، أسست عام ١٣٨١هـ.

٢٦- المدرسة الإسلامية في شيلة (ماليندي) صاحبها صديق بن معاذ ابن عثمان الأموي، عدد الطلبة (٥٠) أسست عام ١٩٥٣م.

٢٧- مدرسة مسجد بافلونا مالندي شيلة، صاحبها سالم بن علي بن سالم، عدد الطلبة (٤٠) أسست عام ١٣٨٣هـ.

٢٨- المدرسة الحيدرية في شيلة مالندي، صاحبها جيلان بن محمد عبدالله البلوشي، عدد الطلبة (٦٠) أسست عام ١٣٦٧هـ.

٢٩- مدرسة النور في بوماني مالندي، صاحبها عبده محمد شكور، عدد الطلبة (٤٥) أسست عام ١٣٨٤هـ.

٣٠- مدرسة عبد الله علوي في بوماني (مالندي) عدد الطلبة (٣٥) أسست عام ١٣٨٥هـ.

٣١- مدرسة حسنة الإسلامية في بوماني (مالندي) صاحبها حسن عوض، أسست عام ١٣٨٣هـ. عدد الطلبة (٥٠).

٣٢- المدرسة الأهلية في براني (مالندي) صاحبها علي ابن سعيد المنتصر، عدد الطلبة (٦٠) أسست عام ١٩٦٣م.

٣٣- مدرسة الجمال الإسلامية في براني (مالندي) عدد الطلبة (٤٥) أسست عام ١٣٧٩هـ.

٣٤- مدرسة المعلم راشد بن محمد في براني (مالندي) عدد الطلبة (٤٥) أسست عام ١٣٨٤هـ.

٣٥- مدرسة عمر أحمد مبارك في بوماني (مالندي) عدد الطلبة (٤٥) أسست عام ١٣٨٤هـ.

٣٦- مدرسة البنات الإسلامية في جبوة (مالندي) صاحبتها مريم بنت حميد، عدد الطالبات (٤٥) أسست عام ١٣٨٥هـ.

٣٧- مدرسة النجاح الإسلامية في لامو، عدد الطلبة (٢٢٠) موزعين على سبع غرف، وعدد المعلمين خمسة أسست عام ١٩٤٩م. مديرها السيد علوي أحمد البدوي.

٣٨- مدرسة النور الإسلامية في ممبروي تبعد ١٤ كيلو متراً عن ماليندي شمالاً، عدد الأساتذة اثنان، ومديرها الشيخ محمد سعيد عبد الله، ويساعده بعض كبار الطلبة على التدريس؛ لأن الفصول ثمانية والمبنى ضيق ولديهم عزم على أن يقوموا ببناء طابق ثان فوق البناء الحالي والمدرسة على مستوى

عال نسبياً من جميع الوجوه وتعتني إدارة المدرسة عناية خاصة بتنظيم رحلات للطلبة والمدرسين للتبشير بالدين الإسلامي وتوضيح محاسنه، كما يوجد في المدرسة آلة ناسخة (استنسل) وهي أول مدرسة نرى فيها آلة تقوم على طبع مقرراتها المدرسية ويشرف على شؤون المدرسة جمعية رئيسها الشيخ عمر بن سالم باطهيف.

٣٩- مدرسة فورت هول الإسلامية، عدد طلبتها (٦٠) والمدرس يدعى عبد الله بن سالم عبيد يتقاضى من المدرسة (١٢٠) شلناً في الشهر ويجمع راتبه من تبرعات المحسنين.

٤٠- المدرسة الإسلامية في كتوى (وسط كينيا) مديرها المعلم سعيد بن علي، عدد الطلبة (٧٥) أسست عام ١٣٨٦هـ. قام على إنشائها أهالي كتوى بعد مدة طويلة من جمع التبرعات، ينقصها أثاث وكتب خازنها يدعى أحمد طيب.

٤١- مدرسة الفلاح في كبرى غربي نيروبي مديرها الشيخ عبيد كافي، يساعده مدرسان هما: مو جمعه وسليمان سعيد، عدد الطلبة (١٩٢) عدد الفصول أربعة أسست في عام ١٩٤٢م. والمبنى ملك للمدرسة ويقع جانب المسجد في بلدة كبرى.

٤٢- مدرسة كلولينى مسلم اسكول، مديرها المعلم مرجاء بن مزي بن عثمان، عدد الطلبة (٦٥) أسست عام ١٩٧٥م الطلبة موزعون فيها على فصلين، المبنى وقف للمدرسة.

٤٣- المدرسة الإسلامية في كتوى، مديرها أبو بكر عمر جلز، عدد الطلبة (١٧٠) يساعده عبد الله مفتاح أسست عام ١٩٥٨م.

٤٤- المدرسة الابتدائية الجديدة في كراي هي الآن تحت الإنشاء وصل البناء فيها إلى السقوف، والغرف أربع طول كل واحدة ٧×٩ أمتار، والمكتب ٤×٩ أمتار، رئيس المشروع مبارك منقى، والجماعة القائمون على إنشائها هم أهالي كراي، ورئيس جمعية المدرسة هو الشيخ سالم بن كدياكا.

٤٦- مدرسة السعادة الإسلامية في مجنقو نيروبي اسم صاحبها الشيخ رمضان غذياكا، والمعلم محمد سالم عدد الطلبة (٤٥) طالب من بنين وبنات، أسست عام ١٩٤٥م. تحتاج إلى فرش، وبناية المدرسة ملك لصاحبها الشيخ رمضان.

٤٧- مدرسة البدوي الإسلامية في كيزيقتي تبعد عن لامو عشرة أميال، مديرها الشيخ حارث صالح الأموي، عدد المدرسين المساعدين عشرة، عدد الطلبة (٢١٧) والفصول عشرة أسست عام ١٩٥٥م. المبنى وقف للمدرسة والدراسة مجاناً القائمون عليها أهل البلدة بمساعدة المحسنين.

٤٨- مدرسة الله الإسلامية في بوكولة جنقاما تبعد عن ممباسة ٧ أميال، مديرها الشيخ محمد فقيه خروجي، عدد المدرسين ثلاثاً، والطلبة (٢٢٠) عدد الفصول ٥ أسست عام ١٩٥٠م. ملاصقة لمسجد بوكولة، وبنايتها وقف للمدرسة.

٤٩- مدرسة الاستقامة الإسلامية في قرية ماجنقو مسجد النور على بعد ٦ أميال من ممباسة مديرها الشيخ عيدروس بن مشهور بن شهاب، عدد المساعدين على التدريس اثنان، وعدد الطلبة (١١٣) من بنين وبنات، والفصول خمسة، والمبنى وقف على المدرسة، أسست عام ١٩٦٤م. والمدرسة تأخذ من الطلبة شلين اثنين في الشهر.

٥٠- مدرسة مسجد أنيسة المعلم الشيخ محمد أبو بكر عيشان في (انجي أوكالي) (ممباسة) عدد الطلبة (٧٠) وعدد الفصول ٣ أسست عام ١٩٣٦م.

٥١- مدرسة التقوى الإسلامية في حارة ازقلان (ممباسة) مديرها الشيخ بوناكنيو مزيز عدد الطلبة (٧٦) والمدرسة أربعة فصول، بناها عبد صالح تحتاج إلى مقاعد وسبورات أسست عام ١٩٦٤م.

٥٢- مدرسة الفلاح الإسلامية في قرية بن شافي تبعد ٨ أميال عن ممباسة، صاحبها المعلم خميس بن جمعة الأفريقي، يساعده على التدريس اثنان من الطلبة، وعدد الطلبة (٨٠) والفصول ٣ أسست عام ١٩٥٦م.

٥٣- مدرسة بوكولة الإسلامية تبعد ٩ أميال عن ممباسة، اسم المعلم عثمان بن حسين الأفريقي، عدد الطلبة (٤٠) يساعده أحد الطلبة، والمدرسة غرفة واحدة مقسمة إلى ثلاثة فصول أسست عام ١٩٥٨م.

٥٤- مدرسة استيشن إسلامية سنقامة، اسم المعلم شعبان بن خميس القادري، عدد الطلبة (٢٠) أسست عام ١٩٦١م.[1]

* * * * * *

۞ المرأة في الصومال:

يبدو التأثير الإسلامي واضحاً في المرأة الصومالية، فأنت لا ترى المرأة خارجة متبرجة في الشوارع بالشكل الذي تراه في البلاد الأخرى، وإذا خرجت، خرجت محتشمة ساترة رأسها وساقيها، إلا أن لبعض القبائل الصومالية البدوية وهي قليلة العدد تقليداً خاصاً، تجرد المرأة وهي خارجة إحدى يديها، وغالباً ما تكون اليسرى حتى الإبط، كما يفعل المحرم في الاضطباع، ومع ذلك قد يوجد من تخرج من النساء وهي لابسة الزي الإفرنجي وهي تبدو به وقد خلت من الوقار والجمال. أما الحجاب بالمعنى

---

(١) انظر: «في إفريقية الخضراء» للشيخ محمد العبودي (ص:٣٢٥-٣٣٧)، ط: دار الثقافة - بيروت.

المعروف فلا يوجد أصلاً في الصومال. واشتغال الفتاة الصومالية في الوظائف العامة هنا قليل. أما تعليم البنت فلا يزال ضيق النطاق، وقد سألت المفتش العام للتعليم في مقديشو عن ذلك؛ فقال إنه قليل جداً. حتى إننا قد نضطر إلى التعليم المختلط؛ إذ إن الفتيات لسن من الكثرة بحيث يمكن أن تخصص لهن مدارس بمفردهن، كذا قال.

ومما يسر المرء أن يلاحظ أن الأطفال خاصة، وسكان مقديشو عامة تظهر عليهم علامات التغذية الجيدة، وتغلب على طبيعتهم النظافة بوجه عام، وذلك على الرغم من نقص الرعاية الصحية بسبب عدم وجود العدد الكافي من الأطباء الصوماليين. وعدم توفر الأطباء من الأجناس الأخرى، وذلك لأن الاستعمار لم يترك للصوماليين شيئاً يقيمون عليه نهضة بلادهم، وليست هذه اليوميات دراسة كاملة حتى يمكن أن نستشهد بالأرقام، ولكنها مشاهدات وانطباعات عاجلة، انتزعت من بين أوقات العمل والراحة انتزاعاً فهي تتسم بلا شك بطابع الإجمال والاستعجال.

* * * * * *

۞ الأمواج المتراقصة على ساحل مقديشو:

خرجنا في إحدى الأمسيات إلى شاطئ البحر في مقديشو وعندما جلسنا فوق إحدى الصخور على الساحل القديم قرب أحد المساجد القديمة ورأينا الأمواج التي تتراقص على الشاطئ في تتابع محموم، ثم تلطم صخوره بوحشية، فتتناثر شظاياها في كل اتجاه.

إنه لمنظر يروقنا نحن الآن، ولكنني رجعت بذاكرتي إلى الأيام التي زار فيها الرحالة العظيم ابن بطوطة مقديشو قبل أكثر من ستمائة وخمسين عاماً وكان قادماً إليها على سفينة شراعية بطبيعة الحال، ولا شك أنها كانت تلعب

بها هذه الأمواج المسعورة، ومع ذلك فإن هذه الأشياء لم تفقده لذة الوصول إلى مقديشو، والسعادة في كنف عاهلها السلطان المسلم الذي يحب الخير، ويكرم العلماء، والذي كان في بلاطه من الأبهة والعظمة في ذلك الزمان، ما لا يوجد في كثير من قصور معاصريه من الملوك في أنحاء الأرض.

ألا ليت ابن بطوطة يبعث حياً الآن حتى يرى كيف يقدم إلى مقديشو، حيث يرى نفسه في جوف طائرة نفاثة، تسبق الريح وقد شيعته مضيفتها الجميلة بالبسمات؛ فهو رحمة الله عليه كان في رحلاته كثير التحدث عن النساء، ومن الوصافين لحلاهن، وينزل من المطار فيرى كرم الصوماليين، وحبهم لعلماء المسلمين، في انتظاره في مطار مقديشو، ثم يرى عواطفهم وضيافاتهم تغمره في فندقه الذي ينزل فيه، إنه بلا شك سيرى أن الصوماليين لم تزدهم الأيام إلا كرماً على كرم ومحبة للمسلم الغريب عن داره على محبة.

لقد طافت بذهني صورة ابن بطوطة وأخذت جميع تفكيري، ولم أشعر إلا بزخة باردة من رذاذ الأمواج المتكسرة على الشاطئ فإذا بي أعود إلى عالم الواقع وأكبر وأعظم الإكبار عزيمة ذلك الرحالة العظيم ابن بطوطة الذي جاب الأقطار في وقت كانت فيه مخاوف السفر تحيط بالمسافرين من كل جهة، أما البحر فهو الذي قيل فيه: الداخل فيه مفقود، والسالم منه مولود.

* * * * * *

۞ الماء في مقديشو:

يوجد في الصومال نهران كبيران أحدهما يسمى (شبيلي) والآخر (جوبا) ولا يبعد مجرى الأول عن مدينة مقديشو أكثر من ٣٢ كيلومتراً، ومنطقة مقديشو تعتبر من المناطق الممطورة إن صح هذا التعبير؛ فعليها تنزل مقادير كبيرة من الأمطار كل عام، وهي إضافة إلى ذلك توجد مناطق رملية ليست بالبعيدة عنها، ويوجد في تلك المناطق إمكانات لحفر آبار تدر مقادير من المياه العذبة، ومع ذلك فإن الماء الذي يستعمله (المقادشة) أي سكان مقديشو هو ماء ملح، والماء الذي يشربونه ملح أيضاً، وإن كان دون الأول ملوحة، فالمستعمرون السابقون لم يفكروا في إنشاء مشروع يمد مقديشو بالمياه العذبة، إذاً أفلا يصح أن ينشد في حالها قول الشاعر:

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الشفاء وما إليه الوصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

ولكن هناك مشروع أميركي لمد المدينة بالمياه العذبة من مكان غير بعيد منها، ولكنهم يقولون إنه يسير ببطء ويتأثر بحالة العلاقات السياسية بين البلدين.

* * * * * *

۞ لبن الإبل في المطاعم:[1]

من العجائب في مطاعم مقديشو التي تنفرد بها، أنك تستطيع أن تطلب لبن الإبل في المطاعم هناك، سواء في وجبات الغداء أو العشاء، وهو في

---

(١) انظر: ((في إفريقية الخضراء)) للشيخ محمد العبودي (ص:٣٧٢-٣٧٣)، ط: دار الثقافة - بيروت.

كثرته يكاد يعادل لبن البقر في البلدان الأخرى، وإذا طلبت لبناً فإن خادم الفندق يسألك هل تريد لبن الإبل أو لبن البقر؟ هذا إذا كنت غريباً، أما إذا كنت من أهل البلاد فإن الأصل في اللبن أن يكون لبن الإبل.

وليس هذا هو العجيب بل العجيب أنك تستطيع أن تطلب حتى في المطاعم الإيطالية في مقديشو لحم الظباء الصغيرة ويكتبون اسمه في القائمة (بيق بيق) ولا أدري أصل التسمية، كما تستطيع أن تطلب لحم الحجل الطائر البري المعروف، وقد جربتها كلها فلم يرق لي إلا لحم الظباء الصغيرة فهو جيد جداً.

* * * * * *

۞ صورة نادرة:

كان وكيل مدير معهد التضامن الإسلامي في مقديشو الأستاذ إبراهيم خليل حسن هرري قد دعانا وبعض الأصحاب إلى حفلة غداء خارج مقديشو، أو في أحضان الغابة كما يقول، وقد خرجنا بالسيارة إلى جهة الشمال من مقديشو فوصلنا إلى مكان هناك بمثابة مقهى أو مطعم على مسافة خمسة عشر كيلاً من مقديشو، وهناك جاؤا بحصر تحت ظل شجرة بريه كبيرة، وجلسنا مجلساً عربياً، وكان الطعام يتألف من لحم الحملان الصغار، والأرز والسلاطة والفاكهة المكونة من الباباي فاكهة الصومال الرئيسية، إلى جانب الموز المحصول الثاني الذي تصدره الصومال بعد المواشي، كما أحضروا لونين من الألبان أحدهما لبن الإبل والثاني لبن البقر.

وكانت جلسة طيبة خرجنا بعد العصر نتمشى في تلك الغابة وسط الحشائش والأعشاب، والشجيرات البرية الخضراء، التي ازدانت بالطيور الزاهية الألوان، المغردة بمختلف الألحان، وقد لقيت راعي غنم صومالياً

وهو فتى في السادسة عشرة تقريباً، ومعه خشبة كبيرة على شكل لوح طويل يزيد طوله على متر، ولما سألته: ماذا تصنع بهذه الخشبة؟ ولماذا تحملها هكذا؟ أجاب: إنها لوح أحفظ فيه القرآن الكريم، قال ذلك وهو يزهو ويفخر ويعتز. ولقد هزني مرأى هذه الصورة وتجسم لي فيها رأي العين ما كنت قد سمعته وقرأته عنه سابقاً من صور أولئك الذين حفظوا القرآن الكريم على مر العصور في هذه البلاد البدوية النائية بتلك الوسيلة، وكيف صبروا على نقل ذلك اللوح الثقيل طول اليوم ليستذكروا فيه القرآن الكريم، وليعود الواحد منهم بعد انتهاء رعيه اليومي إلى الشيخ يعيد درسه عليه ويجوده. وهم في الصومال يسمون طالب العلم (حر).

* * * * * *

۞ الإسلام في أوغندة:

وصلت البعثة عاصمة أوغندة (كمبالا) قادمة إليها من نيروبي، وقضت فيها عدة أيام إلى جانب زيارتها ضواحي العاصمة ومناطق: مساكا، وزبامنكا، وكبيجي، وكبيبي، ولوركالو، وجنجا، وقد اتصلت بعدد كبير من زعماء المسلمين وعلمائهم ورؤساء الجمعيات الإسلامية، كما تفقدت عدداً من المدارس والكتاتيب الإسلامية في أماكن مختلفة، ومن بين الزعماء المسلمين الذين اجتمعت بهم البعثة سمو الأمير بدر بن نوح، زعيم المسلمين هناك وابن عم الكاباكا ملك بوغندا (بالباء) إحدى ولايات اوغندة، وهو في الوقت نفسه نائب الملك، كما اتصلت بشقيقه الأمير عبد الرحيم بن نوح وشيخ الإسلام أحمد سابو كعب، ووزير الأوقاف في بوغندا: الأستاذ عبيد سلوم لوتاني وهو في الوقت نفسه عضو المحكمة البلدية، والأستاذ محمود امنيقي وزير المعارف في بوغندا، والشيخ محمد إبراهيم سمكولا رئيس

القضاة، والشيخ عيسى يوسف نائب رئيس المسلمين وعضو البرلمان.

كما قامت البعثة بإلقاء بعض العظات والكلمات الدينية في المساجد وكان الحديث بالعربية، ثم يترجم إلى اللغة الأوغندية حيث إن معظم الحاضرين في المساجد لا يعرفون الانكليزية، كما قامت البعثة بمنح مساعدات مادية لعدد من الجمعيات.

* **عدد المسلمين في أوغندة:** لا يوجد إحصاء رسمي دقيق للمسلمين، ولكن ثبت أن عددهم في مقاطعة بوغندا التي تقع ضمنها العاصمة كمبالا بلغ ثمانمائة ألف من مجموع سكان المقاطعة البالغ عددهم مليوني نسمة إلا أن تلك المقاطعة مشهورة بأنها أعظم معقل للمسلمين، ومن الإحصاءات الرسمية بعدد المسلمين في بعض الأماكن والبحث مع كثير من اليوغنديين المتهمين بالشؤون الإسلامية تبين لنا أن نسبة المسلمين على وجه التقريب تبلغ ٣٠ ٪ من مجموع السكان البالغ عددهم حوالي ستة ملايين و٣٠ ٪ منهم مسيحيون و ٤٠ ٪ وثنيون.

* **نشاط الدعوة الإسلامية:** يصح القول بأن اوغندة تعتبر أحسن الأماكن التي زارتها البعثة من حيث سير الدعوة إلى الإسلام، وكثرة دخول الناس فيه جماعات ووحدانا، حتى إنه قل أن يمر يوم لا يدخل فيه رجل أو أكثر في الإسلام وذلك في مناطق مختلفة حيث يوجد عدد من الدعاة من أهالي البلاد قد تطوعوا بالقيام في الدعوة إلى الله على ضعفهم المادي، وقلة إمكانياتهم، وقوة التبشير المسيحي المادية، وهم يستخدمون وسائل بدائية في الترغيب في الدخول إلى الإسلام إلا أن إخلاصهم وتفانيهم وصدق عزيمتهم كان سبب نجاحهم وهم متفرقون في القرى والأرياف و الدساكر لا تكاد تربط بينهم رابطة مادية، وقد لمست البعثة في أولئك الأقوام سواء

منهم من دخل في الإسلام حديثاً، أو من مضت عليه مدة فيه، صدق القول، وحسن الإسلام، وطيب القصد. ولا شك أنه لو أمكن مساعدتهم مساعدة مادية بالملابس وبعض الأطعمة أو ببناء مراكز بسيطة لهم في الأرياف النائية ولو كانت تلك المراكز لا تزيد على سكن من الأكواخ لكان لذلك ثمرة طيبة مفيدة، كما أنه يوجد عدد قليل من العرب من الحضارمة يقومون بالإرشاد والدعوة في أوغندة، وتقوم الجمعيات الإسلامية وأعظم تلك الجمعيات (الجمعية الإسلامية الأوغندية) ويرأسها الأمير بدر بن نوح ابن عم الكاباكا ملك بوغندة و (جمعية مساعدة المدارس الإسلامية) و (جمعية التبليغ الإسلامي) بجهود دعوية مشكورة. وللمسلمين في كمبالا العاصمة ضاحية جميلة تسمى (كبيلي) تشتمل على مركز إسلامي ضخم يقع ضمنه مسكن الأمير بدر بن نوح ومقر الجمعيات الإسلامية ومسجد كبير يقع على قمة هضبة يرى بمآذنه العالية من كل مكان في العاصمة، ومدرسة ثانوية مدنية يطبق فيها المنهج الحكومي إلى جانب تدريس حصص دينية إسلامية ويلتحق متخرجوها بالكليات المدنية، ويزيد طلبتها على ألف طالب، وبعضهم يسميها تجاوزاً الكلية الإسلامية. وهناك مدارس إسلامية وكتاتيب إسلامية كثيرة وهي تشمل المدارس المدنية، للبنين والبنات التي تسير وفق المنهج الحكومي إلا أنها تدرس حصصاً إسلامية إضافية وهذه أكثرها للمسلمين من الهنود، وتساهم الجمعية الإسلامية لشرقي أفريقية بالإنفاق عليها إلى جانب المصروفات الشهرية التي تتقاضاها من الطلاب والطالبات، وهناك مدارس وكتاتيب إسلامية خالصة زارت البعثة وتفقدت منها في نطاق إمكانياتها الزمنية عدداً لا بأس به في مختلف مناطق أوغندة ومنها:

أ- مدرسة التذكرة الإسلامية، ومديرها الشيخ زبير بن شعيب، عدد طلابها (١٢٥) وعدد مدرسيها (٦) وفصولها (٥) وعمارتها موقوفة عليها من قبل الجمعية الإسلامية الأوغندية.

ب- مدرسة الدين والتهذيب: في كتومو، وقد سبق الكلام عليها في اليوميات.

ج- مدرسة التقوى الإسلامية: في كبيجي، مديرها الشيخ طه موسى طلابها (٢٥٠) ومدرسوها (٨) وهي تدرس اللغة الانكليزية إلى جانب العلوم الدينية والعربية، وتعتبر مدرسة تحضيرية، وبجانبها مسجد يصلي فيه الطلبة، ويقوم صاحبها بإيواء الأحداث الذين يدخلون في الإسلام حيث يوزعهم على جماعة من المسلمين فيعولونهم ويدرسونهم في مدرسته حتى يتخرجوا فيصبحوا دعاة للدين، وهي تقوم على ما تحصله شهرياً من الطلبة القادرين وعلى تبرعات المحسنين.

د- مدرسة الدين والتهذيب بمنطقة كيمانيا، مديرها الحاج راشد جابر مدرسوها (٦) وطلبتها (٢٤٥).

هـ- المدرسة الإسلامية: في بامنانكا، أسسها الشيخ محمد إبراهيم رئيس القضاة عدد طلبتها حوالي (١٠٠) وعدد مدرسيها (٣).

هذا وهناك عدد من المدارس في المناطق النائية تحققت البعثة من حاجتها إلى المساعدة، ولم تستطع الدخول إليها ضمن المدة المحدودة لإقامتها في أوغندة.

وهناك نشاط معاد للإسلام يتمثل في الجهود الكبيرة التي يبذلها المبشرون لتنصير الوثنيين وصدهم عن الإسلام إلى جانب الدعوات التي تقوم بها بعض الجهات التي تتستر باسم الإسلام كالقاديانية والإسماعيلية، وهناك

نشاط صهيوني أخذ يتسع على أيدي الخبراء والمستشارين العسكريين والمدنيين من الإسرائيليين الذين أخذ يتزايد عددهم منذ الاستقلال.

ولا بد هنا من التنويه بجهود شخصية لأحد الدعاة العظام إلى الإسلام في أوغندة، إنه الحاج موسى كسولي.

إنه حي يرزق، ولد مسيحياً، ولبث كذلك حتى بلغ الثلاثين من عمره فأسلم وحسن إسلامه، وكان ثرياً فأنفق جزءاً كبيراً من ثروته على الشؤون الإسلامية، ويكفي أن نعلم أنه ـ وحده ـ بنى عدة مساجد كبيرة بالإسمنت المسلح، وليس ذلك فحسب، بل إن كل مسجد يبنيه يبني له عمارة مكونة من حوانيت وشقق للإيجار ويوقف على مصالح المسجد، لكي يكون له موارد ثابتة.

وكان من آخر ما فعله في هذا الصدد أن اشترى قطعة أرض في مكان يبعد (٥) أميال من العاصمة (كمبالا) تبلغ مساحتها خمسة أفدنة، بنى فيها مسجداً جامعاً ومدرسة إعدادية داخلية يتعلم فيها الطلبة العلوم الإسلامية، وأوقف الأرض على المدرسة والمسجد، كما أنه قام أخيراً بمشروع يرمي إلى فتح مدارس نسائية لتعليم الدين الإسلامي، وقد زاد ما فتح من تلك الكتاتيب على مائتي مدرسة.

ويقول الحاج موسى كسولي عن نفسه أن أمنيته أن يدفن في المدينة المنورة، وقد خصص لذلك مبلغاً من المال وأودعه في البنك يكفي لنقل جنازته مع مرافقه من أوغندة إلى المدينة المنورة.

* **حالة المسلمين المادية:** يشتغل معظم المسلمين بالزراعة، وبعضهم يعتبرون ملاكاً للأراضي الزراعية الخصبة، كما أن بعضهم قد انخرطوا في سلك الوظائف الحكومية. وإذا استثنينا القلة القليلة من المتعلمين تعليماً

عصرياً من المسيحيين الأوغنديين الذين أصبحوا موظفين في الحكومة أو في الشركات فإن حالة المسلمين المادية تبدو أحسن من حالة المواطنين الأفريقيين الآخرين سواء من المسيحيين أو الوثنيين، ولكن يجب أن يكون ذلك بعد إخراج الأوروبيين والهنود من هذا التفاضل لأن هؤلاء هم الذين بيد هم أزمة التجارة والاقتصاد.

ولكن مركز المسلمين الاجتماعي في أوغندة مركز محترم ومعترف به من الجميع وهم أحرار لا في أن يمارسوا نشاطهم الديني فحسب؛ بل في أن يدعو غيرهم إليه. وتجدر الإشارة إلى أن معظم قادة الجيش هم من المسلمين.

❊ **الاقتراحات:** إن إمكانيات نجاح الدعوة الإسلامية في أوغندة إمكانيات كبيرة ولذلك يجب بذل المساعدة المادية لأغراض الدعوة والدعاة على أن لا يكون ذلك بشكل مساعدة مادية صرفة قد تصرف في غير ما أريدت له لذلك نقترح ما يلي:

أ- إنشاء مركز إسلامي صغير في كمبالا يتألف من مكتب يتولى الإشراف على توزيع المساعدات المادية على شكل رواتب شهرية للمدرسين، واستئجار بيوت للمدارس ومراكز الدعوة الأهلية، ودفع أجور انتقال للدعاة بعد التحقق من أنهم يقومون بالدعوة على الوجه المرضي، وتوزيع المدرسين والمرشدين الذين يرسلون إلى تلك البلاد من المملكة على المناطق المحتاجة للتعليم الديني هناك.

ب- إرسال عدد من المدرسين والمرشدين المسلمين المتحدثين باللغة الانكليزية والعارفين بالسواحلية لتدريس الدين واللغة العربية في المدارس والكتاتيب هناك، وإرشاد المسلمين عن طريق الخطابة والتذكير في المساجد والمجتمعات، وذلك استجابة للطلبات المتكررة من زعماء المسلمين

ووجهائهم في أوغندة ولسد الحاجة المتزايدة إلى ذلك.

ج- توزيع عدد من نسخ تفسير القرآن الكريم بالإنكليزية ومن الكتب الإسلامية باللغتين الإنكليزية والسواحلية.

و- الإكثار من المنح الدراسية لطلبة اليوغنديين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وغيرها من معاهد التعليم الإسلامية.[1]

* * * * * *

۞ الجمعية الإسلامية السنية:

وبعد العصر توجهنا إلى المنزل الواسع الذي يملكه الشيخ تار محمد رئيس الجمعية الإسلامية السنية لأقاليم رواندا وبورندي والكونغو، وهو باكستاني مسلم يقول إنه تركي الأصل وجميع أعضاء جمعيته من الهنود السنيين. وقد دعا إلى هذا الحفل طائفة من أرباب المذاهب في هذه البلاد من الإفريقيين والعرب والهنود، وقد اشتمل برنامج الترحيب على نشيد بالعربية ألقاه بعض الصبية من أبناء المسلمين هنا وقد لقنوه تلقيناً، وإلا فهم لا يعرفون العربية، ثم تلا طالب إفريقي آيات من القرآن الكريم مرتلة موجودة، ثم تكلم الداعي الشيخ تار محمد كلمة إسلامية غلبه التأثير في آخرها فبكى طويلاً لحالة الإسلام والمسلمين وطلب منا الدعاء في المسجد النبوي الشريف، وكان يتكلم بالأوردية ليفهم الحاضرون من الهنود كلامه، ثم يعيد بالسواحلية ليفهم الإفريقيون كلامه، ثم يترجم لنا أحد العرب العمانيين كلامه للعربية، وقد رددت عليه بكلمة وفي آخرها شكرته على

---

(١) انظر: «في إفريقية الخضراء» للشيخ محمد العبودي (ص:٤٣٣-٤٤٠)، ط: دار الثقافة - بيروت.

حسن ظنه ووعدته بالدعاء له ولإخوانه المسلمين في المسجد النبوي الشريف نسأل الله سبحانه وتعالى أن يقبل منا جميعاً صالح الدعوات. وزارنا تلك الليلة في الفندق كما هي الحال في أكثر الليالي والأيام في بوروندي عدد كبير من إخواننا المسلمين من العرب والإفريقيين الأمر الذي لم يترك لي فرصة كتابة هذه اليوميات بشكل مفصل.

* * * * * *

۞ العرب في بوروندي:[1]

والعرب في بوروندي كثيرون على خلاف ما كنا نعتقده من قبل، وأغلبهم إن لم يكونوا كلهم من العمانيين، ويوجد عدد محدود لا يتجاوز أصابع اليد في بوزمبورا العاصمة من اليمانيين ومثلهم من الحضرميين، ومنظر العرب في بوزمبورا خاصة لا يلفت النظر لكثرتهم، وقد قيل لنا: إن الحال كذلك في أورواندا وإقليمي كيفو وأورينتال في الكونغو وهم محبوبون من الشعب الأفريقي ومعظمهم ميسورو الحال، ومنهم أثرياء ولا تكاد تجد بينهم فقيراً معدماً. ولا يصعب عليك أن تميز الواحد منهم وخاصة الكهول والشيوخ، فهم متمسكون بزيهم العماني الأصيل وقد وفروا لحاهم. أما الشباب والفتيان منهم فقد لبسوا الزي الأوروبي وتعلموا في المدارس الإفرنجية إلا أن بعضهم ممن لم يتيسر لهم تعلم العربية في الكتاتيب والمدارس الإسلامية لا يتكلمون العربية إلا بصعوبة.

---

(١) انظر: «في إفريقية الخضراء» للشيخ محمد العبودي (ص:٤٦٤-٤٦٩)، ط: دار الثقافة - بيروت.

ويقال إن بيوت العمانيين في بوزمبورا تبلغ حوالي ثلاثمائة بيت، مع أنها بلدة صغيرة لا يزيد سكانها على ٥٥ ألفاً.

يوم الثلاثاء: ١٤/ ٦/ ١٣٨٤هـ. ٢٠/ ١٠/ ١٩٦٤م.

أصبحنا ونحن في هم من أمر السفر إذ عدلنا عن السفر إلى اليزابيث فيل في الكنغو بعد أن منعنا إخواننا من العرب العمانيين الموجودون في موزمبورا إشفاقاً علينا مما قد يصيبنا في الكونغو، لأن الكونغو يسودها الاضطراب وعدم النظام، ونظراً لتوتر العلاقات بين الكنغو من جهة وبين حكومة مصر والجزائر من جهة أخرى. وكنا سابقاً قد قررنا السفر من موزمبورا إلى اليزابيث فيل في طريقنا إلى ملاوي، وقد ذكر لنا إخواننا العرب في بوزمبورا أن الكنغويين لا يفرقون بين عربي وعربي، وبأنهم إذا شعروا بعداوة شخص أو أشخاص من البيض لهم فإنهم لا يتورعون عن إلحاق شتى صنوف العذاب بهم. بل إن إخواننا العمانيين ومنهم الشيخ علي محمد الطوقي أخبرونا أنهم كانوا في مدينة كندو في مقاطعة أورنتال في الكنغو عام ١٩٦٢م عندما كانت الثورة ضد البيض على أشدها هناك وإنهم شاهدوا ثلاثة عشر أوروبياً من الإيطاليين نزلوا بطائرتهم في مطار مدينة كندو الذي يسيطر عليه الثوار نزولاً اضطرارياً فأمسك الكنغويون بثلاثة منهم وأججوا لهم ناراً وشووهم قريباً من المطار وأكلوهم كما يؤكل لحم الغنم!!!

إن هذا الخبر غريب جداً؛ ولكن يؤكد إخواننا العمانيون أنهم شاهدوه بأنفسهم، ونحن لا نشك في خبرهم وخاصة إذا عرفنا أنهم إباضية المذهب وأن الكذب عندهم من الكبائر. وقد قالوا لنا إذا لم تصدقوا ما حدث للأوروبيين فإن الذي لا شك أنه سوف يحدث لكم هو الإهانة وسلب المال وربما الحبس أو التعذيب وأنتم في غنى عن ذلك، ولا يمكننا أن نوافقكم

على السفر إلى الكنغو في هذا الوقت بالذات لا سيما أنكم تشاهدون العرب الذين كانوا في الكنغو منذ سنين طويلة قد تركوها الآن ولجاؤا إلى بوروندي هرباً من الاضطرابات وتركوا أموالهم الثابتة هناك وأنتم أولى بتلافي المكروه المحتمل منهم. فشكرنا لهم شعورهم الكريم ووافقناهم على ما ذكروا من أننا في غنى عن أن نعرض أنفسنا للمخاطر وإن كنا نأسف لذلك لأنه يحرمنا فرصة الاطلاع على أحوال المسلمين في تلك البلاد، هذا وقد أخبرني بعض العرب مساء اليوم أنهم سمعوا خبراً من مدينة (قوما) في الكنغو مفاده أن الكنغويين قد اعتقلوا العرب الموجودين هناك مع أنهم عمانيون ليس لهم علاقة سياسية بالحكومة المصرية أو الحكومة الجزائرية.

ومع أننا قد حصلنا أمس على سمة دخول إلى الكنغو من السفارة البلجيكية في بوزمبورا فقد ذهبنا إليها اليوم واستشرنا القنصل البلجيكي في موضوع سفرنا فنصحنا بعدم الذهاب إلى هناك، وكان مما قاله إنني أعرف أن القلاقل الموجودة هي بسبب خلافات بين حكومتي مصر والجزائر وبين حكومة الكنغو، وإن الحكومة السعودية ليس لها علاقة سياسية بهذا الخلاف؛ ولكن الكنغويين لن يفطنوا إلى هذا فهم لا يفرقون بين عربي وآخر في هذا الموضوع.

وهكذا عدلنا عن السفر إلى الكنغو، وذهبنا نلتمس طريقاً آخر للسفر، ولكن بورندي صغيرة ولا تغادرها طائرات إلى الخارج إلا مرتين في الأسبوع، كما أن الطرق البرية كلها مقطوعة أو مخيفة نظراً لوجود الاضطرابات في ما حول تلك البلاد في رواندا والكنغو، وحتى طريق السفن عبر بحيرة تنجانيقة من بوزمبورا قد توقف بل إن الاتصالات بين

مدينة بوزمبورا ومدينة (اوفيرا) في الكنغو قد قطعت مع أن المسافة بينهما لا تزيد على خمسة وعشرين كيلو متراً عبر مياه بحيرة تنجانيقة كل ذلك بسبب الثورة القائمة في الكنغو.

وقد ذهبنا إلى شركة سابينا البلجيكية للطيران فقال لنا الموظف فيها وهو إفريقي إنه لا توجد أماكن، ولما آيسنا نادانا؛ وقال لنا بصريح العبارة: إذا أعطيتموني (٥٠٠) فرنك فإني سأجد لكم مقاعد وإلا فلا، ولما مانعنا في إعطائه المبلغ احتد وقال: ما دمتم لم ترضوا بدفع هذا المبلغ فلا أقنع منكم إلا بثمانمائة فرنك! وقد حاولنا أن نثور عليه، ولكن كيف؟ إن هذه البلاد صغيرة والطائرة التي تغادرها إلى نيروبي واحدة ولا تطير طائرة أخرى إلا بعد خمسة أيام، فكيف نسجن أنفسنا ونعطل أعمالنا؟ وكان مترجمنا رجلاً يماني الأصل أفريقي المولد والأم يسمى يحيى عبدالعزيز وهو الذي يسعى معنا في أمور السفر جزاه الله خيراً، وكان يحدث الموظف بالسواحلية ثم يترجم حديثه إلينا بالعربي مع أنه أي المترجم لا يعرف من العربية إلا قليلاً، ولم يكن في مكتب الشركة كما هي الحال في أكثر المكاتب والدوائر الرسمية هنا من يعرف الإنكليزية، وقد قلت لمترجمنا أنني أرى أن نشكو هذا الموظف إلى رؤسائه البلجيكيين في شركة الطيران فقال: إنني لا أرى فائدة من ذلك لأنهم شركاء له في الرشوة، ألم تسمعه يتحدث معنا بصريح العبارة على مسمع من الموظفين والموظفات البلجيكيات في المكتب! وهذا أمر عجيب كيف يسكت أولئك الأوروبيون الذين يدعون المدنية والتهذيب على أن يأخذ الموظف عندهم المال من الناس علناً بغير حق.

وهكذا رضخنا للأمر، وسلمناه ثمانمائة فرنك بورندي وهي تساوي بالصرف الرسمي أربعين ريالاً سعودياً لأننا خشينا إن لم نسلمها له ألا يحجز

لنا أماكن حتى ولا يوم الأحد القادم. إن المبلغ ليس كبيراً ولكنه أخذ منا بالإكراه وبغير حق، وهذا شاهد من الشواهد على أن البلجيكيين وتلامذتهم من الإفريقيين في مستوى منحط من الأخلاق، وقد (قطعنا) تذاكر إلى مدينة نيروبي عن طريق (انتيبة) في أوغندة ومن نيروبي تنوي السفر إلى (اندولا) في روديسية الشمالية.

ومن الشركة قصدنا الفندق ووزعنا مبالغ مالية على بعض الجمعيات والمدارس الإسلامية على عجل حيث لم يبق على سفرنا بالطائرة غير ساعتين.

* * * * * *

۞ سرقوا حقيبتي من جمرك المطار:[1]

كنت أشعر ببقايا إسهال أصبت به في أوغندة مع بقايا أنفلونزا، وكنت لذلك متعباً، وزادتني حالة الطائرة تعباً، وكنت خائفاً من التفتيش في بوزمبورا لأنني أحمل مبالغ طائلة من الجنيهات الإسترلينية ولم أكن أخشى عليها من الإجراءات الرسمية فدخولي بها شرعي لا غبار عليه، ولكنني أخشى من أن يكون اكتشاف تلك المبالغ الكبيرة معي سبباً لتدبير جريمة أوسرقة ضدي، ومع ذلك فقد نزلت الطائرة في المطار وذهبنا إلى موظف الجوازات ولم نكن نعرف الفرنسية ولا السواحلية التي لا يحسن الموظفون غيرهما، تولت مساعدتنا في الترجمة من الفرنسية إلى الإنكليزية امرأة أوروبية كانت قادمة معنا بالطائرة، وفي تلك الأثناء كان من انتهى من موظف الجوازات من المسافرين يذهب عند موظف الجوازات، قال لي الأستاذ عبدالله الباحوث: إن حقائبنا قد حضرت، وهي موجودة الآن على منصة

---

(١) انظر: « في إفريقية الخضراء » للشيخ محمد العبودي (ص:٤٧٦-٤٧٨)، ط: دار الثقافة - بيروت.

التفتيش في الجمرك، ثم قال لي بعد ذلك وهو منفعل: إن حقيبتك قد اختفت، فتركت الجوازات بعد أن أنهيت الختم منها وذهبت أفتش عن حقيبتي في الجمرك فلم أجدها، ولما لاحظ الموظفون اضطرابي سمحوا لي بالخروج قبل تفتيش الحقيبة اليدوية التي فيها الأوراق الهامة والصكات المالية، وعندما خرجت إلى ساحة المطار الداخلية وأنا على تلك الحالة حاولت التفتيش عن حقيبتي المفقودة مع الركاب الذين خرجوا من الجمرك قبلي فلم أجد لها أي أثر، ثم عدت ثانية إلى الجمرك فلم أجدها. وقد وجدت في المطار ثلاثة من إخواننا المسلمين السنغاليين الذين جاؤوا إلى بوزمبورا للتجارة في ألماس بين الكنغو وبورندي وهم يتكلمون العربية بصعوبة، فشرحت لهم موضوع الحقيبة فذهبوا معي إلى الموظف المسؤول في مكتب شركة شرق أفريقية في المطار وشرحوا له الموضوع بالفرنسية فطلب مني إقراراً بما تحتويه الحقيبة ورقم الإيصال الذي أحمله ثم قال: إننا سوف نبرق إلى جميع محطات الطيران التي تتعامل مع مطار أنتيبة فربما تكون الحقيبة هناك وقد أرسلت إلى مطار آخر فقلت له: إن صاحبي قد رآها في جمرك مطار بوزمبورا ومعنى هذا أنها فقدت وهي في عهدتكم بعد إنزالها من الطائرة فقال: ربما يكون صاحبك غير متأكد، ومع ذلك يمكنك أن تراجعنا ظهر يوم الاثنين القادم حيث إن الغد عطلة.

وهكذا ركبنا سيارة إخواننا السنغاليين من المطار إلى فندق (بقداس) في بوزمبورا وهو أكبر الفنادق فيها وكانت جميع ملابسي وحاجاتي بما في ذلك جهاز الراديو وبعض الأدوية وحتى بعض مذكراتي اليومية في أخريات أيامي في كينية وأوغندة في الحقيبة المفقودة.

* * * * * *

۞ البهوت والأطوس:

يسكن بورندي ورواندا جنسان من الناس أحدهما يقال لهم الأطوس، وهم طوال الأجسام شم الأنوف، واسعو العيون يكادون يشبهون الصوماليين وهم الأقلية في القطرين ولكنهم كانوا أصحاب الحكم والصولجان، ومنهم الوزراء والزعماء وقواد الجيش.

والجنس الثاني البهوت وقد يقال لهم (الهوهوت) وهم قصار القامة فطس الأنوف، يشبهون إلى حد ما أهالي شرق الكنغو، بل هم يقولون إنهم وأهالي شرق الكنغو من عنصر واحد وهم الأكثرية في القطرين ولكنهم كانوا المحكومين في السابق، إلا أنهم ثاروا على الأطوس في رواندا بعد حصول البلاد على الاستقلال وشردوا عشرات الألوف منهم و عاملوهم بوحشية حتى مات بعضهم جوعاً ولجأ بعضهم إلى بورندي المجاورة التي لا يزال يحكمها الأطوس.

* * * * * *

۞ الخدم بالمجان:

ليس هناك أزمة خدم في بوزمبورا بل في بلاد بورندي ورواندا جميعها فقل أن تجد شخصاً من العرب أو الأوروبيين إلا ولديه جماعة من الخدم، وقد سألنا عن السبب فعرفنا أن ذلك راجع إلى رخص الأجرة، ويكفي أن تعرف أن الخادم ولو كان رجلاً بالغاً يمكنه أن ينفق في خدمتك من الفجر حتى الغسق بل وإلى أن تصرفه ولا يتقاضى عن ذلك إلا ثلاثمائة فرنك في الشهر أي ما يساوي (١٥) ريالاً سعودياً بالصرف الرسمي. وقد وجدت عند الأخ الشيخ محمد الطوقي عدداً من الخدم الإفريقيين الذين يحسنون

الكتابة ويقيدون ما يستلمونه منه من البضائع في أول النهار ثم يقدمون كشف حساب بقيمة ما باعوه من البضائع وما تبقى منها لديهم، فذكر أنه يعطي الواحد منهم عشرين فرنكاً بورندياً في اليوم أي ريالاً سعودياً وربعاً في السعر الرسمي مع أنهم كما قلت لديهم خبرة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وقيد القيمة واستلام الثمن، ولهذا السبب تجد الخدم في بعض البيوت أكثر من عدد سكانها الأصليين، وهم على طاعة عجيبة وانقياد كامل لا يكاد السيد يشير إليهم حتى ينطلقوا كالسهام منفذين أمره، ولو كان ذلك وقت المطر أو اشتداد حرارة الشمس، وقد قيل لنا: إن الخدم كانوا في الماضي أقل أجوراً منهم الآن.

* * * * * *

۞ الأجانب في بورندي:[1]

كان أكثر الأجانب في بورندي قبل الاستقلال الأوروبيين يليهم الآسيويون. والأولون يشملون البلجيكيين من الحكام واليونانيين من التجار وغيرهم، أما الآسيويون فهم الهنود والعرب. وقد تناقص عدد الطوائف كلها من الأجانب ما عدا العرب، فرحل البلجيكيون إلا القليل وكذلك فعل أكثر الهنود، وعدد الموجودين من اليونانيين والهنود يتناقص كل يوم، منذ إعلان الاستقلال حتى الآن.

* **الدعوة الإسلامية في بورندي:** يصح القول بأن المسلمين في بورندي حديثو العهد بالإسلام ويقل في الأفريقيين من جده مسلم؛ وإنما

---

(١) انظر: «في إفريقية الخضراء» للشيخ محمد العبودي (ص:٤٨٩-٤٩٠)، ط: دار الثقافة - بيروت.

المسلم من أسلم بنفسه أو هو وأبوه أو أبوه فقط، ومع ذلك فإن النشاط الإسلامي هناك وخاصة من الأفريقيين لا بأس به على قلة الإمكانيات وضعف مستوى التعليم وضحالة الثقافة الإسلامية والعربية.

وكثيراً ما يدخل أفراد وطوائف من الأفريقيين في الإسلام بسبب جهود المسلمين الأفريقيين هناك. وقد ساعد الأفريقيين على ذلك موقف الحكومة الحاضرة في بورندي حيث تقف من المسلمين موقفاً ودياً. وتمنح لهم ولكل داع إلى الإسلام الحرية الكاملة، وتفتح بلادها لكل لاجيء من رواندا أو مناطق الاضطرابات في الكونغو وخاصة من العرب العمانيين هناك. كما أنها تسمح بتخصيص فترة من الوقت في الإذاعة الحكومية في بوزمبورا للمسلمين مساء كل خميس لمدة نصف ساعة يذيعون فيها الإرشاد الديني الإسلامي.

* **الجمعيات الإسلامية:** يوجد في بورندي ثلاث جمعيات إسلامية:

إحداها: (جمعية المسلمين السنيين) وهي وإن كان اسمها عاماً فإنها تقتصر على المسلمين السنيين الهنود ويرأسها الشيخ ثار محمد سليماني وهو باكستاني الجنسية، ونطاق جهودها محدود بسبب قلة عدد أعضائها وضعف مواردها.

والثانية: (الجمعية الإسلامية الأفريقية) وتعرف اختصاراً باسم (امبو) ويرأسها الشيخ جمعه ابن بلال، وهي تعنى بشؤون المسلمين الأفريقيين، وتجمع التبرعات لبناء المساجد وترميمها ولمساعدة الكتاتيب الإسلامية الأفريقية، ويمكن القول بأن أكثر الأفريقيين يثقون بهذه الجمعية؛ فهي بحق جديرة بالمساعدة والتعضيد، وقد ذكر لنا رئيسها أنهم كتبوا لبعض البلاد العربية يطلبون إرسال عدد من المرشدين والمدرسين لتبصير المسلمين وللتبشير

بالدين الإسلامي، ولكن لم يستجب لدعوتهم غير المملكة العربية السعودية.

والثالثة: (جمعية الطلبة الأفريقيين المسلمين) ويرأسها الحاج سعيد جمعه مهيهي، وقد سبق له أن أدى فريضة الحج واتصل بالرابطة الإسلامية طالباً تزويد بورندي بمرشدين ومدرسين ومساعدة الجمعية الإسلامية المذكورة كما كتب للجامعة الإسلامية في هذا السبيل وهو شخصية محترمة، ولوجوده على رأس الجمعية المذكورة فائدة كبيرة لشخصيته القوية.

* **التعليم الإسلامي:** لا يوجد في بورندي تعليم إسلامي نظامي بالمعنى المعروف؛ ولكن يوجد عدة مدارس وكتاتيب يتعلم فيها أطفال المسلمين إما كطلبة منتظمين وإما كطلبة يحضرون في غير أوقات الدراسة في المدارس الحكومية النظامية أي بعد العصر وفي العطل الأسبوعية. ومع ذلك فتلك الكتاتيب الإسلامية لا تحظى بمساعدة تذكر، لذلك فإن مستواها من حيث البناء والتجهيز منخفض، ومدرسوها قلة، وتلاميذها معظمهم من الفقراء ما عدا الكتاتيب العربية حيث يكون مستوى المدرسة المادي أعلى من ذلك وحيث يكثر الطلبة في المدرسة بعد العصر، وقد تفقدت البعثة الكتاتيب الإسلامية وقدمت لها مساعدات مادية كما خصصت لها عدداً من الكتب والأجزاء القرآنية الكريمة.

* **النشاط المعادي للإسلام:** لا يوجد عداء مباشر للإسلام ولكن توجد في بورندي حركة تبشيرية كبيرة حتى أصبح عدد المؤسسات التبشيرية في العاصمة بوزمبورا وحدها أكثر من (٢٠) مؤسسة مع أن عدد سكانها لا يزيد على (٤٥) ألفاً، ومن بين تلك المؤسسات المدارس الكبيرة التي تضم الأقسام الداخلية والمستشفيات الكاملة التجهيز، وتبدو إحدى هذه المؤسسات التبشيرية لكل امرئ يصل بوزمبورا وهي كلية لتخرج المعلمين

على جبل مطل على العاصمة. كما يوجد نشاط صهيوني كبير في الميدان التجاري، ويملك اليهود عدة شركات ومحلات تجارية منها شركة لتصدير محصول البلاد من البن بعد طحن قسم منه وتعليبه.

*** الاقتراحـــــات:**

أولاً: فتح مركز إسلامي في العاصمة بوزمبورا يضم قاعة محاضرات ومدرسة لإعداد معلمي الدين الإسلامي واللغة العربية، ويضم عدداً من المرشدين لا يقل عن خمسة على أن يكون أولئك المدرسون ممن يعرفون الفرنسية أو السواحلية إذ لا تكفي معرفة الإنجليزية لعدم شيوعها هناك. وعلى أن يزودوا بإمكانيات مادية تكفي لتشجيع الدعوة ومساعدة الدعاة في بورندي وغيرها من البلدان المجاورة لإقليمي كيفو وأرينتال في الكنغو وجمهورية رواندا. ويكون بمجموعه بمثابة مركز انطلاق للدعوة الإسلامية في تلك الجهات.

ب- تخصيص عدد كاف من المنح الدراسية في الجامعة الإسلامية وغيرها من المدارس الحكومية في المملكة لطلبة المسلمين من بورندي والجهات المجاورة لها حتى يعودوا إلى بلادهم بعد ذلك مرشدين وموجهين.

ج- مواصلة إرسال المساعدات المادية العاجلة للجمعيات والهيئات والكتاتيب الإسلامية ضمن المساعدات المادية المطلوب إرسالها إلى جهات شرقي إفريقية.

* * * * * *

جبل كليمنجارو:[1]

وبعد أن مضى على مغادرتنا مطار نيروبي (٣٥) دقيقة جاء المضيف وأخبرنا أن الطائرة سوف تمر في قمة جبل كليمنجارو الشهيرة، وهي أعلى قمة في أفريقية ويبلغ ارتفاعها أكثر من (١٧) ألف قدم، وقد تحولنا عن مقاعدنا إلى الجانب الآخر من الطائرة فأخذنا نشاهد الجبل العظيم وهو يرتفع شيئاً فشيئاً مع قرب الطائرة منه، والسحاب يجلله صاعداً معه، ثم يقف السحاب دون هامته العالية، التي ازدانت بقلنسوة بيضاء من الثلج الدائم، وهي تلمع في ضوء الشمس، وقد شاهدنا الثلج ينضح منه الماء منحدراً إلى سفح الجبل. وفي الهامة المستديرة المستوية تقع فوهة بركان واسعة باطنها يبدو لنا مظلماً كأنما هي البئر المطوية في جوف الأرض في الصحراء.

إنه لمنظر رائع جميل لا يحلم المرء برؤيته لأن معظم الطائرات كانت تمر به من بعد، أما قائد طائرتنا فقد تعمد المرور بقربه، والدوران حول قمته، ثم انحرف إلى الخط المقرر بعد أن أمتع الركاب برؤيته.

وقد قدم المضيف للركاب شطائر من لحم الخنزير وقال لنا مقدماً إنها لحم خنزير، وأنا أعرف أنكم مسلمون لا تأكلونه، وسوف نعوضكم عن ذلك، ثم أحضرت المضيفة شيئاً من البسكوت وأنواعا أخرى من الحلوى.

والحقيقة أن تلك الطائرة طائرة الصداقة لها من اسمها نصيب، فقد نشأ بين ركابها ما يشبه الصداقة عندما مررنا بجبل كليمنجارو وخرج بعض الأوروبيين عن تزمتهم وأخذوا يشيرون إلى بعض النقط التي تسترعي الانتباه في قمة جبل كلمينجارو ويوضحونها لنا. هذا وقد مررنا بعد ذلك

---

(١) انظر: « في إفريقية الخضراء » للشيخ محمد العبودي (ص:٥٠٥-٥٠٧)، ط: دار الثقافة - بيروت.

بعدد من الجبال الشاهقة والقمم المرتفعة وبعضها فوق مستوى السحاب إلا أنها ليست في روعة (كليمنجارو) ولا في سموقه. وقد خفت كثافة السحب فأصبحنا نرى الأرض من تحتنا جبلية قليلة الخضرة نسبياً، ولا غرو فنحن الآن فوق أرض المراعي التي تقطنها قبائل الماساي الرعاة المشهورين. وبعد أن أمضينا ساعة وربعاً وأصبحنا نطير على ساحل المحيط الهندي، أشار المضيف إلى الأفق الشمالي وقال هنا جزيرة زنجبار فرأيناها على البعد ولكننا لم نتبيّن من معالمها شيئاً، وبعد قليل لمحنا مدينة دار السلام وهي تقع في منطقة خضراء ولكنها ليست في كثافة خضرة أوغندة.

* * * * * *

۞ أسباب كارثة زنجبار:

منذ وصلت إلى شرق أفريقية وأنا أتحدث مع كل من أحسست منه حسن تقدير للأمور وبصر ببواطنها من العرب والأفريقيين أسألهم عن الأسباب الحقيقية لكارثة زنجبار التي أطاحت بعد أقل من شهر على حصول البلاد على استقلالها بالحكم العربي هناك، وألحقت بالعرب أضراراً مادية ومعنوية لا يمكن تقدير مداها.

وقد اتضح لي من مجموع ما استقريته من الأمور ما يلي:

أولاً: إن بعض العرب كانوا يحكمون في زنجبار بدون أن يختلطوا بالأفريقيين ويمتزجوا سياسياً معهم فكان الأفريقيون ينظرون إليهم لهذا السبب نظرتهم إلى حكام أجانب يجب التخلص منهم.

ثانياً: أن هناك رواسب قديمة من مشاعر الكراهية للعرب تولد معظمها من كون بعض العرب والآسيويين ممن لا يتقيدون بأحكام الشريعة الإسلامية ولا يميزون بين الحلال والحرام فيها كانوا يتاجرون بالرقيق ليس

ذلك فحسب؛ بل إنهم كانوا في بعض الأحيان ينهبون الأفريقيين ومنهم مسلمون ويبيعونهم في الخارج ويفرقون بذلك بين المرء منهم وزوجه وأهله وذويه، وطبيعي أن مثل تلك المشاعر المهتاجة لا تفرق بين الجاني وغير الجاني من العرب.

ثالثاً: أنه عند وصول الانكليز إلى زنجبار بعد أن عقدوا معاهدة حماية مع سلطانها وفدت معهم الثقافة الغربية التي منها حرية الصحافة والتعبير؛ فاستطاع أن يسيطر على الدعاية والإعلام أناس من الأوروبيين وغيرهم من الحاقدين على الإسلام والعرب؛ فجعلوا على المدى الطويل يظهرون العرب للأفريقيين على أنهم أناس غزاة مغامرون وصلوا إلى إفريقية لهذا الغرض، كما شرحوا بطريقة مبالغ فيها ما كان العرب يزاولونه من تجارة الرقيق هناك. وقد استطاعوا على مر السنين أن يسمموا أفكار الأفريقيين في نفس الوقت الذي لم يكن فيه العرب يعنون بالرد على تلك المفتريات بل لم يكونوا يعنون بالدعاية السياسية أصلاً.

رابعاً: إن ريح الوطنية الأفريقية قد هبت على زنجبار من سائر أنحاء القارة الإفريقية، وتلك الروح الوطنية ترى الحكام العرب عنصراً خارجاً عن نطاق القومية الإفريقية، وذلك لأن العرب يتميزون بلونهم وعرقهم عن الإفريقيين، ولم يوفقوا إلى أن يفصحوا عن صلات القربى التي كانت تصلهم بهم على مر العصور.

خامساً: تسلسلت اليسارية بل الماركسية والأفكار المستوردة من خارج القارة الإفريقية إلى زنجبار فأخذت تصور الحكام العرب في زنجبار لا للإفريقيين فحسب بل ولبعض العرب بأنهم حكام إقطاعيون مستبدون يجب القضاء عليهم وإسقاط حكمهم تحقيقاً للأهداف اليسارية.

فاجتمعت الماركسية المتعصبة ضد الإسلام مع القومية الأفريقية المتعصبة ضد العرب بعد أن غذتهما العوامل التي ذكرتها على نكبة العرب في ذلك المكان الذي حكموه مئات السنين، وكان لهم شرف طرد البرتغاليين منه بعد أن عاث هؤلاء البرتغاليون فيه فساداً وإفساداً. والمؤسف في الأمر أنه قد ذهبت في تلك العاصفة الهوجاء دماء عربية بريئة، وأهدرت كرامات عزيزة، وكان من أبرز ما في ذلك هتك أعراض الأسر العربية الكريمة من الرعاع والسوقة حتى أصبحت أسر عربية كريمة بين ليلة وضحاها تتكفف الناس لكي تعيش، بعد أن كانت تنعم بالكرامة والعيش الرغيد، وأصبحت بعض كرائم وعقائل العرب إذا وجدت من يمن عليها بالملجأ والعيش عيشة الخدام، فإنها تشعر بأنها قد حصلت على خير كثير.

*** والآن ما هي الحالة في زنجبار؟**

يقول العارفون بالأمور أن الله سبحانه وتعالى قد ابتلي الزنجباريين الآن بالخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات.

فقد جاء إلى الحكم أناس لا يعرفون أساليبه ولا يقدرونها حق قدرها، فأساءوا إدارة البلاد، ونهبوا خيراتها فلم يبق لعامة الناس إلا الخوف والإرهاب، وأصبحت زنجبار بعد أن كانت تسمى جزيرة الأحلام، لأنها كانت آمنة مطمئنة تعيش الكراهية والحرمان والتعصب حتى بين صانعي النكبة أنفسهم.

* * * * * *

۞ على قمة جبل زومبا في مالاوي:

خرجنا مع أحد الإخوان الهنود بصحبة الأخ فاروق سليمان سكرتير الجمعية الإسلامية الآسيوية هناك في جولة حول مدينة زومبا صعدنا بعدها إلى قمة جبل زومبا التي ترتفع فوق سطح البحر (٨٠٠) قدم، وكان الطريق

ضيقاً محفوفاً بالمهاوي يضيق في منتصفه حتى يصبح لا يتسع لأكثر من سيارة واحدة، وقد أعدت الحكومة نظاماً لتفادي تلاقي السيارات في الطرق فجعلت نصف ساعة للقادم ونصف ساعة للذاهب بمعنى أنك إذا وصلت في الساعة السادسة والنصف ودقيقة واحدة فعليك أن تقف حتى تبلغ الساعة السابعة وهكذا. كان منظر مدينة زومبا من الجبل رائعاً بل كان المنظر كله رائعاً لأن الجبل مغطى بأشجار الأخشاب الكبيرة وفي سفوحه تنمو بعض المحاصيل مثل الذرة و غيرها، وكان الجو غائماً والمطر يتساقط رذاذاً خفيفاً. والأرض الواقعة تحت أعيننا خضراء، تلالها ووديانها، ووصلنا إلى قمة الجبل حيث يوجد هناك فندق أوروبي، وقد حان وقت صلاة المغرب فوقفنا بالقرب من منبع نهر زومبا ولجريانه حفيف لطيف، وهو بارد الماء شديد البرودة، فتوضأنا منه وصلينا هناك على إحدى صخور قمة الجبل التي قد غسلتها الأمطار غسلاً، وماء النهر صاف زلال.

وبعد صلاة المغرب طفنا قليلاً في الاتجاهات المختلفة في تلك القمة والجو بارد هناك، وقد بدت أنوار مدينة زومبا متلألئة تخفت أحياناً بسبب الرذاذ، وفي هذا الجو البارد تطرق الحديث مع أصحابنا إلى موضوع أسباب ألوان الناس، ولماذا أصبح الأسود أسود، والأسمر أسمر والأبيض أبيض، وهل مرد ذلك إلى الطقس وإذا كان الأمر كذلك، وهو ما يقول به أكثر العلماء؛ فإن أمثال هذه البلاد طقسها معتدل وهي لا تقع في المنطقة الاستوائية بل تقع على خط العرض الرابع عشر أو الخامس عشر جنوباً ومع ذلك فأهلها سود الألوان ولهم تقاطيع الزنوج الكاملة، وقد يقول من يؤمن بأن جميع أسباب اللون ترجع إلى الطقس: إن أولئك كانوا قد قدموا من المناطق الاستوائية شمالاً وعاشوا في هذه البلاد مدداً لا تكفي لتغيير ملامحهم كما هي الحال

بالنسبة للزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية وفي إفريقية الجنوبية، ولكن هذا يحتاج إلى دليل. هذا وتبلغ المسافة من سفح الجبل إلى قمته ١٤ كيلو متراً، وقد أراد صاحبنا أن يزيد من مجاملته لنا فأخذ يدير جهاز الراديو على المحطات العربية وإن كان لا يفهم من العربية حرفاً فاستمعنا إلى نشرة أخبار وغيرها من عدد من الإذاعات العربية التي كانت تسمع في هذه البلاد على الرغم من بعد المسافة بسبب ارتفاعها.

* * * * * *

۞ هل نحن سعوديون حقاً؟..

مديرة الفندق الذي نسكن فيه في دوديسيا عجوز إيطالية ما أن رأت كتاباتنا على سجل الفندق بأننا من المملكة العربية السعودية حتى بانت عليها الدهشة ولكنها لم تذكر لنا شيئاً حتى جاءت المناسبة في هذه الليلة عندما عدنا وأخذت تحدثنا حتى قالت: لم أكن أتصور أنكم من سكان الجزيرة العربية لأنكم بيض الألوان وسكان الجزيرة فيما أعتقد ليسوا من البيض فأخبرتها بأننا في الجزيرة العربية ديننا الإسلام ولا نلقي إلى اللون بالاً وإنما نزن المرء بأعماله وبقدر ما يحسن وما يقدمه من عمل، وعلى ما في هذه الإجابة من عدم المجاملة لها فإنني قد ركزت عليها ولم أر أن تفوت هذه المسألة بغير أن أبين موقف الإسلام منها.

وهكذا نجد الأوروبيين في هذا الجزء من إفريقية شديدي الحساسية بالنسبة إلى اللون. ولا غرو فإن السياسة الرسمية للأوروبيين في روديسية وفي جمهورية جنوبي أفريقية هي سياسة التمييز العنصري.[1]

---

(١) انظر: «في إفريقية الخضراء» للشيخ محمد العبودي (ص:٦٧٥-٦٧٦)، ط: دار الثقافة - بيروت.

۞ سد ماكلاوين :

حملنا السيد علي آدم بعد ظهر اليوم بسيارته في نزهة فيما حول مدينة سالسبوري فذهبنا حوالي ٢٦ كيلو متراً جنوباً حيث سد ماكلاوين الذي أقامه الإنكليز ليحجز خلفه المياه الضرورية لتغذية مدينة سالسبوري، وهو سد كبير أقيم على واد بين جبلين وجهز إلى ذلك بجميع ما يجعله صالحاً لقضاء الإجازات الأسبوعية فهناك الأشجار الوارفة الظلال، وهناك ظهر السد وجوانبه حيث تقوم البلدية على الدوام بتنظيفه وتعهده، كما أن كثيراً من الناس يقضون إجازاتهم في صيد السمك من البحيرة التي تكونت، وهي بحيرة واسعة لا يدرك البصر لها حدا، وتخرج منها أنابيب كبيرة إلى محطة التصفية قرب مدينة سالسبوري والباقي يخرج من السد على شكل نهر صغير. والواقع أن المرء لا يستطيع أن يصف روعة المنظر هنا فالماء الجاري والظلال الكثيفة والجو الذي كان غائماً والنسيم العليل، وعظمة الفن في بناء هذا السد كل ذلك شيء معجب مطرب. وزاد المنظر روعة أن أقبلت أسراب هائلة من الطيور البيض التي نسميها عندنا في المملكة (الغرانيق) والتي نصطادها عندما تمر علينا في هجرتها إلى أوروبة مرتين كل عام واحدة في الذهاب، والأخرى في الإياب، وقد تحققت مما ذكره العلماء من أنها تعيش في منطقة جنوب إفريقية ابتداء من روديسية حتى نهاية الجنوب وقد أقبلت تلك الطيور في أسراب متعاقبة كل سرب حوالي ثلاثمائة طائر ولعلها ذاهبة إلى أوكارها للنوم لأن الوقت الآن قبل الغروب. والطريق إلى السد من سالسبوري عجيب فهو جزء من خط مسفلت يدعى خط القاهرة - كيب تاون، أو (كايرو رود) كما يسمونه، وقد كان جزءاً من مشروع إنكليزي سابق لربط القاهرة في شمالي إفريقية بمدينة كيب تاون في أقصى جنوبها بخط

مسفلت واحد، عندما كانت إنكلترا تملك من القارة الإفريقية من شاطئها الجنوبي إلى شاطئها الشمالي وقد انتهى أكثر من (٣٠٠٠) كيلو متراً من الخط المذكور وانتفعت به أعظم الانتفاع كل من جنوبي إفريقية وروديسية وزامبية.

والخط يخترق منطقة ذات مناظر خلابة من سهول خضراء ذات تربة حمراء إلى تلال كثيفة الأشجار مما جعل المنظر ساحراً حقاً، وقد أخبرني السيد علي آدم أنه بملك منطقة واسعة من تلك الأرض وأنه قد أجر بعض الإيطاليين لزراعتها، وبعضها قد أعد للإيجار إلا أن الوضع الراهن في روديسية قد عاق تقدم الزراعة وجعل بعض الناس لا يقدمون على توظيف أموالهم هنا خوفاً مما يأتي به المستقبل. وقال: إن أكثر بلاد روديسية تشبه هذه المناظر فالأرض غنية بإمكاناتها الزراعية، وغنية بمعادنها أيضاً ولها مستقبل اقتصادي عظيم لأنها واسعة وعدد سكانها لا يزيدون على أربعة ملايين.

ثم أنهى السيد علي طوافه بنا في ريف مدينة سالسبوري الذي يشبه إلى حد ما المنطقة التي كانت للأوروبيين في كينيا لولا أنها في كينيا جبلية وهنا ليس فيها جبال مرتفعة، وطاف بنا أيضاً خلال مدينة سالسبوري بسيارته فظهرت كما وصفتها قطعة من أوروبة وضواحيها، وفيلات غارقة في الحدائق.

۞ صلاة التراويح في سالسبوري:

بعد أن أذن المؤذن لصلاة العشاء مباشرة أقام الصلاة، وبعد الصلاة صلى كل فرد الراتبة ركعتين، وقد غص المسجد بالحضور ما بين كبار وصغار وكلهم خاشع متأوه، وحتى إنني لم ألاحظ أن أحداً قد خرج بعد الصلاة المفروضة بل استمروا جميعاً على البقاء في المسجد، وهكذا ابتدأت التراويح وصلاها الإمام صلاة أصدق ما توصف به أنها صلاة عصر السرعة؛ فقد

كان يوجزها بل يكاد يختصرها، ويقرأ في كل ركعة سورة من الفيل حتى نهاية القرآن، ثم يعود إلى سورة الدين فما بعدها حيث يكرر ما قرأه سابقاً، ثم أوتر بثلاث ركعات متصلة تشبه صلاة المغرب إلا أنه جهر بالقراءة في الثالثة وقبل الركوع سكت وسكت معه الناس هنيهة ظننتهم فيها يقنتون سراً لأنهم أحناف، وهكذا انتهت تراويحهم بسرعة.

ومع ذلك فقد كان المأمومون بعد كل تسليمتين يجهرون ببعض الدعاء الذي يستغرق حوالي دقيقة واحدة، ويتكون من سؤال المغفرة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد خرجنا بعد إكمال التراويح ونحن معجبون غاية الإعجاب بالتفاف القوم على إفطارهم في المسجد، وبتربيتهم أولادهم تربية إسلامية حتى على إكمال صلاة التراويح.

* * * * * *

۞ خاتمة:[1]

في ختام حديثنا عن الشؤون الإسلامية في إفريقية نقترح ما يلي:

أولاً: إيجاد دائرة خاصة في كل بلد إسلامي تسمى: (دائرة الاتصال بمسلمي إفريقية) أو ما يقرب من مدلول هذا الاسم تكون مهمتها العمل على نشر الإسلام ورفع شأن المسلمين في إفريقية.

ثانياً: تعيين ملحق في كل سفارة إسلامية في إفريقية يتفرغ للنظر في مساعدة المسلمين ونشر الدعوة الإسلامية وتلقي المساعدات من بلاده

---

(١) انظر: « في إفريقية الخضراء » للشيخ محمد العبودي (ص:٧٦١-٧٦٣)، ط: دار الثقافة - بيروت.

وإيصالها للمسلمين في حدود الإمكانات المتوفرة، وفي نطاق الأعراف السياسية القائمة في كل بلد.

ثالثا: إنشاء صندوق إسلامي عالمي لتمويل الدعوة الإسلامية في إفريقية يساهم فيه المسلمون على مستوى الحكومات والجمعيات والأفراد، ونحن لا نشك مطلقاً في أن الوقت الحاضر هو أنسب الأوقات للقيام بحملة إسلامية واسعة للدعوة والإرشاد ونشر محاسن الإسلام أمام الإفريقيين من غير المسلمين؛ ذلك لأن الدين المسيحي الذي هو المنافس الرئيسي قد ارتبط في أذهان كثير من أبناء إفريقية بالاستعمار الأوروبي لأنه جاء إلى إفريقية مع الرجل الأوروبي، ونظراً إلى ضعف سلطان الاستعمار الأوروبي وبالتالي ضعف المنافس فإن الفرصة الآن سانحة لنجاح الدعوة الإسلامية أكثر من ذي قبل. وذلك كله إضافة إلى ما هو معروف ومعلوم من أن الإسلام دين الفطرة، وهو ببساطته ووضوحه ويسره الدين الوحيد الملائم لكل زمان ومكان.

رابعاً: الإكثار من المنح في الجامعات والكليات والمدارس الإسلامية في البلاد الإسلامية خارج إفريقية وذلك حتى تتاح الفرصة لأكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين في إفريقية للتزود من العلوم الإسلامية فيها ثم العودة إلى بلادهم مبشرين ومنذرين وهادين مهتدين عملاً بقوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.[1]

خامساً: المساعدة على إنشاء ملاجئ ودور للأيتام في البلاد الإفريقية التي يقطنها مسلمون. وذلك وقاية لأبناء المسلمين من أن يقعوا في أحضان التربية

---

(١) سورة: التوبة، الآية: (١٢٢).

الكفرية التي تربيهم على الكفر وتصدهم حتى عن اسم الإسلام، لأنه لوحظ أن تلك الطريقة منتشرة انتشاراً واسعاً لأنها تكاد تكون الطريقة الوحيدة للعمل لإخراج بعض المسلمين من دائرة الإسلام، بعد أن لوحظ أنه ما من مسلم يدخل الإسلام في قلبه ثم ينبذ الإسلام وينضم علناً إلى صفوف المشركين.

سادساً: أن يختار من المدرسين من مختلف البلاد الإسلامية من ذوي الاستعداد للتضحية والعمل في سبيل الله ويرسلوا إلى الأقطار الإفريقية المحتاجة مع مراعاة الظروف والملابسات السياسية المحيطة بكل بلد إفريقي، وذلك بلا شك علاج سريع.

سابعاً: العمل على كثرة طبع الكتب الإسلامية مترجمة إلى اللغات الإقليمية واللغات العالمية السائدة في إفريقية مثل الإنكليزية والفرنسية والسواحلية وغيرها، وتوزيعها حيث لاحظنا قلة الكتب الإسلامية بل ندرتها في بعض الأقطار.

هذه بعض المقترحات، وهي ليست بصعبة إذا ما صحت العزائم وخلصت النيات خاصة لأن الإسلام دين الدعوة والجهاد، دين العمل والحركة بل إن كل مسلم سبيله في الحياة أن يدعو إلى الله على بصيرة كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ

(١) سورة: يوسف، الآية: (١٠٨).

ٱلْحَسَنَةِ ﴾،[1] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾[2]..

مع أن العبء ثقيل، والميدان واسع، وناهيك بالتخطيط للعمل في قارة من القارات إذ لا بد من تضافر الجهود، وتكاتف الهمم، نسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يوفق المسلمين إلى الرجوع إلى دينهم، والعمل بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم إنه سميع قريب والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة: النحل، الآية: (١٢٥).

(٢) سورة: فصلت، الآية: (٣٣).

المبحث الرابع

صور ونماذج من رحلاته

۞ مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين :[1]

قال العلامة العبودي: عندما زرت عاصمة مدغشقر في يناير عام ٧٨م أثناء زيارتي لجزر المحيط الهندي لبثت فيها ثلاثة أيام اجتمعت خلالها بعدد من المهتمين بالشئون الإسلامية ومنهم الوزير الوحيد في حكومة مدغشقر السيد (قساى سعيد علي) وعلمت من الجميع ومما استقريته من حالة البلاد أن وضع المسلمين فيها سيء جداً أو قل إن الدعوة الإسلامية ضعيفة إلى درجة أنني لا أعلم أضعف منها في أي مكان آخر خارج الكتلة الشيوعية إذ هناك العدد العديد من المسلمين الذين نسوا إسلامهم حتى لم يبق لهم منه إلا أنهم يختنون أبناءهم أو لا يأكلون الخنزير، وأسماؤهم فيها بقية من الأسماء الإسلامية ولكن إذا سئلوا عما إذا كانوا مسلمين؟ أجابوا: بأنهم ليسوا مسلمين لأنهم لا يعرفون عن الإسلام شيئاً والسبب في ذلك انقطاع الصلة بينهم وبين بقية المسلمين في الخارج وبخاصة أنهم يعيشون في جزيرة واسعة منعزلة نسبياً عن العالم في الوقت القديم.

حتى المسلمون الذين يعترفون بأنهم مسلمون ويقولون إنهم كذلك هم لا يعرفون من الإسلام شيئاً يذكر، ولا تكاد تصلهم مساعدات ذات بال من

---

(١) انظر كتاب: « مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين » للشيخ محمد العبودي (ص:٣٧٢-٣٧٣)، من إصدارات النادي الأدبي (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، توزيع مكتبة دار العلوم، مطابع الفرزدق التجارية- الرياض.

الأقطار الإسلامية. لذلك قدمت تقريراً بعد عودتي إلى المملكة تضمن عدة أمور بالنسبة إلى تشجيع الدعوة الإسلامية في مدغشقر أهمها أمور ثلاثة:

أحدها: دعوة الوزير المسلم المدغشقري السيد (قساى سعيد علي) وزير الشباب والرياضة إلى المملكة، وذلك كخطوة أولى لتوثيق العلاقات السياسية بين المملكة العربية السعودية وبين مدغشقر وهو أمر لازم لتشجيع الدعوة الإسلامية في تلك البلاد، ولضمان نجاح المشروعات الإسلامية وتحسين حالة المسلمين فيها.

وثانيها: إقامة علاقات سياسية رسمية بين البلدين، تكون السفارة السعودية فيها مسؤولة عن تمثيل المملكة في البلدان المجاورة التي هي: (مورشيوس) و (جزر القمر) وجزيرة (رينيون).

ثالثها: إرسال وفد من المملكة، يذهب إلى كافة المناطق في جزيرة مدغشقر الواسعة ويطلع على أحوال المسلمين فيها، ويقرر ما يحتاجون من مساعدات عاجلة وبعيدة على ضوء ذلك، ويحدد لجولته مدة شهر.

وعند ما عرضت هذه الأشياء كلها على حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية وافق عليها كلها وأصدر أمره بإنفاذها، جريا على عادته الحميدة في المسارعة إلى مساعدة المشروعات الإسلامية.

فبالنسبة إلى دعوة الوزير المسلم صدر الأمر إلى الرئاسة العامة لرعاية الشاب ورئيسها برتبة وزير، باستضافة الوزير المدغشقري قساى سعيد علي لأنه وزير الشاب والرياضة في بلاده، ووجهت الدعوة إليه بالفعل.

وبالنسبة إلى الأمر الثاني أبلغت وزارة الخارجية بذلك إلا أن وزير الخارجية رأى الانتظار في هذا الأمر حتى عودة الوفد الذي سيذهب إلى هناك والاطلاع على تقريره.

والأمر الثالث: كلفت رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة ورابطة العالم الإسلامي بإرسال الوفد المشار إليه. فطلبت الأولى مني أن أذهب بنفسي، وقد اعتذرت أول الأمر لوجود مشاغل لدي ولكن الرئاسة لم تقبل هذا العذر وقالت: إنك الشخص الذي لا نرى له بديلا يقوم بهذه المهمة لمعرفتك بالمنطقة فصدعت بالأمر الذي يوافق هوى في نفسي وهو زيارة أماكن وزوايا من العالم لم أزرها من قبل، ولو كان في ذلك بعض المشقة وفقدان بعض وسائل الراحة.

أما الرابطة فقد عينت لهذه المهمة ممثلها ومدير مكتبها في مورشيوس سعادة السفير الشيخ عبدالوهاب الدوكري، وهو سفير سابق لمالي في عدة بلدان، وعضو في المجلس التأسيسي للرابطة، ويجيد الفرنسية لغة الاستعمار السابق في مدغشقر التي لا غنى عنها لمن يجول في تلك البلاد وقد وافق هذا التعيين هوى في نفسي أيضاً، لأنني قد عرفت السفير عبد الوهاب الدوكرى عندما صحبني في زيارتي إلى جزر القمر قبل خمسة أشهر من زيارتي لمدغشقر فحمدت صحبته وأنست بعشرته.

وقد قصصت حديث الرحلة الأولى أو على الأدق قصة المرور بعاصمة مدغشقر ثم أتبعته بحديث الرحلة الثانية.

ولكن قبل هذا وذاك رأيت أن أقدم بين يدي القارئ الكريم بعض المعلومات المتعلقة بأحوال تلك البلاد بعامة وبأحوال المسلمين خاصة.

الرياض في: ٨ / من ذي القعدة عام ١٣٩٩هـ - ٢٩/ سبتمبر عام ١٩٧٩م

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

* تســـــميتها:

كما اكتنف الغموض كيفية دخول الإسلام إلى مدغشقر وكما اكتنف تاريخها القديم كله كذلك كان الشأن في تسميتها الحالية (مدغشقر) فما هو معناها؟ ومتى أصبحت اسماً لهذه الجزيرة الكبيرة؟

سألت عدداً من الذين ظننتهم معنيين بهذا الأمر من العرب فكانوا يبادرون بقولهم: إنه اسم عربي الأصل فإذا سألتهم عن معناه اختلفوا إلا أن أكثرهم قالوا: إنه (مدعكسر) وكلمة مد بمعنى (سار) هي كلمة مستعملة على نطاق واسع في جزيرة العرب ولا تزال تستعمل.. وبخاصة للقافلة والجماعة والعسكر ومن ذلك المثل العامي النجدي (شدوا ولا مدو) وكلمة عسكر بمعنى قوم محاربين أو جند معسكرين، أي مقيمين، مستعملة أيضاً منذ القديم ولا تزال ولم يبق إذاً إلا الدليل المادي على أن ذلك الأمر هو الصحيح ومعرفة العصر الذي سميت فيه الجزيرة بهذا الاسم.

وأخبرني أحدهم أن أصلها (مضيق أشقر) وأن أشقر هذا كان قائداً أو مرشداً بحرياً وأن المراد أن هذا المضيق الذي يسميه الأوربيون في الوقت الحاضر (مضيق موزمبيق) كان اسمه (مضيق أشقر) فانتقلت التسمية إلى الجزيرة وأصبحت في كلام الأوروبيين (مدغشقر) بعد أن كانت في اللغة العربية (مضيق أشقر).

وهذا التعليل الأخير في رأيي ليس بذاك.

ذلك أن المسافة البحرية التي تفصل بين جزيرة مدغشقر وموزمبيق التي تسمى الآن (مضيق موزمبيق) وقدرها مائتان وأربعون ميلاً لا يمكن أن يسميها الأقدمون مضيقاً لأنها واسعة بحيث تكون أكبر من ذلك عندهم وإنما سماها الأوروبيون القادمون من أوروبا مع مياه المحيط الأطلسي ثم مياه

البحر الزنجي اللهم إلا إذا كانوا هم الذين سموها (مضيق أشقر) عندما وصلوا إلى البلاد في أول الأمر ثم بقيت هذه التسمية بعد ذلك.

وعلى هذا يكون البرتغاليون هم الذين سموها بهذا الاسم لأنهم أول المستعمرين الأوروبيين الذين وصلوا إلى هذه السواحل.

وإلا فإن التسمية العربية القديمة لهذه الجزيرة كانت (القمر) وجزيرة القمر ذكرها بهذا الاسم ياقوت منذ سبعمائة سنة وكان ينقل اسمها عن أناس سبقوه بطبيعة الحال وربما كانوا قبل زمنه بوقت كبير.

وكان اسم (مدغشقر) اسماً للمكان وللسكان فالمكان (مدغشقر) والسكان مدغشقريون مثل العراق للمكان وللعراقيين إلا أنهم عند الاستقلال غيروا اسمها إلى اسم (مالاقاشي) وهى تعني (ملايوي يعيش في مدغشقر) فأصبح الناس بتسميتهم مالاقاشيين ولكن الجزيرة لا تزال تسمى جزيرة مدغشقر كاليونانيين الذين في قبرص هم يونانيو الأصل ولكن بلادهم تسمى قبرص التي أصلها في اللغة العربية الفصحى (قبرس) بالسين إلا أن التسمية باليونانيين القبرصيين لم تصبح رسمية كما هي عليه الحال بالنسبة إلى الملاقاشيين. و هذا الاسم (مالاقاشي) إنما يحمل اسماً عنصرياً غير عادل، ذلك بأن سكان مدغشقر في الوقت الحاضر ليسوا كلهم من الذين أصلهم من الملايو أو من الملاقاشي، بل إن الغالبية العظمى منهم من أصول أخرى معظمها أصول إفريقية مختلطة بالأصول العربية الصريحة أو الأصول التي كانت قد اختلطت بالأصول العربية في فترات تاريخية قديمة، مثل السواحليين والقمريين والأمثلة على ذلك ظاهرة في عدة قبائل مثل التيموريين والسكالافيين وفي عدة مجموعات مثل سكان توليار وفورد يفان، وبعض السكان قد اختلطوا اختلاطاً غير كامل مثل السكان الذين

تقرب مواقع سكنهم من منطقة الهضبة الوسطى التي فيها العاصمة (تاناناريف). بعد أن حكمها الاستعمار الفرنسي في عام ١٨٩٣م وقد استمر هذا الحكم مدة تسع سنوات حتى استطاع التغلب على مقاومة أهلها بما كان يملك من وسائل الحرب التي لا يعرفونها في ذلك الوقت مثل البنادق والقنابل والمدافع وغير ذلك.

* * * * * *

*** الإسلام في مدغشقر:**

متى دخل الإسلام مدغشقر؟ وكيف دخل؟ ومن هم القوم الذين دخل الإسلام على أيديهم؟

هذه أسئلة تصعب الإجابة عليها إجابة محددة، ذلك لأن المصادر القديمة تضن علينا بالإجابة عليها، بل هي تضن بما هو أعمق من ذلك من الناحية التاريخية، فهي لا تكاد تذكر من تاريخ مدغشقر القديم بل الوسيط شيئاً يذكر.

ولكن مما لا شك فيه أن الإسلام قديم في مدغشقر بدليل أن الجغرافيين العرب قد عرفوها وذكروها وإن كان ذلك باسم غير هذا الاسم المشهور (مدغشقر) وهم لم يعرفوها إلا لكون التجار والبحارة من العرب كانوا قد عرفوها قبل ذلك.

وواضح لنا من التجارب العديدة أن البلاد التي يدخلها البحارة والتجار المسلمون إذا كانت بلادا بدائية ليس لأهلها دين قوى يتعصبون له فإنه لا بد أن يكون بعض أهلها قد دخلوا في الإسلام بل كثير منهم في أكثر الأحيان يكونون قد دخلوا في الإسلام.

فقد ذكرها ياقوت باسم (القمر) وقال: إنها جزيرة في وسط بحر الزنج

ليس في ذلك البحر جزيرة أكبر منها وفيها عدة مدن وملوك كل واحد يخالف الآخر ويوجد في سواحلها العنبر وورق القمارى وهو طيب يسمونه ورق التانبل وليس به، ويجلب منها الشمع أيضاً.

هذا بالإضافة إلى ما ذكره المسعودي والإدريسي وغيرهما من نصوص يمكن أن تنطبق عليها.

فإذا كانت معروفة في ذلك الوقت فلا شك في أنها كانت معروفة قبل عهد هؤلاء المؤلفين، لأنهم ليسوا بمكتشفيها وإنما نقلوا ما هو معروف عنها وإنه لا شك في أن الإسلام قد دخلها منذ عهد قديم.

أما كونها واقعة في بحر الزنج فهذا خالفناه نحن الذين نسمى أنفسنا مثقفين عصريين وذلك بأن أسلافنا العرب يسمون البحر الذي تقع فيه مدغشقر الذي يقابل سواحل افريقية الشرقية (بحر الزنج) ولا يسمونه المحيط الهندي وإنما جاءت تسميته بالمحيط الهندي نتيجة لغلط الأوروبيين الذين سموه المحيط الهندي لكونهم ظنوا عند ما داروا من رأس الرجاء الصالح أنهم قد وصلوا إلى الهند وتبعناهم على هذا الخطأ وتركنا التسمية الصحيحة القديمة تماماً مثل ما عليه الحال بالنسبة إلى جزائر البحر الكاريبي التي هي ترينداد وتاباكو وسورينام إلخ.. فقد ظنها كرستوفر كلومبس ومن معه الهند فأسموها جزائر الهند الغربية وتبعهم العالم على هذه التسمية الخاطئة حتى الآن مع أنها أبعد عن الهند من الهند عن أوروبا.

ولقد حاولت الرجوع عن هذا الخطأ الشائع في تسمية هذا البحر فأسميت كتابي الذي كتبته عن جزر سيشل وجزيرة مورشيوس ورينيون وزنجبار وجزر القمر: (جولة في جزائر البحر الزنجي).

وإذا كانت المصادر المكتوبة تشح علينا بأخبار كيفية دخول الإسلام إلى

هذه الجزيرة جزيرة مدغشقر فإن الأرض كانت أقل شحاً وإن تكن أكثر غموضاً فقد وجدت في حفريات مدن قديمة وأماكن بائدة قبور لأناس ماتوا منذ قرون طويلة ووجدوا أن هؤلاء هم من المسلمين بدون شك لأنهم قد قبروا على الطريقة الإسلامية ووجهت وجوههم إلى القبلة ووجدت في الساحل الشرقي مخلفات إسلامية ونقود ذهبية من عهد الفاطميين.

وحتى لو لم توجد مثل هذه القبور ولم ترد النصوص في الكتب العربية عن وصف يمكن تطبيقه على مدغشقر فإن مجرد كونها قريبة جداً من بلاد سفالة التي عرفها العرب حق المعرفة ودونوا اسمها في كتبهم إضافة إلى ماذكره المسعودي المؤرخ عن زيارتها مما يدل على قدم وجود أو دخول الإسلام في هذه البلدان في عصور قديمة (المسعودي المؤرخ قبل ألف سنة).

وبلاد سفالة كان ولا يزال فيها مسلمون من عصور سابقة وليس من المعقول ألا يكون بين إقليم سفالة الذي منه (موزمبيق) وجنوب تنزانيا وشمال جمهورية جنوب افريقية أية صلة مع هذه الجزيرة الكبيرة القريبة، إضافة إلى أن بعض بلاد سفالة مثل الإقليم الواقع في جنوبي تنجانيقا الآن الذي عاصمته (كلوه) قد أصبح بلاداً إسلامية يقطن فيه قوم أغلبهم من المسلمين.

وقد زاره ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري وتكلم عليه وذكر سلطانه المسلم المجاهد في سبيل الله. والمسلم طبيعته أن يكون داعياً إلى الإسلام فلا بد إذاً على هذا الافتراض من كون الإسلام قد دخل إلى مدغشقر منذ قرون طويلة.

إلا أنه يتبادر إلى أذهاننا سؤال لا بد منه وهو أي مدى بلغه الإسلام في دخوله إلى جزيرة مدغشقر؟

هل وصل إلى قلبها؟ أم ساحل من سواحلها؟ أم اقتصر على المراكز التي أرسى فيها أهله عند السواحل؟

مع العلم بأن أهم مداخله المعروفة الحالية هي مدينة (توليار) في الوقت الحاضر وما يقرب من موضعها.

ثم إذا لم نستطع الإجابة على هذه الأسئلة فإننا نسأل أنفسنا أسئلة أخرى هل الإسلام اقتصر دخوله إلى مدغشقر على هذا الجزء الغربي من الجزيرة الذي يلي إقليم سفالة؟ وأقربها إلى مدغشقر هي ما تسمى الآن (موزمبيق).

أم دخلها مع جهات أخرى وبواسطة أقوام آخرين..؟

والجواب الواضح أن دخول الإسلام إلى مدغشقر لم يقتصر على هذا الجانب الغربي فقط وإنما كانت هناك مداخل أخرى لكن ما هي تلك المداخل؟

إننا إذا عدمنا النصوص القديمة فإن أحسن شيء نستدل به هي الشواهد الحاضرة في الوقت الحاضر وما سبقه متصلاً به من الزمن، التي أخبرتنا أن الإسلام جاء إلى جزيرة مدغشقر من عدة مداخل أحدها: المدخل الغربي الجنوبي الذي هو المقابل لسفالة كما سبق والمعتقد أن المسلمين الذين دخلوا منه كانوا من الأفارقة ومن العرب الذين اختلطوا بهم.

والثاني هو المدخل الشمالي الشرقي وهو مدخل بحري كان يدخل منه التجار المسلمون من العمانيين والقادمين من سواحل خليج البصرة وكانوا يأتون إلى هذا الساحل فيبيعون ويشترون ولكنهم لم يكونوا فيما عرفناه من أمرهم يتوغلون في داخل الجزيرة بسبب وجود القبائل المتوحشة والأوبئة ووعورة الأرض ولأنهم كانوا يجدون ما به يبيعون ويشترون في المراكز الساحلية إلا أنهم كما هي العادة لا بد من أن يبحثوا لهم عن مراكز إقامة

دائمة في تلك المنطقة وهكذا كان. فقد أبقوا لنا دليلاً محسوساً ملموساً لا يزال حياً حتى الآن هو مدينة (سالا لا) التي أسسها العمانيون من أهل صلالة وأسموها على اسم مدينتهم العمانية (صلالة) فأصبحت الآن على ألسنة أهل مدغشقر (سالالا) وهي واقعة في شمال الجزيرة.

ولا يزال هناك دليل حي آخر ألا وهو مدينة (ديقو) في الطرف الشرقي من شال الجزيرة وهي مدينة عربية يمنيه معروفة بذلك وكانت اللغة العربية فيها حية متداولة إلى ما قبل خمسين سنة حيث قل توافد العرب اليمنيين عليها ولكن أهلها من العرب بقي لهم لونهم المميز ولغتهم التي هي موجودة في الكتاتيب وأنسابهم المعروفة لأبنائهم.

والمدخل الثالث للإسلام إلى جزيرة مدغشقر واقع في الشمال الغربي حيث مدينة (ما جنقا) وهي مدينة كانت تعتبر المدينة الإسلامية الأولى في كل أنحاء الجزيرة وأهلها المسلمون أغلبهم جاؤوا إليها من جزر القمر لأنها أقرب نقطة من مدغشقر إلى تلك الجزر ويخالطهم بها قوم جاؤوا إلى مدغشقر من زنجبار التي أهلها مسلمون منذ القديم.

وطبيعي أن المدخلين السابقين لم يمرا بالمدخل الأول المقابل لإقليم سفالة أو (موزمبيق) في الوقت الحاضر للبعد الشديد بينهما.

وهناك مدخل آخر مهم جدا وقد بقي الداخلون فيه على إسلامهم وهم التيموريون والأزا ناكاريون حتى الآن وإن لم يكن ذلك حقيقة مسلما بها إلا أن الحقيقة التاريخية هي أن العرب والمسلمين كانوا يفدون إليه وهو نقطة أو عدة نقاط في الساحل الشرقي للجزيرة من أهمها مدينة مانكار إلا أن بعضهم يرى أن التيموريين والازا ناكاريين كانوا قد أقاموا أولاً في شمال الجزيرة ثم جاؤوا بعد ذلك إلى شرقها.

والمدخل الخامس هو افتراضي وليس يقينياً ويقع إلى الجنوب قليلاً من بلاد التيموريين وهو في شرقي الجزيرة ذلك هو المدخل أو المنافذ التي وصل منها الإندونيسيون الذي لابد من القول بأن المراد بهم عندما يذكرون في مدغشقر بأنهم الجنس الإندونيسي الذي يشمل الإندونيسيين والماليزيين ومن يشابهونهم ممن يقطنون جنوب شرقي آسيا.

فالمعروف المشهور عند الناس أن هؤلاء عندما قدموا إلى مدغشقر لم يكونوا مسلمين وإنما كانوا وثنيين وقد استقروا عند قدوم المستعمرين الفرنسيين في الهضبة الوسطى التي منها منطقة العاصمة (تاناناريف).

وهذه المنطقة جيدة الهواء وقد ركز الفرنسيون على تنصيرهم أكثر من سكان السواحل الذين كان فيهم مسلمون ولا يزالون يسمون أنفسهم بذلك وفيهم أعداد كبيرة من المسلمين الضائعين من أصول عربية مختلطة بأصول إفريقية من سواحلية وزنجية. وهؤلاء الإندونيسيون هم الذين كانوا أهم جماعة مثقفة ثقافة غربية عندما حصلت البلاد على استقلالها لذلك أسموها (مالاقاشي) أي: بلاد أهل الملايو أو المنحدرين من جنس (مالايوى) مع أن هذا الاسم غير صحيح لأن الذين في مدغشقر من غير ذوي الأصول المالوية هم أكثر من ذوي الأصول المالوية غير أن أولئك أكثر دنواً من الفرنسيين وأكثر تحصيلاً في ثقافتهم. ومع ذلك فقد انقلب عليهم بعض أهل البلاد ممن ليسوا من أصول (ملايوية) وقلبوا نظام الحكم ولكن باسم الاشتراكية وليس باسم تغليب قومية على قومية وعنصرية ضد عنصرية فأصبح بهذا الانقلاب الذي هو ليس انقلاباً عنصرياً كاملاً رئيس الدولة (راتاتسيراكا) الذي هو من قبيلة (بيت مشارك) إحدى القبائل الإسلامية الضائعة إن لم نقل إحدى القبائل العربية التي أضاعت إسلامها.

إنما السؤال المهم في هذا الصدد هو هل كل الإندونيسيين الذين وصلوا إلى مدغشقر واستقروا فيها كانوا من الوثنيين..!؟

وألم يكن بينهم من هم من المسلمين فأضاعوا إسلامهم كما أضاعه غيرهم من الأقوام في جزيرة مدغشقر التي غدت في تلك القرون مضيعة لإسلام بعض المسلمين.

إن الجواب الصحيح صعب غير أننا نذكر أن الإسلام كان قد دخل إلى جزائر الهند الشرقية التي كان يسميها العرب بلاد الجاوة ومنهم ابن بطوطة الذي زارها وإن لم يكن مؤكداً أن أغلب أهلها قد دخلوا الإسلام وقد ذكر ابن بطوطة (في القرن الثامن الهجري) أنه زار ملكها وأنه كان مسلماً صالحا فمن الجائز أن يكون بعض الإندونيسيين والملايويين عندما وصلوا إلى هذه الجزيرة كانوا مسلمين ولكنهم أضاعوا إسلامهم بعد ذلك.

وبخاصة إذا تذكرنا أن مجيء هؤلاء الأقوام لا يكون في العادة دفعة واحدة وإنما يكون على فترات في أزمان مختلفة.

على أن هذا افتراض محض وإلا فإن الذي يظهر أنهم لم يكونوا مسلمين عندما دخلوا مدغشقر لأنه يكاد يكون معروفاً أن بعض الهجرات الرئيسية إلى مدغشقر من بلاد إندونيسيا كانت في القرن السادس الهجري أو ما يقارب ذلك أي قبل أن يعم الإسلام سكان إندونيسيا وإن كان يوجد بينهم قبل ذلك التاريخ. على أنه إذا كان الأمر كذلك فإنه من المرجح أن بعضهم كانوا قد دخلوا في الإسلام بعد وصولهم إلى مدغشقر بسبب احتكاكهم بالمسلمين الذين كانوا فيها إلا أنهم ضيعوا إسلامهم بعد ذلك كما ضيعه غيرهم ومن الأدلة على ذلك ما هو شائع عند كثير من الناس من أن المعبد الحالي الموجود بقرب قصر الملكة في تاناناريف كان في الأصل مسجداً.

وغني عن القول أن الإسلام كما هو الحال في أكثر الديانات والمذاهب إذا دخل مع نقطة من البلاد فإن المرجح أن ينطلق منها إلى ما يليها ولو على نطاق محدود وبخاصة أن الإسلام دين دعوة وأن المسلمين جميعاً مأمورون بإبلاغ الدعوة إلى الله وأن يلتزموا بهذا الأمر في كل الأحوال. لذلك فإننا نفترض أن الإسلام سار مع سواحل مدغشقر من مداخله ومراسيه تلك أكثر مما توغل في داخل الجزيرة التي كانت صعبة المسالك كثيرة الجبال حتى شمل أو كاد أن يشمل كافة سواحلها بحيث أصبحت تلك السواحل في وقت من الأوقات سواحل إسلامية وإن لم يكن ذلك في آن واحد كما لا يمكن القول بأن السكان جميعهم كانوا من المسلمين، إذ الحياة القبلية الموجودة فيمن يترددون ما بين الساحل والداخل بعقائدها الوثنية القديمة كانت موجودة عند بعض السكان في الساحل وربما كانت موجودة عند أكثر السكان في الداخل.

على أن هناك أماكن في الساحل لا يستطيع الباحث الجزم بالجهة التي جاء منها الإسلام إليها مثل منطقة (فورديفان) على الساحل الجنوبي الشرقي من مدغشقر الذي يكاد يعتبر كالوجه الثاني للقمر إذ هو بعيد عن سواحل إفريقية وآسيا وهناك طائفة من الناس يعتقدون بأن أصولهم عربية وأن أوائلهم كانوا مسلمين ويحتفظون بمخطوطات بحروف عربية ويحتفلون بختان أولادهم بأن أصلهم عربي ولكنهم لا يستطيعون أن يعرفوا عن أصلهم شيئا أكثر من ذلك وأكثرهم قد أصبحوا في الضائعين بحيث نسوا إسلامهم وأصبحوا لا يكادون يتميزون عن بقية السكان إلا في آثار بعض التقاطيع العربية في وجوههم وشيء من اللون الذي يخرجهم من دائرة السواد التي لم يخرج عنها مواطنوهم الذين يعيشون معهم والذين هم من

أصل إفريقي يكاد يكون خالصاً ممن جاؤوا إلى هذه المنطقة من الغرب مخترقين طرف جزيرة مدغشقر الذي هو غير عريض.

والمعتقد أن حاكم منطقة (فورديفان) الذي ذكرت أمره في اليوميات أنه منهم وقد قال ذلك بنفسه واسمه (مورنقا).

* * * * * *

* المسلمون في مدغشقر:

يقدر عدد المسلمين بنسبة خمسة عشر بالمائة من السكان المحليين لمدغشقر البالغ عددهم قرابة ثمانية ملايين نسمة ويوجد أغلبهم في الجنوب الغربي والشمال إذ يبلغ عددهم بنسبة ٣٥ في المائة من مجموع السكان لهذه المناطق والسبب في ذلك الجهود الكبيرة لمسلمي جزر القمر الذين بنوا المساجد في كل منطقة يسكنونها.

فمدينة ماجنقا يوجد بها ما يقارب ثلاثين مسجداً من بينها ١٦ مسجداً كبيراً لها مآذن، والجالية العربية لها يد في بعض الأعمال الإسلامية وخاصة في ماجنقا كما أن المسلمين من أهل الهند قاموا بأعمال إسلامية جليلة شأنهم في كل مهاجرهم.

وحالة المسلمين المادية على العموم متوسطة تقتصر أحياناً على القوت الضروري إلا أنها تعد أحسن من عيشة السكان المحليين غير المسلمين.

وقد تألف في عام ١٣٧٤هـ مجلس إسلامي في مدغشقر مقره في مدينة ماجنقا وكان معظم القائمين عليه من القمريين إلا أنه كان اسميا فقط وقد قضت الكارثة التي حلت بالقمريين في مدينة ماجنقا أواخر عام ١٩٧٦م على معظم النشاط الإسلامي هناك ومنها المجلس المذكور إذ سافر بعض أعضائه عائدين إلى بلادهم الأصلية (جزر القمر) وكان مقره الرئيسي

ماجنقا وله أعضاء في بعض المناطق التي يوجد عدد من المسلمين فيها وقد صادقت عليه الحكومة رسمياً في الثالث من شهر حزيران عام ١٩٧٦م وكان يتألف من رئيس المجلس أحمد علي وثلاثة نواب عن الرئيس وأمين عام ونائب عن الأمين وأمين صندوق ونائب لأمين الصندوق وواحد وعشرين عضواً بصفة مستشارين ومرشدين وقد قام بالعمل على إنشاء مدرسة إسلامية في ماجنقا عام ١٩٧٦ أسموها (مدرسة فيصل الإسلامية) ولكنها لم تخرج إلى حيز الوجود وبعد كارثة ماجنقا في أواخر عام ١٩٧٦م كفوا عن المحاولة وأغلق مقر المدرسة وذلك لتسفير القمريين من جهة وعدم وصول مساعدات خارجية - وكانوا قد أسسوها على اعتبار أن تلك المساعدات ستصل.

وكان في ماجنقا قبل الكارثة حوالي ٢٥ ألف مسلم قمري ولم يبق فيها الآن إلا حوالي ثلاثة آلاف وهي تعد ٩٥ ألفاً من السكان وكان فيها نحو ١٠ مدارس إسلامية (كتاتيب) وأكثرية المسلمين فيها كانوا من جزر القمر وفيها جالية عربية صغيرة من اليمن وفيها جماعة من الهنود من المسلمين السنيين ومن البهرة الذين هم من غلاة الشيعة إلا أن القمريين هاجر أكثرهم والهنود لا يزالون في تناقص بسبب شعور المدغشقريين تجاههم إذ يعتقدون أنهم يمتصون ثرواتهم ويهربونها إلى الخارج لأنهم كانوا في زمن الاستعمار الفرنسي طبقة وسطى فوق مستوى المواطنين وتحت مستوى الفرنسيين وكانوا إبان الحكم الفرنسي آمنين على أموالهم وتجارتهم لأن القانون كان يطبق بقوة أما الآن فإن الحكومة المالاقاشية لم تخرجهم دفعة واحدة ولم تصادر أموالهم بصفة جماعية ولكنها سلكت طريقاً وسطاً إذ تحرص على عدم منح التسهيل لهم من حيث التجارة والإقامة وعلى عدم التسامح معهم في الضرائب وعلى

عدم معاقبة من يلحق بهم الأذى من سائر الناس معاقبة صارمة مما يصدق على تلك المعاملة بأنها مضايقة وليست مقاطعة لهم.

وهذا القول يصدق على الهنود الموجودين في مدن مدغشقر الرئيسية وليس مقتصراً على مدينة ماجنقا وحدها أما مدينة (ديقو) ففيها (١٥) مسجداً.

وفي ديقو عدة مدارس (كتاتيب) إسلامية معظم الذين يتولون التدريس فيها من القمريين - أهالي جزر القمر - وأكثرهم على نقص كبير في الثقافة وضعف في اللغة العربية.

ومن مدارسها:

١ - مدرسة النجاح للشيخ عبد الرحيم صالح.

٢ - مدرسة التقوى لصالح عبود.

٣- مدرسة التوفيق ليوسف السلال.

٤ - مدرسة السعادة لأحمد حامد.

٥ - مدرسة الهداية لمحمد صالح.

٦ - مدرسة الثقافة الإسلامية لمحمد معروف.

٧- مدرسة مكارم الأخلاق لأحمد بن محمد.

٨- مدرسة الهدى لمحمد بن موسى.

وهناك كتاتيب ابتدائية صغيرة وضعيفة المستوى للبنات.

* * * * * *

* أعداء الإسلام:

أعداء الإسلام الرئيسيون في مدغشقر أربعة:

أولها: الجهل المطلق بأمور الدين، وهو أهم الأعداء، من حيث الأثر وإن كان أخفها من حيث المعالجة.

وثانيها: الكنيسة الكاثوليكية المتعصبة التي وفدت مع الأوروبيين المستعمرين فاستقرت في البلاد ووطدت فيها أركانها، وكان لها من التأييد والبذل المادي الخارجي، ومن التسهيل والحماية الداخلية في زمن الاستعمار أكبر عون.

ثالثها: البسارية وهذه ليس لها جذور في هذا الشعب المتخلف ذي العادات الموروثة الهشة، وإنما هي ممثلة في قلة من المتعلمين الذين ليس لهم شأن إلا إذا مكنت لهم سلطة من صحافة وإعلام.

رابعها: القومية العنصرية وهي مستترة خفية تتمثل في خوف الأقلية المتعلمة نسبياً من سكان الهضبة الوسطى التي تقع فيها العاصمة تاناناريف الذين معظم المتعلمين منهم، بل كلهم من المسيحيين المثقفين ثقافة غربية وهم بذلك بعيدون عن الإسلام بخلاف الأكثرية من سكان السواحل الذين هم من أصول إسلامية يغلب عليها الطابع الأفريقي الممتزج بالطابع العربي الذين يحبون الإسلام والعرب بل يتغنون بذلك، ويفتخرون بأنهم يمتون إليه بصلة إلا أنهم أقل ثقافة وأدنى تعلماً، بل إنهم غير متعلمين و يخشى الأولون من انتشار الإسلام بين الأكثرية التي إذا تعلمت وعرفت حقيقة الدين، وقوة موقفها، فإنها سوف تتحد ضدهم وبالتالي تأخذ منهم النفوذ والقوة في البلاد.

* * * * * *

* ثـــلاثا مـــات:

معناه: إن يوم الثلاثاء أحد أيام الأسبوع مات: من الموت ضد الحياة.

و (الثلاثا مات) بهذا اللفظ العربي الذي لم يتغير منه غير حذف التعريف من (الثلاثاء) هـو اسـم حـي مـن الأحيـاء الواقعـة في ضـواحي عاصـمة مدغشقر. فقد دعينا إلى تناول الغداء اليوم في حي يسمى (ثلاثا مـات) ولمـا سألتهم عن معنى هذه الجملة التي تظهر عليها السحنة العربيـة أجـابوني بـما ذكرت. وكلمة ثلاثا أحد أيام الأسبوع لا تزال مستعملة في اللغة المدغشقرية حتى الآن ولا يعرفون لأيام الأسبوع أسماء غير الأسماء العربية.

وذلك الحي يقع في الشمال الغربي من العاصمة يبعـد عنهـا سـبعة أكيـال وكان مكانه سوقاً يقام يوم الثلاثاء فألغي السوق فقالوا: (ثلاثا مات).

كان غداءنا في بيت الأخ محمـد جـري وهـو عقيـد متقاعـد وعنـده الآن سيارات للنقل وكـان رئـيس الحـرس الجمهـوري في أيـام الـرئيس السـابق (سيرانان فليبير). وكانت المائدة (مالية) نسبة إلى بلاد مالي وليست نسبة إلى المال، اشتملت على عدة أنواع من الأكل من الذها اللوبيا المطبـوخ بالسـمن واللحم وأكلة مالية تشبه (الحنيني) الموجود في نجد إلا أنهـا مصـنوعة مـن الفول السوداني وبيـت مضـيفنا هـذا هـو دارة أي - فـيللا - أرضـيتها مـن الخشب الذي غطي بسجاد وطني مصنوع من صوف الغنم جميل الشـكل إلا أن صناعته غير بالغة الإتقان ويحيط بها حديقة غير منسقة وليس فيها أزهـار كثيرة وهذا أمر ملاحظ في هذه البلاد أنهم لا يعتنون كثـيراً بـالزهور مـع أن بإمكانهم إستنبات أنواع عديدة منها دون تعب.

* * * * * *

* الـــدية ١٥ ريـــالاً:

علمنا أنه يوجد بعض الاضطراب في دوائر الشرطة في هذه البلاد بل قال بعضهم إنه يوجد بعض الاضطراب من رجال الشرطة والسبب في ذلك هو ضآلة التعويض الذي تدفعه الحكومة لمن يقتل من الشرطة في الحـوادث إذ لا تدفع الحكومة دية أكثر من ألـف فرنـك ملاقـاشي وهـو يسـاوي بـالصرف الرسمي ١٥ ريالاً سعودياً وبالسوق السوداء ١١ ريالاً ونصفاً. كـما أن هـذا المبلغ يكفي ثمناً لوجبة عشاء يتناولها أحد أفراد الأسرة في فندق من الدرجـة الأولى كالفندق الذي نسكن فيه وهو فنـدق فرنسـا. أو يكفـي ثمنـاً لكيلـين اثنين من لحم البقر!!!.

وبهذه المناسبة نذكر أن الراتب الذي تدفعـه الدولـة للجنـود والملتحقـين بالجيش هو مبلغ أربعمائة فرنك أي: ستة ريالات سعودية بالصرف الرسمي في الشهر الواحد.

يوم الأربعاء: ٩رجب ١٣٩٨هـ ١٤ يونيو ١٩٧٨م

كان هذا اليوم حافلاً بالاستعداد للسفر غداً الخميس لبدأ الجولة الفعليـة في أنحاء جزيرة مدغشقر التي يوجد فيها مسـلمون خـارج نطـاق العاصـمة وهي جهات لم أذهب إليها من قبل. ومن ذلك اجتماعـات مـع المسـلمين في تاناناريف تمهيداً للسفر وإخبار من ينفع إخباره في تسهيل مهمتنا هناك.

ومن بين الجهات الرسمية التي ذهبت إليها اليوم مستشفى حكومي كنت قد تلقيت كتاباً على عنواني في الفندق لمراجعته وعندما ذهبت استقبلتنا امرأة بلطف واحترام وقالت آسف إذ كلفتك العناء بالحضـور إلى هـذا المستشـفى وكان بودي أنني كلمتك بالهاتف لأسألك عما إذا كنت قـد أحسسـت بشيء يشبه الإسهال أو القيء لأنك قادم من نيروبي وهي بلاد نعتبرها موبوءة بداء

الكوليرا. فقلت لها: إنني قد تناولت الطعم اللازم ضد الكوليرا في بلادي، فقالت هذا صحيح إلا أنه ليس فعالاً مائة في المائة. ثم أضافت أن هذا الأمر مؤسف إذا أتعبناك ولكنها فرصة طيبة للتعرف بك والتحدث إليك.

* * * * * *

* في حضرة الملكة:

طلب الدليل منا أن نوقف السيارة في الشارع في أسفل تل، ثم تقدمنا مع درج في التل وسط أشجار كثيفة كأشجار الغابات.

وعندما علونا التل وجدنا بيوتا خشبية مرفوعة عن الأرض بأعواد من الخشب أو قل هي أكواخ من الخشب قد بنيت على دعائم خشبية واقفة لترفعها عن رطوبة الأرض وهي متفرقة إلا أنها تكاد تكون متلاصقة إذ الفراغ الذي يفصل بينها قد تركوه لحاجات أهل المنزل كالحصر التي ينشر عليها الأرز ليجف، أو مربط العنز. أو مكان للدجاج الذي رأينا أكثره سائباً وهي بيوت كثيرة فوق هذا التل الذي هو أيضاً يكاد يكون غابة من الغابات وإن كان مرتفعاً.

ورأينا عدداً من المارة من رجال ونساء وكلهم حفاة في هذا الجو الرطب بل الطيني الذي يجعل الأرجل كلها ملطخة بالطين، وربما كانت هذه الرطوبة الزائدة هي السبب في الحفاء لأنهم لا يعرفون من المواد التي تتخذ منها النعال إلا الجلد وهو يتلف مع الرطوبة والماء الدائم أما اللدائن ونحوها من المواد فإنهم لا يعرفونها في السابق لعدم وجودها وفي الزمن الحديث لا يستطيعون الحصول عليها لعدم مقدرتهم المالية وربما لاعتيادهم الحفاء وعدم مبالاتهم به. ووصلنا كوخاً من الأكواخ لا يكاد يميزه عن غيره شيء إلا أنه من الأكواخ الكبيرة. وتأخر الرجل الذي كان يدلنا فنفحناه ما تيسر من

النقود فأخذها وانصرف شاكراً ثم تقدمت الفتاة الصينية وصعدت إلى باب الكوخ المرفوع على درجتين من الخشب أمام المدخل وأطلت من الداخل ورطنت لمن كان بالداخل ثم عادت إلينا وقالت: ادخلوا ها هو بيت الملكة: مكة قبيلة تيمور العربية!!!

لقد سمعت هذا وأنا بين المصدق والمكذب ولكن حب الاطلاع على أحوال هذه الملكة العربية التي احتفظت بعرشها في هذا الزمن الذي صعب فيه على الملوك الصناديد من الرجال الاحتفاظ بعروشهم قد أنساني كل شيء إلا محاولة معرفة كل ما يحيط به.

دخلنا إلى غرفة الاستقبال أو الغرفة الرئيسية في البيت فإذا بها واسعة أقدر أنها في حدود ثمانية عشر متراً مربعاً فيها نافذتان إحداهما إلى الشمال والأخرى إلى الغرب. وإذا بالبيت نفسه يبين من الداخل أكثر وجاهة وأغلى قيمة بل أكثر تكلفة فهو من الخارج خشبي من خشب عادي وأما جدرانه الداخلية فإما من أعواد مظفورة أي أعواد كالعصى منسقة تنسيقاً جميلاً ومضموماً بعضها إلى بعض في شكل متناسق جميل إذا وصلت إلى مستوى النافذة مثلاً وقفت ثم تلتها بقيتها فوق النافذة وإذا بالسقف من أعواد مظفورة بنية اللون مع شيء من الصفرة وهي جميلة، وقد علق على الحائط عدة لوحات منها وسام منحته الحكومة الفرنسية لزوج الملكة وصور بعض الأسرة وصورة مقطوعة من إحدى المجلات لمنظر جميل. أما أرض البيت بيت الملكة فإنها من الخشب العادي المرصوف الذي هو في الحقيقة معلق لأنه مرفوع عن وجه الأرض بأخشاب كما تقدم.

وجدنا في المنزل أو في غرفة الاستقبال عدداً من الناس هم رجل واحد و أربع نساء وصبي صغير وطفل رضيع مع إحدى النساء.

وكان أول من استقبلنا وانتصب للحديث معنا هو الرجل وهو زوج الملكة في سن الستين حليق الوجه والشارب ما عدا نقطة من الشعر تحت فتحة الأنف تشبه شارب هتلر. وهو ممتلئ الجسم في غير ترهل أسمر اللون شديد السمرة إلا أنه ليس بأسود، وقال: إنني أمير ولكنني ابن ملك ولهذا كان من حقي أن أتزوج بالملكة ملكة قبيلة تيمور، فسلمنا عليه وأخفينا السلام. وكان يسرع في الحديث وكان حديثه كحركاته سريعاً يتسم بالحيوية بل والحماس ويكاد يكون ظاهرة غير عادية في أهل هذه البلدة الذين رأيناهم فأكثرهم يتسم بالجمود وعدم السرعة في التصريحات حتى التفكير عندهم قد أصابه الجمود بل الخمود. قال الأمير زوج الملكة وهو يزهو ويفتخر وحق له ذلك فهو ذو مزايا ذهنية وعقلية نادرة في سائر قومه: إن أجدادي جاؤا من مكة وإسمي موسى بن علي، وهو لا يعرف إلا قدراً قليلاً من الفرنسية. وكانت الفتاة الصينية تترجم كلامه للشيخ الدكوري بالفرنسية فيترجمه إليّ بالعربية وهكذا كلامي يترجمه الشيخ الدكوري فتترجمه الفتاة الصينية إلى الملاقاشية المحلية ولولا وجودها معنا لما استطعنا التفاهم معهم بل ربما لم نستطع الاهتداء إلى مقر قيادة هذه القبيلة المتمثلة بالملكة وزوجها الأمير.

كان يسترسل في الكلام فقاطعته قائلاً: أين الملكة؟ فأمر إحدى النسوة أن تدخل البيت.

* * * * * *

* وجاءت الملكة:

امرأة عربية عجوز أو تقرب من أن تكون عجوزاً فهي في حدود الستين من العمر حالما رأيتها تبادر إلى ذهني صورة عجوز من عجائز البدو في بلادنا لولا أن سمرة الملكة أكثر وصفرة لونها أوفر إلا أن ذلك كله لم يخرجها من

حد السمرة إلى حد السواد، ولم ينزع منها مظهر المرأة العربية.

جاءت الملكة متواضعة تمشي الهوينا قصيرة الخطى غير شامخة الرأس ولكنها تمشي مشية الواثق بنفسه المتواضع عن مقامه.

سلمت تسليماً لا يبعد عن تسليم النسوة العربيات على كبار السن من الرجال الأجانب أي بخفر مع عدم استحياء وباعتزاز بالنفس دون وقاحة.

ولكن مظهرها لا يوحي أبداً بأنها ملكة لقبيلة كبيرة واسعة منتشرة في منطقة من أخصب مناطق مدغشقر، ومعترف بزعامتها رسمياً لتلك القبيلة وبعرشها الذي تتربع فوقه لتصريف شؤونها.

لم يكن لباسها فاخراً، ولم يكن عليها شيء من الحلي الثمينة. أما الأصباغ والزينة فلا وجود لها في كل من رأيتهن من نساء قبيلة تيمور ولا أدري أمبعث ذلك عدم الرغبة فيه أم عدم القدرة على شرائه ولكنني أظن الأول هو السبب، إذ ليس من المعقول أن يكون جميع نساء قبيلة كبيرة تقطن مساحة واسعة وتملك من أشجار القهوة ومن الأراضي الزراعية قدراً كبيراً تستطيع أن تشتري لنفسها ما تتزين به المرأة التي تضع زينتها في المقام الأول من اهتمامها. وفيما يتعلق بالملكة أكاد أجزم أنه لا يوجد فرق كبير في المظهر واللباس والزينة بينها وبين سائر النساء من رعيتها.

بعد أن جلست الملكة ناحية كما هي عادة النساء العربيات استمر زوجها في الحديث وتصدر الجلسة فقال بعد أن أخبرناه أننا قد زرنا المسجد: إن مسجدنا صغير ونحن نحتاج إلى توسعته، وقد كتبت للمسلمين في كل مكان في تاناناريف وفي موريشيوس فلم تردنا إجابة.

وكأنه ظن أن تاناناريف التي لا تبعد عن بلدته (وي بن) إلا بمسافة أربعمائة كيل هي آخر المعمور من الدنيا إذ قلنا له: أكتبتم للملكة العربية

السعودية وغيرها من البلاد العربية؟ فلم يفهم المقصود بسرعة فقال زميلي الشيخ الدكوري للمترجمة: قولي له: إن هذا الشيخ - يقصدني (برفيسور) في مكة التي قدم منها جده فهل كتب إلى مكة؟

فأجاب: لا إنما كتبنا إلى تاناناريف وتاناناريف كتبت إلى موريشيوس بطلب المساعدة على إصلاح المسجد ولكن لم يستجب لكلامنا أحد.

وكان يتكلم بقوة وكانت عضلات وجهه وحركات يديه تشارك لسانه التعبير إذا كانت المترجمة تتأكد من فهمه لترجمتها وعندما كان يصل إلى جملة (ولكن لم نجد مساعدة) كانت كلماته تخرج من فمه وكأنها تنهدات الحسرة وصيحات الألم، وكنا نشاركه ذلك بل أكثر من ذلك لأننا نعلم من إمكانيات العرب المسلمين على مساعدته أكثر مما يعلم ثم أخرج لنا رسماً لواجهة مسجد حديث على طراز عربي جميل وقال: إننا نريد أن نبني المسجد على هذا الطراز وكان يتكلم وكأنه يحب أن ينتهز فرصة ظن أنه لن تأتيه بأن يجد من يحدثه في هذا الموضوع هذا مع أنه لم يسألنا عن أسمائنا ولا من أي بلد نكون ولا عن مهمتنا ما هي.

فقلنا للمترجمة: بعد أن هدأ كلامه: اشرحي له ما يأتي: إننا وفد من المملكة العربية السعودية قدمنا إلى بلاده لكي نراه ونرى إخواننا المسلمين في هذه البلاد وخصوصاً قبيلة تيمور التي هي ذات أصل عربي وأهم ما عندنا أن نعرف ما يحتاجون إليه في أمور دينهم مثل احتياجهم إلى توسيع المسجد والمساعدة على إنشاء مدرسة إسلامية لذلك نرجو أن يجمع لنا زعماء المسلمين وكبارهم في هذا المساء على أن يكون معهم رجل يحسن الفرنسية لأن المترجمة التي معنا ستتركنا في (فرفنقان) وسوف نبحث عن كل ما يتعلق بما ذكر في ذلك الوقت. فأبدي استعداده لذلك.

* بين الملكة والأمـــير:

طلبت أن آخذ صورة تذكارية بين الملكة وزوجها الأمير ففـرح بـذلك و نادى امرأة أحضرت له ملابس عربية لبسها ونحن معه وكان قبل ذلك عليه قميص قصير وسروال وطاقية من القش. أما الآن فقد نزع القميص القصير ولبس ثوباً عربياً واسعاً طويلاً إلا أنه يرتفع عن القدم قليلاً شبيهاً بـالقمص العربية الطويلة التي يلبسها العمانيون وطربوشاً أحمر قصيرا في أعلاه مجموعة من الخيوط السوداء المجدولة والتي كانت العامة في نجـد تسـميها (فـيس) عندما كان الناس في الجزيرة يلبسونها تقليداً للأتراك. ثم أدار على الطربـوش عمامة طويلة ولكنها ليست عريضة بحيث أدار عدة طيات منها ولكـن أعـلا الطربوش بقي بارزاً.

وبدا الرجل مزهواً بهذه الثياب العربية فخوراً يخطو وكأنه يحجـل ورفـع حاجبيه وهو ينظر إلى كل واحد، ويزم شفتيه يرفعهما إلى أعلى وهـو يـتكلم. وعندما أخبرته أن الملابس العربية هذه هي التي نلبسها في البلدان العربيـة في مكة مثلاً ما عدا الطربوش الذي هجر منذ زمـن فـرح بـذلك وازداد فخـراً ومن المفارقات الطريفة أن هذا الأمير في هذا الركن القصير الخفي من العـالم قد امتنع عن أن تؤخذ له صورة إلا وهو يرتدي الملابس العربيـة وأنـا الـذي ألبس الملابس العربية في العادة أرتدي الآن ملابس إفرنجية، ذلك بأن القوم في العاصمة نصحوني ألا أظهر بمظهر يميزني عـن الآخـرين التماسـاً للأمـن ولاعتبارات أخرى تتعلق بمهمتنا.

أما الملكة فقد كانت دخلت إلى غرفة في البيت ثم عادت وقد لبست ثيابها الملكية قميصاً أخضر لا أدري عن طوله لأنه مستور من أسفل الصدر بـرداء مخطط بخطوط قرمزية وسوداء وقد وضعت على رأسها ورقبتها شالاً أبيض

وبدت في هذه الثياب أكثر وجاهة إلا أنه بان على وجهها أكثر أن صحتها ليست على ما يرام فقد كانت علامات عدم الصحة وهي في ملابسها الأول منسجمة مع تلك الملابس غير المعتنى بها.

ووقفت بينهما لأخذ الصورة وكانت الملكة تبدو زينتها غير مهتمة بالأمر أما الأمير فإنه فرح جداً بهذه الصورة حتى إذا لمع ضوء المصورة في عينيه يعلن التقاط الصورة قفز وصفق بيديه.

وهذا يدل على اعتزازه بملابسه وعلى أن المصورات عندهم غير موجودة و إلا لما كان يحتفل بالصورة كل هذا الاحتفال.

وعندما انتهى التصوير لم أشأ أن أغادر المكان دون أن أجعل الملكة تتكلم فقلت للمترجمة: أخبريها أننا من المملكة العربية السعودية وأننا سنبلغ إخواننا ونبلغ أخواتها المسلمات أننا قد رأيناها ونحمل لهن تحية منها فمن أين أصلها؟

فقالت الملكة: إن أصلها من بلاد العرب فقلنا: من أي جزء من بلاد العرب قدم أجدادها قالت: من مكة. فسألناها وما اسم أجدادها قبل أن يغادروا مكة؟ فقالت: إنها لا تدري وهنا قال زوجها إن أجدادها قدموا إلى هذه البلاد بعد عام ١٥٠٠ ميلادية بقليل.

وكان في المجلس امرأة يبدو أنها شابة لأن معها طفلاً تخرج ثديها أمام الناس وترضعه مع يقيني أن ذلك الثدي ليس فيه شيء من اللبن لأنه نحيل ضعيف وهي تبدو صفراء اللون كأنها العليلة مع أنها أكثر بياضاً من جميع من في البلدة بل إن لونها في مثل لون البدويات في الجزيرة في الوقت الحاضر إلا أنه يظهر أنها وأكثر أفراد هذه القبيلة في هذا المكان الرطب المليء بالمستنقعات ومع الحفاء الذي لا يعرف النعال ربما تكون مصابة بطفيليات معوية تساعد

على هدر الغذاء واعتلال الصحة واصفرار اللون. وسألنا الأمير عنها فقلنا: من تكون هذه المرأة؟ فقال إنها ابنتي.

وجعلت أرقب الملكة وزوجها وابنتها وحفيدتها بالنسبة إلى من يشابهون من العرب فإذا الملكة تشبه عجوزاً بدوية بائسة سمراء والبنت تشبه امرأة مريضة من أهل نجد والطفل يشبه أحد صبيان تهامة. والأمير يشبه أحد الحضارمة البدينين الذين يسكنون بين الساحل والداخل في حضر موت فهو أكثر بياضاً من سكان الساحل الحضرمي وأقل بياضاً من سكان الداخل ولكن تقاطيعه تشبه الحضرميين.

وبقي عليّ أن أعرف اسم الملكة فسألت عن اسمها لأنها كما قلت قد جلست في طرف مجلسنا كما تفعل المرأة العربية المحافظة، فأخذ الأمير يفكر ويلتفت إلى من حوله ثم قال: اسمها باسولا التي أصلها بتول بنت موسى ونظراً إلى أن هذا الاسم غير واضح إنه عربي فربما كان يتذكر اسماً عربياً آخر.

على أن عدم الاهتمام بالاسم أمر ليس مستغرباً. في هذه البلاد كما سنقص ذلك بعد العودة إلى (وي بن) ثانية في هذا المساء.

* * * * * *

* الجراد في تاناناريف:

إن من أطرف الأشياء وأمتعها أن يتمشى المرء في أسواق تاناناريف الشعبية إذ سيجد فيها من البضائع الوطنية ومن المآكل الشعبية ومن الفواكه المحلية ما لا يكاد يجده في بلد آخر. وكل ذلك يمكن لمن يملك أقل القليل من النقود أن يشتري منه إذ أراهم يشترون بعشرة فرنكات أي: حوالي ثلاثة قروش سعودية أشياء مما يؤكل أو يستعمل وبعض البضائع المعروفة بسيطة قليلة الثمن بحيث لو قدمت كلها لما زاد ثمنها على دولار أمريكي واحد.

والباعة أنفسهم بسطاء مؤدبون إذا رأوك لا يطلبون منك أن تشتري وإذا وقفت تتفرج برؤية البضاعة أو تقلبها فإن عرضهم عليك أن تشتري يكون مؤدباً مهذباً وإذا ساومت وانصرفت دون شراء لم يغضبوا منك أو يشتموك كما يفعل صغار الباعة في كثير من البلدان المتخلفة وقد جربت ذلك منهم بنفسي إذ إنني أسأل عن البضاعة بدافع الفضول أو طلب المعرفة وليس بدافع الرغبة في الشراء وقد لاحظت أن الأسماك المعروضة للبيع في السوق الشعبي تكون عشرات من الأنواع وربما تكون مئات، ومرة رأيت ما يشبه السمك الصغير (الروبيان) إلا أنه أسود اللون، وصغير الحجم وهو في أنواع عدة وعلى أشكال مختلفة، ورأيت المارة يقفون ويدفعون فرنكات قليلة ثم يأخذون منه ويأكلون مسرعين فتأملته فإذا هو الجراد، إنه الجراد الذي كنا نأكله في المملكة ولكنهم أعدوه إعداداً آخر بعضه مسلوق كما هو عندنا معروف، وبعضه مقلي، وهذا أغلى من الأول وبعضه مشوي منظوم في عود أو (سيخ) صغير ينشره المشتري فيأخذ الجراد ويدع (السيخ) ورأيت بعضهم مشغولاً بإبعاد أرجل الجراد وأجنحته حتى يكون ذلك أكثر إغراء للناظر وليكون جاهزاً للأكل بدون تعب.

* * * * * *

*** اقتراحات حول إعادة أهالي مدغشقر إلى الإسلام:**

أولها: أمر مهم جداً وهو افتتاح ممثليات للبلاد الإسلامية في تاناناريف فذلك لازم للإشراف على صرف المساعدات وتوفير الحماية للعاملين في الحقل الإسلامي من خارج مدغشقر وهو أيضاً أمر لازم لتحسين العلاقات ما بين الحكومات الإسلامية وحكومة مدغشقر وقد يعدل من سياسة حكومة مدغشقر في بعض المجالات لأنها حكومة لا تكاد تختلف عن بقية

الحكومات الأفريقية التي يمكن أن تسير معك بسهولة ولكنها تنصرف عنك بسهولة إذا لم تتابع خطواتك معها بالعناية والرعاية.

وأمر آخر مهم جداً وهو أن وجود ممثليات إسلامية نشطة في تاناناريف مما يقوي جانب المسلمين المحافظين في جزر القمر المجاورة، بل مما يعمل على تقوية الصلة بين البلاد الإسلامية وبين المسلمين في كل أنحاء الجزائر الواقعة في غرب المحيط الهندي مثل موريشيوس ورينيون وسيشيل.

ثانيها: تعيين ملحق ديني في السفارات الإسلامية بعد افتتاحها، يكون مسؤولاً عن كل ما يتعلق بمساعدة الدعوة الإسلامية هناك.

* * * * *

* **المساعدات المالية:**

يجب صرف مساعدات عاجلة بمثابة الإسعافات الأولية التي لا تغنى عن العلاج الدائم وذلك للمشروعات التالية في بعض المدن.

أولاً: الجمعية الإسلامية الملاقاشية في العاصمة تاناناريف:

١- مطبعة للجمعية لطبع الكتب الصغيرة الإسلامية والمنشورات ونحوها.

٢- شراء مركز للجمعية في العاصمة تاناناريف يشتمل على مدرسة وقاعة اجتماعات ومقر نشاط وتجمع.

٣- إقامة مسجد جامع مناسب في الجمعية تكون الخطب والدرس والوعظ فيه باللغة المالاقاشية.

٤- إقامة مركز إسلامي لتعليم اللغة العربية وإلقاء المحاضرات الإسلامية وتزويده بالكتب الإسلامية التي بعضها للمطالعة وبعضها للتوزيع على الجمعيات والهيئات الإسلامية المختلفة في مناطق مدغشقر،

تتولى إقامته الحكومات العربية ثم يتولى الإشراف على تسييره مجلس من سفراء الدول الإسلامية المعتمدين في مدغشقر.

ثانياً: مدينة توليار

أ- إعادة بناء مسجد حي (تانالك) وترميم مسجد حي (تانامبوا)

ب- بناء مدرسة إسلامية تسلم للجمعية الإسلامية هناك.

ثالثاً: مدينة فورديفان

أ- بناء مسجد ومدرسة إسلامية من الاسمنت المسلح.

ب- نعوش لتجهيز أموات المسلمين.

ج- بناء مستوصف إسلامي وتسليمه للجمعية الخيرية الإسلامية هناك.

رابعاً: مدينة مانكار

أ- بناء مسجد ومدرسة إسلامية.

ب- إقامة مركز لتعليم اللغة العربية.

خامساً: مدينة وي بن

أ- بناء مسجد ومدرسة إسلامية.

ب- إقامة معهد إسلامي وتسليمه لملكة تيمور.

ج- بناء أربعة مساجد في القرى التابعة لها.

سادساً: مدينة منجار

بناء مسجد ومدرسة إسلامية.

سابعاً: مورنداف

بناء مسجد ومدرسة إسلامية.

ثامناً: مدينة إميلين عاصمة قبيلة السكالافاه

بناء مسجد ومدرسة إسلامية.

تاسعاً: مدينة ماجنقا

أ- ترميم المساجد المحتاجة للترميم وعددها (٧).

ب- إقامة معهد إسلامي وتسليمه للجمعية الإسلامية فيها.

عاشراً: بلدة سالالا

أ- بناء مسجد ومدرسة ملحقة به.

ب- إقامة مركز لتعليم اللغة العربية وتسليمه للجمعية الإسلامية فيها.

حادي عشر: بلدة لالافا

بناء مسجد ومدرسة

ثاني عشر: مدينة تاماتاو

أ- ترميم المساجد الأربعة الموجودة فيها.

ب- بناء مدرسة ومكتبة إسلاميتين.

ثالث عشر: مدينة ديقو

أ- ترميم خمسة من المساجد الموجودة فيها.

ب- بناء مدرسة ومكتبة إسلامية.

ج- إقامة مركز لتعليم اللغة فيها وتسليمه للجمعية فيها.

ونظراً إلى أن هذه الأمور كلها كثيرة بحيث لا يسهل على دولة إسلامية واحدة أن تقوم بها كلها في آن واحد سواء من حيث الإنفاق أو التنفيذ أو الإشراف على التنفيذ فإنه يمكن أن تتقاسم الدول الإسلامية القيام بها عن طريق مجلس من سفراء الدول الإسلامية في تاناناريف بمساعدة من رابطة العالم الإسلامي التي ينبغي أن تتصل بالهيئات والحكومات الإسلامية غير الممثلة في مدغشقر لهذا الغرض.

* * * * * *

* **المساعدات الثقافية:** يمكن تقديم المساعدات الثقافية الضرورية الآتية سنوياً وفق خطة عشرية أي لمدة عشر سنوات:

أ- تخصيص (١٠٠٠) منحة دراسية لأبناء المسلمين من أنحاء مدغشقر بواقع مائة منحة كل سنة منها (٨٠) منحة في الموضوعات الإسلامية والعربية في الكليات الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرهما من البلاد الإسلامية. ومنها عشرون منحة في موضوعات مدنية في جامعات البلاد الإسلامية يكون بعضها في الزراعة وبعضها في التجارة والهندسة والطب وذلك حتى تتهيأ لأبناء المسلمين في مدغشقر بعض الفرص التي تؤهلهم للوظائف المدنية العليا في البلاد.

ب- إرسال مائة داعية إسلامي وفق خطة عشرية لمدة عشر سنوات بواقع عشرة دعاة كل عام ويجب أن يكون أولئك الدعاة ممن يحسنون العربية والفرنسية إما من البلاد العربية في شمال إفريقيا أو من البلاد الأفريقية ذات الثقافة الفرنسية مثل مالي والسنغال وساحل العاج.

ج- مواصلة إرسال كميات من الكتب الإسلامية باللغة الفرنسية ومن أهمها ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية وكتاب (موقف القرآن والتوراة والإنجيل من العلم) لمؤلف فرنسي إلى جانب كتب الهجاء العربية المشروحة بالفرنسية والمقررات الدراسية العربية المبسطة.

وتوزع تلك الكتب بمعرفة الملحقين الدينيين في مدغشقر ويكون على رأسهم الملحق الديني في السفارة السعودية في تاناناريف.

د- دعوة عدد من وجهاء المسلمين إلى أداء الحج كل عام لمدة عشر سنوات تستضيفهم رابطة العالم الإسلامي ووزارة الحج والأوقاف بالمملكة ويرافقهم ممثل الرابطة أو الوزارة، ويكون اختيارهم بناء على اقتراح

الملحق الديني في السفارة السعودية.

هـ- العمل على عقد معاهدات واتفاقات ثقافية بين حكومة مدغشقر وبين الحكومات الإسلامية يكون من نتائجها الاتفاق على نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية هناك وإقامة دورات لتعليم اللغة العربية للذين يرغبون في تعلمها من أهالي مدغشقر من المسلمين وغيرهم.[1]

(١) انظر: «مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين» سبق الإشارة إليه.

۞ جولة في جزائر البحر الزنجي[1]

قصص خلابة مشوقة تلك التي سطرها قلم العبودي إثر رحلتين قام بهما في عاميي (٩٨- ١٣٩٩هـ) في كتابه: (جولة في جزائر البحر الزنجي) الذي أصدر المؤلف طبعته الأولى عام ١٤٠٢هـ، وإذا كان الأديب الرحالة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي قد أتحف المكتبة العربية بعدد كبير من كتب الجولات الإفريقية، فإن هذا الكتاب الذي جاء على نسق تلك الكتب باستبطانه للحياة الاجتماعية والسياسية وقضايا الدعوة وشؤون المسلمين يبين لنا تمايز الشعوب التي تعرف عليها في كل من موريشيوس وريونيون وجزر القمر وزنجبار وسيشل وهي جزائر البحر الزنجي الواقعة جهة الشرق من القارة الأفريقية.

ويعرفنا المؤلف - جزاه الله خيراً - أن بعض هذه الجزر كانت عربية بحكامه وثقافة المثقفين فيه وكذلك بطائفة من أهله، وكان بعضها عربياً لأن العرب هم أول أناس في التاريخ المعروف وصلوا إليه واكتشفوه، وبعضها جزر إسلامية كان الإسلام قد دخلها منذ عصور مبكرة حتى أصبح الإسلام هو دين أهلها كلهم مثل جزائر القمر وزنجبار. من أجل ذلك فإن الاطلاع على هذا الكتاب أو دراسته تفيد الدارس ويرشد الباحث ويشبع فهم القارئ ولاسيما الذي يهتم بأدب الرحلات، ولاشك فإن قلم العبودي الحاذق وبصيرته النافذة يزيدان من شد القارئ إلى المعرفة الواقعية العميقة وكأنه انتقل خلال السطور إلى الأماكن التي شاهدها المؤلف بنفسه.

---

(١) مجلة رابطة العالم الإسلامي: العدد ٣٨٣ - السنة ٣٤ - رمضان ١٤١٧هـ - يناير/ فبراير ١٩٩٧م.

أولاً: مورشيوس:

بدأت رحلة أديبنا الرحالة العبودي إلى جزر البحر الزنجي في التاسع عشر من المحرم ١٣٩٨هـ مروراً بالعاصمة الكينية نيروبي حيث يحدثنا في بداية الكتاب عن الدعوة الإسلامية فيها وعن انطباعاته عن مسيرتها مقارناً بين حال الدعوة أيام الاستعمار الإنجليزي وحالها بعد رحيله عن كينيا، وفي محطته الأولى (موريشيوس) زار المؤلف مساجدها ومعالمها الإسلامية ومنها مكتب رابطة العالم الإسلامي الذي كان موصداً، والمركز الإسلامي ومسجد الجمعة، ودار الرعاية الإسلامية، كما شارك في المؤتمر الإسلامي وألقى كلمة بين فيها أهمية الرابطة الإسلامية بين مسلمين، وقد لاحظ المؤلف أن اللغة العربية تنتشر في موريشيوس ولاسيما بين الفئات المثقفة، والمتدينة لأنها لغة القرآن الكريم، وفي هذه الزيارة التقى مع رئيس وزراء موريشيوس آنذاك السيد غلام رام بترتيب من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية هناك.

وبعد حديثه عن جولاته داخل موريشيوس تحدث المؤلف في فصل خاص عن الإسلام والمسلمين في هذه الجزيرة مشيراً إلى أن مجيء المسلمين إليها يعود إلى ١٧٢٢م أثناء الحكم الفرنسي، وكان المسلمون الأوائل من رجال البحر ومن الصناع وأغلبهم من الهنود، وتحدث كذلك في هذا الفصل عن النضال السياسي لمسلمي موريشيوس والتعليم الإسلامي وتمويل المدارس الإسلامية وأنشطتهم الاجتماعية. كما تحدث عن أعمال الدعوة من خلال التعريف بالمؤسسات الإسلامية والمساجد والجوامع في الجزيرة.

ثانياً: رينيون:

بعد جولته في جزيرة موريشيوس انتقل المؤلف إلى المحطة الثانية وهي جزيرة (رينيون) التي قص علينا مشاهداته فيها وأدلى بملاحظاته الدقيقة

حول أشكال أهلها وبعض طباعهم، ثم بين دخول الإسلام إلى هذه الجزيرة فقد كان ذلك مع العمال المسلمين الذين جلبهم الفرنسيون من جزائر القمر وغيرها من مستعمراتهم الأفريقية، وكان المؤلف قد زار عدداً من مساجد الجزيرة وجمعياتها منها جمعية السنيين.

* **المسلمون في جزيرة رينيون:** يقول المؤلف: دخل الإسلام إلى جزيرة رينيون مع العمال المسلمين الذين جلبهم الفرنسيون من جزائر القمر وغيرها من مستعمراتهم الأفريقية إلا أن (القمريين) كانوا الأغلبية من المسلمين الأوائل. للعمل في مزارع قصب السكر ومع الهنود الذين وفدوا من جهة القارة الهندية للتجارة. وللمسلمين جمعية إسلامية قوية اسمها جمعية السنيين. وبالجزيرة أربعة عشر مسجداً وإحدى عشرة مدرسة يدرس فيها الدين باللغة الأردية وهم بحاجة إلى مدرسين يجيدون اللغة العربية واللغة الفرنسية لأنها اللغة الشائعة الاستعمال ولأن الاستعمار صبغ الجزيرة بها فهم لا يتكلمون غير الفرنسية حتى الانكليزية يجهلونها إلا من ندر من بينهم. ورغم قلة المسلمين في العدد فإن لهم مكانة ظاهرة واضحة سواء من الناحية التجارية أو السياسية لأن كثيراً منهم من التجار النشطين وبخاصة من كانوا من أهل ولاية (كجرات) الهندية في الأصل، وبعضهم ولدوا في جمهورية جنوب إفريقيا، وهاجروا إلى (رينيون) وأسسوا فيها المتاجر.

ثم أقاموا فيها، واكتسبوا الجنسية الفرنسية جنسية أهلها.

وقد سبق الكلام على شيء من ذلك في اليوميات.

ويبلغ عدد المسلمين في (رينيون) أثناء رحلة المؤلف خمسة عشر ألفا من مجموع السكان البالغ أربعمائة وثمانين ألف نسمة، من المسلمين تسعة آلاف من أصل هندي وستة آلاف من أصل قمري أي من جزر القمر.

ولكن النشاط الإسلامي الفعال يكاد كله يكون من نصيب المسلمين من ذوي الأصل الهندي لأن نشاطهم التجاري واتصالهم الثقافي المستمر مع موطنهم الأصلي في القارة الهندية يساعدهم على ذلك، إذ لم يزالوا حتى الآن يستقدمون الأئمة والمرشدين والمدرسين المسلمين من الهند يدفعون إليهم الرواتب ويوجدون لهم المساكن من جمعيتهم الإسلامية القوية.

وأكثرية المسلمين يسكنون في بلدة (سانت دنيس) العاصمة تليها في ذلك بلدة: (سانت بيير) ثم (سانت بول).

أما الديانات الأخرى فإن حوالي ٨٠ ٪ من السكان يدينون بالنصرانية وغالبهم من الكاثوليكيين وهناك الهندوكية التي تلي النصرانية في الكثرة. وللمسلمين مركز إسلامي نشط في جزيرة رينيون يصدر مجلة إسلامية دورية بالفرنسية كما قام بطبع عدد كبير من الكتيبات والنشرات الإسلامية وأغلبها ترجمات لكتب إسلامية صغيرة غيرها مثل مؤلفات الشيخ المودودي والشيخ أبى الحسن الندوي.

ثالثاً: جزر القمر:

وكانت هي المحطة الثالثة في رحلة معالي الشيخ العبودي إلى جزائر البحر الزنجي حيث وصف في القسم الثالث من كتابه مشاهداته فيها وتحدث عن زياراته لمساجدها ولقاءاته بدعاتها، كما التقى برئيس الجمهورية السيد علي صالح الذي كان رئيسا أثناء زيارة هذه الجزائر، بعد ذلك عقد المؤلف فصلاً للتعريف بجزر القمر التي تتألف من أربع جزر هي: (انجازيجه) وفيها العاصمة (مروني) وجزيرة (هنزوات) وجزيرة (موهيلي) وجزيرة (مايوت). إضافة إلى عدد آخر من الجزر الصغيرة، ثم تحدث عن دخول الإسلام إلى هذه الجزر.

* دخول الإسلام إلى جزر القمر:

أهل جزائر القَمر، أو الجزائر القُمر كلهم مسلمون إلا قلة نادرة تقطن في جزيرة مايوت والنادر لا حكم له، هذا ما ذكره المؤلف... ويتابع قائلاً: ولذلك لا مجال للبحث في نسبة المسلمين فيها.

وأهلها يسيرون على المذهب الشافعي الذي هو السائد في شرقي إفريقية.

إلا أن الشيء الذي يستحق البحث هو كيفية دخول الإسلام إلى جزر القمر وهذا أمر يصعب الجزم فيه برأي ذلك بأن المنطقة القريبة من جزر القمر مثل ساحل تنزانيا كانت بلاداً إسلامية ذات ملوك وحكام مسلمين مقرهم في (كلوه) وكانوا معروفين بالجهاد والدعوة إلى الله.

ذكر ابن بطوطة أحدهم عندما زار كلوة في القرن الثامن كما أن إقليم سفالة الذي يعنى ساحل موزمبيق جنوب تنزانيا، كان فيه مسلمون قبل ألف سنة وكان المسلمون يترددون عليه وذكره بذلك الإمام المسعودي في ذلك التاريخ أي: قبل ألف سنة. إضافة إلى أن زنجبار كانت بلاداً إسلامية بحكامها وأكثرية أهلها منذ القرن السادس حسب ما قرأته بنفسي على أحد مساجدها القديمة وهي ليست بعيدة عن جزر القمر. إذاً جزر القمر تقع في منطقة مجاورة لمنطقة إسلامية وإذاً لا عجب أن يدخلها الإسلام في عهد قديم. وهي أيضا جزائر مفتوحة بمعنى أن المجاهل الواسعة ليست موجودة فيها مثل ما كانت توجد في مدغشقر وأهلها ذوو طبيعة ودية فكان المفترض لذلك السبب أن يدخلها الإسلام منذ عهد قديم.

أما العرب فإن هجراتهم إلى تلك الأماكن كانت قديمة متصلة ولكنها ليست على هيئة هجرات جماعية لأن البلاد العربية التي كانوا يقدمون منها ليست مزدحمة بالسكان وهي حضرموت وجنوب الجزيرة العربية وعمان، مما

ظهر جلياً في اللغة السواحلية في زنجبار وشرقي إفريقية التي كانوا يتخذونها منطلقاً لهجرات فردية أو بأعداد قليلة إلى البلاد المجاورة الأخرى مثل جزر القمر هذه ومدغشقر وموزمبيق ورواندا وبروندي وشرقي الكنغو (زائير حاليا).

رابعا: زنجبار:

وقد زارها المؤلف في بداية الرحلة الثانية التي تحدث عنها في هذا الكتاب وذلك عام (١٣٩٩هـ) جاءت هذه الرحلة بعد زيارة لتنزانيا بناء على دعوة من حكومتها لوفد إسلامي سعودي ضم مع المؤلف كلاً من الشيخ إبراهيم بن صالح آل الشيخ نائب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد والأستاذ الأديب عبد الله بن إدريس والشيخ حمد بن إبراهيم بن قعود، وعقب زيارة تنزانيا زار الوفد زنجبار التي كانت داخلة مع تنزانيا باتحاد سياسي، وقد وصف المؤلف مشاهداته ولقاءاته مع المسلمين وكبار الدعاة في هذه الجزيرة كما تحدث عن جامع زنجبار الذي يسمى مسجد الجمعة حيث أدى فيه صلاة الجمعة، وتحدث كذلك عن مدرسة خديجة التي زارها خلال هذه الرحلة وهي بطبيعتها وبرامجها أشبه بالكتاب، كما تحدث عن معهد زنجبار الإسلامي الذي كان موجوداً منذ أيام الحكم العربي حيث تخرج منه عدد من الطلاب الذين نفعوا بلادهم في مجال العلوم الإسلامية والعربية.

خامساً: سيشل:

وصلها المؤلف بعد أن أنهى زيارته لمدن جزيرة زنجبار ويصف جزيرة سيشل ويتحدث عن أهلها وأصولهم ولغتهم فيقول:

- يبلغ عدد سكان سيشل ستة وستين ألفا منهم خمسون ألفاً في العاصمة،

جزيرة (ماهي) التي عاصمتها بلدة فكتوريا وبقية السكان وهم ستة عشر ألفاً موزعون على بقية الجزر التي تبلغ اثنتين وتسعين جزيرة. وقد نالت الاستقلال من بريطانيا عام ١٩٧٦م.

ويبلغ طول جزيرة (ماهي) من الشمال إلى الجنوب ٢٩ كيلومتراً وعرضها في المتوسط عشرة كيلات.

ومن أهم جزر سيشل السياحية جزيرة الطير وتبعد مائة كيلومتر عن (ماهي) العاصمة وأهميتها لا تنبع من عدد سكانها إذ لا يزيد عدد السكان فيها عن عشرين شخصاً ولكن أهميتها ترجع إلى كونها تركت بمثابة أنموذج للحياة الطبيعية في هذه الجزر.

أما اللغة فإنها تسمى (الكريول) وتعني المختلط ولكن بالنظر إلى وجود الكريول في جزر أخرى في هذا المحيط مثل موريشيوس ورينيون فإنهم يسمون هذه (سيشليانو).

- أما المسلمون وأوضاعهم في سيشل فيقول عنهم المؤلف: دخل الإسلام في سيشل لأول مرة على أيدي عدد من المهاجرين الأوائل الذين جاؤا من بلاد الملايو في القرن التاسع عشر الميلادي وقد مات عدد منهم في سيشل وكان من أثارهم أن خلفوا مقبرة للمسلمين لا يزالون يدفنون فيها موتاهم حتى الآن ولم يخلف هؤلاء ذرية مسلمة إذ سافر أبناؤهم عائدين إلى بلادهم في الملايو بعد ذلك. ثم جاء قوم من الهند كان من أقواهم رجلاً اسمه آدم موسى من كجرات في الهند وقد أصبحت الآن أسرة كبيرة من ذريته على رأسهم ابنه سلمان آدم موسى جد الشيخ أبي الفضل محسن إبراهيم بن سليمان ابن آدم موسى الذي تعلم في باكستان وفي مصر ثم تعاقدت معه دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية للإرشاد والدعوة في سيشل، وقد قام بالأمر

وذكرنا بعض أعماله التي من أهمها إقامة هذا المركز الإسلامي والمصلى الذي بداخله بمثابة المسجد للمسلمين، ويبلغ عدد المسلمين في وقت زيارة المؤلف في سيشل مائة واثنين وكلهم من المسلمين القدماء ماعدا فتاتين أسلمتا في السنتين الأخيرتين، ويصف الحال آنذاك بقوله: لا يوجد للمسلمين هنا مسجد ولا قاض ولا صحافة، ولا أي شيء من مقومات الدين قبل قيام الشيخ (أبو الفضل) بما قام به، ويسكنون كلهم في بلدة فكتوريا ماعدا أسرتين يسكن أفرادهما في خارجها، والمستقبل هنا ليس مشرقا بسبب الجهل بالدين والبعد عن التعليم الإسلامي وقلة المسلمين مع أن جيرانهم المسلمين في موريشيوس أهل قوة وفهم وتفهيم للدين وعند المساجد والمدارس ويأتي إليهم الدعاة من الهند وباكستان ومن جنوب إفريقية فضلاً عمن يأتونهم من البلدان العربية.

إلا أن أمل المسلمين في جزر سيشل أخذ يقوى في الأوقات الأخيرة بسبب هذه الحركة التي قام بها الشيخ أبو الفضل والمؤمل أن تزداد وتتوسع مع الزمن، ولا يقتصر أملهم فيها على حفظ أنفسهم وذراريهم من الضياع الديني وإنما قد يأملون في أن يزداد عددهم بدخول غير المسلمين إلى الإسلام. ومعظم المسلمين الذين هم من أصل هندي حالتهم المادية حسنة ويشتغل أكثرهم بالتجارة.

تلك هي جولة على صفحات هذا الكتاب القيم الذي يقع في (٣٦٨) صفحة في طبعته الأولى وهو من توزيع دار العلوم بالرياض.

۞ زيـارة لسلطنة بروناي الإسلامية (١)

زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية: عنوان لأحد كتب معالي الشيخ محمد ابن ناصر العبودي.. الأديب الرحالة السعودي الذي جاب الجهات الأربع على اليابسة مسجلاً في ذلك مشاهداته وملاحظاته على حياة المسلمين في كل مكان زاره. وقد ظهرت الطبعة الأولى للكتاب عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م بين في مقدمتها أن سلطنة بروناي هي إحدى سلطنات بلاد الملايو القديمة التي كانت منتشرة فيما يسمى الآن بماليزيا وسنغافورة وجنوب تايلند وكذلك جنوب الفلبين وبقيت هذه السلطنة مستقلة ولم تدخل إتحاد ماليزيا وقد زار المؤلف سلطنة بروناي ضمن وفد شارك فيه الشيخ أحمد بن علي المبارك السفير في وزارة الخارجية السعودية ورئيس الشؤون الإسلامية آنذاك، والشيخ علي محمد مختار الذي كان أميناً عاماً مساعداً لشؤون المساجد في رابطة العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وكان معالي الشيخ العبودي آنذاك أميناً عاماً للدعوة الإسلامية. وقد سار المؤلف في هذا الكتاب على الطريقة التي سار عليها في كتبه الخاصة بأدب الرحلات وهي تسجيل المشاهدات والوقائع في مذكرات يومية مع كتابة فصل مختصر عن المناطق التي زارها حيث أوضح بعض المعلومات المتعلقة بها، وفي بداية الكتاب تحدث المؤلف عن الموقع الجغرافي لسلطنة بروناي ثم تحدث عن سكانها مشيراً إلى أن نسبة

---

(١) مجلة الرابطة: العدد ٣٨٥ - السنة ٣٤ - ذي القعدة ١٤١٧هـ - مارس/ إبريل ١٩٩٧م. والطبعة الأولى من زيارة سلطنة بروناي، والتي صدرت عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م- المطابع الأهلية للأوفست - الرياض.

لمسلمين منهم ٨٢ ٪ وذلك بحسب إحصاء عام ١٩٨٠م وبين أن السلطنة تتألف من أربع مقاطعات هي: (بروناي موارا، بلايت،توتونج، تمبورزنج).

وبين المؤلف أن بروناي وصلت زمن الحكم الإسلامي في القرن السادس عشر إلى أوج قوتها وذلك تحت حكم واحد من أعظم السلاطين هو السلطان بلقية، ويتحدث المؤلف عن النواحي الدينية حيث لفتت نظر الوفد السعودي فيصفها بأنها متقدمة، فقد وجد الوفد الروح الإسلامية متغلغلة في وجدان الشعب والحكومة بشكل لافت للنظر فالمساجد تبنى في كل مكان بسخاء حتى إن (الأستاد) الرياضي الجديد في أركانه الثلاثة أماكن للصلاة مع أنه منطقة خلوية كما أن المدارس والمصالح الحكومية وقصور الضيافة لابد أن يكون بجانب كل منها مسجد أو مصلى.

و يتحدث المؤلف عن مصلحة الشؤون الدينية.. فيقول إنها من أهم الإدارات الحكومية وهي ذات نفوذ وذات صوت مسموع ويرأسها رئيس إدارة الشؤون الدينية وهو برتبة وزير ولها وكيل عام وتضم المفتي ورئيس القضاء وغيرهم من الموظفين الكبار ولإدارة الشؤون الدينية أقسام أهمها:

قسم المحاكم الشرعية وقسم الإفتاء وقسم التعليم الديني وقسم الزكاة وقسم الدعوة والإرشاد وقسم شؤون الحجاج ولكل قسم دوره المعين في تيسير الشؤون الدينية وشؤون المسلمين في السلطنة.

وعلى سبيل المثال فإن المحكمة الشرعية تتولى تنفيذ العقوبات على مرتكب الزنا وشارب الخمر والمفطر في رمضان جهاراً إلى غير ذلك ومن واجباتها أيضاً الإشراف على جميع المساجد وتعيين أئمتها وموظفيها، ويتولى قسم الدعوة والإرشاد نشر الدعوة الإسلامية بالوسائل المختلفة بإقامة المجالس الدينية والمحاضرات العلمية في الاجتماعات الكبيرة عن طريق

الإذاعة والتلفزة وإلى جانب ذلك يصدر هذا القسم كتباً ومجلات شهرية أو دورية ويشترك في تحريرها وإعداد موادها الخبراء الدينيون من خريجي الأزهر وغيرهم ومنها مجلة (الهدى) التي تصدر كل ثلاثة أشهر..

ومن أهم الكتب المطبوعة التفسير المسمى: (تفسير دار السلام)، وقد بدأ إصداره عام ١٩٧١م وتم طبع ما يشتمل على تفسير أول القرآن إلى سورة براءة. كذلك بالنسبة لقسم التعليم الديني فقد أنشأته الإدارة الدينية وكلفته الإشراف على عدد من المدارس الدينية والعربية التي توجد في أنحاء البلاد في المدن والقرى، وبالإضافة إلى المدارس الدينية والعربية فهناك كلية لمعلمي المواد الدينية تهدف إلى إعداد مدرسين دينيين محليين مؤهلين مدربين.

وهذا كله مما تقوم به الحكومة من خطوات نحو منهج التعليم والتربية الإسلامية في جميع مراحل التعليم الابتدائية والثانوية لأبناء البلاد من جميع الطبقات. ويتولى قسم الزكاة (بيت المال) شؤون جمع الزكاة وتوزيعها على مستحقيها ومن واجب هذا القسم أيضا حل مشكلات المسلمين في شؤون الميراث والزوجات المتوفي عنهن أزواجهن أو المطلقات ومساعدة المصابين بالكوارث الطبيعية أو الحريق وما شابه ذلك إلى جانب العناية بمقابر المسلمين كما تقوم بالإشراف على تجهيز الموتى من المسلمين.

وقسم الإفتاء يرأسه المفتي ويختص هذا القسم بإصدار الفتاوي الشرعية لعامة الناس أو الحكومية ويرأس هذا القسم عالم ذو مكانة ومقدرة علمية والسلطان نفسه هو الذي يتولى تعيين المفتي في منصبه.

* * * * * *

*** العناية بالمساجد في بروناي:**

ونظراً لأن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة ومعتنقوه أكثر من ٨٠ ٪

فقد أقامت الحكومة كما يقول المؤلف المساجد في جميع أنحاء البلاد بحيث تم إلى آخر عام ١٩٨٢م نحو ٦٥ مسجداً من المساجد التي بنيت على منهج هندسي جديد وطراز حديث وهي مزودة بما تحتاج إليه المرافق والخدمات كما أن للمساجد أئمة ومؤذنين وخطباء بحسب ما يحتاجه المسجد وأهمية موقعه وكثرة المصلين فيه ولهم الرواتب الشهرية والمعاشات، وترغيباً لأئمة المساجد فإن الحكومة عملت على رفع مكانتهم بإعطاء منح مالية لأداء فريضة الحج لمن لم يؤد هذه الفريضة منهم ولكل مسجد لجنة تتألف من أهل محلته المصلين فيه وتكون مهمتها رعاية مصلحة الجماعة والمسجد وبعض المساجد تبنى على الماء لأنها لأهل القرى المقامة على الماء.

* * * * * *

*** إعانة الدعاة والمؤهلين:**

وللقيام بمهمة التوجيه والإرشاد الديني والإشراف على مصالح المساجد وأنشطتها لا بد من العناية بتأهيل الأئمة والخطباء والمؤذنين ليؤدوا واجبهم في التوجيه والإرشاد... يقول المؤلف: ذكر لنا المسؤولون في الشؤون الدينية أنه يجب أن يكون الإمام والخطيب من أهل العلم والخلق الكريم والسلوك المستقيم حتى يقتدي الناس به ويحبوه لأن منصب الإمام والخطيب هو أجل المناصب وأهمها وإلى جانب إعداد الإمام نفسيا فإنه لا بد أن يرتدي لباساً خاصاً مناسباً لمنصبه. هذا و قد ضمن المؤلف كعادته مشاهداته في جولتيه في هذه السلطنة الإسلامية في هذا الكتاب الذي زوده بالصور الملونة التي تحكى جانباً من قصة هذه الرحلة المباركة، وقد جاء الكتاب في نيف ومائة وتسعين صفحة. فجزى الله المؤلف خيراً على هذا الجهد وإلى لقاء مع كتاب آخر من كتبه القيمة.

۞ زيارة الشيخ لسلطنة بروناي
(رؤية وحوار)

- معالي الشيخ هلاّ حدثتمونا عن زيارتكم إلى بروناي ما هي أهدافها ؟

- الهدف هو بحث الأمور الإسلامية هناك مع وزارة الشئون الإسلامية والإطلاع عليها لكون بروناي محافظة قليلة الأخلاط من السكان غير المسلمين فقد تمسكت بكثير من الأمور الإسلامية الحميدة، حيث قامت الحكومة في بروناي بالاتصال بالسفارة السعودية في سنغافورة مبدية رغبتها في استقبال وفد من المملكة فكان لا بد من أن تلبي المملكة العربية السعودية هذا الطلب، بل إنها تسعى إليه لأن هدفها هو التعاون مع المسلمين على تطبيق الشريعة الإسلامية، بل العمل على نشر الدين الإسلامي في جميع أقطار المعمورة، فكان أن رفعت وزارة الخارجية هذا الأمر إلى مقام رئاسة مجلس الوزراء، وصدر الأمر السامي بتلبية طلب الشقيقة المسلمة بروناي.

- وكيف كانت زيارتكم أي كيف تمت هذه الزيارة ؟ وممّ تألف الوفد ؟

- رأت حكومة بروناي أن يجتمع الوفد السعودي بأولي الأمر فيها ويتباحث معهم في الأشياء التي تهمهم ويوضح لهم ما يمكن للمملكة العربية السعودية أن تقدمه - وهي أن تستطيع أن تقدم الكثير ولله الحمد - فكان أن تألف الوفد من الشيخ أحمد بن علي المبارك السفير في وزارة الخارجية ورئيس الشئون الإسلامية فيها آنذاك والشيخ علي محمد مختار الأمين العام المساعد لشئون المساجد في رابطة العالم الإسلامي سابقاً ومني، وقبل سفر الوفد كان رئيس وزارة سلطنة بروناي الحاج عبد العزيز بن عمر قد زار مكة المكرمة قبل قليل من الوقت معتمراً فاجتمعنا به في مكة المكرمة

وبحثنا بعض الأمور المتعلقة بعمل الوفد ومنها موعد السفر وتم الاتفاق على ذلك.

- هل قابلتم دولة رئيس الوزراء ؟

- نعم تمت مقابلة رئيس الوزراء حيث انطلق الوفد السعودي من الفندق في بروناي ومعه المرافقون الذين أهمهم الشيخ محمد زين بن سر الدين رئيس الشئون الدينية فقابلنا رئيس الوزراء آنذاك حاج عبد العزيز بن عمر، وهو الشخص الوحيد من بين المسئولين الذي قابلهم الوفد اليوم ممن سبقت لنا مقابلتهم، فكنا قابلناه ثلاثتنا في مكة المكرمة عندما كان قادماً لأداء العمرة قبل ثلاثة أشهر وكان نازلاً في ضيافة الحكومة السعودية مع مرافقين له.

- كيف كان استقبال رئيس الوزراء لكم ؟

- استقبل رئيس الوزراء الوفد بقلب مفتوح وتكلم معنا كما يتكلم الأخ مع أخيه، وقد تكلم كل عضو من أعضاء الوفد بكلمة مناسبة. فكان من كلمتي أننا نهنئ حكومة بروناي في عزمها على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، لأن ذلك يتفق مع مبادئنا في الأخذ بالشريعة الإسلامية، وقد كفل الأمن والاطمئنان لشعبنا حتى غدت المملكة مضرب المثل لذلك في العالم، في الوقت نفسه الذي أصبحت فيه حتى أرقى الدول في التقدم المادي مسرحاً للجرائم والخوف والإرهاب، ويكفي أن نضرب مثلاً بالدول الغربية أكبر قوة مادية صناعية في العالم فقد انتشرت فيها الجرائم إلى درجة أن الرجل لا يستطيع أن يسير وحده في معظم شوارع مدنها الرئيسية في الليل، فإذا كانت مدنيتها لم تضمن الأمن لمواطنيها فما هي قيمة الأشياء المادية الأخرى ؟

وكان من كلام رئيس الوزراء قوله: إننا نقوم الآن ببناء مركز للدعوة

الإسلامية نرجو أن يوفر لنا متخرجين في الشريعة الإسلامية والفقه، بل إننا نطمع إلى أن يصبح مركزاً لتخريج علماء الشريعة ليس من هذه البلاد (بروناي) وحدها وإنما من أقطار أخرى في آسيا بحيث تكون بروناي مقصداً لهذا الغرض، وإننا نرجو مساعدة المملكة العربية السعودية في الحصول على مختصين في الشريعة الإسلامية للتدريس فيها.

- بعد هذا الكلام الجميل من دولة رئيس الوزراء. ماذا قلتم ؟

- شكرنا لهم العمل في هذا الهدف النبيل وشجعناهم عليه وقلنا لهم: إن حكومتنا ترحب بالمساعدة في هذا الموضوع، بل إن ذلك سيكون مبعث سرور وارتياح لجميع المسئولين في المملكة العربية السعودية وكان رئيس الوزراء يتكلم والابتسامة لا تكاد تفارق فمه أو وجهه.

- ماذا قدم لكم دولة رئيس الوزراء ؟

- عند انتهاء المقابلة قدم رئيس الوزراء هدية لأعضاء الوفد لطيفة - إن لم أقل: إنها ألطف هدية تلقيتها وأحسنها وقعاً في نفسي - وهي مؤلفة من ثلاثة أشياء أحدها كتاب مصور عن بروناي بالملايوية والإنجليزية وكنت بحاجة إليه، والثانية علبة فيها نماذج من النقود الفضية الذهبية التي أصدرتها حكومة بروناي في الماضي موضوعة في غلاف مرتب جميل، والثالثة ميدالية فضية باسم السلطان، وكان لهذه الهدية اللطيفة وقعها الحسن لأنها هي التي نريدها وهي ليست بذات الكلفة الغالية ويمكن حملها إلى بلادنا بسهولة.

- أشرتم إلى تناول الطعام على طاولة دولة رئيس الوزراء. أين كان ذلك؟

- نعم حيث كانت الوجبة طعام العشاء وعلى مائدة رئيس الوزراء ومثل هذه المأدبة فرصة للحديث مع كبار القوم في أحاديث رئيسية وجانبية فيما يتعلق بمهمتنا التي قدمنا من أجلها وفي غيرها من أوجه التعاون الإسلامي.

واستقبلنا رئيس الوزراء آنذاك الحاج عبد العزيز بن عمر بما عهدناه منه من تواضع ولطف وكان مصورو التلفزة قد سبقوه إلى استقبال الوفد رغم كونه كان يقف عند الباب الخارجي ترحيباً بضيوفه.

وقد أقام المأدبة في المقر الرسمي لرئيس الوزراء وذكر أن مكان الاجتماع والقاعة التي ستكون فيها المأدبة والمكتب الملحق بهما كل ذلك ملحق بمكتب رئيس الوزراء، وعرفنا أن هذا المكان المكتمل ملك للدولة يسكن فيه رئيس الوزراء مادام على تلك الوظيفة، فإذا تركها أو تركته، ترك أيضاً هذا المكان ليشغله خلفه، وهذا شيء حسن رأيت له مثيلاً في بعض الدول الإفريقية غير الغنية التي خصصت للوزراء منازل على هيئة دارات (فيلات) جيدة يسكنون فيها ماداموا في الوزارة، ثم يخلونها إذا تركوا الوزارة.

- من من كبار القوم في بروناي حضروا هذه المأدبة ؟

- لقد حضر المائدة عدد من علية القوم وكبار الموظفين ومنهم مستشار السلطان (عيسى) والمفتي، ورئيس الشئون الدينية، وشخص لم أره من قبل جلس بجانبي وأخذ يكلمني بالعربية بمقدار لا بأس به من المعرفة، فظننت أنه قد تعلم في أحد البلدان العربية ولكنه نفى ذلك وقال: إنه تعلم العربية في بلاده (بروناي) وإنه تعلمها بنفسه، ما عدا قراءة الحروف التي كان قد تعلمها في المدرسة وهو صغير لأنها هي حروف اللغة الملايوية واسمه محمد جميل وقد تبين فيما بعد أنه أخ أكبر لرئيس مجلس الوزراء كما تبين أنه رجل ذكي محب للبحث وقال لي أحد الحاضرين:

إنه يعرف عدة لغات منها العربية واليابانية والانجليزية ولكن المهم بالنسبة إليّ أنني وجدت له اهتماماً بالناحية التاريخية فسألته عن أشياء تتعلق بتاريخ الأسرة الحاكمة في بروناي وأصلها.

- هلاّ وصفتم لنا مائدة رئيس الوزراء ؟

- كانت مائدة رئيس الوزراء واحدة ممتدة ومنحنية لئلا يبعد المدعوون عن صدر المائدة وقد نوعوا فيها تنويعاً حينما لم يفرقوها إلى موائد متعددة وكانوا في كل مآدبهم يكتبون بطاقة اسم الشخص على مكانه كما في المآدب الرسمية التي تتمسك بالقواعد المرعية في هذا الشأن.

فكان جليسي رئيس الشئون الدينية (محمد زين الدين) وكان مقابلاً لي على المائدة الأخ محمد جميل، فكانت فرصة طيبة للاستزادة من المعلومات عن هذه البلاد، لأن كلا الرجلين محب للبحث صبور على أسئلة الفضوليين أو الذين قد يعتبرهم بعض الناس بمثابة الفضوليين أمثالي، ومن لطائف ما صنعوه على المائدة أنهم وضعوا قوائم صغيرة عليها وفيها بيان بما يقدم من طعام وقد رتبوا فيها الأطعمة ترتيباً حسب تقديمها.

وهذا أمر حسن لأنه يبين للشخص ما سيأكله مما سيقدم له، ولئلا يكون قد اكتفى من طعام قبل أن يقدم إليه ما بعده، أو أن يكون قد ترك ما قدم إليه على أمل أن يأكله مما بعده.

- هل تم عقد اجتماعات مع دولة رئيس الوزراء ؟

- نعم عقد اجتماع مع رئيس مجلس الوزراء والمستشار فيما يتعلق بمهمتنا وكان اجتماعاً خاصاً مغلقاً لم يحضره غير رئيس الوزراء ومستشار السلطان وأعضاء الوفد إلاّ الشيخ يحيى بن إبراهيم الذي تولى الترجمة.

- وماذا كان حديثكم في الاجتماع ؟

- تكلمنا في هذا الاجتماع عن مهمتنا في بروناي وأنها ليست مقتصرة على المشاركة في افتتاح المجلس المحلي للمساجد، كما فهم بعض الإخوة، بل تتعلق بمسألة مهمة جداً وهي عرض المساعدة من رابطة العالم الإسلامي إلى

بروناي فيما ستقدم عليه من العمل بإحكام الشريعة الإسلامية، ونقل ما تريد حكومة بروناي منا أن نبلغ بـه حكومتنـا، فشـكروا لنـا ذلـك وقـالوا: إننـا سنرسل وفداً يرأسه رئيس القضاة إلى المملكة العربية السـعودية وقـد طلبنـا من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة أن تسهل مهمة الوفد عند وصـوله إلى المملكة بأن تعرف به وزارة العدل السعودية وتعينه في الحصـول عـلى مـا يحتاج إليه، وإننا نعتبركم في المملكة العربية السعودية أشقاءنا الكبـار الـذين نجلهم ونحترمهم ونعتبرهم القـدوة الحسـنة لنـا في سـبيل تطبيـق الشريعـة الإسلامية وإلى جانب عبارات أخرى من عبارات المجاملة الرقيقة.

- هل حصل أن تكلمت مع دولة رئيس الوزراء منفرداً ؟

- عندما قمنا إلى مائدة الطعام التي أقامها مستشار السلطان لنـا رأينـاهم فعلوا ما فعلوه في أكثر المآدب التي حضرناها وهو أن يفرقوا أمـاكن أعضـاء وفدنا على القاعة فكان أن وضعوا مكاني بجانب رئيس الوزراء وبعده الشيخ محمد بن زين الدين رئيس الشئون الدينية وإلى يميني شخص لم أعرفه ولكنه من كبار القوم.

كان الحديث مع رئيس الوزراء في ذلـك الوقـت مبـاشراً بالإنجليزيـة في بعض الأحيان ومترجماً للعربية بواسطة الشيخ (محمد زين الدين) وقـد زاد يقيني من صلاح هذا الرجل في دينه ورأيت فيه الخلق الرفيع.

- ما أبرز ما قاله لك دولة رئيس الوزراء ؟

- كان مما قاله رئيس الوزراء فيما يتعلق ببروناي: لقد حرمنا تقديم الخمر، أو حملها على طائرات خطوط بروناي، ومن العجيب أنه بعد مضي سنة عـلى ذلك الأمر وجدنا أن أرباح الشركة كانت أكثر مما كانت عليـه عنـدما كانـت تقدم الخمور، على حين أن بعض الناس يظنون أن النتيجة ستكون عكسـية.

ثم تكلمنا في موضوعات كثيرة أساسية منها قوله: إننا ننظر إلى المملكة العربية السعودية نظرتنا إلى شقيقنا الأكبر، ولقد جربنا الاستقدام من القطر الإسلامي الفلاني، فإذا بالذين جاءوا إلينا لا يتمسكون بما ينبغي أن يكون عليه المسلم في القول والعمل، ثم اتجهنا إلى بلد إسلامي آخر فوجدنا أن هناك شيئاً في عقيدة من أحضرناهم للاستعانة بهم في أمور الدين، ونحن حذرون من تربية أبنائنا على أيدي أناس ليسوا أهلاً للتربية الإسلامية، وتكلم عن حالة المسلمين الحاضرة فسأل عن مدى انتشار الإسلام في العالم على ضوء ما عرفه عني من أنني قد زرت العالم كله تقريباً، فأخبرته بالتقدم العظيم الذي عليه الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر، وبخاصة في الأمصار البعيدة، وحكيت له قصة المرأة الأسترالية الأخت (سلمى) التي سافرت من أستراليا مع زوجها مبتعثين من جهة تبشيرية نصرانية إلى إندونيسيا للعمل على تنصير المسلمين، فكانت النتيجة أن رجعا إلى أستراليا مسلمين، وأن الأخت سلمى قد أصبحت نشيطة في إسلامها ففتحت مدرسة لأطفال المسلمين وحرصت مع زوجها على أن توجه دعوتها بالدرجة الأولى إلى بني جنسها من الأوروبيين الذين غالبيتهم في أستراليا من أصول بريطانية.

فأعجب رئيس الوزراء بذلك وحمد الله وشكره وأخبر بعض من حوله بهذه القصة إلاّ أنه فكر قليلاً حتى زايله سروره وقال وهو يلتفت إليّ: وماذا يكون عليه أمر المسلمين إذا نفذت إسرائيل ما قيل من أنها ستحول المسجد الأقصى في القدس إلى فندق سياحي؟ فقلت له: لاشك في سوء حالة بعض زعماء البلاد الإسلامية في الوقت الحاضر، لأنهم ممن تلقوا تربيتهم على أيدي الأوروبيين ومن لفّ لفّهم من غير المسلمين، إضافة إلى أن بعضهم صار

ألعوبة في أيدي أعداء الإسلام ولذلك تعاون اليهود والنصارى على إذلال المسلمين وانتهاك حرماتهم وهم متأكدون من أن زعماء المسلمين لن يتضامنوا فيما بينهم ويردوا على الاعتداء عليهم، لذلك فإن الأمر منوط بالعمل الصالح، فإذا عمل المسلمون عملاً صالحاً فإنهم سينجحون ويفلحون وسيهزمون عدوهم ويردونه عما أعلنه وما لم يعلنه من نواياه الخبيثة تجاه الإسلام والمسلمين.

۞ الرحـــلات العـــالمـــية

۞ بلغاريا ومقدونيا وسلوفينيا والنمسا وسويسرا [1]

الزيارات والجولات التفقدية الميدانية التي يقوم بها معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي في مكـة المكرمـة لتفقد أوضاع المسلمين والتماس حاجاتهم في أنحاء العـالم كثـيرة.. وكثـيرة.. ويكفي أن يعلم القارئ أن نتائج هذه الرحلات كان ثلاثة وأربعين كتاباً بعد المائة وصف فيها معاليه أوضاع المسلمين ومشاهداته العجيبة في أنحاء العـالم ووفق ما ذكر بعض الكتاب والنقاد الذين يتابعون كتب الشيخ ومؤلفاته فإن هذه الكتب ما هي إلا موسوعات للتاريخ السياسي والاجتماعـي للشـعوب والأقليات المسلمة بين ماضيها وحاضرها إضافة إلى ما اتصفت به المادة مـن دقة في الوصف ودقة في الإحصاء ودقة في الملاحظة ودقة كذلك في التوجيـه الإيجابي أو المباشر وإذا كانت آخر رحلات أديبنا الرحالة العبودي لم تمر عـلى أحبار الورق وأسنان المطابع بعد ذلك لحداثتها فقد انتهزت (مجلة الرابطـة) فرصة عودته من رحلة زادت في أيامها على أسبوعين واستأذنته للاستماع إلى حديث جذاب تهفو إليه القلوب الظامئة لمعرفة أحوال الأشقاء المسلمين.

بدأت هذه الرحلة المهمة من مطار جدة في يوم الإثنـين الثـاني مـن شـهر جمادى الثانية عام ١٤١٧هـ الموافق ١٤ أكتـوبر ١٩٩٦م لتنتهـي بعـد سـبعة عشر يوماً وقد صحبه في هذه الرحلة من أولها حتى آخرهـا سـعادة الأسـتاذ

---

(١) انظر العدد ٣٨٢ – من مجلة الرابطة – السنة٢٤ – شعبان ١٤١٧هـ – ديسمبر/ يناير ١٩٩٦ – ١٩٩٧م. وانظر الطبعة الأولى من كتاب " بلغاريا ومقدونيا " والتي صدرت عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، مطابع العلا – الرياض.

رحمة بن عناية الله مدير إدارة الدراسات والبحوث في الرابطة كما التحق بهما في الجزء الأول من الرحلة (بلغاريا ومقدونيا) الأخ الفاضل اللواء المتقاعد كمال سراج الدين وهو متعاون مع الرابطة حول أوضاع المسلمين في أوربا الشرقية ولئلا نتجاوز في هذه التقدمة مقاصدنا في الاستماع إلى مشاهدات الأديب الرحالة العبودي.. ندع القارئ الكريم مع الرحالة عبر المسافات ليطلع على جانب من أوضاع المسلمين وذلك كما يلي:

- في بداية هذا اللقاء ما هي البلدان التي قمتم بزيارتها في رحلتكم الأخيرة؟

- بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الكريم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وأقول ابتداء:

هذه الرحلة هي واحدة من الرحلات التي قمت بها لتفقد أوضاع المسلمين في بعض أنحاء يوغسلافيا السابقة التي أصبحت اليوم دويلات البلدان التي قمت بزيارتها فهي على التعيين (بلغاريا - مقدونيا -كرواتيا - سلوفينيا) ثم زرت بعد ذلك (النمسا وسويسرا)

- ما هو سبب قيامكم بهذه الرحلة ؟

- قمت بهذه الرحلة ممثلاً لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة فقد تلقت الرابطة رغبات من عدد من إخواننا العاملين في حقل الدعوة الإسلامية في أقطار يوغسلافيا السابقة وأقطار البلقان عامة حيث وصلوا بالرابطة في أوقات مختلفة ودون تنسيق بينهم وطلبوا إرسال وفد كي يطلع على المشروعات الإسلامية هناك، وقد تلقيت دعوات خاصة من بعض أولئك الأخوة للقيام بهذه الرحلة فرأى معالي الأمين العام للرابطة الدكتور عبد الله بن صالح العبيد أن أقوم بذلك.

- كيف كانت خط الرحلة ؟

- انطلقنا بالطائرة السعودية من مطار جدة يوم الإثنين الثاني من جمادى الثانية باتجاه مدينة اسطنبول وكان بصحبتي الأستاذ رحمة بن عناية الله مدير إدارة الدراسات والبحوث في الرابطة و اللواء المتقاعد كمال سراج الدين وقد استقبلنا في مطار اسطنبول الدكتور نديم حافظ غنجيف الذي كان مفتياً لمسلمي بلغاريا في فترة من الفترات ثم عزل من هذا المنصب وأنشأ مجلس الشؤون الإسلامية في بلغاريا ثم تولى المنصب شخص آخر، ويعتبر الدكتور غنجيف من أقوى الشخصيات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة في بلغاريا في الوقت الحاضر.. وكان جزاه الله خيراً جهز لنا سيارتين في مطار اسطنبول الذي غادرناه مباشرة دون الدخول في المدينة لنقطع في بداية هذه الرحلة حوالي ٢٨٠كم في الأراضي التركية ولنعبر بعد ذلك إلى بلغاريا. زرنا في بلغاريا عدداً من مدنها لمدة يومين وكنا ننطلق فجراً دون أن ينقطع تجوالنا حتى أداء صلاة العشاء وبسبب حلول الظلام الذي لا يمكننا من مشاهدة المشروعات الإسلامية والمساجد.

وبعد انتهاء زيارة بلغاريا اتجهنا براً نحو (مقدونيا) وهي إحدى الجمهوريات الست التي كانت تتألف منها جمهورية (يوغسلافيا) السابقة قبل أن ينفرط عقدها لكن حظها كان أفضل من حظوظ الجمهوريات الأخرى حيث لم تخض في الحروب والاضطرابات وقد قصدنا مقدونيا لأسباب عديدة منها ما سمعناه من وجود انشقاق في صفوف المسلمين هناك بيد أنا وجدنا المسلمين عندما وصلنا إلى مقدونيا قد تغلبوا على مشكلاتهم واتحدوا ثانية وشكلوا منظمة إسلامية جديدة باسم (الاتحاد الإسلامي) برئاسة رئيس علماء مقدونيا المفتي فضيلة الشيخ سليمان رجبي.

ومن مقدونيا التي وصلناها براً كما أسلفت انطلقنا كذلك داخلها عن طريق البر إلى عاصمتها اسكوبيا ثم توجهنا جهة الغرب باتجاه ألبانيا حيث لا تبعد حدودها أكثر من (١٠)كم وذلك من أجل وضع حجر الأساس لمسجد جديد للمسلمين بالمنطقة بالاشتراك مع فضيلة الشيخ سليمان رجبي رئيس العلماء ورئيس الاتحاد الإسلامي في مقدونيا.

ومن مقدونيا اتجهنا نحو العاصمة الكرواتية (زغرب) مستقلين الطائرة وقمنا بزيارة المركز الإسلامي - وهو مركز كبير وعظيم - سواء بمبناه المشرق ذي المنارة التي ترتفع حوالي (٤٠) متراً وبمساحته الواسعة الكبيرة أو بمعناه حيث وجدناه حافلاً بالطلبة والطالبات من أبناء المسلمين في كرواتيا الذين يتعلمون فيه وهذا يسر قلب كل مسلم.

ومن العاصمة انطلقنا سالكين الطرق البرية لزيارة أنحاء عديدة من دولة كرواتيا حتى وصلنا إلى حدود سلوفينيا بعد أن قطعنا حوالي ٦٠٠ كم بسبب تجولنا في أنحاء متفرقة ذات اليمين وذات الشمال في هذه الدولة لتفقد المسلمين في بعض المدن والقرى التي توجد فيها مساجد أو جمعيات إسلامية وكان يصحبنا في الجولة في كرواتيا نائب المفتي الشيخ مرصاد بن عبد الله والأستاذ خالد ياسين مدير العلاقات الخارجية بدار الفتوى في كرواتيا.

وهكذا عبرنا الحدود البرية التي تفصل بين كرواتيا وسلوفينيا متجهين براً صوب العاصمة (لوبليانا) ومنها انطلقنا إلى عدة مدن كان آخرها مدينة (ماري بور) وهي المدينة الثانية في سلوفينيا وفيها مسجد ومركز إسلامي وهذه المدينة تبعد عن الحدود النمساوية اثني عشر كيلو متراً فقط.

وبعد زيارة سلوفينيا اتجهنا بالطائرة نحو (فينا) عاصمة (النمسا) حيث زرنا المركز الإسلامي واطلعنا على عمله ومعروف أن رابطة العالم الإسلامي

تساهم في نفقات هذا المركز بدفع راتب مدير المركز وقد صادف ذلك يوم الجمعة وقد ألقيت خطبة عقب صلاة الجمعة في مسجد المركز بناء على طلب الأخوة في المسجد. ومن (فينا) توجهنا إلى جنيف حيث زرنا المؤسسة الإسلامية في العاصمة السويسرية وهي مؤسسة إسلامية عظيمة ذات مسجد جامع جميل المظهر، يؤمه المسلمون للصلوات وغير المسلمين لزيارته كأحد المعالم البارزة في جنيف وليطلعوا على أحوال المسلمين وعلى ما عليه المؤسسة والمسجد وبعد ذلك انتهت زيارتنا لتلك المنطقة.

- نود من معاليكم أن تتكرموا بإعلام قرائنا بأهم الآثار والنتائج التي أفرزتها الحرب المجنونة في منطقة البلقان على المسلمين في تلك المناطق ؟

- إن من أهم الحقائق التي برزت بعد انفصال يوغسلافيا وليس الحرب فقط لأن الحرب هي أحد العوامل لكن العامل الأكبر هو الانفصال ذلك أن بعض المسلمين عندما كانوا يشكلون في الدولة اليوغسلافية كلها حوالي ٢٠٪ من السكان صاروا يؤلفون في بعض أجزائها وجمهورياتها المنفصلة أغلبية قد تصل إلى ٤٠ ٪ ومن ذلك ما هو في مقدونيا حيث تعلن الحكومة المقدونية أن نسبة المسلمين في البلاد ٣٢ ٪ بينما يؤكد المسلمون أن نسبتهم بين إجمالي السكان تصل إلى ٤٠ ٪ وهذا أمر جيد إذ قارب المسلمون أن يصلوا إلى نصف السكان، كما أن المسلمين في البوسنة يؤلفون أكثر من تلك النسبة كما هو معروف ومما هو جدير بالإشارة هنا أن قدم للمسلمين في مقدونيا راسخة وقديمة، ولذلك إذا سار المرء في مدينة اسكوبيا وهي عاصمة الجمهورية فإنه لا يعدم في أي اتجاه يلتفت إليه رؤية مسجد جامع ذي منارة شامخة وقبة مهيبة وقد ذكر لي فضيلة رئيس العلماء هناك الشيخ سليمان رجبي أن في اسكوبيا ٦٢ مسجداً.

هذا ما يتعلق بالحقائق التي نتجت عن انفصال يوغسلافيا أما ما نتج عن الحرب فإن ثقلها واقع على إخواننا المسلمين في البوسنة ثم بعد ذلك على الكرواتيين لكن بالنسبة لإخواننا المسلمين كانت الحرب محنة قاسية أليمة وفتنة عظيمة وليس المقصود بالافتتان ما يتبادر إلى الذهن وإنما هي اختبار وامتحان للمسلمين الذين صبروا وصبروا ولله الحمد رغم أن أعداءهم كانوا حاقدين لم يتقيدوا بالأعراف أو التقاليد وما تأمر به الأديان كاحترام الخصم ومعاملة الأسرى والمستسلمين وعدم إنزال العقاب بالأبرياء، لقد أضير إخواننا في البوسنة والهرسك بذلك وأصيبوا بأذى كبير لكن في باطن ذلك حكمة إسلامية بالغة وهي أن عدداً كبيراً من إخواننا المسلمين انتقلوا إلى أقطار يوغسلافيا السابقة وبعضهم كان موجوداً ولكنه لم يستطع العودة إلى البوسنة فظل يعمل في الحقل الإسلامي خارجها وكان من نتائج هذا الواقع أن تم إنشاء مساجد عديدة في سلوفينيا وفي بعض أنحاء كرواتيا ولا يزال الأخوة البوسنيون هم عماد الحركة الإسلامية والثقافة الإسلامية في تلك الأقطار.

- كيف وجدتم حال الدعوة الإسلامية ومؤسساتها التعليمية والدعوية في البلدان التي زرتموه ؟

- لاشك أنه لا يمكن أن نطلق حكماً واحداً عاماً يكون صادقاً على جميع المواقع إذ لابد من ذكر بعض التفصيلات ففي بلغاريا مثلاً فإن الأوضاع متدنية جداً ليس بسبب الوضع السياسي هناك، فهذا الوضع الآن مستقر والحكومة البلغارية لا تظهر حالياً أي عداء للمسلمين وعلى العكس فإنها تعلن وتتظاهر بأنها تعتبر المسلمين جزءاً من المواطنين كما تعلن أنها تعاملهم على أساس المواطنة وقد قابلنا نائب رئيس مجلس الوزراء في بلغاريا وهو من

أكبر الشخصيات هناك وبحثنا معه في هذا الأمر فأبدى لنا استعداد الحكومة لمساعدة المسلمين وفق ما ينص عليه دستور البلاد وما تتضمنه أنظمتها وقوانينها بمعنى أنها لن تقدم لهم المساعدة لأنها لا تقدمها لغيرهم وإنما تعاملهم معاملة بقية المواطنين من حيث كونهم أحراراً في ممارسة شعائر دينهم وبحيث لا يتعرض أحد لمؤسساتهم وهذا هو الواقع بالفعل فقد تحققنا من إخواننا المسلمين هناك فكان ذلك صحيحاً، فقد أكدوا لنا أن أوضاعهم في الوقت الحاضر مستقرة وأن الحكومة لا تمارس ضدهم أي ضغط لذلك فالمشكلة لا تكمن هنا وإنما تكمن في أن المسلمين في بلغاريا ليس لديهم إمكانات لتنمية ثقافتهم الإسلامية ولا لإدارة شؤونهم الثقافية بأنفسهم لعجزهم المادي إلى جانب ضعفهم الثقافي فمن المعروف أن البلاد كانت شيوعية ثم تركها مع من تركها من الأقطار وسارت باتجاه سياسة الاقتصاد الحر ولكن دون أن تمتلك أدوات النجاح لأن النجاح في التجارة وازدهارها يحتاج إلى رأس مال وخبرات وهذه قضية تحتاج معالجتها وتحقيق لوازمها إلى وقت كبير إضافة إلى توفر الإمكانات المادية الضرورية ومن المعلوم أن المسلمين هناك لم تكن لديهم رؤوس أموال في السابق لأن البلاد الشيوعية لا تسمح بقيام مؤسسات رأس المال الخاص كما أنها لا تسمح بأن تكون الدخول المادية فوق المعتاد ولذلك فإن المسلمين في بلغاريا يحتاجون إلى جهود مضاعفة. وقد كنا زرنا معظم أنحاء بلغاريا عدا الجهة الجنوبية التي تتصل بالحدود التركية من جهة وبالحدود اليونانية من جهة أخرى فكانت هذه الزيارة تكملة للزيارة السابقة.

وقد شاهدنا في الزيارة الأخيرة ما لم نشاهده من قبل، تأكد لنا ما ذكرناه في الزيارات السابقة هو أن الإمكانات ضعيفة جداً حتى إن كثيراً من أئمة

المساجد تركوا الإمامة بحثاً عن لقمة العيش وليس المقصود من ذلك تحصيل المزيد من الدخل إذ إن أي دخل قد يكفي الإمام لكن ضيق الحال بالنسبة لهم جعلهم يبحثون عن أعمال أخرى، إن هذا يحد فعلاً رغم إمكانات البلاد الاقتصادية الضخمة من وجود أراض صالحة للزراعة ووفرة الأعشاب للماشية لكن المشكلة هي عدم وجود الأدوات والوسائل المتطورة والمال لاستثمار ذلك. ولا بد هنا من أن نشير إلى إخواننا القادرين للتوجه إلى تلك البلاد والاستثمار فيها ومساعدة أهلها بأنه يمكن لهؤلاء الأخوة استشارة الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة فيما ينبغي أن يقدم للمشروعات الإسلامية من مساجد ومدارس ولو وجد من يستطيع أن يقرض المسلمين هناك بأن يقدم ما يمكن أن يقدمه لبعض الأفراد الذين يطمحون إلى شراء بقرة على سبيل المثال لتربيتها واستثمار إنتاجها لكان ذلك مهماً ومطلوباً وللمقرض أن يستعيد بعد ذلك هذا المبلغ البسيط الذي قد لا يتجاوز ألف دولار مثلاً وفيما إذا لم يستعد القرض فذلك تبرع منه في سبيل الله تعالى وفيه نفع للمسلمين هناك بشكل عام، هذا ما يتعلق بالأوضاع المعيشية والمالية لمسلمي بلغاريا أما ما يتعلق بالجوانب الثقافية فهذا أمر ظاهر إذ إنهم يحتاجون إلى تعليم أبنائهم وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية الصحيحة كما يحتاجون إلى الكتب الثقافية الإسلامية المترجمة إلى لغتهم.

أما بالنسبة للوضع في مقدونيا فإنه وضع طيب ولله الحمد حيث اتفق المسلمون على تكوين الاتحاد الإسلامي الذي يحصل على موارد من بعض الاستثمارات كجلود الأضاحي التي يتم بيعها وتوزع أثمانها على الفقراء إضافة إلى ما يجمعه من موارد الزكاة والتي تصرف في مصارفها والتبرعات التي تساعد على تسيير المدارس ودفع رواتب أئمة المساجد والمفتين في

المناطق المقدونية بيد أن في مقدونيا وغيرها يظلون بحاجة للمساعدة من أجل تنفيذ المشاريع الكبيرة في المدارس وغيرها و لديهم حالياً مدرسة كبيرة تدرس العلوم الإسلامية ويقوم بالتدريس فيها مدرسون متخرجون من الجامعات العربية كالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض وبعض الجامعات المصرية وغيرها، وأود أن أشير إلى أن هذه المدرسة بحاجة إلى المساعدة والمعاضدة، ومن جهة أخرى يقوم مسلمو مقدونيا ببناء كلية ذات مبنى كبير في إحدى ضواحي العاصمة (اسكوبيا) وتبعد عنها اثني عشر كيلو متراً وستكون هذه الكلية جزءاً من مركز إسلامي ضخم حصلوا على أرضه ووثقوا حصولهم عليه رسمياً كما بنوا على بعض أجزائه الكلية بانتظار إكمال البناء وهم يحضرون حالياً لبناء المسجد ومساكن للطلاب وستكون الكلية وملحقاتها مجمعاً ضخماً وهذا يحتاج إلى مساعدات وتبرعات كما أن هنالك قرى مقدونية تحتاج إلى بناء مساجد إضافة إلى ترميم أو إعادة بناء المساجد القديمة فيها حيث إن كثيراً منها لا يستوعب المسلمين.

أما ما يتعلق بالوضع الإسلامي في كرواتيا فإن المركز الإسلامي الضخم الذي أشرت إليه في مدينة زغرب وهناك كذلك عدة مساجد وجمعيات إسلامية في أنحاء مختلفة من كرواتيا وهي بحاجة إلى مساعدة وأذكر أن هناك مدينة قمنا بزيارتها وعلمنا أن المسلمين فيها حصلوا على قطعة أرض إلا أنهم لم يستطيعوا إقامة بناء عليها لعدم توفر المال فاستعادتها الحكومة بعد انقضاء الموعد الذي حددته الحكومة لبناء مسجد أو مركز إسلامي وسبب ذلك كما علمنا إخفاق المسلمين هناك في الحصول على المال اللازم فاضطروا لتنفيذ الشرط الذي وقعوا عليه وأعيدت الأرض دون أن يستفاد منها.

أما سلوفينيا فالأمر فيها مختلف، ذلك أن المسلمين لم يكونوا أكثرية في تلك البلاد ورغم ذلك فيوجد فيها عشرة مراكز إسلامية في عشر من المدن السلوفينية وللمسلمين هناك طريقة مثمرة ومفيدة ومهمة لم أرها عند غيرهم حيث إن جميع المساجد والمراكز الإسلامية هناك مملوكة للجمعيات الإسلامية ولم أر أي مسجد أو مركز مستأجراً كما هو الحال لدى غيرهم فقد كان المسلمون يجمعون المال قرشاً قرشاً ليشتروا بيتاً صالحاً ليحول إلى مسجد ولا بد أن يكون هذا البيت - بلا استثناء - مؤلفاً من ثلاث طبقات فيها دور أرضي (بدروم) ويحتوي على مدرسة لتعليم أبناء المسلمين وإرشاد كبارهم أما الدور الآخر فيحتوي على المسجد بينما يكون الدور الأعلى مخصصاً لسكن الإمام وهكذا فإن بناء جميع المراكز في المدن السلوفينية العشر قائم على هذا النظام ويساعد هذا النظام على وجود إمام المسجد دائماً حيث يحتاج إليه المسلمون للفتاوي والإرشاد والعقود وحالات الوفاة وغير ذلك وهنالك حالياً عدة مساجد تحت التأسيس في غير هذه المدن العشر وهي بحاجة إلى المساعدة المالية لإكمال شراء أبنيتها وقد قدمنا بعض المساعدات الرمزية العاجلة باسم الرابطة.

أما في النمسا فلم يكن بمقدورنا أن نتجول في أنحائها مكتفين بزيارة العاصمة (فينا) وقد علمنا أن المساجد والمصليات أو ما يسمى مراكز إسلامية (تجوزا) منتشرة في جميع أنحاء النمسا وهذه معلومة لم تكن لدينا وقد أخبرنا بعض الأخوة أن عدد هذه المراكز يصل إلى مائتي مركز وبعض المسلمين يسميها مصليات وتوجد هذه في عدة أماكن وعلى سبيل المثال يوجد في العاصمة فينا مركز إسلامي ضخم يحتوي على مسجد جامع ذي منارة شامخة وبارزة ومشهودة لكل من يمر بالمنطقة وله كذلك قبة مهيبة وقد

أدينا صلاة الجمعة فيه وليس هذا هو المسجد الوحيد في العاصمة النمساوية فهنالك اثنان وعشرون أو ثلاثة وعشرون مسجداً في فينا نفسها وهي مساجد ومصليات على هيئة شقق يستأجرها المسلمون لأداء صلواتهم فيها.

هذا في العاصمة أما في غيرها فإن عدد المساجد يبلغ حوالي ٩٥ مسجداً ومركزاً إسلامياً أو مصلى كما يعبر عنه هناك ولفظ المصلى هو الأعم استعمالاً لأنه يشمل الصغير وما هو أكبر منه بقليل وقد يسمى مسجداً لقوله صلى الله عليه وسلم (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً). وفيما يتعلق بسويسرا فقد زرنا المؤسسة الإسلامية في العاصمة جنيف وهي مؤسسة عظيمة وكبيرة أمر بشرائها المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله وقد استمر العمل فيها منذ شرائها وهي تتوسع مع مرور الزمن ولها تأثير مشهود وطيب هناك ويوجد في سويسرا حالياً ٤٦ مصلى في مدنها المتفرقة مثل لوزان وبيرن وزيوخ إضافة إلى بعض المصليات كمصلى المركز الإسلامي في جنيف نفسها.

- عانى المسلمون في منطقة البلقان بشكل خاص من أمرين هما الاضطهاد الشيوعي وسياسات التذويب وطمس الهوية الإسلامية على مدى سنوات سابقة فإلى أي مدى استطاع المسلمون هناك أن يتخلصوا من مفرزات ونتائج تلك المعاناة الطويلة ؟

- بالنسبة إلى المعاناة من محاولات طمس الهوية والتعصب الشديد فإنه لا يوجد في هذه الأقطار البلقانية من عانى مثلما عاناه الأخوة المسلمون البلغاريون وإن شئنا أن نسميهم بالتعبير القديم (المسلمون البلغار) وهو الاسم الذي سمى به علماؤنا الأوائل المسلمين الموجودين حالياً في الفولجا والذين أسلموا في أول القرن الرابع الهجري وكان ملكهم طلب إلى الخليفة

المقتدر بالله العباسي أن يرسل إليهم وفداً ليعلم المسلمين هناك أمور دينهم وقد سافر الوفد آنذاك وكان ضمنه الكاتب ابن فضلان فألف رسالته المشهورة العظيمة وهؤلاء موجودون حالياً على ضفاف نهر الفولجا داخل جمهوريات روسيا الاتحادية أما السكان الموجودون في جمهورية بلغاريا وأقصد أهل بلغاريا جميعاً فإنهم هاجروا من روسيا في منطقة الفولجا قبيل البعثة المحمدية إلى منطقة البلقان واستوطنوا فيها وسميت بلغاريا باسمهم بينما نسى اسم البلغار الذين كانوا في الفولجا والذين يسمى أحفادهم اليوم (التتار). لقد عانى الأخوة المسلمون البلغار معاناة عظيمة لم تكن نتيجة لاستيلاء الشيوعية وإنما كانت قبل قيام الحكم الشيوعي وعندما جاء الحكم الشيوعي أضاف الشيوعيون فوق المعاناة السابقة سياسيتهم الإلحادية إلى جانب الحملات التي منها تغيير الأسماء الإسلامية مثل (محمد - أحمد - علي) مدعين أن هذه أسماء تركية يتوجب تغييرها إلى أسماء بلغارية وقد بلغت حملات تغيير الأسماء في تاريخ المسلمين البلغار ثماني حملات كان بعضها قبل الشيوعية وبعضها الآخر أثناء الحكم الشيوعي وكلنا يعرف أن كثيراً من المسلمين البلغار اضطروا إلى الفرار بأنفسهم حيث ضيق عليهم في لقمة العيش وأوذوا أشد الإيذاء فهاجروا إلى تركيا ونحمد الله سبحانه أن جميع هذه الممارسات قد انتهت في الوقت الحاضر.

أما بالنسبة للمسلمين في يوغسلافيا فإن أكثر ما عانى منه المسلمون هو الحكم الشيوعي الذي يعادي العقيدة الإسلامية في جوهرها وهو الإيمان بالله سبحانه وتعالى ولكن بعد زوال الشيوعية تبين أن العداء الشيوعي لم يؤثر بعقيدة المسلمين فلم تتمكن الشيوعية من إخراج مسلم عن دينه ويظل التأثير محصوراً في الشبهات التي بثتها حوله فصار لا يعمل بكل ما أمر به

الإسلام وصار المسلم هناك بحاجة إلى تربية إسلامية جديدة ولكن الحال طيبة حالياً ولله الحمد وأمور الدعوة تسير في مسارها المناسب الذي يجب علينا أن نشجعه وننميه وندعمه بالتأييد والتعضيد فليس من اللائق أبداً أن يتوقف بناء مسجد لأنه لم يجد من المسلمين من يتبرع لإكمال بنائه بينما المسلمون في مختلف الأقطار يملكون المال كما أن لديهم النية الطيبة ولكنهم يحتاجون إلى من يخبرهم بأمر هذه المساجد ويدلهم على سبل تقديم العون اللازم لها وها هي رابطة العالم الإسلامي تنبه دائماً إلى ذلك وهي تعلن لمن أراد التبرع فلديها قوائم عديدة من المساجد التي توقف العمل فيها في مختلف أنحاء العالم ومنها بعض المساجد في هذه المناطق البلقانية.

على أن القول الذي يقال حول الأوضاع في جمهوريتي كرواتيا وسلوفينيا هو القول نفسه الذي قلناه عن الأوضاع في مقدونيا.

أما ما يتعلق بالنمسا وسويسرا فإن المسلمين هناك لم يعانوا مما ورد في سؤالكم حيث أن الحياة حرة في هذين البلدين الأوربيين بيد أن المسلمين هناك يعانون من فتنة الشهوات وهي فتنة موجودة في المجتمعات المفتوحة في الغرب إذ يجد الشاب المسلم كل المغريات التي قد تؤثر عليه وأما موضوع الشبهات فإن تأثيرها على المسلم قليل وقلما تحرفه عن دينه.

- هل لدى الرابطة برنامج مستقبلي للنهوض بأوضاع المسلمين في هذه البلدان ولاسيما من الناحيتين الدعوية والثقافية ؟ وماذا بإمكان الرابطة أن تقدم في المدى المنظور ؟

- تعلمون أن الرابطة تعمل اليوم على مستوى العالم أجمعه وليس على مستوى العالم الإسلامي فحسب والأصح إطلاق تسمية الأمة المسلمة لأن المسلمين وإن كانوا أقلية ضئيلة العدد في بعض بلدان العالم فهم جزء من

الأمة الإسلامية يجب أن يدخلوا في مفهوم العالم الإسلامي، والرابطة تعمل على مستوى العالم كله ومنطقة البلقان جزء مهم جداً، وكما نعرف فإن ثقافات عديدة تتصارع فيه وفيما بعد الحرب اليوغسلافية ظهرت كيانات قامت على القومية والعنصرية مثل كياني الصرب والكروات لذا فالرابطة تقوم بجهد معين وهو جهد مميز تقدمه في نطاق سياستها القاضية بمساعدة المسلمين هناك دون التدخل في الأمور الداخلية للمسلمين القائمة في تلك البلدان أو التدخل بالشؤون السياسية للبلاد التي يوجدون فيها فهدف الرابطة كما هو معروف هدف ثقافي إسلامي أساسه التعاون على البر والتقوى عملاً بقوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى) ولا يمكن للرابطة أن تدخل في المتاهات السياسية فذلك ليس من عملها والرابطة تسعى في المرحلة الحالية إلى تقوية الصلات والعلاقات بينها وبين الإدارات الدينية والجمعيات الإسلامية وكبار الشخصيات والدعاة والمفتين والعلماء في تلك البلاد بغية التعاون على البر والتقوى المتمثل ببذل ما تستطيع الرابطة بذله للمشروعات الإسلامية سواء أكان ذلك متمثلاً بالدعم المادي أو التأييد المعنوي أو غير ذلك.

- في هذه الرحلة الهامة كنتم على مقربة من البوسنة والهرسك فلماذا لم تقوموا بزيارتها ؟

- أود أن أشير إلى أن البوسنة والهرسك حظيت بعناية من حكومة المملكة العربية السعودية نظراً للحروب والمصائب والمحن التي واجهتها حيث قامت الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض وفقه الله، وسموه شخصية عظيمة وهو محب للخير ونشط في تقديمه

للمسلمين كما أن هذه الهيئة تحظى برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله وأدام توفيقه كما أن هنالك هيئات إسلامية إغاثية عديدة منها هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في المملكة العربية السعودية وهي إحدى هيئات الرابطة وذراعها الإغاثي، وقد قدمت كثيراً من الأعمال في مناطق مختلفة من أنحاء البوسنة والهرسك. من ناحية أخرى فإن الأوضاع في جمهورية البوسنة والهرسك معروفة من قبل الرابطة بينما المناطق التي زرناها في هذه الرحلة تحتاج إلى دراسة أوضاع المسلمين فيها عن كثب والاطلاع على الأوضاع الدعوية والثقافية وتلمس احتياجات مؤسساتها الإسلامية.

- لاشك أن في البلدان التي زرتموها مؤسسات ومراكز إسلامية كما أن في العالم العربي والإسلامي هيئات إسلامية كالمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في القاهرة تهتم بشؤون المسلمين هناك فإلى أي مدى يتم التنسيق بين الرابطة وهذه الهيئات الإسلامية، لتحقيق مصالح الشعوب المسلمة هناك ؟

- شكراً على إثارة هذه القضية المهمة وأقول إن هناك عدة هيئات وجمعيات بل وأشخاص زاروا تلك المناطق وقد ساهم بعضهم بتقديم التبرعات وبعضهم الآخر كان لديه اجتهادات حالات دون اكتمال هدفه أو عمله فبعض من ذهب إلى هناك لم يكن لديه رصيد من المعلومات الصحيحة الموثقة عن أحوال المسلمين وعن الأشخاص العاملين في الحقل الإسلامي وكذلك عن طريق إنفاق الأموال بل حتى عن أسلوب التعامل مع المسلمين هناك حيث ينشأ سوء فهم في التعاون والتفاهم كما أن بعض الجهات لم تنسق مع رابطة العالم الإسلامي حيث تتولى بنفسها الأمر على اعتبار أنها تتكفل

بدفع التبرعات وأرى أنه لابد من التنسيق ويمكن لمن يريد الذهاب لتقديم المساعدة للمسلمين ولمؤسساتهم في تلك البلدان أن يحصل على المعلومات المتوفرة لدى الرابطة والتي تشمل معلومات عن تلك البلدان وأوضاعها وعن الشخصيات المسلمة الموثوق بها والتي ينبغي أن يتم التعامل معها وكل ذلك مبذول لمن أراده من الرابطة.

- تعودنا وقراؤنا كذلك أن نقرأ خلاصة عن هذه الرحلات القيمة في كتب تصدرونها، فهل تنوون إصدار كتاب يؤرخ ويسجل مشاهداتكم ويبين آراءكم وتقييمكم لأوضاع المسلمين كما لمستموها في هذه الرحلة القيمة ؟

- في الأمثال القديمة ورد أن الفضولي لا يترك فضوله أبداً وأنا لم أترك الكتابة منذ أن بدأتها ومنذ أن شرفني الله تعالى بأن كنت أول شخص رأس وفداً سعودياً ذاهباً إلى إفريقيا في عام ١٣٨٤هـ يحمل المعونات من المملكة على قلة المال في ذلك الوقت، وإلى هذا الوقت سجلت كل ما رأيته وقد اجتمع لي ١٤٣ كتاباً حول الرحلات في أنحاء العالم، وفي هذه الرحلة كتبت كتابين أكملت أحدهما وأرجو أن أكمل الآخر قريباً إن شاء الله.

۞ في غرب البرازيل[1]

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فأنني قد كررت السفر إلى البرازيل فقتلتها خبراً وبلوتها مدنا وقرى فرأيت فيها شعباً ودوداً واضح التفكير، حسن المعاملة، يشعر بالمساواة الإنسانية ويمقت التفرقة العنصرية بين السكان وأهم من ذلك هو تنوع المظاهر وتعدد الخصائص والألوان في المناطق.

فالفروق بين ولاية (ريو قراند دوسول) في الجنوب وولاية الأمازون في الشمال شاسعة بل تكاد تكون كالفروق بين بلدين متباعدين وهما متباعدان حقاً إذ تفصل بينهما مسافة لا تقل عن ثلاثة آلآف كيلومتر، وإن كان ذلك كله في داخل البرازيل. فولاية الأمازون استوائية حارة وأهلها الأصلاء فيها سمر وسود أو ممن يقتربون من السود وليس فيها إلا فصل واحد حار طول السنة إلا ما أثر المطر في تخفيف حره أو تكثيف برده.

أما (ربوقراند دوسول) فإن الجو فيها يشبه جو البحر الأبيض المتوسط وألوان أهلها هي ألوان الأوربيين لأن أكثرهم ذوو أصول أوربية وفيهم من يعتبرون من شمال أوربا كالألمان.

هذا عن ولايتين اثنتين وقل ما شئت عن الفروق في الألوان والأكوان

---

(١) انظر: الطبعة الأولى من هذا الكتاب، والتي صدرت عام ١٤١٢هـ-١٩٩١م وطبع بمطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

بمعنى الأجواء في الولايات الأخرى.

وهذه الميزة في البرازيل ليست موجودة ظاهرة في الولايات المتحدة الأمريكية في أكثر الأشياء إن لم نقل في كل الأشياء.

أما الأشياء الجميلة في مدن البرازيل فإنها الخصائص أو قل السمات المختلفة لمدنها فقل أن يجد المرء مدينة مثل مدينة ريو دي جانيرو في جمال شطآئنها وتعدد ألوانها، وخضرة روابيها التي تنهض من البحر لتعانق السحاب وشواطئ (ريو) وبخاصة كوبا كابانا التي تلاحق أمواجها السابحين والواقفين فيهربون منها فترتد ومعها جحافل الرمال البيض التي غسلتها الأمواج من تحت أقدامهم وغسلت أقدامهم وربما أجسامهم معها.

هذا الشعب الوديع الذي يذهب إلى تلك الشواطئ فيتجول فيها إلى أكوام من اللحم العاري تلهيها سياط الشمس الحارة لا ترى بينه من مشاحنات أو مضايقات أو معاكسات.

بل إنهم ينظرون حتى للغريب مثلما ينظرون للقريب لأنهم كلهم في الأصل كانوا مثله من الغرباء الذين وصلوا إلى أرض البرازيل مهاجرين أو مغادرين، أو حتى فارين من بلادهم في الدنيا القديمة ليبحثوا عن بلاد تنعدم فيها الفروق وتختلط العروق فكان لهم ما أرادوه.

* * * * *

*** المنغص الجديد:**

المنغص الجديد في البرازيل في الوقت الحاضر هو الدين الباهظ الذي ترزح تحته هذه البلاد الغنية بمواردها الطبيعية وهو أكثر دين تتحمله بلاد بمفردها ويبلغ الآن مائة ألف مليون دولار تزيد عشرة آلآف مليون دولار والفوائد الربوية لهذه الديون وحدها ما يعجز عن الوفاء به بعض الأقطار

الغنية. فعلى سبيل المثال أخبرنا مخبر منهم أن وزير الاقتصاد البرازيلي بعد أن تم سنة من عمر الحكم المدني في البلاد الذي أعقب الحكم العسكري ونفذ سياسة اقتصادية صارمة تمثلت في شد الأحزمة على البطون وتيسير بل تسخير كل الأشياء الاقتصادية للتصدير من أجل توفير النقد الأجنبي بالدولار إلى جانب القيود الشديدة على الاستيراد أعلن أن البلاد جنت من هذه السياسة الاقتصادية الصارمة وفراً من النقد الأجنبي قدره اثنا عشر ألف مليون دولار مدى سنة واحدة وأن هذا المبلغ الضخم بالعملة الأجنبية الصعبة يكفي لسداد الفوائد المترتبة على ديون البرازيل لمدة سنة واحدة.

أرأيت كيف حولت المعاملات الربوية هذه البلاد التي كانت مزدهرة اقتصادياً إلى بلاد مدينة محتاجة؟.

ولو كانوا مسلمين ملتزمين بالإسلام واستغنوا عن الاستدانة الربوية لما تحملوا مثل هذا العناء.

إن هذا الدين هو منغص لحياة البرازيليين يستوي في ذلك المسؤولون منهم وغير المسؤولين على تفاوت ما بينهم بطبيعة الحال، ولكن السائح أيضاً عانى من ذلك فقد حملت الحاجة بعض الناس على احتراف السرقة وحملت الرغبة في الحصول على العملات الأجنبية الفنادق الراقية على رفع أجورها حتى صارت تضاهي الفنادق في أوربا مع أنها كانت أقل منها بكثير في الماضي فعلى سبيل المثال عندما زرت (ريو دي جانيرو) قبل ستة أعوام كانت الغرفة في فندق (أولندا) على شاطئ (كوبا كابانا) بـ٣٢ دولاراً أمريكيا وأما الآن فقد صارت بـ ١٢١ دولاراً من غير أن تطرأ على ذلك زيادة في مستوى معيشة السكان أو ارتفاع في أجور العمال.

وقس على ذلك غيرها من الملابس والمصنوعات المحلية والشيء الذي

لايزال رخيصاً في البرازيل هو الأكل في المطاعم فالوجبة الواحدة المتوسطة لمثلنا الذي لا يضيف إليها الشراب الغالي هي في حدود ٧ دولارات.

* * * * * *

*** سبب الرحـــلة:**

بعد أن قمت بجولة في البرازيل قبل ثلاث سنوات وترتب عليها أن أقامت رابطة العالم الإسلامي التي أتولى فيها وظيفة (الأمين العام المساعد) المؤتمر الإسلامي لقارة أمريكا الجنوبية.

وبعد أن مضت فترة من الزمن على تقويم العمل الإسلامي في هذه البلاد احتاج الأمر إلى إلقاء نظرة جديدة على أوضاع الإخوة المسلمين في هذه البلاد الشاسعة واقتراح السبل الكفيلة لمساعدتهم على ضوء هذه الأمور المستجدة إضافة إلى معرفة العوامل التي طرأت على العمل الإسلامي في أنحاء العالم وفي البرازيل بصفة خاصة مع تقديم المساعدات للمشروعات الإسلامية الجديدة للإخوة المسلمين فيها.

فقد رأى أولوا الأمر أن أقوم بهذه الجولة الاستطلاعية، وأن تشمل ما أرى أنه يحتاج إلى زيارة في بلاد البرازيل.

ولذلك سوف تستغرق وقتاً أطول مما استغرقته الجولة السابقة وسوف تمتد إلى بعض الأقطار الأمريكية الجنوبية مع البرازيل.

وقد قيدت خلالها مذكرات يومية على عادتي التي حملت نفسي عليها في البلدان التي أزورها في العالم فكتبت كتاب (في غرب البرازيل) وأضفت مالم اذكره في السابق إلى كتاب (الحل والرحيل في بلاد البرازيل) فقد كانت هذه الزيارة أيضاً فترة من الحل والرحيل في مدن البرازيل شملت بعض المدن زرتها في السابق وبعض البلدان التي لم أزرها.

كما كتبت كتاباً صغيراً آخر عن جنوب البرازيل عنوانه (في جنوب البرازيل) وأكرر اعتذاري بعد انتظاري من القارئ الكريم ألا يعجل بوصف الكتاب بأنه كتاب أوصاف ومشاهدات لا كتاب توثيق ودراسات بأن مؤلفه أراد له أن يكون كذلك فهو من أدب الرحلات ومن مقالات المذكرات وليس من كتب الإحصاءات والمعلومات المبوبة فذلك له مكان غير هذا المكان ومظان غير هذه المظان.

وقد سرت فيه على طريقة لي وجدت من القراء الكرام أو من بعضهم ممن بلغني أمرها ترحيباً ولا أقول إعجاباً أو تقريظاً للكتاب وذلك لأسباب منها قلة كتب الرحلات التي تصف ما يشاهده الراحل والسائح وصفاً دقيقاً من دون مبالغة أو قصور عن المراد.

وثانياً لأن أدب الرحلات وهو من فنون الأدب المعروفة يقتضي ذلك لاسيما إذا كان عاماً شاملاً وأهم من ذلك عندي هو رضاء بني قومنا القراء وغيرهم عن هذه الطريقة وكفى بذلك - وهو حقيقة - حافزاً لي على المزيد من هذه الكتب التي قصدت فيها أيضاً أن تسجل أحوال المسلمين الحاضرة وما يحيط بها من أمور تتعلق بالدين الإسلامي، سواء فيها ما كان ساراً وما كان غير ذلك.

كما تطرقت إلى ما شاهدته من أحوال السكان وألوانهم وطرق معايشهم إلى جانب وصف طرق البلاد التي سلكتها والمناطق التي زرتها والمعاملة التي صادفتها عند أهلها مما يجده القارئ الكريم في ثنايا الكتاب والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

۞ تائه في تاهيتي[1]

مقدمة

قبل عام ونيف عندما عزمت على السفر إلى البرازيل في مهمة رسمية تتعلق بتفقد أحوال المسلمين، والعمل على النهوض بمؤسساتهم، وكان معي صديقي الشيخ محمد بن قعود؛ المدير العام للدعوة في رئاسة الإفتاء في الرياض جعلنا الرجوع من أمريكا الجنوبية إلى بلادنا من جهة الشرق، وقطعنا تذاكرنا إلى هذه المنطقة، ومنها(تاهيتي)، وكان قصدي من ذلك زيارة الجزر التي لم أزرها من قبل في المحيط الهادئ، وبخاصة مملكة تونغا و(تاهيتي) هذه؛ غير أننا عندما فرغنا من زيارة البرازيل وبعض أقطار أمريكا الجنوبية كانت المدة التي قدرناها كافية للسفر قد نفدت في أمريكا الجنوبية وحدها، فغيرنا تذاكر السفر، وعدنا عن طريق الغرب.

وفي هذا العام سنحت الفرصة ثانية لزيارة (تاهيتي)، وذلك حينما دعاني الإخوة من أعضاء الجمعية الإسلامية في مدينة (كرايتس تشيرتش) في الجزيرة الجنوبية من نيوزلندا، وهي دعوة كريمة لافتتاح مسجد في منطقة هي أكثر المناطق بعداً إلى جهة الجنوب، ويقول أولئك الإخوة: إن مسجدنا أقرب مسجد ينادى فيه بالأذان: الله أكبر، الله أكبر إلى القطب الجنوبي من أي مسجد آخر على وجه الأرض.

كما جدَّ في المنطقة أمر جديد مفرح، وهو أن رجلاً من وجهاء مملكة تونغا؛ بل من نبلائها، وكان ذا رتبة في الكهنوت كبيرة؛ بل كان داعية

---

(١) انظر: الطبعة الأولى ١٤٢٠/١٩٩٩م - طبع بمطابع التقنية للأوفست.. الرياض

للمسيحية، هداه الله إلى الإسلام، ودعا قومه إلى الدخول فيه، فكان أول رجل من أهل البلاد يسلم، وكان ذلك قبل سنتين بقليل، وعلى وجه التحديد في شهر ديسمبر عام ١٩٨٣م. وقد بلغ عدد المسلمين من قومه حتى الآن ما يقارب المائة، غير أنهم يحتاجون إلى رعاية وتعليم، وإلى مساعدة على دفع أجرة البيت الذي استأجروه واتخذوه مسجداً، ومكاناً للاجتماع.

كما أن من الواجب، بل من أوجب الواجبات زيارتهم والاتصال بهم، وتشجيعهم على المضي في الدعوة إلى الله، بل التوسع في ذلك، وتبيين ما ينبغي أن نساعدهم به. وهذا هو أقل ما يمكن عمله تجاه إخوة مسلمين أدخلوا الإسلام في منطقتهم لأول مرة. فصح عزمي على السفر في المهمتين كلتيهما، وأن أضيف بعد الانتهاء منهما زيارة بعض الجزر التي لم أزرها من قبل في تلك المنطقة، وهي سامو الغربية، وسامو الأمريكية، وجزر كوك، وتاهيتي.

وكنت زرت قبل ثلاث سنوات أكثر الدول في جزر المحيط الهادئ الجنوبي، وهي فيجي، و(نيوكلدونيا)، وجزر هبريدز المسماة حالياً(واناواتو)، وجزر سليمان، وكتبت في ذلك كتاباً أسميته، (جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ)، وهو كتاب مطبوع.

قلت: إن زيارة(تاهيتي) كانت أمنية قديمة لي، وذلك لبعدها الشديد عن بلادنا، ونقص المعلومات الميدانية الحية عنها في كتبنا، ولكوني لم أزرها، وقد زرت بلدان العالم بأجمعها على وجه التقريب.

وشيء مهم آخر، وهو المغالاة في الأخبار عن غرائب عادات أهل تلك الجزر(تاهيتي) وملابسهم، وما يضيفه الخيال عادة على الأمور المستغربة من أشياء مشوقة لا تتضمنها الحقيقة المجردة. وعندما أكملت زيارتي (تاهيتي)،

ورجعت إلى ما كتبته عنها، وجدتني أشعر أن أكثر ما ذكره الذاكرون عنها كان من نسج الخيال، أو كان بعضه جزءاً صغيراً من حقيقة نالها الزوال، وتغيرت بها الأحوال. وجدت أنها من أقل المناطق التي زرتها أحقية بجذب السياح. فهي غالية الأسعار إلى حدود المبالغة، وهي ممسوخة بمعنى أن عاصمتها أصبحت مدينة أوروبية في أقصى الجنوب الشرقي من المحيط الهادئ، ففسدت طبيعتها، وحلت السيارات الكثيرة في شوارعها محل الحيوانات الطليقة في جزرها. بل إن المرء لتغلب على أذنه فيها أصوات المحركات المزعجة بدلاً من أن يسمع أصوات الطيور المغردة. على أننا إذا استثنينا المسخ الحضاري في عاصمتها، فإنه لا تزال توجد فيها جزر هي من الغابات الملتفة، بل الجنان الأرضية، ولكنها ليست فريدة دون أقطار العالم بذلك، وفيه ما هو أقرب إلى بلادنا، وبلاد العالم المتحضر، وأبعد عن إفساد المدينة منها. وقد أسميت هذا الكتيب:(تائه في تاهيتي).

وربما كان لبعض ما انطبع في نفسي عن (بابيتي) عاصمة تاهيتي بسبب عدم وجود المسلمين، أو حتى الأصدقاء الآخرين ما حملني على أن أجعل عنوانه هكذا. وأظن أن القارئ الكريم إذا قدر له أن يسترسل في قراءة الكتاب، فإنه سيعرف من ذلك الكثير عن أحوال هذه الجزر النائية الغامضة. والله الموفق للصواب.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

۞ تـــاهيتي:

* **تسميتها:** وأصـل(تـاهيتي) لهـذه الجزيـرة الكبـيرة التـي عاصـمتها بابيتي، وتبلغ مساحتها ١٠٤١ كيلو متراً مربعاً، ثم صارت اسماً شاملاً مـن الناحية الإدارية لمجموعة من الجزر القريبة منها، وإن كان لكل جزيرة منهـا اسم خاص بها، ولكن جزيرة(تاهيتي) أكبرها مساحة.

وكان يطلق عليها قبل تصفية الاستعمار (بولينيزيـا الفرنسـية)؛ إذ كانـت بالفعل مستعمرة فرنسية، إلا أنها صوتت على البقاء داخل الإتحاد الفـرنسي، فصارت أرضاً فرنسياً خارج البحار، مثلها في ذلك مثل جزر عدة في أنحـاء العالم، مثل جزيرة (رينيـون) في البحـر الزنجـي شرق مدغشـقر، وجزيـرة المارتنيك في البحر الكاريبي، و غيانا الفرنسـية في الشرق الشـمالي مـن قـارة أمريكا الجنوبية.

ومعنى اسم(تاهيتي): ابق جانباً، أي الزم جانب المكان، ولكن لا تمسه. هكذا قال لي عدد من أهلها، وذلك من لغة لهم قديمة.

وتقع في أقصى جنوب المحيط الهادئ في موقع يقرب أن يكـون منتصـف المسافة بين مدينة لـوس أنجلـوس في غـرب الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، ومدينة(سيدني) في شرق القارة الأسترالية الجنوبي، ومع هذا البعـد الشـديد عن أوربا، وعن بلادنا العربية، فإن السياح الأوروبيين يأتون إليهـا بأعـداد كبيرة، إذ تنظم الشركات السياحية رحلات جماعية حول العـالم يكـون مـن أهم ما فيها زيارة تاهيتي، وتكون أسعارها مناسبة.

وأفضل الطرق وأقربها للوصول إليها في البلاد العربيـة هـو عـن طريـق أستراليا، ونيوزلندا، وسـيأتي في اليوميـات ذكـر عـودتي منهـا عـن طريـق مدينة(سيدني).

* تاريخ تاهيتي:

يعتقد أنه في القرن الخامس الميلادي عبر من المحيط الهادئ مجموعة من البحّارة المغامرين من قبائل (ماورى) في قوارب ذات مساند، واكتشفوا جزيرة تاهيتي في كامل روعتها، وهم أصل سكانها الحاليين.

لم يصل الأوروبيون إلى تاهيتي إلا في شهر يونيو من عام ١٧٦٧م؛ حيث وصل الكابتن صموئيل واليس الإنكليزي وملاحوه إلى هذه الجزيرة في ذلك التاريخ قبل الكابتن (بوقانفيل) بعام واحد، وكان الإسباني (منيدانا) قد اكتشف الجزر المسماة، (ماركيزاس) عام ١٥٩٥م، بينما اكتشف البرتغالي (كويروس) جزيرة (تواموتو) عام ١٦٠٦م، وقد حاول الإسبان استعمار تاهيتي عام ١٧٧٤م، ولكنهم فشلوا في ذلك.

أما الكابتن (كوك) فقد وصل إلى جزيرة تاهيتي في ١٣ من شهر أبريل من عام ١٧٦٩م على متن السفينة المسماة (ذي انديفور) حيث رسا في خليج ماتافي، وقد تجول كوك في أرجاء الجزيرة بصحبة عالم النبات (جوزيف بانكس) حيث جمع من المعلومات ما يكفي لوضع خريطة دقيقة لساحل تاهيتي، وذلك بعد أسبوع واحد فقط من وصوله، وفي هذا كتب الفنان (فرانسيس بركينسون) يقول: (بدت اليابسة غير متساوية وكأنها قطعة من الورق المكرمش إذ كانت مجزأة دون انتظام إلى تلال ووديان، وإن كانت تغطيها خضرة جميلة تصل حتى القمم العالية، وكان (كوك) قد فهم أن الجزيرة تسمى (أوتاهايتي) أي بإضافة حرف أو(O) الذي يعني: (إنه هو)، أو اختصار (هو)، وما لبث التاهيتيون أن أضفوا ألقاباً تاهيتية على (كوك) وبعض ملاّحية، فلقبوا (كوك) بلقب (توت)، أو (توتي)، ولقبوا عالم النبات (بانكس) بلقب (أوباني)، وعالم الطبيعة السويدي (سولاندر) بلقب

(طولانو)، وقد غادر كوك جزيرة تاهيتي في ١٢ من شهر يوليو عام ١٧٦٩م.

* * * * * *

* أرض الحليب والعسل:

لم يكن التاهيتيون يعرفون الكتابة أو شغل المعادن أو أي عمل على الإطلاق على غرار ما يعرفه الأوروبيون، فكانت إمكانات الحياة البسيطة لهم متوفرة في جزرهم، ويكفي الشخص منهم في ذلك بضع ساعات من الجهد البدني كل يوم أو يومين، وكانوا يقضون بقية أوقاتهم في المرح والرقص في حالة تشبه فكرة الأوروبيين عن معيشة بدون تعب.

وكان مجتمعهم البولينيزي ينقسم إلى عدة طبقات؛ حيث كانت السلطة الروحية في أيدي رؤساء القبائل والكهان تحميها سلسلة من المحرمات في عرفهم تسمى بال(تابوا).

وكان هذا النظام يعمل بمثابة قانون مدني لا يحتاج إلى وجود قوى الشرطة في مجتمع لا حاجة به لوجود السجون، إلا أنه ورغم طبيعة الحياة التي يتمتع بها الإنسان البولينيزي قد كانت هناك حروب كما هو الحال في كل مجتمع بشري؛غير أن تلك الحروب كانت قليلة وضيقة النطاق بمثابة صيد الحيوان، أو كمنظم سكاني ملائم للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في تلك الجزر.

وبسبب أسلوب الحياة البولينيزي والجمال الطبيعي لشعوب المنطقة، والمناظر الخلابة أصبحت جزيرة تاهيتي وفي فترة زمنية قصيرة جداً أرض الحلم بالنسبة للأوروبيين، أتى إليها الناس من كل حدب وصوب، واستغل الجميع كرم أهل الجزيرة، وجوانب كثيرة من سلامة قلوبهم.

وبعد منازعات بين القوى الأوروبية تمكنت فرنسا من فرض حمايتها على المنطقة عام ١٨٤٢م إلا أن هذه الحماية لم تثبت إلا في عام ١٨٨٠م، ويتمتع جميع سكان بولينيزيا الفرنسية بالجنسية الفرنسية.

وهناك جالية من الصينيين جلبوا أساساً لتحسين الوضع الزراعي في المنطقة، إلا أنهم هجروا الزراعة، وأصبحوا أصحاب(دكاكين)، ويسيطرون اليوم على معظم الأعمال التجارية في المنطقة.

ويعيش في تاهيتي اليوم أكثر من ١٠٠٠٠ آسيوي إلى جانب نحو ٩٨٠٠٠ تاهيتي، و ١٥٠٠٠ من أصل أوروبي، ويحكم الجزيرة مندوب سام فرنسي يساعده مجلس مكون من خمسة أعضاء.

* * * * * *

*** المعتقدات:**

للبولينيزيين أساطير وخرافات متوارثة تعبر عن تخيلاتهم التي كان أوائلهم يعتقدونها، وبناء عليها كانت المعرفة الروحية التقليدية عندهم مركزة في أيدي الكهنة الذين يتمتعون بسلطات واسعة في المجتمع التاهيتي، فهم يؤمنون بخلود الروح، وبجنة سماوية يدخلونها بعد الممات يسمونها (تي هافايكي)، أو استبدالهم خلقاً آخر يعيش على الأرض أو البحر أو السماء، ويقولون إنهم يعبدون إلهاً واحداً هو خالق الكون كله، ومصدر المعرفة والقوة كلها، يسمونه (تاروا)، تعينه-بزعمهم- آلهة ثانوية يولدهم هو أو غيره من الآلهة، وتجري الطقوس الدينية لدى التاهيتيين في غرف دائرية مبنية من الحجر المنحوت، أو مكونة من جدران مبنية من الرخام المرجاني على حسب الجزيرة التي تقام فيها تلك الطقوس، ويقع الهيكل في طرف من الغرف حيث يتم تقديس التماثيل، وتقديم الأضاحي البشرية النادرة.

على أنه لم يبق شيء من هذا التنظيم الاجتماعي والديني اليوم إذ لا يمكن مشاهدة ما تبقى من عناصر هذا الاعتقاد القديم إلا في المتاحف، والمقتنيات الخاصة.

وقد وصل المنصرون إلى تاهيتي بعد وصول المستعمرين، ونشطوا حتى سيطرت الديانة المسيحية على أهل البلاد كلها، وحتى تحول الإحساس الديني العميق عند البولينيزيين من سكان تاهيتي بأساطيرهم الروحية القديمة إلى إحساس بالدين المسيحي.

ويعتنق أكثر أهل تاهيتي المذهب البروتستانتي، ولأنهم دخلوا الدين المسيحي على أيدي المنصرين من(البروتستانت)، ولكن يوجد الكاثوليك في جزر أخرى مثل (تواموتو).

ولبيان اهتمام التاهيتيين بالدين المسيحي نذكر أن الكتاب الوحيد المكتوب بلغتهم التاهيتية هو الإنجيل، وقد ترجمه الملك (بوماري) أحد ملوك تاهيتي. ويحترم التاهيتيون الوصايا العشر التي توردها التعاليم المسيحية إلا واحدة، وهي(لاتزن) التي تنهى عن الزنا. إذ المعروف عنهم أنهم لا يبالون بذلك.

ولا شك أنهم وجدوا قدوة في هذا الأمر المشين من أئمتهم المستعمرين الفرنسيين الذين لم يمنعهم ادعاؤهم اعتناق المسيحية من الزنا، بل من عدم استنكاره في أكثر الحالات.

ويعلل بعض الباحثين ممارسة أهل تاهيتي للزنا بكونهم يجدون صعوبة من ناحية تقاليدهم القديمة أن يعتبروا اللذة مصدراً للخطيئة، ولذلك تكاد تعدم الغيرة عندهم، ولا يوجد تعبير عنها بلغتهم القديمة.

* * * * * *

- دعاة الإسلام في تاهيتي؟

ونسأل هنا عن دعاة الإسلام، ونحن إذ نفعل ذلك لا نسأل عما إذا كانت توجد أنصاب تحمل أسماءهم وتواريخ وصولهم، فذلك ليس بذي بشأن، والاقتصار عليه ليس من هدي ديننا، وإن كان تاريخ انتشار الإسلام وأخبار الدعاة إليه يستحق التدوين، والتسجيل أمر مطلوب، وإنما يجب أن يكون هدف الداعية إلى الله هو هداية الناس إلى دين الله، وإخراجهم من ظلمات الكفر والوثنية إلى نور التوحيد، واحتساب الأجر في ذلك من الله سبحانه وتعالى.

فإننا نسأل: أين دعاة الإسلام؟

وهذا السؤال من باب تساؤل العارف أو تجاهل العارف كما كان أهل البلاغة يسمون أمثاله، ونحن نعرف أنهم غير موجودين هنا، ولكننا نسأل: لماذا كان الأمر كذلك؟ ولم لم يوجدوا؟ ونحن ديننا الإسلامي هو دين الدعوة والانطلاق، وهو الدين العالمي الذي لا يفضل جنسا من الناس أو لوناً منهم على جنس أو لون آخر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

لا شك في أن السبب في عدم وجود الدعاة إلى الإسلام هنا هو التقصير الذي سببه الجهل أولاً، وعدم الاستطاعة التي تنتج عن الجهل أو التجاهل أحياناً، فعدم الاستطاعة من الدعاة قد يكون مبعثها ذلك أيضاً.

إذ يمكن لمن هو على بصيرة من الأمر، ولكنه ليس على استطاعة للعمل في الدعوة إلى الله أن يسعى في تحسين حاله، ويستعين بمن يستطيع من

---

(١) سورة الحجرات: الآية (١٣).

إخوانه حتى يحصل على نوع من الاستطاعة يؤهله للقيام ببعض الواجب، ولكنهم أيضاً لا يعملون، وبعضهم لا يعلمون أنهم قد لا يعملون ما يستطيعون.

والآن وقد علمنا بعض العلم وأصبحت لدينا الاستطاعة التي تمكننا من العمل فماذا عملنا؟

والضمير هنا لنا نحن المسلمين جميعاً على وجه الأرض، وليس خاصاً بنا نحن السعوديين؟

والجواب: أن المملكة العربية السعودية، ممثلة في حكومتها وعلى رأسها ملوكها ابتداء من الملك فيصل - رحمه الله -، وحتى الملك عبد الله - وفقه الله - وممثلة أيضاً في مؤسساتها التي تعمل في الاتصال بالمسلمين، وعلى رأسها رابطة العالم الإسلامي تكاد تكون هي البلد الوحيد الذي يعمل على مساعدة المسلمين في البلدان النائية على القيام بواجب الدعوة إلى الله، وببذل الجهد في ذلك، وهي بذلك تقوم بالواجب عليها تجاه الدعوة إلى الله أو ببعض الواجب لذلك.

أما بقية البلدان الإسلامية، فهي بين مقصر في الأمر، أو تارك له كلياً، وبين معوق للعمل الإسلامي، فلا حول ولا قوة إلا بالله. ولكن الآية الكريمة تقول: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[1].

وقد أصبحنا نرى نفراً من إخواننا المسلمين في بلاد الأقليات المسلمة يقوم بما لم تقم به حكومات متقاعسة عن الدعوة إلى الله، ويبذل في ذلك النفس والنفيس مريداً به وجه الله وحده، غير مبتغ على ذلك جزاء ولا

---

(١) سورة محمد: الآية (٣٨).

شكوراً ، كما حدث من أحد الإخوة الدعاة من مسلمي (جزر فيجى) حينما ذهب إلى جزيرة تونغا ودعا أحد دعاة النصرانية من أهل تونغا الأصلاء إلى الإسلام، فأسلم الرجل التونغاوي وحسن إسلامه، ودعا قومه إلى الإسلام، فأسلم على يده نفر منهم حتى بلغ عدد المسلمين في تونغا أكثر من مائة قبل أن تنقضي سنتان على إسلام الرجل الأول، ولم يكن يوجد قبل ذلك في البلاد أي مسلم من أهلها الأصلاء.

۞ زيارة القارة الاسترالية[1]

- معالي الشيخ قمتم بزيارة إلى القارة الأسترالية. ما هي أهداف هذه الزيارة؟ وماذا شملت؟

- الهدف هو كما تحدثت معك سابقاً معرفة أحوال المسلمين فيها وما يحتاجونه لمؤسساتهم الدينية كالمدارس الإسلامية والمساجد وشملت هذه الرحلة الأسترالية نواحي ثلاثاً من قارة أسترالية: هي شمالها، وغربها، وجنوبها، ولم تبق من جهاتها إلاّ جهة في شرقها وآمل أن أوفق في زيارتها بإذن الله تعالى وإنه مما لا شك فيه أن الجهات الأربع هذه هي أهم جهات القارة شأناً، وأكثرها سكاناً، وبالتالي هي أحفلها بالإخوة المسلمين الذين حرصت على الحديث معهم عن جمعياتهم الإسلامية، حتى بعد أن فارقت القارة لأنني بطبيعة عملي أظل أتابع تلك الشئون عن طريق البحوث والمكاتبات، وباستقبال البعوث وعقد الاجتماعات.

- معالي الشيخ ما هي قصة الكنيسة الموجهة للقبلة؟

- هي كنيسة موجهة للقبلة واللطيف في الأمر أن هذه الكنيسة متجهة إلى جهة الغرب وهي جهة القبلة عندنا، هذا كان أصل بنائها ولا يزال، فما على المسلمين إذا ما اشتروها وأرادوا تحويلها إلى مسجد إلاّ أن يضعوا لها محراباً مع أن صنع المحراب ليس من الواجب في المساجد، ولا هو أمر ضروري، ولكنه شعار استقر أمر المسلمين في مساجدهم على اتخاذه، وإلاّ فإن الرسول

---

(١) انظر: كتاب ((إطلالة على إستراليا وحديث عن المسلمين)) الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م- مطابع التقنية للأوفست الرياض.

صلى الله عليه وسلم كان يصلي في أول أمره عليه السلام على جذوع النخل، وقد سبق أن اشترى المسلمون أكثر من كنيسة وحولوها إلى مساجد.

- ما هي أبرز الانطباعات التي خرجتم بها عن المسلمين هناك لا سيما أن أحد أهداف زيارتكم كان بغرض معرفة هل هناك خلافات بين المسلمين؟

- في الواقع كان من أهم الأسباب التي دعت إلى إرسال وفد هو ما أشيع من أنه توجد خلافات بين المسلمين في أستراليا تؤثر على سير الدعوة الإسلامية، وقد وجدنا هذه الخلافات مبالغاً في ذكرها، وأمثالها أمر يحدث في كثير من البلدان والجمعيات، وهو أنه عندما انتخب رئيس جديد لاتحاد المجالس الإسلامية الأسترالية، وفاز في الانتخاب الأستاذ إبراهيم عطاء الله، وخرج من نتيجتها الرئيس السابق الدكتور محمد علي وانق لم يرض عن ذلك بعض أنصار الدكتور وانق، فأخذوا يسيئون للإدارة الجديدة للمجلس، وساعدهم على ذلك أناس من خارج أستراليا ممن زاروا تلك البلاد.

وقد حرصنا منذ وصولنا على سماع أقوال الطرفين كليهما، فلم نر أحداً منهم يشكك في سلامة الانتخابات التي جرت، أو يقدح في دين الآخر فيما عدا شكوى الدكتور (علي وانق) من اتهامه بأنه كان قادياني اً، وقد نفى ذلك عن نفسه، ولم يثبت لدينا ذلك الاتهام، وفي المقابل يشكو الاتحاد من أن أنصار المذكور يؤلبون الناس عليهم.

وقد حاولنا الصلح بين الطرفين، بل أصلحنا بينهما بما استطعنا حتى وعدنا كل واحد منهم بأنه لن يتكلم في الآخر، وذلك تمهيداً للتعاون المستمر في المستقبل.

مع ملاحظة أن هذا الخلاف لم يؤثر على مسيرة العمل الإسلامي، وليس خلافاً بين جهتين متعارضتين في القوة، لأن أكثرية المسلمين الساحقة،

وجمعياتهم الإسلامية هم مع اتحاد المجالس الإسلامية برئاسته في ذلك الوقت، التي هي رئاسة دستورية لا مطعن فيها.

وعلى كثرة ما زرناه من الجمعيات في طول البلاد وعرضها فإننا لم نجد جمعية واحدة تعارض الانضمام إلى الاتحاد إلا جمعية واحدة هي المسجد الأفغاني في مدينة (إديلايد) قال لنا المسئولون فيها إن الاتحاد فصل إمام الجمعية الشيخ عمر الشاطري عندما امتنع عن الامتثال لأمر الاتحاد بالانتقال من إديلايد إلى بيرث للعمل هناك، وأنهم لا يأخذون على الاتحاد إلا هذا الأمر، وأنه إذا عاد إليهم إمامهم الشاطري فإن الخلاف مع الاتحاد ينتهي. هذا عندما زرنا أستراليا آنذاك، أما الآن فإن الخلاف قد اشتد بين الجمعيات الإسلامية وغيرها بسبب الحصول على رسم الذبح الحلال حتى وصل إلى المحاكم الأسترالية، ولا حول و لا قوة إلا بالله.

- وما الذي خرجتم به عن هذه الزيارة أيضاً فيما يتعلق بأحوال المسلمين هناك والتبرعات التي ترسلها الحكومة السعودية؟

- المهم الذي تحققنا منه أن التبرعات التي أرسلت من المملكة العربية السعودية إلى الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في أستراليا قد استخدمت استخداماً صحيحاً ووقعت موقعها، مما جعل كثيرا من الإخوة المسلمين يذكرون أن المساعدة الأولى التي وصلتهم من المملكة العربية السعودية في عهد الملك فيصل رحمه الله كانت هي العمود الفقري للمساجد التي أقيمت.

كما أنهم لا يزالون يتحدثون أفراداً وجماعات عن المساهمة السخية التي وصلتهم منذ سنين من المملكة العربية السعودية، واشتروا بجزء منها مدرسة الملك خالد الإسلامية في ملبورن، وقد بدأت الدراسة فيها منذ فترة قصيرة، كما اشتروا ببقية تلك المساعدة أرضا لمدرسة الملك فهد في سيدني،

وقد أسموا هاتين المدرستين اللتين تقعان في أهم مدينتين في أستراليا وهما ملبورن وسيدني باسم جلالة الملك خالد رحمه الله وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد رحمه الله، اعترافاً بفضل المملكة العربية السعودية على المسلمين في أستراليا. وكثيراً ما سمعنا المسئولين عن الجمعيات الإسلامية يذكروننا بأن هذا المسجد الذي يعملون فيه كان عماد إنشائه من تبرع المملكة العربية السعودية، أو كان التبرع السعودي هو السبب في عزمهم على إكمال المشروع الإسلامي أو المركز الذي يستفيدون منه في الوقت الحاضر.

- ما هي أبرز التوصيات التي ترون أنها مناسبة لدعم العمل الإسلامي في أستراليا؟

- من أبرز التوصيات التي ضمنها كتابي عن القارة الأسترالية هي:

أولاً: نوصي بأن تكون خطة العمل في المستقبل في مساعدة الجمعيات الإسلامية التي أثبتت جدارتها في الانتفاع بالمساعدة، ومن ذلك اتحاد المجالس الإسلامية الأسترالية، وأن يكون صرف المساعدات عن طريق السفارة السعودية في أستراليا، وذلك من أجل توثيق الجهة التي تصرف لها المساعدة، ثم من أجل الرقابة على الصرف، أما الجمعيات الصغيرة التي تكون كذلك بحكم وجودها في مناطق نائية أو مدن صغيرة، فينبغي أن تصرف لها المساعدة عن طريق اتحاد المجالس الإسلامية الأسترالية، حتى يضمن عن طريق إمكانياته الخاصة استعمال المساعدة في الغرض الذي صرفت من أجله.

ثانياً: أن تجزأ المساعدة على إقامة المشروعات الإسلامية إلى أجزاء تصرف على فترات، وذلك بغية التأكد من سلامة الصرف قبل المضي في إكمال المساعدة.

ثالثاً: تتواصل مساعدات المملكة للمدارس الإسلامية هناك حتى لا يضيع أبناء المسلمين في هذه القارة، وهم معرضون للضياع والذوبان في حالة عدم وجود تعليم إسلامي، كما ضاع أبناء المسلمين الأوائل من الأفغانيين الذين لم يجدوا لأولادهم تعليماً إسلامياً، فذابوا في المجتمع الأسترالي غير المسلم.

رابعاً: أن تقوم المملكة عن طريق رابطة العالم الإسلامي أو وزارة الشئون الإسلامية بتعيين المزيد من الأئمة في المساجد الموجودة في أستراليا التي لا يوجد فيها أئمة وتعجز الجمعيات الإسلامية القائمة عليها عن الإنفاق على استقدام الأئمة، ودفع مرتباتهم التي تتراوح في العادة بين ألف دولار وألف وخمسمائة دولار في الشهر إذا كانوا من حملة الشهادات الجامعية.

ويبلغ عدد المساجد التي ليس فيها أئمة في الوقت الحاضر عشرة ويمكن الاكتفاء بتعيين عشرة أئمة لعشرة مساجد في هذه المرحلة.

خامساً: هناك جمعيات إسلامية صغيرة تقع في أماكن نائية أو في أحياء بعيدة عن المدن، وهي بحاجة ماسة إلى الدعم والمساعدة لأنها بدون هذه المساعدة لا تستطيع أن تستمر في إنشاء مسجد، ونقترح أن تخصص لها مساعدات مجزية.

سادساً: القيام بحملة مكثفة من إيضاح الحقائق تقوم لها السفارة السعودية على أن تسهم الجهات المختصة في المملكة، كل في اختصاصه، وتقدم ذلك إلى السفارة.

سابعاً: الحرص على تقوية الصلات الإسلامية واستمرارها مع القيادات الإسلامية والشخصيات المهمة ذات النفوذ بين المسلمين الأستراليين عن طريق التالي:

أ- دعوة عدد في حدود العشرة منهم للحج ضيوفاً على رابطة العالم الإسلامي، يجري اختيارهم بالتشاور ما بين الرابطة والسفارة، ويلاحظ اختيارهم بالتناوب بحيث لا يستأثر أناس بذلك دون غيرهم.

ب- توصية الجهات ذات الطبيعة الفنية مثل وزارة التعليم العالي ووزارة الصحة بدعوة عدد من المسلمين العاملين في الحقل نفسه بغية توثيق الروابط الإسلامية بين الاختصاصيين المسلمين في أستراليا وبين هذه الجهات، وذلك على سبيل المثال أن تدعو وزارة التعليم العالي عدداً رمزياً من أساتذة الجامعات من المسلمين..

ج- توصية الجهات السعودية والدوائر في المملكة التي تقيم مؤتمرات أو تعقد اجتماعات إسلامية لملاحظة إشراك مسلمي أستراليا في تلك الاجتماعات.

۞ المسلمون في لاوس وكمبوديا [1]

رحلة مشاهدات ميدانية

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد: فإنني قد قلت في مقدمة كتابي الذي كتبته عن زيارة فيتنام بعنوان: (أيام فيتنام)، إنني كنت قد عزمت على أن أسمي الكتاب الذي سأكتبه عن زيارتي للهند الصينية (مشاهدات في الهند الصينية) التي أريد بها الأقطار الثلاثة فيتنام ولاوس وكمبوديا غير أنني وجدت الكتاب قد زاد حجمه عما كنت قررته له فرأيت تقسيمه إلى كتابين أحدهما عن فيتنام والآخر عن لاوس وكمبوديا بعنوان (المسلمون في لاوس وكمبوديا).

إن هذه الأقطار الثلاثة تسمى مجتمعة بالهند الصينية مع أنه ليس لأهلها أي شبه مظهري بالهند وإنما شبههم بالصين ظاهر وإن كان ذلك على هيئة بعيدة فالفروق حتى بين أهل الصين أنفسهم كبيرة. ولكن أهل الهند الصينية فيهم شبه كبير من أهل جنوب الصين كأهل كانتون التي زارها الرحّالة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري وسماها (صين كلان) يعني الصين الكبير أو (صين الصين) وكأهل منطقة يونان وقد زرت المنطقتين كلتيهما وذكرت مشاهداتي فيهما في كتابي: (في جنوب الصين) وفي كتابي: (العودة إلى الصين).

وهناك منطقة أخرى مجاورة هي بورما كانت تعد من الهند الصينية أيضاً وأهلها الأصلاء، الذين هم أكثر السكان فيها هم كأهل الهند الصينية

---

(١) انظر: العدد (١٦٧) من مجلة رابطة العالم الإسلامي، والذي صدر في ذي القعدة عام: ١٤١٥هـ- وقد طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

الآخرين الذين يشبهون الصينيين ولا يشبهون أهل الهند إلا ما كان من أمر جزء منها في غربيها وبخاصة في منطقة أركان فإن أهلها يشبهون أهل الهند وعلى ذلك لا تكون تسمية هذه الأقطار بالهند الصينية صحيحة من حيث المظهر الخارجي، وإنما هي صحيحة في قول بعضهم من ناحية ثقافتهم فهم يشبهون أهل الهند القدماء من حيث إن ديانتهم البوذية جاءتهم من الهند وكانت غالبة في الهند في القديم قبل أن تنكمش وتتضاءل هناك، وبذلك يصح القول في هؤلاء القوم الذين تتجه رحلتنا إليهم إنهم يشبهون أهل الصين في المظهر ويشبهون بعض أهل الهند في الثقافة.

أما أنا فإنني أرى فيهم شيئاً غير ذلك أرى أنهم أمة يمكن أن يصح القول فيهم بأنهم جاؤوا في الأصل من جنوب الصين فتفرقوا في هذه المنطقة الندية بأمطارها وأنهارها الغنية بنباتها وأشجارها فاكتسبوا على مدى الدهر صفات خاصة بكل قطر أو مجموعة من كل قطر فيهم ومن ذلك لغاتهم التي تعددت حتى صارت الآن متباعدة متباينة فلغة فيتنام مثلاً لا علاقة لها تذكر بلغات أهل لاوس وكمبوديا فلغة لاوس قريبة جداً من التايلندية، بل يكادون يتفاهمون مع التايلنديين في اللغة وهي تشبهها كثيراً وتماثلها في كثير من ألفاظها وجملها، وإن كانت تختلف عنها قليلاً في الكتابة وفي النطق، وأما لغة كمبوديا فإنها ذات كتابة مستقلة يحسب من يراها لأول مرة وهو لا يعرفها أنها قريبة في الكتابة من التايلندية وما هي منها بقريبة، وأما لغة التخاطب فإنها متباعدة بين التايلندية والكمبودية حتى لا يمكن لأحد الفريقين أن يتفاهم مع الآخر إلا إذا كان قد تعلم ذلك تعلماً أو تمرن عليه مراناً كثيراً أكسبه المعرفة به كاللغات الأخرى.

أما اللغة الصينية التي قيل: إن لأهلها علاقة بهذه البلاد، فإنها بعيدة

جداً عن هذه اللغات الثلاث حتى إن الفيتنامية التي هي أقربها من حيث الموقع والمكان إلى الصين لا تربطها باللغة الصينية رابطة وإن كانت الكتابة بالحروف الصينية معروفة بها في القديم فإنها الآن تكتب بالحروف اللاتينية بخلاف لغة لاو، التي يراد بها اللاووسية واللغة الكمبودية فإنهما تكتبان بحروف محلية خاصة لا رابطة بينها وبين اللغات الأخرى المشهورة.

أما الديانة فإن الجامع بين تلك الأقطار هو الديانة البوذية وإن كانت المذاهب الدينية وهيئة المعابد تختلف في البلدان الثلاثة بعضها عن بعض.

ولكن الديانة البوذية ضعيفة المقاومة إذا احتكت بديانة أخرى لها من ينصرها بقوة فقد سقطت في الشيوعية كما هي الحال في هذه الأقطار الثلاثة فيتنام ولاوس وكمبوديا أو في الإباحية الشهوانية كما في تايلند.

وعلى أية حال فإن كتابنا هذا هو كتاب رحلة يتضمن المشاهدات والتعليق عليها لاستنتاج ما وراءها، ويحرص على أن يستقصي ما يستطيع الوصول إليه من أحوال المسلمين في هذه البلاد ومن ذلك وصف مساجدهم ومؤسساتهم، وموقف السلطات منهم والتحديات التي تواجههم، وما ينبغي أن نعمله نحن وغيرنا من الأخوة المسلمين القادرين على المساعدة لهم.

وقد بدأت رحلتنا أولاً بلاوس ثم أعقبتها برحلة إلى تايلند للحصول على سمة الدخول والسفر إلى كمبوديا لأن الاتصالات الجوية مقطوعة مابين البلدين الجارين الشيوعيين: لاوس، وكمبوديا ثم انتهيت بالرحلة إلى كمبوديا، ووصف ما رأيناه فيها من أحوال الناس بعامة، ومن أحوال المسلمين خاصة. والله المستعان، وعليه التكلان.

مكة المكرمة **المؤلف/ محمد بن ناصر العبودي**

۞ (لاوس):

* موجز تاريخي:

كانت لاوس إحدى الممالك المستقلة إلا أنها خضعت لسيام (تايلند) منذ أوائل القرن ١٩ الميلادي حتى سنة ١٨٩٣م حيث استقلت ثم وقعت تحت الحماية الفرنسية حتى الجلاء الفرنسي عن الهند الصينية سنة ١٩٥٤م، وفي عام ١٩٤٧م أسست فيها حكومة محلية ملكية، وفي عام ١٩٥٠م انضمت للاتحاد الفرنسي. وفي الخمسينات غزتها قوات فيتنام الشمالية (فيت منه) فوقعت في معارك مع الفرنسيين وخلال مؤتمر جنيف ١٩٥٤م انسحبت الجيوش الأجنبية منها بما فيها الفرنسية وأصبحت دولة ذات سيادة نظامها ملكي. ثم تكونت في لاوس عدة خلايا حزبية مما تسبب في أن تقوم حرب أهلية على أثرها انقسمت البلاد إلى ثلاثة قطاعات، الشمالية وفيه رجال الحركة الشيوعية وتؤيدها فيتنام الشمالية. والوسط وفيه المستقلون بزعامة الأمير سوفونا فوما. والجنوب وفيه حكومة يمينية بدعم من أمريكا. وخلال اتفاق دولي سنة ١٩٦١م تم بمقتضاه تأليف حكومة حيادية في البلاد بزعامة الأمير سوفانا فوما ولكنها لم تستمر طويلاً بسبب رغبة الشيوعيين الذين أصروا على محاربة اليمينيين ثم استمرت فيها الحرب الأهلية التي أطرافها أمريكا وفيتنام الجنوبية من جهة وفيتنام الشمالية من جهة أخرى حتى سقطت لاوس بيد رجال (الباتيت لاو) سنة ١٩٧٥م.

* المسلمون في لاوس:

المسلمون قلة يتركزون في العاصمة (فنتيان) ولهم مسجدان:

المسجد الجامع: وتقوم عليه جمعية إسلامية أفرادها من الهند وباكستان. ورئيسهم (هارون خان) وهو شخصية ذو مكانة في الدولة ورئيس

التجار لأهل السوق عموماً من المسلمين والبوذيين. وإمام المسجد الجامع الشيخ قمر الدين نوري وهو هندي يجيد اللغة العربية.

والمسجد الثاني: للمسلمين المهاجرين من كمبوديا وقد مضى على هجرتهم إلى لاوس ما يزيد على أربعين عاماً وهو يقع في العاصمة (فيتنام) أيضاً داخل حي شعبي وبجانب ذلك المسجد مدرسة مغلقة لعدم وجود المدرس.. كما أن المسجد الجامع به مدرسة بالدور الأرضي ولكنها معطلة ولا يوجد بها تلاميذ.

وأوضاع المسلمين في لاوس جيدة ويعمل الهنود منهم بالتجارة. وبالمدينة ثلاثة مطاعم إسلامية على مستوى نظيف.

وأما المسلمون الكمبوديون فحالتهم ضعيفة وبعضهم يشتغل بالتجارة. والحكومة في لاوس لا تعارض الإسلام ولا تصادر الحريات والمسلمون يمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية وحرية التنقل في الداخل والخارج ميسرة للجميع. كما أن الحكومة لا تعارض في إرسال مرشدين إليهم ولا تمانع في وصول المعونات لهم. وعددهم في العاصمة نحو ٦٠٠ شخص منهم ٣٠٠ من الكمبوديين والبقية من الهنود والباكستانيين ولا يوجد في المدن الأخرى أعداد تذكر من المسلمين. وقد دفعنا للمسلمين في لاوس مبالغ مالية رمزية من رابطة العالم الإسلامي للجهات التالية:

أ- الجامع الكبير الذي تشرف عليه الجمعية الإسلامية التي يقوم عليها الهنود.

ب- إمام المسجد الجامع الشيخ قمر الدين نوري مساعدة له.

ج- لمسجد المسلمين الكمبوديين. وسوف يأتي تفصيل ذلك في اليوميات إن شاء الله.

* تنشيط العمل الإسلامي:

ويلزم لتنشيط العمل الإسلامي في لاوس في الوقت الحاضر مايلي:

(أ) إرسال مدرسين مؤهلين إلى المدرستين الملحقتين بالجامع الكبير وجامع المسلمين الكمبوديين على أن يكون المدرسون من أبناء تايلند لأن اللغة التايلاندية مفهومة وتتقارب مع لغة لاوس.

(ب) تخصيص مبلغ مالي بالدولار الأمريكي سنوي أو شهري لما يحتاجه الجامع الكبير وجامع المسلمين الكمبوديين بالعاصمة فينتيان من نفقات متكررة واستكمال بناء المنارة ومحلات الوضوء للمسجد الأخير.

(ج) دعوة رئيس الجمعية الإسلامية هارون خان ورئيس جمعية المسلمين الكمبوديين والشيخ قمر الدين نوري إمام الجامع الكبير لزيارة الرابطة وأداء العمرة.

(د) إرسال مقادير كافية من الكتب الإسلامية باللغة التايلندية واللاووسية إن وجدت، وكذلك مقررات دراسية بالعربية.

(هـ) استضافة ثلاثة من كبار المسلمين بلاوس في موسم الحج القادم.

(و) تخصيص عدد من المنح الدراسية لا يقل عن خمس في السنة الأولى لأبناء المسلمين في لاوس ليدرسوا في إحدى الجامعات الإسلامية في المملكة العربية السعودية.

* المسلمون في لاوس:

تحدثت حديثاً مطولاً مع الأخوة المسلمين بينت فيه الغرض من قدومي إلى هذه البلاد، وأنه الاطلاع على أحوال المسلمين وبحث الأمور المتعلقة بالتعاون في المستقبل ما بين رابطة العالم الإسلامي وبين المسلمين في هذه البلاد. وبينت ما تستطيع الرابطة أن تقدمه للإخوة المسلمين هنا مما قد

يعتبرونه مساعدات ونحن نعتبره واجباً وذلك فيما يتعلق بإعمار المساجد وإرسال الدعاة وتخصيص المنح الدراسية وإرسال الكتب الإسلامية والتعرف على زعماء المسلمين ووجهائهم الذين يمكن أن يدعوا إلى الاجتماعات والمؤتمرات الإسلامية التي تقيمها الرابطة.

وقد شكروا ذلك وذكروا أننا أول وفد إسلامي من المملكة العربية السعودية يصل إلى هذه البلاد. وكان الحديث يدور بالعربية يترجمه إلى الاوردية لغة المسلمين في الهند وباكستان. ثم تحدثوا أحاديث مفصلة مطولة عن أحوال المسلمين وعددهم في هذه البلاد وهي أحاديث سمعت مايؤيد بعضها قبل ذلك من الإمام والأخ عبد الحميد وغيرهما كما كان بعضها في أوراق عندي في الرابطة. ويمكن تلخيص ذلك المتعلق بالإسلام والمسلمين في لاوس في الوقت الحاضر بما يلي: يبلغ عدد المسلمين في لاوس نحو ستمائة شخص وهم من الهند وباكستان وكمبوديا.. وأكثرهم عدداً هم أهل كمبوديا يليهم الباكستانيون ثم الهنود. أما أهل لاوس الأصلاء فإن عددهم قليل جداً ولا يعرفون منهم إلا رجلين وجلهم يعيش في العاصمة (فيتنام).

وفي مدينة سونكي ٦ مسلمين وفي سيابوري ٣ مسلمين، كما أن في مدينة (لونغ برافانت) ثلاثة من المسلمين أيضاً. وفي توانكر ٣ أسر مسلمة.

والمسلمون الموجودون هم قدماء في الإسلام وأغلبهم إن لم يكونوا كلهم من آباء مسلمين من قبل، ولا يكاد يوجد بينهم مسلم جديد.

وقد عللوا ذلك بنقص الدعاة والمرشدين ثم بانعدام الدعاة المسلمين الجدد وعدم العناية بهم.

وركزوا على أن التبليغ والدعوة يجب أن يكونا باللغة اللاووسية التي تفهمها العامة منهم.

وذكروا أن المسلمين كانوا أكثر مما هم عليه الآن، ولكنهم رحلوا عندما استولى الشيوعيون على الحكم ولم يعودوا وإلا فإن الحالة الآن جيدة جداً بالنسبة إليهم فلا يوجد ضغط موجه إليهم أصلاً، كما أن التجارة حرة مثلما أنهم أحرار في ممارسة شعائر دينهم.

ولا يوجد في فيتنام إلا جامع واحد كبير وإنما يوجد مسجد آخر للمسلمين الكمبوديين في أحد الأحياء من ضواحيها (وسوف نراه) ونرى مدرسة إسلامية للإخوة الكمبوديين في لاوس.

* **السفارات الإسلامية:**

لا توجد سفارة عربية واحدة مفتوحة في لاوس إلا ممثلية فلسطين، وكانت السفارة المصرية مفتوحة في لاوس وكان الأخوة المسلمون – فيما أخبروني به – يتصلون بها، ويطلبون منها المساعدة على الحصول على مصاحف ونحو ذلك، كما كانت تساعدهم من موقعها لدى الحكومة اللاووسية. وأما سفارات الدول المسلمة فلا توجد منها إلا اثنتان هما سفارة اندونيسيا وسفارة ماليزيا، وذكروا أن موظفي السفارتين يؤدون صلاة الجمعة مع المسلمين في الجامع.

هذا وقد انتهى الاجتماع وعدت إلى الفندق وحدي أسير على قدمي ومعي مصورتي معلقة في يدي من دون أن أخشى إلا الله، فالأمن مستتب في هذه البلاد والاعتداء على الناس أو انتهاب ما معهم أمر لا يحدث.

هكذا قال لي الأخوة المسلمون وكذلك عرفت الأمر فيما بعد.

۞ في جنوب الهند[1]

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي خصنا من بين خلقه أجمعين، بأن جعلنا أهل بيته الحرام، وخدمة مسجد سيد الأنام، وجعل بلادنا مهوى أفئدة المؤمنين، وموقع قبلة المسلمين. ثم أفاض علينا في هذا الزمان من خيرات الأرض ما لم يخطر على بال، ولم يدر في الخيال، ففاض من ذلك على إخواننا المسلمين في الخافقين ما شيدت به مساجد، وأقيمت به مدارس، وعمرت به بيوت من بيوت الدعاة، الذين تفرغوا للدعوة إلى الله، وجعل كل من يريد أن يقوم بمشروع إسلامي يبدأ أول ما يبدأ بجهد إعلامي، ليقنعنا بأن مشروعه جاد، وأنه يحتاج إلى إسناد، ويأتي ذلك في أغلب الأحيان على هيئة دعوة توجه إلى من يعمل بهذا الشأن ليزور ذلك البلد من بلاد المسلمين، أو يحضر مؤتمراً يتعلق بأمور الدين، أو يسعف منكوبين أو- على الأقل- ليشهد مولد جمعية إسلامية تؤلف، أو جماعة تشرف بالعمل للإسلام في جميع بلاد الأنام.

والحمد لله الذي جعل لكاتب هذه السطور من الحضور إلى تلك الاجتماعات وشهود المؤتمرات ما جعله شاهد عيان في هذا الشأن.

والحمد لله حمداً كثيراً مضاعفاً على أن وفقه لتسجيل ما شاهده أو سمعه مما يتعلق بما شاهده، حتى اطلع كثير من الإخوة المسلمين على أحوال

---

(١) انظر: الطبعة الأولى من هذا الكتاب والتي صدرت عام: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، وقد طبع بمطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

إخوتهم الأبعدين في الديار، وإن كانوا الأقربين في الأفكار، من خلال ما كتبه عما ذهب إليه، واطلع عليه.

وأما بعد فإن بلاد الهند بلاد واسعة، ذات ولايات شاسعة وأقوام متعددة الأصول والنحل، بل هي كثيرة الملل، بعد أن كانت دار إسلام على مدى متطاول من القرون دخل بعض أهلها في الإسلام حباً فيه، لا من باب الفتح والغزو كأهل الجنوب ودخل أناس في الإسلام في مواطن كان فتحها فتح حروب، ولكنه كان فتحاً للهند نعمت فيه بالعدل والمساواة، بل لم تعرف المساواة إلا بعد أن خفقت فيها راية الإسلام، بلا إله إلا الله محمد رسول الله.

وقد يسر الله لي أن زرت كل الولايات الهندية على وجه التقريب وهذه الأوراق التي ستراها في هذا الكتاب هي عن جزء جنوبي من أرض الهند، يتميز عن شمال الهند بميزات، ويبتعد عنه بصفات، لعل أعظمها أثراً أثر اختلافهما في اللغات، فضلاً عن تباين المعتقدات حتى دخل ما أسماه الإنكليز والأوربيون بالنحلة الهندوكية، التي هي في حقيقتها مذاهب شتى لا يمكن وصفها إلا بما وصفها به أسلافنا من العلماء المسلمين من أهل الهند ومن غيرهم من الطارئين وهي أنهم (كفار الهند)، لأن مذاهبهم متباينة، بل إن آلهتهم الهندوكية -إن صح التعبير- متشاكسة متخاصمة فهذا - على سبيل المثال - (راون) المعبود في الجنوب معتبر في الوسط والشمال شيطاناً من الشياطين، وذلك (رام)، كبير آلهة الشماليين والمتوسطيين وهو رجل اتخذ صفة الإله عند أولئك القوم الضالين، ولكنه عند أهل الجنوب غير محبوب.

وحتى العصر العنصري القديم فإنهم قد اتفقوا في التسليم على أنه مختلف في الشمال عن الجنوب فالشماليون سادتهم ينتسبون إلى الجنس الآري القادم

إليهم عبر جبال الهملايا والجنوبيون من (الدراور) الـذين هـم أهـل الـبلاد الأصلاء، ولكنهم ليسوا فيها عند الشماليين بالفضلاء، وهكذا حتـى تصـل الفروق بمن يروق له أن يعدها العشرات بل المئات كل أولئـك بـين أولئـك الأقوام الذين هم من كفار الهنود وهم ما بين سيد ومسود.

أما الفروق ما بين أهل الجنوب وأهل الشمال، فيما يتعلق بواقع الحال، في العقيدة الإسلامية فإنه لا فرق إلا في دخول الإسـلام إلى تلـك البقـاع ففـي شمال الهند دخل به الفاتحون وفي جنوبها أدخله التجار السائحون.

ومذهب أهل الشمال هو مذهب الحنفية، وأما أهـل الجنـوب فـإنهم مـن الشافعية.

وعلى أية حال فإنه ليس من هدفنا أن نذكر في هذا المجـال إلا مـا اقتضـته الحال، أو استوجبه المقال، وذلك منشور في ثنايا هذه المذكرات التـي كتبـت في أوقات متفرقات لكنها جميعها تتعلق بهذه البلاد الهندية الجنوبية من أقصى الجنوب إلى أن تلامس حدود الوسط، باستثناء ولاية كـيرلا (بـلاد المليبـار) فتلك لها كتاب آخر مختار، وذلك ماثل في ولايات (تامل نادو) و(كرناتـك) و(اندرا براديش) ولن أدخل هنا في إحصـاءات أو فقـرات ربـما لا تريـد أن يصطدم بها نظرك أو يشتغل بهـا فكـرك، وأنـت تبحـث عـن كتـاب رحلـة ومشاهدات تـقضي معـه أوقاتـاً لا تزيـد عـلى سـاعات إلا مـا كـان متعلقـاً بالمسلمين في ورقات قليلات، فلنترك ذلك إلى ما هو آت.

* * * * * *

* جامعة دار السلام في عمر آباد في الهند:

أنشأ الجامعة الوجيه (كاكا محمد عمر المتوفى عام ١٩٢٧م)، حيث قام رحمه الله بتوفيق من الله وعونه، بتحقيق هذه الفكرة البناءة، واشترى بقعة أرضية كبيرة بعيدة عن ضوضاء المدن، وأنشأ قرية نظيفة جميلة، وأخذت هذه القرية اسمها من اسم بانيها رحمه الله، فتسمت بعمر آباد، وفي وسط هذه القرية الوليدة أسس رحمه الله بناء هذا المعهد التعليمي والتربوي في سنة ١٩٢٤م، واعتنى بتحسين بنائه وتفخيم عمارته كما أنه اهتم ببناء مسجد جميل، ومساكن للطلاب والأساتذة، وغرف صالات للفصول الدراسية والمحاضرات والمكتبة والمطالعة، وسمي المعهد بجامعة دار السلام، ووقف عليه هو في حياته، وبعد وفاته وقف أنجاله وأحفاده، والمخلصون من المسلمين الآخرين من الأراضي، والحدائق، والبساتين، والمزارع، والدور، والأبنية، والممتلكات الأخرى في عمر آباد، وفي مدينة مدراس وغيرها.

هذا وقد بنى رحمه الله في جنب الجامعة داراً كبيراً لأسرته ليتمكن من القيام بخدمات الجامعة تباعا، ويثلج صدره بمشاهدتها كل حين، ويعود أخلافه على ملازمة رجال الدين وأهل العلم وعلى اللزوم بالدراسة الإسلامية وبالبيئة العلمية والدينية.

وبعدما توفى منشئ المعهد كاكا محمد عمر رحمه الله (في سنة ١٩٣٧م) قام مقامه وتولى مكانه بكل جدارة نجله الأكبر كاكا محمد إسماعيل رحمه الله (المتوفى سنة ١٩٥٩م) يسانده في مماشاة المعهد والتقدم والنهوض به - شقيقه الأصغر كاكا محمد إبراهيم رحمه الله وهو الرجل الواعي الذي كان بينه وبين الأستاذ طنطاوي صاحب الجواهر في تفسير القرآن وغيره من كبار رجال الأمة مراسلات، ومبادلات فكرية وثقافية.

وأصبح المعهد يرتقي ويتقدم في عصره إلى الرفعة والازدهار إلى أن تمخض عن حركة تعليمية وتربوية كاملة وانبثق عنه نهضة تجديدية إصلاحية شاملة، بلغت آثارها العلمية والإصلاحية جميع أنحاء الهند: جنوبها وشمالها، وشرقها وغربها، بل بلغت أنوارها ووصلت أضواؤها إلى خارج البلاد، وأصبح هذا المعهد العلمي والتربوي العظيم في مدة يسيرة بفضل من الله وتوفيقه، ثم بجد واجتهاد بنيه المخلص، ومساعي أنجاله وأحفاده المشكورة، حصناً منيعاً للعربية والدين، ومركزاً قوياً للدعوة الإسلامية، والمعارف الدينية، دؤوباً على أداء رسالته، قائماً برفع منار العلم النافع، معلياً راية الكتاب والسنة، صامداً في وجه الجهل والغواية، يجلب صيته البعيد الطلاب عبر تاريخه من سائر أرجاء الهند وخارجها من أمثال مملكة نيبال وجزائر سيلان، ومحلديف، ولكاديف، وماليزيا، وإندونيسيا وغيرها من البلاد المجاورة.

* * * * * *

*** الأهداف التي أنشئت الجامعة لأجلها:**

١- تنشئة جيل يؤمن بالله وحده على بصيرة وعلم، يقف في وجه الانحراف الفكري ويكافح عن علوم الشريعة الإسلامية الغراء، ويقاوم التحديات المعاصرة.

٢- مقاومة الشرك على اختلاف مظاهره، والإلحاد، وإماطة البدع والضلال والهوى، وإبعاد الجهل والخرافة.

٣- الرجوع بالمسلمين إلى الكتاب والسنة الصحيحة، وفهمها على نهج السلف، وإحياء التفكير الإسلامي الحر، وإزالة الجمود الفكري، والقضاء على التعصب المذهبي.

٤- تعريف المسلمين بدينهم الحق، ودعوتهم إلى العمل بتعاليمه وأحكامه، والتحلي بفضائله وآدابه التي تكفل لهم رضوان الله، وتحقق لهم السعادة والشرف.

٥- دعوة المسلمين إلى العقيدة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح والقيام بنشرها وتعميمها.

٦- تعميم اللغة العربية بين الناس لكي يتمكنوا من فهم رسالة الإسلام الخالدة فهماً صحيحاً ولا يقعوا في حبائل المستشرقين والمبشرين.

٧- إعداد رجال يقومون بتدريس النشء الجديد علوم الكتاب والسنة الصحيحة، وتثقيفه بالحضارة الإسلامية، وتزويده بالقدر الكافي من العلوم والمعارف العصرية ليتمكنوا بها من حل المشاكل الراهنة، وإزالة الأزمات المتجددة، ورد الشبه التي ينسجها الأعداء حول الإسلام.

٨- تخريج دعاة واعين يقومون بالوعظ والإرشاد، وإلقاء الخطب والمحاضرات، ويدعون الناس إلى الإسلام بحكمة بالغة، ومرونة فائقة، بدون إثارة أية ضجة.

٩- إعداد كتاب وباحثين جامعين بين القديم والحديث معتزين بالتراث الإسلامي، ليساهموا بكتاباتهم وبحوثهم في التعريف بالدين الإسلامي ومزايا حسب متطلبات العصر الحديث.

۞ بورمـــــا الخـبر والعيان[1]

المقدمة

يتحدث الشيخ العبودي في كتابه «بورما الخبر والعيان» عـن الأوضـاع المأساوية لشعب بورما المسلم وما يعيشه مـن اضـطهاد وعمليـات مسـلحة ضده، كما يتحدث عن قضية أركان والتعريف بهـا وبموقعهـا وعـن أحـوال المسلمين بصفة عامة في بورما فيقول:

إن بورما كانـت أحـد أقطـار الهنـد الصـينية وقـد لفهـا ولا يـزال يلفهـا الغموض في السنين الأخيرة حتى غدت الأخبار عنهـا شـحيحة، وهـي مـع ذلك في جملتها ربـما تكـون غـير صـحيحة والـذي أهمنـا بـل شـغلنا وأقلـق مضاجعنا ما سمعنا عن تعصب حكومتها ضد المسلمين فيها، وإلحاق الأذى بهم، ومن أهم ذلك عدم السماح لهم بالسفر خارج البلاد، لغرض الاتصـال بأخوتهم المسلمين في الخارج، ما عدا عدداً قليلاً ولغرض أداء فريضـة الحـج حتى الاشتراك في الاجتماعات ذات الطابع الإسلامي كالمؤتمرات الإسلامية الدولية ومجالس الهيئات الإسـلامية مثـل المجلـس التأسـيسي لرابطـة العـالم الإسلامي، منعوا منها أيضاً.

ولقد شددت في الوقت نفسه القيود على دخول المسلمين غير البرمـاويين الذين يريدون تقوية العلاقات بإخوتهم المسلمين في بورما وبخاصة إذا كانوا أعضاء في وفد إسلامي، أو مبعوثين من منظمة إسلامية مهمة.

---

(١) انظر: الطبعة الأولى من كتاب: «بورما الخبر والعيان» والتي صدرت طبعته الأولى عام: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م بالرياض.

ولقد وصلت إلينا أخبار من اضطهاد المسلمين قد يظن سامعها أنها تصل إلى درجة المبالغة والتهويل مثل قانون قيل: إن حكومة بورما سنته يصنف بعض المسلمين في الدرجة في سلم تصنيف رعايا بورما بحيث لا يكون لهم من حقوق المواطنة في البلاد ما لغيرهم من البورماويين البوذيين الذين هم الأكثرية العددية في البلاد.

ومثل عدم وجود أي وزير مسلم في حكومة بورما مع أن المسلمين يمثلون فيها ما بين ٨ ٪ إلى ١٠ ٪ من السكان. ومثل كون المسلمين من غير البورماويين الأصلاء لا يوجد منهم ضباط في رتب عالية في الجيش.

ومثل منع بناء المساجد الجديدة، وعدم السماح للمسلمين البورماويين بالاشتراك في المؤتمرات الإسلامية في الخارج، ومنع الطلاب من الدراسة في البلدان الإسلامية، ومنع طباعة الكتب الإسلامية، إلا في نطاق محدود، تتولاه الحكومة نفسها.

وهذه أمور تقلق بال كل مسلم غيور على دينه، حريص على إخوانه المسلمين، بل إنها مما يقض المضاجع، ويبعث على السعي للتأكد من صحتها.

وقد رأينا في رابطة العالم الإسلامي أن الأمر يستدعي أن يقف أحد المسئولين في الرابطة على وضع المسلمين في بورما بنفسه، وكنت على وشك السفر إلى سلطنة بروناي عضواً في الوفد السعودي في احتفالها بنيل استقلالها، وكان اشتراكنا في هذا الاحتفال هو في حد ذاته أمراً ليس بذي بال، وإنما هو مشاركة بالشعور ولا يحتاج إلى وقت طويل فرأيت أن أتوجه بعد(بروناي) إلى(بورما) التي لا تعد بعيدة من بروناي، بل هي في المنطقة نفسها وإن لم تكن مجاورة لها.

واخترت أن يكون معي الشيخ علي عيسى ممثل رابطة العالم الإسلامي في تايلند، وهو مصري الأصل حصل على الجنسية التايلندية، ويجيد اللغة التايلندية، وهو خبير بأمور المنطقة، وكنت قد سافرت معه إلى بعض مناطق تايلند فحمدت صحبته، وأنست بعشرته.

وقد كتبت كتاباً عن (بروناي) طبع بعنوان(زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية).. أما(بورما) فإن عملي فيها ينحصر بمشاهدة الأمور فيها عن كثب ووضع خطة تقوم بها رابطة العالم الإسلامي في المستقبل لمساعدة المسلمين البورماويين في أمور دينهم على ضوء المعلومات الميدانية ومن واقع الحال.

وجرياً على العادة التي أخذت بها نفسي في كل سفرة أسافرها في أي مكان من العالم وبخاصة من العالم البعيد عن بلادنا العربية وهي أن أكتب مذكرات يومية بما أشاهده أو ألاحظه من أحوال تلك البلاد. فقد سجلت يوميات عن رحلتي هذه آمل أن تحصل على قبول من قراء العربية الكرام كما حصلت اليوميات الأخرى التي ظهرت في كتب عديدة تناولت بلداناً مختلفة في القارات الست، واستقبلها القراء قبولاً حسناً شجعني بل حملني على أن أواصل الكتابة في هذه الموضوعات التي هي الرحلات مع اهتمام خاص ببيان أحوال المسلمين.

ولما كان هذا الكتاب في الأصل هو حصيلة هذه اليوميات في بورما، وليس كتاب دراسة وبحث واستقصاء أسميته باسم يدل على ذلك وهو(بورما كما رأيتها). لأنه يتضمن المشاهدات والملاحظات المبنية عليها، إلا أنني رأيت- بعد ذلك - أن أقدم له بدراسات، وتقارير، توضح أحوال المسلمين في تلك البلاد، وتشرح قضاياهم وأوضاعهم.

وقد طالت هذه الدراسات والبحوث حتى صارت تستحق أن تفرد بعنوان خاص هو (الخبر عن بورما) أخذاً من طبيعتها في كونها منقولة عن تقارير كتبها باحثون غيري، وإن لم تكن منقولة، عن كتب مطبوعة منشورة.

وقد ألفت القسم الأول من هذا الكتاب.

أما القسم الثاني منه فإنه قسم المشاهدات وهو العيان الذي رأيته بنفسي عندما زرت نواحي في بورما.

لذلك سميت الكتاب: (بورما: الخبر والعيان).

على أنني أبرأ إلى القارئ الكريم عما قد يكون في الخبر والمعلومات التي نقلتها عن غيري من عدم الدقة أو حتى من خطأ لم أقصد نقله أو تسجيله، وأؤكد له أن العيان الذي شاهدته وسجلته هو الحقيقة التي لم أزد فيها ولم أنقص منها.

والقصد من ذلك كله هو إعطاء القارئ العربي صورة واضحة عن أحوال المسلمين في هذه البلاد البورماوية إلى جانب ما يتطلع إليه من معلومات أخرى عن أحوال تلك البلاد والعباد الذين يعيشون فيها.

وعلى الله قصد السبيل.

مكة المكرمة: ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م

الخـــــــبر

عرفت (بورما) في المصادر التاريخية والجغرافية القديمة باسم(برمانيا) وتكتب بالحروف اللاتينية(BIRMANIE).

وهي إحدى دول جنوب شرق آسيا ويعدها الجغرافيون إحدى دول الهند الصينية التي تتألف من أربع دول وهي: بورما وفيتنام ولاوس وكمبوديا. والدول الثلاث الأخيرة خضعت للاستعمار الفرنسي أما بورما فقد احتلتها بريطانيا تدريجياً بعد حروب الثلاث بين عامي ١٨٢٤ و١٨٨٥م وفي عام ١٩٤٧م نالت بورما استقلالها.. وقد احتل اليابانيون بورما ثم استعادها الحلفاء منهم في أثناء الحرب العالمية الثانية.

واسم بورما الكامل كما تعرف به في المحافل الدولية هو:

(الجمهورية الاشتراكية البورمية المتحدة).

ويكتب بالحروف اللاتينية كما يلي:

The SOCIALIST REPUBLIC OF UNION OF BURMA

* الموقـــــع: يحد بورما من الشرق لاوس وتايلند ومن الغرب الهند وبنغلاديش ومن الجنوب بحر أندامان ومن الشمال التبت ومن الشمال الشرقي الصين الشيوعية.. وتبلغ مساحتها ٥٧٧,٠٠٠ كيلو متر مربع وهي أكبر بقليل من مساحة تايلند.وتتوسط بورما حوض نهر(الإيراوادي) وتضم المرتفعات والجبال المحيطة به.

وهناك منطقتان مزدحمتان بالسكان الأولى: المنطقة الممتدة حول مدينة (ماندلي MANDALAY) وإلى الجنوب منها. والثانية: منطقة الحوض

التي تحيط بعاصمة البلاد. ومنطقة الحوض أو الدلتا هي اليوم مركز إنتاج القسم الأكبر من الأرز ونهر الإيراوادي هو الشريان الأساسي الذي يصل بين وسط هاتين المنطقتين.

* **السكان:** تتميز بورما من بين مجموعة دول الهند الصينية بكثرة الأجناس وتعددها وإن كان يغلب على ملامحهم الانتماء إلى العنصر المغولي والصيني وهذا التعدد كان ولا يزال مصدراً لمتاعب كثيرة للحكام فمن حين لآخر تقوم إحدى الحركات الانفصالية لإحدى هذه الجماعات بمحاولة للاستقلال عن بورما وتكوين دولة مستقلة.

* **عمل السكان:** الزراعة هي المهنة السائدة، إذ يعمل ٧٠ ٪ من سكان بورما في الزراعة بجانب المهن الأخرى كالتجارة واستخراج المعادن وقطع الأخشاب من الغابات وتعد بورما من أغنى دول العالم في إنتاج الأحجار الكريمة وتقوم الصناعات المحلية على المواد الأولية وتشكل الصناعات الزراعية ٨٠ ٪ من مجموع الصناعات القائمة ببورما.

ورغم الثروة الطبيعية التي تملكها بورما ووفرة المواد الأولية بها إلا أن النظام الاشتراكي الحاكم قد طبع عليها مسحة من التخلف والفقر والشقاء يظهر ذلك واضحاً في وجوه أهلها وفي مظاهر الحياة اليومية.

* **عدد السكان وديانتهم:** يبلغ عدد سكان بورما حالياً خمسة وثلاثين مليون نسمة والديانة البوذية هي دين الأغلبية، إذ يعتنقها حوالي ٨٥ ٪ من مجموع السكان ويحتل الدين الإسلامي المرتبة الثانيةً إذ تبلغ نسبة المسلمين١٢ ٪ وهناك ديانات أخرى متعددة معظمها وثنية وتقوم على عبادة الأرواح والظواهر الطبيعية.

أما النصرانية فقد دخلت بورما مع المد الصليبي الذي يرجع إلى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي ورواده هم البرتغاليون وفي العاصمة رانجون وغيرها من المدن الكبرى وبخاصة الساحلية منها عشرات الكنائس والمستشفيات النصرانية وكذلك المراكز الثقافية والاجتماعية ولكن نسبتهم لا تتجاوز ١ ٪ (واحد في المائة).

تسلم الجنرال ني وين السلطة في عام ١٩٦٢م وبقي فيها حتى ١٩٧٤م عندما تم إنشاء المجلس القومي والآن يشغل منصب رئيس الحزب الاشتراكي البورمي. وبعدما تولى العسكريون السلطة في عام ١٩٦٢م بقيادته قامت الحكومة الاشتراكية بالاستيلاء على ١٥,٠٠٠ مؤسسة تجارية، وقد تضرر المسلمون أكثر من غيرهم من هذه العملية لأنهم كانوا يملكون قبل التأميم المؤسسات والأعمال التجارية المزدهرة.

وبالإضافة إلى الفقر وتفشي الأمية ونقص التسهيلات التعليمية أصبح المسلمون أيضاً ضحايا للتمييز السياسي. فمن بين ٤٦٨ عضواً للبرلمان يوجد هناك فقط عضو مسلم واحد يمثل خمسة ملايين مسلم في بورما. وتعتبر عملية الانتخابات أشبه بالمهزلة لأن تعيين الأعضاء يتم من قبل الحزب الاشتراكي الحاكم ويحصلون في الغالب على أصوات (نعم) من خلال استفتاء عام. ويتكون مجلس الدولة الذي هو أعلى هيئة لوضع سياسة الحكومة من ٢٠ عضواً يعينهم الجنرال ني وين. ويختار المجلس الوزراء الذين يبلغ عددهم حالياً ١٧ وزيراً، وليس من بينهم أي مسلم وكذلك ليس هناك أي نائب وزير مسلم أو رئيس مسلم لمصلحة أو إدارة حكومية.

وهناك عدد قليل من المسلمين في القوات المسلحة في المراتب الدنيا وهم معرضون للإقصاء حتى من هذه الرتبة الدنية.

وقد قامت الحكومة بإنشاء إدارة للشئون الدينية ومجالس دينية، وذلك من أجل السيطرة على النشاط الإسلامي، ويوجد في الأكياب التي هي المدينة الثالثة وعاصمة لإقليم تينا سيرام عدد كبير من المعاهد الدينية والمعاهد الإسلامية(دار العلوم) بما فيها جامعة تكميل العلوم التي يديرها مولانا مفتي محمد حسين وقاري سلطان أحمد. وقد قام بإنشاء معظم هذه المدارس والمعاهد الإسلامية العلماء الذين درسوا وتخرجوا من الجامعات الإسلامية في (الهند) ويوجد في مدينة رانجون حوالي ثماني مدارس إسلامية يصرف عليها بصفة عامة من أموال الزكاة والتبرعات. وبالإضافة إلى المشكلات المالية تشكو هذه المدارس الدينية من عدم توفر الكتب الإسلامية بالأردية والعربية بما فيها نسخ المصحف الكريم مع الترجمة الأردية والإنكليزية. وفي وقت سابق ذهبت جماعة التبليغ من باكستان إلى بورما ولكن السلطات لم يسمحوا لهم بالكلام حتى في المساجد.

* * * * *

* **قانون الجنسية:** إن حكومة بورما تطبق منذ الاستقلال نوعين للجنسية الأولى: قانون جنسية(الإتحاد البورمي) والثاني: قانون جنسية (الإتحاد البورمي) (للانتخابات) لعام ١٩٤٨م، وبعد مضي سنوات عديدة أشاعت الحكومة بين أفراد شعبها بأن تلك القوانين تحتوي على كثير من الثغرات والقصور أدخلت عمداً من جراء ضغط خارجي عند الاستقلال وبناء على هذا السبب قدمت الحكومة البورمية إلى الشعب يوم ٤ يوليو ١٩٨٠م (٢١ شعبان ١٤٠٠هـ) مسودة لقانون الجنسية فيه تعريفات وقيود أكثر تتعلق ببعض الطوائف و(الجماعات) كجماعة روهانجيا في أرَكان والصينيين والماليزيين المسلمين في جنوب بورما وغيرهم.

واقترحت الحكومة البورماوية أربعة أنواع من الجنسية هي:

أ- الرعوي.

ب- المواطن.

ج- المتجنس.

د- عديم الجنسية.

ويكون من حق النوع الأول(الرعوي) والثاني(المواطن) التمتع بحقوق متساوية في الشؤون السياسية والاقتصادية وإدارة الدولة كما سيكون لهما الحق في الاشتراك في هيئات السلطة التي تضع مبادئ هامة وتتخذ قرارات في الدوائر التي تنفذ برنامج العمل بموجب المبادئ التي وضعت في القوات المسلحة للدولة وفي الاشتغال في الإنتاج والتوزيع.

أما المتجنس فإن حالة التجنس يحصل عليها بطلب رسمي ولصاحبها حقوق محدودة ولن تكون من هذه الحقوق بأي حال من الأحوال العمل في تمثيل الشعب وفي أمن الدولة وفي رئاسة هيئات الخدمة. وأما عديم الجنسية فيحتجز في السجن لمدة محدودة ثم تحدد إقامته في مناطق معينة (معسكرات اعتقال) ويفرض عليه العمل في الإنتاج، فإذا أحسن العمل في معسكرات الإنتاج أثناء الفترة المحددة فقد يسمح له بحمل شهادة تسجيل الأجانب على أن يعيش في منطقة محددة في البلاد.

* تعليق: نتيجة للتجارب الماضية المتعلقة بإصدار قانون جديد في بورما يفترض أن صياغة مشروع قانون الجنسية الحالي سيواجه تعديلات طفيفة فقط عند سنه، أي أن البنود الرئيسية قد لا تتعرض لأي تغيير، وعليه سيكون تأثير القانون شديداً على مسلمي أرَكان ومن المحتمل أن يصادق على المشروع من يعتبرون عملاء للحكومة من المسلمين.

وعندما يسري تنفيذ القانون الجديد فإن من المشكوك فيه أن يحصل على الجنسية عشرون بالمائة من مجموع مسلمي أركان، هذا عدا معاملتهم كأنهم غير مواطنين في الإتحاد البورماوي رغم الاعتراف بهم كمسلمين روهانجيين ورغم دعوتهم لحضور الاحتفال باليوم الوطني ووجود برنامج خاص لهم في الإذاعة قبل مجئ الحكومة الحاضرة إلى السلطة.

وتفيد بعض المعلومات أن كثيراً من مسلمي أرَكان يفكرون الآن في التقدم بطلب التجنس الذي قد يكون أكثر سهولة في الحصول عليه من الرعوية. وفي مثل هذه الحالة سوف تتضاءل دعوى جماعة الروهنجيا بكونهم سلالة عرقية في أركان وسوف يكون في ذلك من ناحية أخرى انتصار عظيم لحكومة بورما أمام المحافل الدولية، وعليه فإن قبول منح هذه الجماعة حق التجنس يقع تماماً تحت رحمة الحكومة. وقد أعدت الحكومة إلى جانب ذلك بعض الإجراءات التي يراد بها إلغاء حق الرعوية والمواطنة عن بعضهم بحيث يتحول من تصيبهم تلك الإجراءات في النهاية إلى حالة أدنى مستوى من الجميع طيلة حياتهم وبدون أن يكون لهم أي ملجأ يفرون إليه، كذلك يفترض أن يسقط جيل الشباب والمتعلمين من المسلمين بسهولة فريسة لمعسكرات الاعتقال لعذر أو لآخر وهكذا ينجح المشروع الذي طالما حلمت به الحكومة البورماوية بحيث ينعدم أي أثر للمسلمين في مكان كانوا يشكلون فيه الأكثرية حتى عام ١٩٤٢م على الأقل.

إن بورما تشهد الآن إعداد القبور المهيئة للمسلمين وخاصة أولئك الذين يعيشون في أركان لكونهم لا يقبلون المساومة على دينهم رغم تخلفهم الاقتصادي والثقافي ورغم تعرضهم للتعذيب سياسياً واجتماعياً.

نسأل الله العون للمسلمين في بورما كما نسأله أن يرشدنا إلى طريق مساعدتهم.

* الأوضاع الاقتصادية للمسلمين قبل ١٩٦٢م:

كانت الأوضاع الاقتصادية للمسلمين في بورما جيدة جداً قبل تولي اليساريين العسكريين السلطة في البلاد. فلقد بنوا ما يربو على ٣٠٠٠ مسجد ومدرسة في بورما وساعدوا مساجد ومدارس المسلمين في شبه القارة الهندية لما كانوا فيه من يسر وبحبوحة في العيش.

وقد أغلقت الحكومة تماماً باب التعيينات الجديدة في وجه المسلمين.

ولم يترك هذا الوضع أمام المسلمين إلا النشاطات الاقتصادية المحدودة التي يعتمدون فيها على أموالهم القليلة بعد أن أضر بهم إلغاء العملة البورماوية وعدم السماح لهم باستبدالها.

هذا ويحصل العسكريون على احتياجاتهم التموينية بقيمة أدنى من القيمة التي يدفعها المدنيون.

وقد أدركت الجماهير البوذية أن المسلمين مسالمون وأنهم لم يلحقوا بهم أي ضرر وأن الجيش الذي أثارهم على المسلمين هو المستفيد من الاضطرابات الطائفية. لهذا كانت الغضبة الشعبية على الحكومة العسكرية الشيوعية عامة ضمت مسلمين وغير مسلمين.

* * * * * *

* قضية أركان:

عرف كثير من القراء وخاصة المسلمين (بورما) وما يعانيه المسلمون فيها من خلال ما تناولته وكالات الأخبار العالمية، وما نشرته الصحائف الإسلامية عن أحوال المسلمين في (أركان).

ولذلك حكموا على أن قضية أركان هي قضية بورما كلها، وأن حالة المسلمين في (أركان) إنما هي حالة كل المسلمين في بورما.

وذلك بسبب الجهل بحالة البلاد البورماوية على وجه العموم، والجهل بأحوال المسلمين فيها على وجه الخصوص.

فبورما أغلقت على نفسها الأبواب منذ قيام الانقلاب العسكري فيها الذي تزعمه (ني ون) في عام ١٩٦٢م. وهو الوقت الذي بدأ فيه، وفيما بعده بقليل اهتمام العالم الإسلامي على نطاق واسع بأحوال المسلمين في الخارج. وهو الوقت الذي بدأ فيه الضغط على المسلمين في بورما ولم يكن بالإمكان - آنذاك - الإطلاع على حقيقة الأمر في داخل البلاد البورماوية، بسبب إغلاق الأبواب في بورما لمنع الداخلين من الأجانب إليها، ومنع الخارجين أو الذين يريدون الخروج والدخول من أهلها.

وليست (أركان) في الحقيقة إلا ركناً من بورما أو هي (أركان) عدة - كما جاء في اسمها العربي الذي يعني الأركان بمعنى الجوانب، ولكنها ليست كل أركان بورما، فهي لا تمثل القسم الأعظم من مساحة البلاد، والمسلمون فيها لا يمثلون أكثرية المسلمين في مجموع البلاد البورماوية، وإن كانوا يمثلون أكبر تجمع إسلامي في منطقة من مناطق بورما.

ولهذا السبب وأسباب أخرى وقع أعظم ضغط جماعي عليهم من حكومة بورما العسكرية المنغلقة على نفسها.

وكان ضغطاً رهيباً حمل ما يربو قليلاً على مائتي ألف إنسان منهم على ترك ديارهم، واللجوء إلى (بنغلاديش) المجاورة، ولم يكونوا يحملون معهم أي شيء من ممتلكاتهم أو أمتعتهم عندما تركوا البلاد، بل كانوا رجالاً ونساء وشباناً وكهولاً وأطفالاً يغادرون بلادهم التي عاشوا فيها مئات السنين هرباً من القتل أو التحريض بالقتل بعد أن رأوا ما حل بإخوان ومواطنين لهم من تعذيب وتنكيل.

وقد انبرت الجمعيات والهيئات الإسلامية لإغاثتهم، وبذل ما يمكنهم من البقاء على قيد الحياة، بل إن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة قد بادرت بإنشاء مستوصف كبير وعدة مدارس إضافة إلى بعض المساكن المؤقتة لهؤلاء اللاجئين البوروماويين في بنغلاديش.

وقد سبق أن زرتهم في بنغلاديش بناء على رغبة من رابطة العالم الإسلامي في عام ١٣٩٩ هـ قبل أن يكون عملي في الرابطة وكانت وظيفتي آنذاك (الأمين العام للدعوة الإسلامية).

ثم نهضت حكومة المملكة العربية السعودية فقدمت مبلغاً معيناً من المال بالعملة الصعبة إلى حكومة بنغلاديش من أجل أن تتفاهم مع حكومة بورما على الإنفاق منه على إعادتهم إلى بلادهم. وبخاصة بعد أن اشتهرت قضيتهم، وصار وجودها سبة عالمية في جبين تلك الحكومة البوروماوية. فعادوا أو عاد أكثرهم إلى بلادهم (أركان) واعتبرت قضيتهم منتهية ولكنها تركت في ضمير العالم الإسلامي، وفي ذاكرته بعض ما فعلته بورما اليسارية المتعصبة من أفعال شنيعة ضد المسلمين في البلاد.

لذلك لابد من شرح قضية (أركان) هذه بالتفصيل، وشرح قضية المسلمين فيها وما عاناه المسلمون هناك في مختلف العصور.

وقد لخصت التقارير المتعلقة بهذا الموضوع ثم أعقبته ببيان صدر بهذا الشأن عن مسلمي (روهانجيا) الذين هم مسلمو أركان أنفسهم، وإن كان في بعض العبارات تشابه أو تداخل، لأن ذلك مما يساعد على إيضاح الموضوع للذين ليس في أذهانهم شيء من المعرفة به من قرائنا الكرام.

كما أنني أرجو ملاحظة ما قد يكون في هذين البيانين من اختلاف في نقاط معينة مع ما ذكرناه عن وضع المسلمين في بورما.

ومرد ذلك إلى أن ما كتبناه هو نتيجة لما رأيناه بأنفسنا في المناطق البورماوية المحدودة التي زرناها. أما ما في البيانين فإنه نتيجة لتقارير كتبت بأيدي الإخوة المسلمين البورماويين الذين يعيشون خارج بورما.

* * * * * *

* **موقع أركان:** تقع (أركان) أرض الوديان والجبال ذات الغابات المدارية الشاسعة على الحافة الغربية من بورما حيث تمتد على منطقة مساحتها ١٤٩١٤ كيلو مربع، ويبلغ طول حدودها مع بنغلاديش ٢٩٠ كيلاً كما تمتد على خليج البنغال الساحلي حوالي ٣٠٠ ميل نحو الغرب.

تشتمل أرضها على الموارد الطبيعية الغنية التي لم يتم استغلالها ومنها مواد بترولية- والعنصران الأساسيان من سكانها الموجودان حالياً في أركان هما روهنجيا الذين يدينون بالإسلام و(الماغو) الذين يؤمنون بالعقيدة البوذية بالإضافة إلى أقليات صينية، وخميس وموريج وتشاكمان ساك وبروا يدينون بالمسيحية أو الهندوكية.

ويبلغ عدد سكانها الحاليين زهاء مليوني نسمة أغلبهم من الرهونجيين الذين يزيدون عددهم قليلاً على مليون نسمة (باستثناء أولئك الذين غادروا البلاد حتى الآن منذ عام ١٩٤٢م ويقدر عددهم بخمسمائة ألف).

* **خلفية تاريخية:** يرجع تاريخ استيطان المسلمين في أركان إلى القرن السابع الميلادي حيث اعتاد التجار العرب واليمنيون زيارة(أكياب) عاصمة أركان عن طريق البحر. ويعتبر بعض الباحثين الروهنجيين أحفاداً لعرب الجزيرة العربية وعرب الأندلس المغاربة والأفغانيين والفرس والأتراك والمغول والبنغاليين. ولقد كانت أركان دولة إسلامية حكمها ملوك المسلمون فيما بين عام١٤٣٠ إلى ١٧٨٤ميلادية.

وتتضمن شعارات الدولة وعملاتها ونياشينها نقوشاً عليها عبارات الإيمان والإسلام. وقد ظلت الفارسية لغتها الرسمية حتى عام ١٨٤٥م.

وكان الشرط الأساسي لتولي مناصب الملوك والوزراء هو الحصول على شهادة جامعية في الدراسات الإسلامية قبل التربع على عرش البلاد.

ولا تزال توجد حتى يومنا هذا الأماكن والآثار التاريخية التي تحمل أسماء عربية وفارسية، كما قامت المحاكم على أسس إسلامية. وكانت النساء حتى غير المسلمات فيها يلبسن النقاب.

وقد احتل الملك البورمي بورديابا أركان عام ١٧٨٤ميلادية حيث تعرض المسلمون للمذابح وطمس المعالم الإسلامية بالمنطقة وإحلال الطابع البوذي مكانها. وقد حصلت بورما على الحكم الداخلي من بريطانيا عام ١٩٣٧م فعادت السيطرة والهيمنة البورمية في أركان على ما كانت عليه عام ١٧٨٤ميلادية. وعقب حصول أركان على الحكم الداخلي تعرض المسلمون للمذابح على يد البورميين عام ١٩٣٧م تحت رعاية الحزب الحاكم وتم هدم كثير من المساجد والمدارس وأراضي الوقف والمراكز الدينية.

ويقال إنه قد بلغ عدد ضحايا المذابح التي قام بها الماغ البوذيون خمسين ألفاً من الروهنجيين الذين سقطوا على مرأى وتأييد الزعماء البورماويين والماغ عام ١٩٤٢م.

وبلغ عدد اللاجئين في البنغال ٦٠ ألف مواطن لم يعد أغلبهم إلى وطنهم الأم. ومع أن الروهنجيين قد ضحوا بأرواحهم في حركة الاستقلال إلا أنهم لم يتمكنوا من أن يسهموا على نحو فعال في شئون بورما بل لقد سجلهم الزعماء الوطنيون البورماويون في قائمة المواطنين غير الموثوق بهم بسبب صلابة شخصيتهم الإسلامية.

وقد أدرك زعماء الروهانجيين أن وجودهم في بورما أمر غير مقبول وفهموا أن سياسة إضفاء الطابع البورمي على جميع المواطنين تهدف إلى بسط سيادة وهيمنة البورميين فقط. وفيما يلي استعراض لسياسة وممارسات القمع التي قام بها زعماء البوذيون والماغ البورميون ضد مسلمي أركان.

* * * * * *

* **عملية قوات بورما البرية:** تولت حكومة بورما في أعقاب الاستقلال كتيبة عسكرية في ٤ يناير ١٩٤٨م مقرها المنطقة التي تسكنها أغلبية مسلمة شمالي أركان. وقد شاركت هذه الكتيبة القوات البورمية النظامية في غارات سلب ونهب وقتل واغتصاب ضد المسلمين تعرض فيها مئات من مسلمي الروهنجيا للقتل والدفن أحياء.

* * * * * *

* **العمليات المسلحة المنظمة ضد المسلمين:**

نظمت حكومة بورما تحت زعم استطلاع شئون الهجرة عمليات منظمة مختلفة تضم مسئولين من إدارة الهجرة ومن الشرطة والجيش لإرغام المسلمين على الهجرة تحت وطأة التعذيب والمضايقات والاعتقالات التعسفية على فترات متتالية اعتباراً من عام ١٩٥٥م.

* * * * * *

* **دخول الإسلام إلى بورما:**

من المعروف أن دخول الإسلام إلى بورما جاء عن طريقين:

الأول: عن طريق رحلات مباشرة قام بها التجار من العرب والفرس من منطقة الخليج وجنوب الجزيرة العربية والتي كانت تنطلق قوافلهم من المدن

السياحية وبخاصة البصرة وسيراف إلى الموانئ والثغور البحرية والنهرية الممتدة من بحر العرب حتى الصين وجزر الهند الشرقية المعروفة حالياً بإندونيسيا وكانت بورما إحدى الطرق والممرات التي تسلكها القوافل التجارية المتجهة إلى الصين.

الثاني: عن طريق البنغال والهند ففي القرن الثالث عشر الميلادي عظم نفوذ البنغاليين والبهاريين المسلمين ونشطت تجارتهم في معظم بلاد الهند وإلى البلاد التي تليهم شرقاً وهي بلاد برمانيا (بورما).

وكان دخولهم عن طريق المنطقة الغربية من بورما والمسماة (أركان) ومن (أركان) انتقل الإسلام إلى معظم أنحاء بورما مع مجاري الأنهار وإلى سواحل الطرق المائية والبرية. وإذا كان هناك من يؤرخ لدخول الإسلام إلى بورما بأنه بدأ في القرن الرابع عشر الميلادي فإن بعض المصادر قد ذكرت أن عام ١٢٨٧م (أي خلال القرن الثالث عشر الميلادي) يمثل بداية المد الإسلامي إلى بورما وذلك أن بعض ملوك (أركان) في ذاك الوقت اشتهروا بأسماء إسلامية ونقشت على العملات المتداولة في زمانهم كلمة التوحيد وهي: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

كما أن هناك من يذكر أن تاريخ المد الإسلامي إلى بورما يعود إلى القرن التاسع الميلادي. وعلى أية حال فقد مر الوجود الإسلامي في بورما بعصور زاهرة فقد كان المسلمون يهيمنون على النشاط التجاري ويمتلكون الكثير من الأراضي الزراعية والبساتين والمباني والعقارات وبخاصة في العاصمة وغيرها من المدن الكبرى الساحلية.

حيث كانوا يملكون ما بين ٦٠ إلى ٧٠ ٪ من العقارات الكبيرة في العاصمة (رانقون): والدليل على ذلك وجود كلمة بسم الله الرحمن الرحيم،

مكتوبة بالأرقام على بعض هذه العبارات التي ذهبت من المسلمين الآن وهي رقم (٧٨٦).

ولم ينحسر هذا النفوذ إلا منذ ثلاثين عاماً أو تزيد قليلاً وآخر وزارة تألفت في البلاد قبل ظهور النزعات القومية والاشتراكية أي منذ ذلك التاريخ كان يتولى فيها منصب الوزارة ثلاثة من الوزراء المسلمين.

* * * * *

*** الوجود الإسلامي المعاصر:**

لا يزال الإسلام والحمد لله في بورما يثبت وجوده رغم وقوعه تحت نظام اشتراكي خانق للحريات وليست محنة بورما وقفاً على المسلمين وحدهم بل الشعب البورمي بمختلف طوائفه وأجناسه يود الخلاص والخروج من هذا الحبس الكبير.

وإن ما لمسناه خلال جولتنا بالعاصمة وغيرها من المدن التي توجد بها أعداد كبيرة من المسلمين كمدينة (ماندلي) يبعث الاطمئنان إلى المستقبل.

فالروح الإسلامية لا تزال قوية فياضة بمشاعر الحب والاعتزاز بهذا الدين القويم سيان في ذلك الشيخ والشاب والشخصية المسلمة في بورما لا تزال تحتفظ بسماتها وطابعها وتبرز بوضوح ما يميزها عن أبناء الطوائف الأخرى.

فالعاصمة (رانقون) التي يقارب عدد سكانها أربعة ملايين نسمة يعيش فيها ما يقرب من ثمانمائة ألف مسلم موزعين على مختلف أحيائها وبخاصة في الأحياء الكبيرة والهامة.

والمساجد تطل على الميادين الكبيرة والشوارع الرئيسية والمظهر العام للمدينة يدل على أن مكانة المسلمين بها كانت عالية وإذا كان المسلمون قد

حرموا في ظل النظام والحكم الاشتراكي القائم من شغل المناصب الحكومية الكبيرة والهامة فإن وجودهم في الميدان الاقتصادي والتجاري لا يزال يترك بصماته في كل قطاع ومعظم المسلمون بالعاصمة يعملون بالتجارة والأعمال الحرة ولكن في نطاق محدود ويشغلون بعض الوظائف الحكومية الصغيرة كما يعمل عدد كبير منهم في الشركات والفنادق والمحلات العامة.

وبالمقارنة بحالة المسلمين قبل الانقلاب العسكري الذي حدث عام ١٩٦٢م وجاء بحكومة عسكرية اشتراكية متعصبة بقيادة الجنرال (ني ون) نذكر أنه كان في الحكومة الوطنية التي حكمت بورما بعد الاستقلال بقيادة (يونو) ثلاثة وزراء ومنهم السيد عبد الرزاق الذي كان من الوزراء المؤثرين فيها. أما الآن فليس فيها حتى وزير واحد مع أن الحكومة تعلن أن نسبة عدد المسلمين في بورما تبلغ ١٠ ٪ وأحياناً تنزل بهم عن ذلك قليلاً فتقول: إنهم ٣ملايين من ٣٥مليوناً هم مجموع سكان البلاد.

أما إخواننا المسلمون فإنهم يؤكدون أن نسبتهم لا تقل عن ١٢ ٪ .

وقال لي أحد الإخوة المسلمين: إنه لولا خوف الحكومة البورمية الحاضرة من تأثير المعاملة السيئة للمسلمين في بورما على العلاقات القائمة ما بين بورما وبين ماليزيا وإندونيسيا في الوقت الحاضر لكانت معاملتها لهم أسوأ.

وذكر لنا أكثر من واحد وعرفنا ذلك بأنفسنا أن أكثر المسلمين يكون لهم اسمان: أحدهما إسلامي والآخر (بورماوي) دفعاً للحرج ولأن الاسم الإسلامي وحده يجر على صاحبه المتاعب.

ودلالة قوة الوجود الإسلامي في العاصمة يمثلها بجانب الثمانمائة ألف مسلم عدد من المراكز والهيئات الإسلامية ومن أهمها المنطلقات الأساسية للعمل الإسلامي وهي المساجد والمدارس الدينية وبخاصة مدارس تحفيظ القرآن الكريم.

ففي العاصمة وحدها مائة مسجد ومدرستان ثانويتان وثمانون مدرسة ابتدائية(كتّاب) لتحفيظ القرآن الكريم وثلاث مستشفيات ومركز لإعداد الفتاة المسلمة مهنياً وثقافياً يسمى (مركز النساء الإسلامي) ودار لرعاية الأيتام وهي عبارة عن مدرسة دينية تتكفل بإعاشة ورعاية الأيتام ثقافياً وتربوياً أي أنها عبارة عن ملجأ ومدرسة في مستوى المرحلتين الابتدائية والثانوية وتعني عناية خاصة بالعلوم العربية والدينية أسسها أحد أثرياء المسلمين وأوقف بعض أملاكه عليها وذلك في عام ١٣٧٠هـ كذلك توجد دار لرعاية الضعفاء والمعمرين ملحقة بمسجد العزيزية وقد أوقفها أحد أغنياء المسلمين.

وفي مدينة(ماندلي) ٨١ مسجداً زرنا بعضها كما سيأتي ذلك في اليوميات وإن لم نقم بإحصاء صحيح لها. إذ بعضهم يقول: إنها أقل من ذلك وعلى كل حال فإن نسبتها إلى نسبة عدد المسلمين بين سكان المدينة من غير المسلمين تعتبر نسبة جيدة.

ولقد شملت جولتنا عند زيارتنا لبورما حيث دخلنا بصفة سياح زيارة كل هذه المؤسسات والتجول فيها وتفقد جميع مرافقها والالتقاء بالقائمين عليها والوقوف على كافة الآراء والمقترحات المتعلقة بأحوال المسلمين وسبل النهوض بهم.

هذا عن العاصمة ومدينة ماندلي أما عن المجموع الكلي للمساجد والمدارس الدينية التي تعني بصفة خاصة بتحفيظ القرآن الكريم والموزعة على عشرين منطقة بمختلف أنحاء البلاد فإنها بالاعتماد على بيان إحصائي لجمعية علماء الإسلام أعده لنا أحد مسئولي الجمعية بالمركز الرئيسي بالعاصمة(رانقون) تبلغ ما يلي:

أ- عدد المساجد: ٢٣٣٥ مسجداً:

ومن بين هذه المساجد مسجدان للشيعة أحدهما في العاصمة والآخر في مدينة(ماندلي) وهي تدل على هجرة قديمة لطائفة الشيعة إلى بورما والشيعة في بورما ينتمون إلى ثلاث طوائف وهم:

١- الجعفرية أو الإمامية الاثنا عشرة. ٢- البهرة.

٣- الإسماعيلية(أتباع أغاخان).

وكما هو الحال في مجتمع الأقليات المسلمة بالعالم الذي توجد فيه جماعات من الشيعة فقد اتخذت إيران بعد قيام نظام الخميني من هؤلاء الجماعات ركائز لامتداد أفكار الثورة الإيرانية فأنشأت إيران ما يسمى بـ(دار أهل البيت) في أحد مساجد الشيعة بالعاصمة رانقون.

ودار أهل البيت مؤسسة حديثة مركزها الرئيسي طهران ولها فروع بمختلف أنحاء العالم عبر هذه الجماعات الشيعية وهذه الدار ومثيلاتها تتخذ منطلقات لنشر الفكر الشيعي الذي يستمد توجهه من إيران.

وقد وجدنا خلال جولتنا كثيراً من المطبوعات الإيرانية بلغة بورما.

ولكن نشاطهم في بورما أقل بكثير مما هو عليه في تايلند ويرجع ذلك للقيود التي تفرضها الحكومة على نشاطات الأجانب كذلك يوجد معبد أو معبدان للطائفة القاديانية الكافرة يسمونها مسجدين وهذا يدل على وجود أتباع ونشاط للقاديانيين في بورما.

ب- عدد المدارس الدينية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم:

يبلغ عدد المدارس التي تعني بتحفيظ القرآن ١٦٨٩ مدرسة وقد أخبرنا بعض الأخوة المشتغلين بالعمل الإسلامي بمصادرة الحكومة لخمسمائة مدرسة عصرية كان يملكها المسلمون.

ج- الهيئات والمراكز الإسلامية:

أولاً: جمعية علماء الإسلام: ومركزها الرئيسي بالعاصمة رانقون ولها فروع في مختلف أنحاء البلاد خاصة بالمدن التي توجد بها تجمعات إسلامية وقد زرنا المكتب الرئيسي للجمعية برانقون والمكتب الفرعي لها بمدينة(ماندلي) التي تبعد ٦٠٠ كيلو متراً شمال العاصمة.

ولها فروع في جميع المدن التي فيها مسلمون في بورما.

وقد تأسست هذه الجمعية منذ ١٩١٦م وأكثر أئمة وخطباء المساجد ومعلمي المدارس الدينية أعضاء بها ويبلغ عدد أعضاء الجمعية حالياً حوالي خمسة آلاف عضو.

ورئيس الجمعية الحالي هو الشيخ محمود داود يوسف ويشغل وظيفة المفتي كما يشغل عضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. وعنوان الجمعية هو ما يلي:

JAMIANT ULOMA-EL-ISLAM
(HEAD QUARTERS)
28 TH. STREET. RANGOON ،No.18
SOCIALIST REPUBLIC OF THE UNION OF BURMA
PHONE: 77447. CABLE: MUFTI.E. AZAM

* * * * * *

*** خلاصة الحوار الذي تم بيننا وبين رؤساء المسلمين في هذه الجمعية حول أوضاع المسلمين في بورما:**

ويتركز هذا الحوار في النقاط التالية:

١ - تقسم الحكومة المواطنين إلى مراتب هي بالترتيب كما يلي:

أ- البوذيون.

ب- المسلمون المنحدرون من أصل بورماوي منذ القديم.

ج- المسلمون المهاجرون من الهند وباكستان.

٢- تضع الحكومة العوائق والعراقيل في طريق المسلمين للحيلولة دون وصولهم إلى المناصب الحكومية العالية.

٣- لا توجد فروق بين المسلم وغير المسلم في غير الوظائف الحكومية، كالتجارة مثلاً.

٤- بالنسبة للمسلمين البورماويين المقيمين بمكة المكرمة فحجة حكومة بورما أنهم هربوا من بلادهم بدون جوازات سفر عبر بنغلاديش.

٥- ليس بصحيح ما أشيع عن أجبار الحكومة للمسلمين على اعتناق البوذية.

٦- لا تمانع السلطات الحاكمة في بورما من الوجود الإسلامي الحالي وإقامة المسلمين المواطنين ببورما ولكن لا تريد لهم القوة ولا تسمح بما يمكنهم من ذلك.

٧- لا يسمح النظام القائم بإقامة المساجد الجديدة إلا في أماكن ليس بقربها مسجد، وعلى ندرة وأخبرنا الإخوة المسلمون أن هذا ليس خاصاً بالمساجد، بل هكذا المعابد البوذية والكنائس لا يسمح ببنائها في مكان يكون بالقرب منها معبد بوذي أو كنيسة أي أن منع إقامة المساجد الجديدة ليس مطلقاً، ولكن المساجد كانت كثيرة من قبل، ولضعف المسلمين وتشدد الحكومة لا تبني مساجد جديدة.

٨- أحرق البوذيون سبعة من المساجد الكبيرة وخمسة من المساجد الصغيرة بمدينة (مالومين) جنوب العاصمة (رانقون) بغضاً وحسداً للمسلمين ويقال إن ذلك تم بتحريض من الهنود الهندوس الموجودين ببورما

والمعادين للإسلام وذكر لنا السيد غازي هاشم أن المسلمين هناك شكوا أمرهم إلى الحكومة وأنها عاقبت الجناة.

٩- لا تسمح الحكومة لطبع الكتب الدينية وإصدار المطبوعات الإسلامية إلا بعد إجازتها من الجهات الحكومية وبصفة صعبة جداً والمسلمون ضعفاء مادياً والورق لا يوجد إلا عند الحكومة، وهي لا تأذن بذلك إلا على نطاق ضيق، ولأغراض معينة.

١٠- يمكن لأبناء المسلمين السفر لطلب العلم خارج بلادهم ولكن بطريق غير رسمي إذ لا تسمح الحكومة بإعطائهم الجوازات الرسمية للسفر لطلب علوم الدين.

١١- لا يسمح بإلقاء المواعظ الدينية والمحاضرات في كل وقت وفي غير أماكن العبادة إلا للمسلمين فقط من أبناء البلاد ولكن لا يسمح للمبلغين من خارج البلاد أن يلقوا أية موعظة ولا أن يقوموا بالدعوة.

١٢- كان المبلغ المسلم أو الداعية يمنح بطاقات الركوب مع رفيق له بالسكك الحديدية وبالسفن والمراكب مجاناً.

وهذا النظام قديم معمول به قبل هذه الحكومة الحاضرة. وينتفع به أيضاً القسس من النصارى ورجال الدين من الطوائف الأخرى إلا أن المسلمين ليس لديهم في الوقت الحاضر إلا بطاقتان من هذا النوع وهما قديمتان.

١٣- تساعد الحكومة الجمعيات الدينية المعترف بها من كل الأديان ومن ذلك بعض جمعيات المسلمين إذ تدفع سنوياً مائة ألف(تشاك) للجمعيات وهي العملة البورمية عن طريق بعض الهيئات الحكومية، وذلك من أجل استمرار التعرف على نشاط الجمعيات الإسلامية وإبقائها تحت السيطرة. والدولار الأمريكي يساوي ٩ تشاك.

ثانياً: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية:

ومركزه الرئيسي بالعاصمة رانقون ورئيسه الحالي هو الأستاذ غازي هاشم. وقد تأسس هذا المجلس في عام ١٩٧٢م.

ويتركز نشاط المجلس على إصدار المطبوعات والنشرات الإسلامية التي لا يتعارض إصدارها مع سياسة الحكومة وعلى نطاق ضيق، وهو على علاقة طيبة بالحكومة.

ويرى الأستاذ المذكور أن دعم المملكة لمسلمي بورما يمكن تلخيصه فيما يلي:

١- تخصيص بعض المنح الدراسية لأبناء مسلمي بورما بالجامعات بالمملكة العربية السعودية.

٢- دعوة بعض أعيان المسلمين في موسم الحج.

٣- افتتاح سفارة للمملكة في رانقون.

٤- أن تقوم المملكة بالدعم المادي والمساهمة في المشاريع الحكومية في بورما.

ولما سألناه عن كيفية تنفيذ هذه الأمور مع كون حكومة بورما لا تسمح بخروج أبناء المسلمين لطلب العلم ولا بدخول المساعدات للمشاريع الإسلامية أجاب بقوله: لا أدري.

هذا أهم ما جاء في حوارنا مع رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وما سواه من النقاط لا تختلف كثيراً عما جاء في حوارنا مع رؤساء الجمعيات الإسلامية الأخرى. وعنوان المجلس هو ما يلي:

ISLAMIC RELIGIOUS AFFAIRS COUNCIL
ISS. MOUNO TAULAY ST
RANGOON. BURMA. PHRMA. PHONE:72542.

جمعية الشبان المسلمين: وعنوانها:

MUSLIM YOUTH LEAGUE
BOGALA-ZAY STREET ،31
RANGOON BURMA.

جمعية السيدات المسلمات: وعنوانها:

BURMAN MUSLIM WOMENS LEAGUE
TUEINBYU ROAD. ،NO 455
RANGOON. BURMA.

وعلى العموم فإن الأمل في قيام رابطة العالم الإسلامي بدعم مسلمي بورما والنهوض بمستواهم الثقافي والاجتماعي يغمر قلب كل مسلم قابلناه وتحدثنا معه في هذا البلاد.. كما أن المكانة التي تحتلها رابطة العالم الإسلامي في أوساط المجتمع المسلم في بورما من شأنها المساعدة على جمع كلمة المسلمين في بورما والاستفادة من قدراتهم للدعوة الإسلامية الصحيحة، لأنهم من أهل السنة والجماعة وهم أحناف وإن كان بينهم بعض الشوافع النازحين من ماليبار بجنوب الهند. غير أن العقبة الكبرى في سبيل التعاون مع هؤلاء الأخوة المسلمين في بورما هي في سياسة الحكومة الحاضرة التي لا تريد ذلك، بل تحاربه بشدة.

ولعل فهم المسلمين في بورما لمسئولياتهم من ناحية الوعي الإسلامي وغيرتهم على دينهم تجعلهم أحسن في فهم الدين من المسلمين في تايلند والفلبين وكمبوديا. وليس في بورما من مظاهر الفساد والانحلال الخلقي ما يلمسه الزائر لتايلند والفلبين مثلاً التي يغلب شيوع الفاحشة والانحلال فيهما ونود أن نذكر أن في بورما جالية صينية مسلمة نزح أفرادها من الصين الشعبية منذ أكثر من قرن من الزمان وزاد عددها بعد سقوط الصين في أيدي الشيوعيين وتسلمهم مقاليد الحكم عام ١٩٤٩م ولهم خمسة مساجد

بالعاصمة وغيرها من المدن الهامة.

والمجتمع المسلم في بورما سواء منهم من قدموا من شبه القارة الهندية أو ماليزيا أو الصين يعيشون في سلام ووئام وليس هناك من فرقة أو اختلافات ظاهرة بينهم.

والله نسأل أن يجمع كلمة المسلمين في شتى أقطار المعمورة ويوحد صفوفهم لما فيه الرفعة والسؤدد والرخاء.

تعداد السكان المسلمين في بورما صادرة عن إحدى الجمعيات الإسلامية قبل حوالي عشرين سنة.

من جملة المسلمين الذين لجأوا إلى البلدان الأخرى نجد أن مائتي ألف من هؤلاء من بورما بمعناها الواسع أما الباقون فهم روهانجيون من إقليم أركان.

* * * * * *

*** تعداد السكان المسلمين في بورما:**

صادرة عن إحدى الجمعيات الإسلامية قبل حوالي عشرين سنة

اسم التوحدة	عدد	اسم البلد	عدد
أ- الأقسام:			
١- ساقيتح	١٧٥٦٠٢		
٢- مندالي	٣٧٦٦٠٢	١- بنغلاويس	٤٨٥١٢٣
٣- ميغوي	٠١٦٧٦٦	٢- الهند	١٢٠٠٠٠
٤- براوادي	١٥٥١٠٢	٣- باكستان	٢٠٠٠٠٠
٥- بيغيبو	٣١٤٧٣٢	٤- السعودية	١٨٧٠٠٠
٦- تناسيرن	١٩٣٨٠٦		
٧- رافقوم	٣٥١٣٩٧	٥- الإمارات القريبة	٤٠٠٠٠

ب- ولايات الأقليات:

١- كاشين	٧٣٨٥٣	٦- دول الشرق الأوسط الأخرى	٥٠٠٠٠
٢- شان	١٥٤٥٤٥	٧- تايلاند	٢٠٠٠٠
٣- كاياه	٦٧٥٦		٢٠٠٠٠
٤- كيرت(كاثولي)	١٠٥٢٩٢	٨- الأقطار الآسيوية الأخرى	٥,٠٠٠
٥- جسين	٢٣٠٣		٥,٠٠٠
٦- أراكان	١٠٦٨٢٧٤	٩- بقية أجزاء العالم	١٠,٠٠٠
٧- مون	٢٥٤١١٩٠		

من جملة المسلمين الذين لجأوا إلى البلدان الأخرى غير أن مائتي ألف من هؤلاء من بورما بمعناها الواسع أما الباقون فهم روهانجيون من إقليم أركان.

* جهود رابطة العالم الإسلامي:

لا بد أنك وقفت عند مناشدة الإخوة المسلمين في أركان لإخوتهم المسلمين في أنحاء العالم وبخاصة المؤسسات الإسلامية العالمية أن تهتم بأمرهم وأن تشرح قضيتهم للعالم.

وقد كان لذلك صدى عظيم حيث تم نشر الكثير عن هذه القضية واتخذت قرارات متعددة، إن لم يكن لها الأثر المطلوب، فإن السبب أن بعض المسلمين ليست لهم الجدية الكاملة لتنفيذ القرارات التي تصدرها مؤسساتهم، أو إن الموضوع فوق طاقة من يصدرون تلك القرارات.

ويجدر بنا أن نستعرض هنا ما أصدرته رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بهذا الخصوص.

(١) تابع المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي منذ دورته الثامنة قضية اضطهاد مسلمي بورما وذلك بعد ورود المعلومات والتقارير عما يعانيه المسلمون هناك من مضايقات الحكومة البورماوية لهم وفرض القيود على ممارستهم لشعائر دين الإسلام ومنعهم من أداء فريضة الحج وبناء على توصية المجلس في دورته التاسعة عام١٣٨٧هـ. قام سعادة الداتو السيد إبراهيم بن عمر السقاف وفضيلة الدكتور عبد الجليل حسن عضو المجلس التأسيسي للرابطة بمحاولة علاج هذه المشكلة وحلها من الجهات البورمية الرسمية لكن مع الأسف لم يصلا إلى نتيجة ذات أثر إيجابي.

(٢) وفي دورة المجلس التأسيسي الثالثة عشرة عام١٣٩١هـ.

أوصى المجلس بالاتصال بالأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي لاتخاذ ما تراه مناسباً لإقناع حكومة بورما بأن تتيح للمسلمين فيها ممارسة حقوقهم في أداء فريضة الحج وقد نفذ ذلك كما أوصى أعضاء المجلس الذين لبورما

سفارات في بلادهم أن يبذلوا ما يستطيعون من جهد للاتصال بتلك السفارات لشرح ضرورة السماح لمسلمي بورما بأداء فريضة الحج ومطالبة تلك السفارات بنقل هذه الرغبات إلى حكومة بورما ولكن حكومة بورما أصرت على موقفها ولم تؤد هذه الاتصالات إلى أية نتيجة.

(٣) قرار المجلس التأسيسي في دورته الرابعة عشر عام ١٣٩٢هـ.

أن يبعث برقية إلى رئيس الدولة في بورما بشأن منع حكومته للأقلية الإسلامية فيها من أداء فريضة الحج مع استنكار هذا الموقف والتأكيد على أن هذه الفريضة يجب أن لا تخضع لأية قيود اقتصادية كما يجب عدم قياسها على رحلات أو تقاليد شعبية بورمية لأن فريضة الحج من أركان الإسلام التي لا بد من القيام بها.

(٤) درس المجلس التأسيسي للرابطة في دورته السادسة عشر عام ١٣٩٤هـ.

تفاقم الوضع وتزايد الإجراءات التعسفية التي يتعرض لها المسلمون في بورما بحيث وصل الأمر إلى تقتيلهم وتشريدهم وهتك حرماتهم برغم الاحتجاجات والاستنكارات التي بعثتها الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي إلى الرئيس البورمي وشرحت قضيتهم لسفراء الدولة الإسلامية بجدة لمطالبة حكوماتها بأن تتبنى القضية وتشرح وجهة النظر الإسلامية لدى الحكومة البورمية.

وقد قامت الأمانة العامة بتعميد ممثلها في الأمم المتحدة لتقديم مذكرتي احتجاج إلى لجنة حقوق الإنسان ولجنة الصليب الأحمر الدولية.

وتوصلت الأمانة العامة إلى التفسير الوحيد الذي تتذرع به الحكومة البورمية بأنها لو سمحت للمسلمين بالسفر إلى خارج بورما لأجل الحج

لكان لزاماً عليها أن تسمح للبوذيين والنصارى والهندوس والذين طلبوا الإذن لهم بالحج إلى أماكن عبادتهم خارج البلاد فإذا سمحت الحكومة البورمية لكل هؤلاء بالسفر فإن ذلك سيكلفها مبلغاً كبيراً من العملات الصعبة لا تتمكن من توفيره لما تعانيه العملة الوطنية من وضع دقيق.

(٥) أوصى المجلس التأسيسي لدورته السابعة عشر سنة ١٣٩٥هـ.

بالاهتمام بالوضع المسلمين في بورما وتحسين أحوالهم ومساعدتهم على التمسك بعقيدتهم الإسلامية بإرسال المصاحف وترجمة معانيها إلى اللغتين الأردية والإنجليزية وإرسال الكتب الدينية وتقديم المنح الدراسية للطلاب المسلمين في الجامعات الإسلامية لتخريج طلبة بورميين ملمين باللغة العربية ومتمكنين من تعاليم الإسلام حتى يتمكنوا من القيام بدور إيجابي في الدعوة الإسلامية في أوساط بلادهم.

وقد اهتمت الأمانة العامة للرابطة بالقضية البورماوية في المذكرة التي قدمتها إلى المؤتمر السابع لوزراء الخارجية الدول الإسلامية المنعقد في اسطنبول سنة١٣٩٦هـ وتضمنت المذكرة ما يلي:

أ- مطالبة حكومة بورما بوقف جميع إجراءات القمع والإرهاب والتعدي على المسلمين ومنشآتهم الدينية كالمساجد والمدارس الإسلامية بما لا يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ حقوق الإنسان.

ب- العمل على مستوى الدول الإسلامية لتحسين أحوال المسلمين في بورما ورفع الحيف عنهم بكل السبل المتاحة ومساعدتهم مادياً ومعنوياً حتى يتمكنوا من ترسيخ الكيان الإسلامي في بلادهم.

ج- السعي لدى الحكومة البورمية لفتح الباب للمسلمين القادرين على أداء مناسك الحج ومعاملتهم معاملة متساوية مع بقية فئات المواطنين.

د- إمداد أبناء المسلمين البورميين بالمنح الدراسية في الجامعات الإسلامية لأجل تخريج طلبة بورميين ملمين باللغة العربية ومتمكنين من تعاليم الإسلام ليقوموا بنشر الدعوة في بلادهم.

هـ- مطالبة الدول الإسلامية التي لها علاقات سياسية مع بورما ببذل مساعيهم الحميدة لتحسين أوضاع المسلمين المعيشية والاجتماعية وضمان حقوقهم كمواطنين.

(٦) أوصى المجلس التأسيسي في الدورة الثامنة عشر سنة ١٣٩٦هـ. بالأمور التالية:

أ- بدعوة ممثل عن كل منظمة من المنظمات الإسلامية الست المعترف بها لدى الحكومة البورمية لأداء فريضة الحج للعام القادم ١٣٩٧هـ.

وإذا رفضت الحكومة البورمية السماح للمسلمين بأداء فريضة الحج يكون ذلك برهاناً على تماديها في اضطهاد المسلمين من مواطنيها.

ب- إرسال كمية من المصاحف والكتب الإسلامية في الفقه والعقيدة والتاريخ عن طريق السفارات التابعة للدول الإسلامية المعتمدة في بورما.

ج- ابتعاث شخصين أو شخص واحد على الأقل للسفر إلى بورما بحجة الزيارة القصيرة أو السياحة للاتصال بالمسلمين فيها ومحاولة التقصي عن أحوالهم وخاصة الموجودين منهم في المناطق الإسلامية التي تتعرض للعدوان والاضطهاد. إن كل هذه المحاولات وهذه القرارات و التوصيات لم تجد طريقها لأسماع الحكومة البورمية حتى إن المساعدات المادية التي قرر المجلس التأسيسي في دورته الثامنة عشر سنة ١٣٩٦هـ. تقديمها للمعاهد والمؤسسات الإسلامية والمصاحف والكتب الإسلامية لم تصل لمسلمي بورما نظراً للعراقيل التي وضعتها الحكومة البورمية للحيلولة دون وصولها.

كما أن الجهود الدبلوماسية من عرض القضية على الأمم المتحدة ولجنة حقوق الإنسان وعلى الدول الإسلامية ذات العلاقة مع بورما لم تسفر عن أية نتائج إيجابية نظراً لتصلب الحكومة البورمية وتماديها في إجراءاتها التعسفية.

(٧) أمام هذا التحدي السافر وامتداداً لمساعي الرابطة لمعالجة هذه القضية منذ أكثر من عشرات سنوات، وانطلاقاً من قرارات المجلس التأسيسي في الدورات السابقة التي تقضي بإرسال وفد لتقصي الحقائق فقد قام الوالد برئاسة الأستاذ محمد صفوات السقا أميني الأمين العام المساعد للرابطة بالتوجه إلى بنغلاديش في ٥/ ٦/ ١٣٩٨هـ. لأجل تفقد أحوال اللاجئين البورميين على الطبيعة في المعسكرات التي أعدت لإقامتهم وهو أول وفد إسلامي وصل إلى معسكرات النازحين البورماويين إلى بنغلاديش.

وقد أوضح سعادته مدى المآسي التي يعاني منها اللاجئون البورماويون وقساوة الأعمال الوحشية التي قام بها الجيش البورمي وسوء الرعاية التي يلاقونها بعد وصولهم إلى بنغلاديش بسبب الظروف الاقتصادية التي تمر بها بنغلاديش حكومة وشعباً ومع ذلك فقد قدمت حكومة بنغلاديش كل ما بمقدورها من المساعدات الطبية والغذائية والمادية والأمنية لهؤلاء اللاجئين إلى جانب ما قدمه الشعب البنغلادشي من مساعدة لإخوانه في العقيدة من خلال مؤسساته وقام وفد الرابطة مع كبار المسئولين في حكومة بنغلاديش بتزويد معسكرات اللاجئين بمستشفى كامل الإعداد مع سبعة أطباء وعدد من الممرضات وسبعة عشر إماماً للمساجد وأربعة عشر معلماً فتكونت منهم فرقة الإنقاذ لإغاثة اللاجئين المسلمين البورميين بإشراف سعادة الأستاذ فؤاد عبد الحميد السفير السعودي في بنغلاديش.

وقد اطلع المجلس التأسيسي على تقرير الوفد في الدورة العشرين سنة ١٣٩٨هـ.

(٨) بعد أن اطلع المجلس التأسيسي للرابطة في الدورة العشرين سنة ١٣٩٨هـ على تقرير الوفد المرسل إلى اللاجئين البورميين في بنغلاديش إصدار القرارات التالية:

أ- يؤكد المجلس أن ما تدعيه الحكومة البورمية بأن هؤلاء المسلمين ليسوا من مواطني بورما إنما هي دعوى زائفة وتزوير للحقيقة والتاريخ لذلك يؤكد المجلس للعالم أجمع أن المسلمين البورماويين ينحدرون من أصلاب أجدادهم الذين كانوا يعيشون في منطقة أركان والذين يعرفون الآن باسم (الروهنجاز).

ب- يستنكر المجلس بشدة الجرائم الوحشية التي أقدمت عليها حكومة بورما الاشتراكية في حق المسلمين في منطقة أركان البورماوية وما يتعرضون له من اضطهاد وقتل وتشريد.

ج- يناشد المجلس المنظمات الإسلامية والإنسانية بأن تستمر في تقديم المساعدات المالية والأغذية والمواد الطبية للمنكوبين من مسلمي بورما.

د- يناشد المجلس حكومة بورما أن تسمح لوفد من رابطة العالم الإسلامي للقيام بزيارة لإخوانهم المسلمين للتعرف على الأوضاع التي يعيشون فيها بعد الاتفاق مع دولة بنغلاديش على إعادتهم وتوطينهم.

هـ- يناشد المجلس بأن يثير المؤتمر العاشر لوزراء الخارجية للدول الإسلامية قضية المسلمين البورماويين والذي سيعقد في المغرب.

و- يهيب المجلس بمنظمة المؤتمر الإسلامي ولجنة حقوق الإنسان واللاجئين الدولية وبالهلال الأحمر الدولي وبمنظمة الأمم المتحدة أن يقوموا بالعمل الفعال لإعادة توطين هؤلاء اللاجئين في بلادهم وإعادة ممتلكاتهم إليهم.

ز- يناشد المجلس الحكومات الإسلامية والدول المحبة للعدل أن تمارس وساطتها لدى حكومة بورما حتى تعيد للمسلمين حقوقهم الطبيعية كمواطنين وبرماويين.

ح- يؤيد المجلس الخطوات التي تقوم بها الأمانة العامة للرابطة في تكوين مؤسسة إسلامية عالمية للإغاثة يمكنها التحرك في مثل هذه الأحوال.

ط- يشكر المجلس جهود الأمانة العامة للرابطة في متابعتها الدقيقة لقضية المسلمين في بورما وتقديم المساعدات المالية عن طريق فتح باب التبرعات وسعيها الحثيث لحمل المنظمات الإنسانية والدولية على التدخل لوقف اضطهاد مسلمي بورما.

ونفذت الأمانة العامة للرابطة قرارات المجلس التأسيسي من استنكار أعمال حكومة بورما في حق المسلمين وطلبت من ممثل الرابطة لدى المقر الأوروبي بالأمم المتحدة أن يعمل لدى لجنة إغاثة اللاجئين الدولية وتنفيذ اتفاقية الحكومتين البورمية والبنغلاديشية لإعادة اللاجئين إلى مواطنهم للعمل على تحسين أحوالهم إلا أن حكومة بورما تتلكأ في إعادة اللاجئين إلى مواطنهم.

(٩) قامت الأمانة العامة بعرض القضية في المؤتمر الحادي عشر لوزراء الخارجية الدول الإسلامية المنعقد في إسلام آباد في الفترة ما بين ٢١/ ٦- ٧/ ٧/ ١٤٠٠هـ مقترحة النقاط التالية لعلاج القضية كما يلي:

أ- بما أن المسلمين في بورما أبناء هذه البلاد الأصليين منذ مئات السنين فإنه من الجدير أن نطالب حكومة بورما أن تهيئ لهم الحياة الكريمة وتضمن لهم كافة الحقوق والمميزات التي يتمتع بها أتباع الديانات الأخرى من سكان بورما.

ب- بما أن اللاجئين البورماويين لن يعودوا إلى بلادهم إلا بضمانات مؤكدة وفق الاتفاقية المبرمة بين كل من حكومة بنغلاديش وبورما بإشراف كامل من هيئة الأمم المتحدة والهيئة العليا لإغاثة اللاجئين.

فالأمانة العامة للرابطة ترى أن تطالب حكومة بورما بإعادة توطين هؤلاء اللاجئين في المناطق التي طردوا منها وأن تعاد إليهم ممتلكاتهم.

ج- تهيب الأمانة العامة بالدول الإسلامية التي لها علاقات تمثيل دبلوماسي مع حكومة بورما لتقديم خدماتها للمسلمين البورماويين.

د- تمكنت الأمانة العامة للرابطة من تحويل المستشفى المؤقت التابع لفرقة الإغاثة للاجئين البورماويين إلى مستشفى دائم هناك وهناك خطوات لتحويله إلى معهد للتدريب إلى جانب مهمته في الإشراف الصحي والدعوة وهناك مشاريع بفتح فروع له في بعض المناطق المتاخمة للهند بإشراف سعادة سفير المملكة العربية السعودية والمسئول عن فرقة الإغاثة.

(١٠) أصدر المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في الدورة الثاني والعشرين المنعقدة سنة ١٤٠٠هـ. عدة قرارات وتوصيات لأجل بورما منها:

أ- ضرورة متابعة الأمانة العامة للرابطة اهتماماتها بقضية مسلمي بورما وبخاصة الذين عادوا إلى أراضيهم لضمان حريتهم الدينية وإتاحة الفرصة لهم كمواطنين وإرجاع أملاكهم وأموالهم إليهم.

ب- متابعة الجهود لفتح المستشفى المؤقت والتابع لفرقة الإغاثة للاجئين البورميين في المناطق المتاخمة لبنغلاديش.

ج- متابعة إرسال المساعدات المادية لهم عن طريق سفارة المملكة العربية السعودية هناك والمسئولة عن فرقة الإغاثة.

د- الاستفادة من الأيدي العاملة لدى اللاجئين البورماويين في المجالات المختلفة تنشيطاً لكيانهم وتعزيزاً لمعنوياتهم.

هـ- حاول الأخ السيد إنعام الله خان زيارة بورما بعد انعقاد الندوة العالمية للمؤتمر الإسلامي بطوكيو في شعبان سنة ١٤٠١هـ إلا أن السفارة البورمية أبلغته بأن حكومتها في الوقت الحاضر أوقفت زيارة كل من لهم اتصال بأي منظمة إسلامية في بورما.

و- وقد ورد للأمانة العامة للرابطة بأن الحكومة البورمية أعدت مشروعاً للجنسية يختلف عن أي قانون للجنسية في العالم لكونه يقسم السكان إلى أربع درجات وهي: الرعوي.. المواطن.. المتجنس.. عديم الجنسية..

ولا شك أن الهدف النهائي من إعداد هذا القانون إنما هو الإضرار بالمسلمين في بورما والعمل على تصفيتهم بالهبوط بهم أولاً إلى فئة المتجنسين أو عديمي الجنسية وبالثاني حرمانهم من الحقوق المخصصة في القانون للرعويين والمواطنين ثم القضاء عليهم كمجموعة عرقية كانت إلى عهد قريب تتمتع بالحكم الذاتي في الإقليم الذي تعيش فيه وهو إقليم أركان.

هذا وما زالت الأمانة العامة للرابطة تواصل تقديم ما تستطيع ممن مساعدة للأخوة المسلمين البورماويين في نطاق الإمكانات المتوفرة، والظروف التي تحيط بالمسلمين في بورما داخل بلادهم.

* آمال المسلمين في بورما:

١ - يأمل مسلمو بورما طرح مشكلتهم داخل الهيئات الدولية وحركة عدم الانحياز وذلك من أجل الضغط على حكومة (رانقون) لتخفيف الضغط الواقع عليهم.

٢ - يأمل مسلمو بورما من حكومة (بنغلاديش) أن تلعب دوراً هاماً باعتبارها دولة إسلامية مجاورة. في الضغط على حكومة بورما للتعديل من سياستها المتعلقة بمسلمي بورما باعتبار أنه في عام ١٩٨٢م. تم توقيع اتفاقية بين بنغلاديش وبورما تتعلق بالترتيبات الخاصة بالحدود المشتركة بين البلدين. حتى لا تتكرر الأحداث التي وقعت من قبل في عام ١٩٧٨م.

وبناء على تلك الاتفاقية فإن القانون الجديد للجنسية الذي وضعه الجنرال(ني وين) في أكتوبر ١٩٨٢م. يعتبر خارقاً لتلك الاتفاقية حيث أنه يوجد بذلك وضعاً متوتراً يساعد على طرد المسلمين من بورما وأنه عن طريق الاهتمام بمشكلة مسلمي بورما فسوف تدافع حكومة بنغلاديش عن أراضيها وعن إخوانها المسلمين في بورما وفي نفس الوقت فإن الجنرال حسين إرشد حاول إعطاء بنغلاديش صورة إسلامية سليمة ويسعى لمساعدة المسلمين للتغلب على مشاكلهم الاقتصادية وكل هذه المجهودات ستساعد مسلمي بورما.

٣- يأمل المسلمون أن يزور بلادهم قادة المسلمين وزعماؤهم ليروا ما يلاقون وما يعانون من اضطهاد وغالباً ما تكون الدولة أي بورما وسفراءها في الخارج لا تسمح بإعطائهم التأشيرات اللازمة إذا علموا النوايا الحقيقية لهذه الزيارة، كما فعلت مع السيد تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا السابق.

والمسلمون حتى الآن لم يستطيعوا إبلاغ صوتهم خارج حدود بلادهم لأن الدولة ذاتها تعزل نفسها في قوقعة الثورة الاشتراكية وتمنع أية صورة من الاتصالات الخارجية ما عدا الدول التي تتلائم سياستها معهم وعلاوة على ذلك لا تسمح الدولة لزعماء المسلمين أن يخرجوا من بلادهم بحجة عدم وجود العملة النادرة وإذا ما سمح لأحدهم بالخروج فإنه لا يستطيع حمل أكثر من عشرين دولاراً أمريكياً.

ومن المؤسف جداً أن هناك اختلافات بين كل منظمة إسلامية وأخرى من حيث الهدف والطريقة مما يضعف موقفهم ومطالبتهم نحو تحسين أوضاعهم المستقبلية وجهادهم نحو إعلاء كلمة الحق.

* * * * * *

* **مساعدة الإخوة المسلمين داخل بورما:** نظراً لأن حكومة بورما تحظر على المسلمين وغيرهم تسلم المساعدات المالية من أي مصدر من الخارج فإنه لا تمكن مساعدتهم مساعدة مباشرة ويمكن في حالة الضرورة إلى تقديم المساعدة لهم أن يتم ذلك عن طريق سفارة إحدى الدول الإسلامية في تايلند أو بنغلاديش وتايلند أفضل نظراً لسهولة الاتصال معها.. مع التنويه بأن أكثر مؤسسات المسلمين في بورما لها أوقاف تدر عليها مثل المساجد والمدارس التي لم تصادرها الحكومة وحتى المستشفيات ولذلك فإن حاجتهم إلى المساعدات المالية ليست ملحة وإنما حاجتهم ماسة لما يلي:

أ- التعليم العالي الإسلامي: لأنه لا توجد هناك كليات إسلامية ولا تسمح حكومة بورما بإعطاء الجوازات للطلاب الذين يذهبون إلى خارج بورما لتعلم العلوم الدينية ويمكن تلاقي ذلك بإرسال المنح عن طريق سفارات الدول الإسلامية في تايلند أو بنغلادش.

وهذا أمر حيوي جداً للمسلمين لأنه منذ أن تولت الحكومة اليسارية السلطة وفرص الحصول على التعليم العالي أمام أبناء المسلمين أصبحت أقل وبذلك أصبحت فرصة شغل المناصب العليا في الدولة والمؤسسات العامة أمامهم أقل.

ب- العمل على تشجيع نشر الكتب الإسلامية وذلك لطبعها في بورما على أن تتولى رابطة العالم الإسلامي وأمثالها العمل على مساعدة الهيئات والجمعيات الإسلامية المعترف بها في بورما والتي يمكن أن تحصل على تراخيص بطبع الكتب الدينية وأن تتولى الرابطة تقديم العون المالي على ذلك بوسائلها المتاحة.

ج- العمل على تقوية الصلة ما بين زعماء المسلمين البرماويين وبين المؤسسات الإسلامية في البلدان الإسلامية عن طريق رابطة العالم الإسلامي ومثيلاتها وذلك بدعوتهم إلى زيارة البلدان الإسلامية والتباحث فيما ينفع المسلمين بعد النظر في كيفية الحصول لهم على إذن من الحكومة البرماوية.

د- أن تنظر رابطة العالم الإسلامي في أمر تحمل رواتب بعض المدرسين في المدارس الإسلامية هناك تخفيفاً للعبء عن تلك المدارس ويمكن أن يخصص لهذا الغرض مبلغ مائة ألف دولار أمريكي سنوياً في المرحلة الأولى ويتم ذلك عن طريق رابطة العالم الإسلامي. بعد التأكد من إمكان إيصاله إليهم.

هـ- لدى كثير من أبناء مسلمي بورما رغبة جامحة لأداء فريضة الحج ولكن صعوبة الإجراءات التي تفرضها عليهم الحكومة اليسارية تحول بينهم وبين تحقيق هذه الرغبة ولذلك ومن واقع التجربة يسافر من يرغب الحج منهم إلى بلد مجاور كتايلند وبنغلاديش ويسعى للحصول على تأشيرة الحج من سفارات المملكة بإحدى هذه الدول، بعد أن يجد قريباً أو صديقاً يحصل منه على قيمة تذكرته بالعملة الصعبة.

۞ إطلالة على نهاية العالم الجنوبي[1]

إن عنوان هذا الكتاب (إطلالة على نهاية العالم) ليس من عندي وإنما هو من قول سمعته من أحد الإخوة المسلمين في مدينة (هوبارت) عاصمة جزيرة (تسمانيا) حيث كنا نتحدث عن المزيد من الاتصال فيما بينهم وبين الجهات المختصة في المملكة العربية السعودية بالعمل في الدعوة إلى الله تعالى، والتعاون على ذلك مع الجمعيات الإسلامية العاملة في أنحاء العالم. فقال ذلك الأخ المسلم. نحن نعيش في نهاية العالم.

وقد شعرت بصدق هذه العبارة (نهاية العالم) لأن مدينة (هوبارت) التي كنا نتحدث فيها هي في طرف الجنوب من جزيرة تسمانيا، وتسمانيا هي طرف الجنوب من قارة أستراليا، وإن كانت تفصل بينها وبين جنوب قارة أستراليا مياه المحيط الجنوبي، وليس وراءها فيما حاذاها من جهة الجنوب شيء من الأرض المعمورة حتى القطب الجنوبي.

وقد أوضحت هذا للقارئ الكريم حتى أبرأ مما يوحي به هذا الاسم (إطلالة على نهاية العالم الجنوبي) من ادعاء البطولة أو حتى من معنى المغامرة ذلك بأن هذا الكتاب يتحدث عن مكانين هما جزر مأهولة مسكونة، ليس في السفر إليهما شيء من المخاطرة، فضلاً عن المغامرة.

على أن للموضوع وجهاً آخر من الحقيقة ذلك بأن كلمة أستراليا التي أطلقت على هذه القارة الصغيرة تعني باللغة الألمانية الأرض الجنوبية

---

(1) انظر: الطبعة الأولى من هذا الكتاب والتي صدرت عام: ١٤٢٠هـ، وقد طبع الكتاب بمطابع التقنية للأوفست بالرياض.

وتسمانيا و نيوزلندا كلتاهما في نهاية الجنوب من هذه القارة أيضاً إن هذا الكتاب يتحدث عن نيوزلندا التي زرتها مرتين دونت في كلتيهما مذكرات يومية عما رأيته في تلك البلاد جرياً على عادة لي قديمة أخذت نفسي بها، وأتممت تأليف كتب بتلك الطريقة عن أنحاء عديدة من العالم زادت على الثلاثين كتاباً ما بين مطبوع ومخطوط.

والفضل في ذلك لله تعالى ثم للأخوة الكرام الذين شجعوني على المضي في التأليف بإقبالهم على قراءة الكتب الأولى وتقريظها، وبخاصة كتابي: (في إفريقية الخضراء).

وقد ضممت إلى الحديث عن نيوزلندا الحديث عن رحلة إلى جزيرة تسمانيا. نهجت فيها المنهج نفسه فكنت أدون المشاهدات كما يفعل السائح الغريب وأهتم مع ذلك بتدوين ما أشاهده أو أسمعه عن أحوال المسلمين ومساجدهم وجمعياتهم ومراكزهم، مما جعل لهذا الكتاب صفة الجمع بين الكتاب الإسلامي وكتب الرحلات الأدبية.

أو هذا هو ما أسمعني إياه أخوة أعزاء أحسنوا الظن وكرموا بالثناء على كتبي المماثلة السابقة فكان الرد الفعلي لذلك المزيد من هذه الكتب، وكان علي أن أسأل الله تعالى المزيد من التوفيق إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وبقيت كلمة شكر واجب للأستاذ الجليل الوجيه النبيل: إبراهيم أمين فوده رئيس نادي مكة الأدبي، والأديب الحصيف الأستاذ عبد الكريم عبد الله نيازي الأمين العام للنادي على حسن ظنهما بهذا الكتاب، وضمه إلى مطبوعات النادي. والله الموفق.

المؤلف: محمد بن ناصر العبودي

* **التعريف بنيوزلندا:** [1]

اعتدنا أن نقدم بعض المعلومات المختصرة عن البلاد التي نتحدث عن الرحلات فيها.

وهذا ما كتبه عن نيوزلندا: تقع نيوزلندا: في جنوب المحيط الهادئ، وتبلغ مساحتها نفس مساحة بريطانيا أو اليابان تقريباً.

وتقع في الجنوب الشرقي.. من قارة أستراليا- وهي أقرب الجيران إليها.

وتتألف من عدة جزر متناثرة تمتد من الشمال إلى الجنوب في مسافة واسعة إلا أن الجزيرتين الرئيستين فيهما هما الشمالية (مائة وأربعة عشر ألفاً وخمسمائة كيلو متر مربع) وأقرب مدينة فيها هي أكبر مدينة في نيوزلندا كلها وهي أوكلاند وإن لم تكن العاصمة. وأما الجزيرة الجنوبية فإن مساحتها تبلغ مائة وخمسين ألفاً وسبعمائة كيلو متر مربع.

وأشهر مدن هذه الجزيرة الجنوبية هي (كرست تشيرتش) التي أنشئ فيها مؤخراً مركز إسلامي كبير تبرعت المملكة العربية السعودية له بمائتين وثلاثين ألف دولار أمريكي.

ومن هذا يتضح أن البلاد تعتبر قليلة السكان جداً إذ قورنت بسكان بريطانيا أو اليابان اللتين تقاربهما في المساحة.

إذ لا يزيد سكان نيوزلندا على ثلاثة ملايين ومائتي ألف نسمة ومع ذلك فإنها ليست من البلدان التي ينمو فيها السكان بسرعة.

وإنما كانت في الماضي تعتمد في الزيادة اللازمة لنمو البلاد في عدد السكان على استقبال المهاجرين.

---

(١) انظر: مجلة الرابطة – العدد : ٢٥٩ - في: ٢٥/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

وتبلغ كثافة السكان في الوقت الحاضر بمعدل ١١ نسمة فقط في الكيلو متر المربع.

* **الطقس:**

تعتبر نيوزلندا مستطيلة استطالة غير معتادة من الشمال إلى الجنوب ويظهر ذلك واضحاً من امتداد الجزيرتين الرئيسيتين فيهما وهما الجنوبية والشمالية.

ولذلك يكون الجو في البلاد مختلفاً في الجنوب عنه في الشمال مثلاً لأن الجزئين متباعدان. وتتمتع البلاد بجو صيفي جميل لا يشكو المرء حره، أما الشتاء فإن الثلوج تسقط بغزارة على جنوب البلاد وعلى الجبال الواقعة في الوسط. ونظراً لاعتدال الجو في الشمال فإن حوالي ٧٠٪ من السكان يعيشون في الجزيرة الشمالية.

وتقع البلاد ما بين خط ٣٥°، وعرض ٤٧° جنوب خط الاستواء.

أول من اكتشفها من الأوروبيين (إبل تاتسمن) الهولندي في عام ١٦٤٢م.

وبقيت مهملة لم يذهب إليها أحد من الأوروبيين حتى عهد الكابتن جيمس كوك مكتشف أستراليا ورجل البحرية البريطاني حيث زارها بعد قرن من الزمان ابتداء من عام ١٧٦٩م.

وبعد ذلك تدفق عليها البريطانيون من التجار والبحارة وحتى دعاة التنصير الذين بدأوا في دعوة سكان الجزر الأصليين (الماوريين) إلى النصرانية وأصبحت الجزيرة بذلك بريطانية.

حيث عقد أول اتفاق بين ممثل للحكومة البريطانية وبعض رؤساء (الماوريين) في عام ١٨٤٠م.

وفي عام ١٨٥٢م أقيمت أول حكومة محلية خاصة بنيوزلندا.

* السكان:

سكان نيوزلندا في معظمهم من الأوروبيين وهؤلاء الأوروبيون في معظمهم من البريطانيين- سكان الجزر البريطانية الذين هم من الإنكليز الاسكتلنديين وسكان ويلز و إيرلندا.

ويلي البريطانيين في الكثرة الهولنديون، وهذا أمر طبيعي لأن البلاد كانت مستعمرة بريطانية بل كانت من ممتلكات التاج البريطاني.

ولكن الشيء غير الطبيعي هنا ألا يكون فيها ما في المستعمرات البريطانية الأخرى في قارتي آسيا وإفريقية من وجود طوائف تنتمي إلى سكان المستعمرات البريطانية الأخرى كالأفريقيين السود، والهنود السمر، فضلاً عن الماليزيين والصفر.

ولم يكن هذا بمحض المصادفة وإنما كانت نتيجة سياسة مرسومة منذ عهد قديم تقتضي أن تكون هذه الجزر التي تكاد تشبه الجزر البريطانية في أشياء كثيرة وبخاصة في جوها البارد، وكثرة أمطارها، وخصوبة مراعيها.

إن تلك السياسة تقتضي أن تكون هذه البلاد خالصة للذين يسمونهم البيض من الأوروبيين.

وعندما أصبح للبلاد كيان مستقل استمرت على هذه السياسة مثلها في ذلك مثل جارتها وشريكتها في الاستعمار أو في الاستملاك البريطاني (أستراليا).

وفي الدولتين كلتيهما أقلية من السكان القدماء سنتكلم على الأقلية الموجودة في نيوزلندا فيما بعد.

أما الموجودة في أستراليا فقد تكلمت عليها في كتاب (وراء العمل الإسلامي في القارة الأسترالية).

إن أكثرية السكان من البيض هاجروا أو هاجر آباؤهم قبلهم إلى (نيوزلندا) في زمن ازدهار الإمبراطورية البريطانية وكان لسكان الجزر البريطانية في ذلك الوقت عادات وتقاليد عريقة تحلل منها أو من بعضها سكان الجزر البريطانية بعد انحلال امبراطوريتهم.

ولكن بقي عليها أو على أكثرها سكان هذه الجزر المنعزلة في الوقت الذي تخلوا عن جزء كبير من التزمت والتكبر الذي يتسم به سلوك الإنكليز الذين خالطوا الشعوب المتخلفة في التعليم في آسيا وإفريقية وقد جعلتهم تلك المخالطة يشعرون بأنهم أرقى تفكيراً وإدارة ومن ثم أفضل من تلك الشعوب.

أما في هذه البلاد النائية فلم يكن لجمهورهم اختلاط بتلك الشعوب لذلك لم تنشأ عندهم خصال التكبر والتزمت الموجودة عند الإنكليز.

فصار يصح القول فيهم بأنهم أوروبيون فارقهم التزمت والتكبر ولم يزايلهم النظام والاحترام للإنسان فأصبحوا أحسن تصرفاً مع غيرهم، وأفضل سلوكاً تجاه الآخرين من سكان الجزر البريطانية في الوقت الحاضر بكثير.

وهناك شيء آخر لم يزايلهم أيضاً ألا وهو الجمال والنظافة العامة فالجو بارد وأشعة الشمس تسقط على بلادهم أفقية لبعدها عن خط الاستواء، لذلك بقيت ألوانهم صافية وبشراتهم مشرقة.

أما سياستهم في الهجرة إلى بلادهم، وعدم سماحهم بإقامة السود والملونين فيها فإنهم يقولون: إن ذلك أراح البلاد من مشكلة الأقليات العنصرية التي تعاني منها بعض البلدان مثل الولايات المتحدة الأمريكية، أو تعاني من بذورها كما هو عليه الحال في بريطانيا نفسها.

ولا شك في أنه من حقهم كما هو من حق الآخرين أن يرسموا سياسة الهجرة إلى بلادهم وفقاً لما يرون فيه المصلحة لسكانها وإنما الذي ليس من حقهم ولا من حق غيرهم فهو أن يبخسوا مواطنيهم الذين يخالفونهم في اللون- مثلاً- حقوقهم المشروعة.

* * * * * *

* **السكان ينقصون:**

ونظراً إلى أن معظم السكان كما قدمت من الأوروبيين فإنهم على عادة الأوربيين لا يحبون الإكثار من الإنجاب، بل أنهم يتناقصون بالفعل. وقد فكروا في وقت من أوقات الازدهار الاقتصادي في زيادة السكان أو على الأدق في تلافي النقص في ذلك. فسمحوا لعدد قليل من المهاجرين أكثرهم من البيض وفيهم قلة قليلة من الهنود السمر ذوي المهارات العالية، في التخصصات المهمة. إلا أنهم عادوا فأغلقوا باب الهجرة عن الجميع بسبب الركود الاقتصادي وعدم توفر الوظائف والأعمال للمواطنين.

* * * * * *

* **الأقليات في نيوزلندا:**

أكبر الأقليات في نيوزلندا هم (الماوريون) نسبة إلى الماوري، وهم سكان هذه الجزر الأصليون قبل الاستعمار البريطاني بل قبل وصول الأوربيين.

(فالماوريون) يمكن أن يقال إنهم في الأصالة في البلاد مثل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية إلا أنهم لم يقاوموا الغزاة الأوربيين كما قاومهم الهنود الحمر، ذلك بأنهم لم يكونوا من المحاربين الأشداء كالهنود الحمر. بل لم يقاموا حتى الاندماج في هذه الحياة الأوروبية العامة في بلادهم.

وهم عدة أقسام يمكن إرجاعها إلى قسمين رئيسين أحدهما: الماوريون من سكان الجنوب وهم أكثر بياضاً لبعد موطنهم عن خط الاستواء بل لإيغاله في جهة الجنوب البارد، حتى إن ألوانهم تقرب من ألوان سكان شمال إفريقية من البيض. والقسم الآخر: سكان الجزر الشمالية وهم سمر الألوان إلا أن سمرتهم صافية كسمرة العرب وليست كسمرة بعض الهنود.

والماوريون كلهم من سكان جزر جنوب المحيط الهادئ جاؤا إلى نيوزلندا من تلك البلاد، فتغيرت ألوانهم قليلاً إلا أنهم لا يزالون يحتفظون ببعض الخصائص المظهرية لسكان تلك الجزر.

فعلى سبيل المثال هم ذوو شعور غزيرة منتفشة مع أنها ليست طويلة فترى الواحد منهم وبخاصة من الرجال وكأنما على رأسه شيء أسود يحمله، بل ربما قال المرء إنه إذا رآه على البعد ظن أنه قد حمل فوق رأسه إطاراً صغيراً من إطارات العجلات النارية فهم أكثر في هذا الأمر من الفيجين- سكان جزر فيجى- وأجسامهم ممتلئة كأجسام المكسيكيين الذين أصلهم من الهنود الأمريكيين. بل إنني كثيراً ما تذكرت أهالي المكسيك وبعض هنود جبال الابذيز في بيرو إذا رأيتهم. وفي سكان الجزر الجنوبية قسم ممن يقربون في الشبه من العرب. ونساوهم حسب ما يراهن الغريب القادم من الشرق الأوسط على قسط كبير من الجمال.

أما من ناحية المال، والمهارة في الأعمال فإنهم دون المتوسط في ذلك وأكثرهم من طبقة العمال والخدم.

ويبلغ عدد (الماوريين) في نيوزلندا مائتين وخمسين ألف نسمة. أي: بنسبة لا تزيد على ٩ ٪ من مجموع عدد السكان البالغ ثلاثة ملايين ومائتي ألف نسمة تقريباً.

وقد يقول قائل: إن هذا العدد قليل بالنسبة إلى سكان قدماء في هذه الجزر وهم من غير الأوروبيين الذين يعملون في تحديد النسل.

والجواب على ذلك بأنه صحيح إلى حد ما لكن الذي تنبغي ملاحظته أن ذوي الأصل الأوروبي تكاثروا إلى هذه الدرجة ثلاثة ملايين ومائتي ألف نسمة بسبب المهاجرين الذين كانوا يتدفقون على البلاد أما (الماوريون) فإن بني جنسهم قليل، والذين يشبهونهم أو يقربون منهم في بعض جزائر المحيط الهادئ الجنوبي مثل أهالي جزر (تانقا) و (تاهيتي) غير مسموح لهم بالهجرة إلى نيوزلندا- إضافة إلى أن طائفة من الماوريين وبخاصة من سكان الجزر الجنوبية قد اختلطوا بالأوروبيين بطريق التزاوج فذابوا فيهم بسبب غلبة البياض على ألوانهم، وصبغهم بالصبغة الأوروبية التي منها اعتناق الديانة المسيحية. ولذلك لا يعدم المرء أن يلاحظ في نيوزلندا أفراداً ممن يمكن أن يقال عنهم إنهم نصف ماوريين.

ويقدر عدد هؤلاء الذين يمكن أن يسموا بنصف ماوريين بحوالي خمسين ألفاً.

بقي أمر مهم جداً وهو من أين جاء هؤلاء الماوريون إلى نيوزلندا، و متى بدأ وصولهم إليها؟.

وهذان سؤالان تصعب الإجابة عليهما إجابة قاطعة ولكن يمكن القول بالنسبة للسؤال الأول بأنهم جاؤوا من جزائر جنوب المحيط الهادئ حيث يمكن القول بأنهم لهم قرابة عنصرية بالبولونيزيين أو (البولنيز) بالإنكليزية الذين هم من سكان تلك الجزر.

والبولونيزيون جنس من الناس لهم خصائص مظهرية يبدو للواحد منا لأول وهلة إذا رأى الأنقياء منهم الذين لا يزالون باقين في مواطنهم من تلك

الجزر التي لا تبعد كثيراً عن خط الاستواء جنوباً أنهم في الملامح وسط ما بين الملايويين و المغول.

ولا شك في أن هذا لا يعني بالضرورة أن لهم قرابة مباشرة بهذين الجنسين.

أما موطن سكان هذه الجزر التي هاجر منها (الماوريون) إلى نيوزلندا فإن الناس اختلفوا فيه فمنهم من قال إنهم جاؤوا إليها من قارة آسيا.

وهذا بعيد في ظني رغم القرب الجغرافي، وإنما الأقرب هو قول من قال، إنهم جاؤوا من أمريكا الجنوبية فهو الأقرب إلى الصواب وإن كان أبعد في المسافة ذلك بأنهم قوم من صيادي الأسماك ومن الذين تمرسوا باستعمال القوارب منذ بداية حياتهم، وتدل مظاهرهم الخارجية على هذا. والله أعلم.

أما الإجابة على السؤال الثاني وهو المتعلق بتاريخ وصولهم إلى نيوزلندا فإنها أكثر صعوبة.

وإنما الأمر أمر تقدير وتخمين وذلك يقول إن أول وصولهم إلى جزر نيوزلندا كان في القرن الثامن الميلادي.

* * * * * *

* الهنود:

كلمة الهنود هنا تعني القادمين من منطقة الهند كلها قبل التقسيم وهذا كاف للتعريف بهم هنا لأنه لا هنود غيرهم في هذه المناطق، بخلاف ما عليه الحال في أقطار البحر الكاريبي وأمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية حيث يوجد هناك الهنود الأمريكيون الذين يسميهم الإنكليز (امرو انديان).

و الهنود في نيوزلندا قلة قليلة لا تزيد في العدد على تسعة آلاف شخص من مجموع عدد السكان البالغ ثلاثة ملايين ومائتي ألف نسمة.

وأكثرهم قد حسن مظهرهم فقلت سمرتهم وصقل الجو ألوانهم إلى جانب كون الغذاء الجيد واليسر في الحال قد أبعدا عنهم النحافة الشديدة. والقشف في المنظر الموجود في بلادهم الأصلية.

وأكثرهم يعملون في التجارة وبخاصة في تجارة الأغذية والمأكولات وفيهم موظفون متوسطو الدرجة في المصارف والشركات.

* * * * * *

* العـــــرب:

لا مجال للحديث عن وجود العرب في نيوزلندا. لأنهم غير موجودين وعلى سبيل المثال لا يوجد في منطقة (ولينقتون) العاصمة إلا خمسة من المصريين الذين يحملون جنسية البلاد.

ومثل ذلك في العدد أو أقل من اللبنانيين المسيحيين ومسلم لبناني واحد وإن كان يوجد بعض العرب الذين يقيمون إقامة مؤقتة للتدريب أو في العمل السياسي مثل أربعة من الأطباء السعوديين وما يقرب من ذلك من المتدربين الفنيين الآخرين، إضافة إلى موظفي السفارة المصرية وهي السفارة العربية الوحيدة في هذه البلاد.

* * * * * *

* اليهـــــود:

توجد في البلاد جالية يهودية مستوطنة ليست كثيرة العدد، إذ لا يزيد عددها على أربعة آلاف شخص. ولكن قوتها وتأثيرها في شئون البلاد أكثر من عددها بكثير. ذلك بأن اليهود في هذه البلاد شأنهم في بلاد كثيرة مماثلة من أنحاء العالم ليست قوتهم في كثرتهم العددية.

وإنما في أهمية الأعمال التي يحسنونها، وفي استثمار ذلك فيما يعود عليهم وعلى بني جلدتهم بالنفع في البلاد التي يحلون فيها وفي سائر أنحاء العالم.

فهم هناك يملكون مصارف وفنادق وشركات تجارية أو يسيطرون على ذلك بمشاركتهم النشطة فيه.

بل إنهم يسيطرون على الصحافة وكثير من التجارة. لذلك لهم نفوذ قوي مقنع على مجريات الأمور فيها- فهم لا يحاولون أن يظهروا للناس أنهم يسيطرون أو يحاولون السيطرة على شأن من شئون البلاد حذراً مما يحدثه ذلك من رد فعل قد يضرهم.

والسبب في كون اليهود تكون لهم هذه المنزلة من النفوذ والسيطرة على البلاد التي تؤويهم وتأخذ بالنظام السياسي الغربي ليس هذا موضع بسطه، لأنه يحتاج إلى استعراض تاريخ اليهود القديم، ولكن تمكن الإشارة إليه إشارة مختصرة تتمثل في أن اليهود عاشوا قروناً طويلة وهم أقلية ذليلة متفرقة في أقطار الأرض المتباعدة فجعلهم في ذلك يركزون على العمل في ميدان التجارة والمال ويحاولون أن يكون لهم شيء من النفوذ والمنزلة عن طريق امتلاك المال، لأنهم يعلمون أنه ليس بإمكانهم اكتساب النفوذ عن طريق شغل الوظائف العليا، والمشاركة في السياسة، وذلك لقلة عددهم وكراهية الناس لهم.

وقد برعوا في هذا الميدان الوحيد الذي لا يحتاج سلوكه إلى وجاهة أو سياسة، وإنما يحتاج إلى صبر وجلد وحرمان للنفس من كثير من اللذات عن طريق توفير المال وتوجيهه إلى الربح المادي مهما كانت الوسيلة إليه فكانوا يستعملون لذلك الخضوع والخنوع والمصانعة والمداهنة. إلى جانب المراباة - أكل الربا- بكل الوسائل الممكنة ما كان منها مباحاً وما كان غير ذلك.

ولقد حصلوا على بعض ما كانوا ما يرمون إليه من جمع المال، والبراعة في اكتسابه، وكان بعضهم يساعد بعضاً في هذا المجال.

وعندما سادت في المدنية الغربية بعد الثورة الفرنسية أفكار المساواة في الحقوق وعدم التمييز بين الناس بسبب اللون أو الدين أو العرق استغل اليهود ذلك فأخذوا يستعملون المهارة في جمع المال. والحرص على نفع الطائفة ودفع الاضطهاد عنها وهو ما كانوا يشعرون به إبان عهود الاضطهاد في ميدان السيطرة والنفوذ ووجهوا الأذكياء منهم إلى الميادين الأكثر تأثيراً في المجتمع مثل التعليم والصحافة وإضافة إلى السيطرة على المصارف والشركات.

وكان من أهم ذلك كله أن روح التضامن بينهم التي تسود عادة بين الأقليات التي تشعر بالاضطهاد لا تزال حية قوية.

* * * * * *

* المسلمون في نيوزلندا:

وصل المسلمون إلى نيوزلندا أفراداً قليلي العدد منذ زمن طويل.

ولكن لم يتم تأسيس جمعية لهم إلا منذ حوالي ربع قرن فقد تأسست أول جمعية إسلامية في نيوزلندا في عام ١٩٥٠م تحت اسم (جمعية نيوزلندا الإسلامية) في مدينة أوكلاند.

ثم تبع ذلك تأسيس الجمعيات الإسلامية الأخرى في أماكن متعددة من أهمها الجمعية الإسلامية في العاصمة (ولينقتون). حتى بلغ عدد الجمعيات الإسلامية ستاً مما حدا بالمسلمين هناك إلى تأسيس اتحاد إسلامي أسموه (اتحاد الجمعيات الإسلامية النيوزلندية).

ويتجمع أكثر المسلمين في الجزيرة الشمالية من البلاد. وقد كثر عدد المسلمين مؤخراً في الجزيرة الجنوبية وعمل المسلمون على إقامة مركز إسلامي كبير في مدينة (كريست تشيرتش) في هذه الجزيرة الجنوبية. وقد بدأ العمل بالفعل في هذا المركز الذي ساعد على العمل في إنشائه أحد السعوديين المبتعثين للتدريب في نيوزلندا وهو الدكتور صالح السماحي وهو طبيب يتمرن هناك. وقد صدرت موافقة مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية على صرف ثمانمائة ألف ريال مساعدة لإقامة هذا المركز.

ويبلغ عدد المسلمين في نيوزلندا زهاء أربعة آلاف وخمسمائة شخص في كل أنحاء البلاد.

تقطن أكثريتهم في مدينة (أوكلاند) أكبر مدينة في البلاد رغم كونها ليست بالعاصمة. وجمعياتهم المسجلة في وزارة العدل النيوزلندية هي التالية:

١ - الجمعية الإسلامية في نيوزيلند ومقرها أوكلاند.

٢ - الجمعية الإسلامية العالمية (إيمان) ومقرها ويلنقتون.

٣ - الجمعية الإسلامية في كانتربري ومقرها كرايست تشريش.

٤ - الجمعية الإسلامية في مناواتو ومقرها بالمرستون نورث.

٥ - الجمعية الإسلامية في وايكاتوباي أوف بلنتي مقرها هاملتون.

وأكثر المسلمين النيوزيلنديين جاؤوا في الأصل من جزر فيجي وهم من مسلمي الهند الذين كانوا هاجروا إلى فيجي في عهود سابقة.

وقد أخذت بعض البلدان الإسلامية بعدم السماح للحوم النيوزيلندية بالبيع في أسواقها إلا إذا كانت مصحوبة بشهادات من اتحاد الجمعيات الإسلامية في نيوزلندا بأنها قد ذبحت شرعياً مما أعطى الجمعيات الإسلامية دخلاً مالياً واعتباراً معنوياً.

وكانت رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة قد أصدرت قراراً أرسلته إلى عدد من الوزارات والجهات الرسمية في البلدان الإسلامية باعتماد الشهادات التي يصدرها الاتحاد المذكور في هذا الصدد.

هذا وسيأتي في اليوميات ذكر معلومات كثيرة متفرقة عن المسلمين في نيوزلندا وبخاصة في مدينتي (أوكلاند) و (ولينقتون) بإذن الله.

* * * * * *

*** علاقة المسلمين بأهل البلاد:**

لا يشكو المسلمون من أية صعوبات تقيمها الأكثرية أمامهم سواء في ذلك الرسميون الحكوميون وعامة الناس. بل إن العكس هو الصحيح فالمسلمون الذين تحدثت معهم في هذا الموضوع كلهم يشكر الحكومة النيوزيلندية والشعب النيوزيلندي عل الموقف النبيل الذي يقفونه تجاه المسلمين وتجاه تمتعهم بالحرية التامة في أمور دينهم.

بل إن أحد زعماء المسلمين بالغ في ذلك فقال: إن الشعب طيب وإن الناس هنا هم نصف مسلمين على حد تعبيره.

ويريد بذلك حسن معاملتهم للمسلمين. وعدم التعصب ضدهم ولا شك في أن لهذه المعاملة الحسنة للمسلمين والنظرة المتسامحة نحو الإسلام أسباباً عدة منها أن القوم يعيشون في بلاد نائية بعيدة عن مسرح الاحتكاك الديني الذي يولد المقاومة ثم المخاصمة و المنافرة. ومنها: أن القوم أنفسهم ليس لديهم التمسك الشديد بدينهم بسبب طغيان المادة على حياتهم وتربيتهم التعليمية التي من أهم ما فيها فصل الدين عن الدولة وأن الدين إنما هو مجرد علاقة بين الإنسان وربه، ولا علاقة له بشئون الحياة إضافة إلى سبب هام

جداً وهو أن الحركة الإسلامية في نيوزلندا لا تزال في طور النشوء، ولم تبلغ مبلغاً من القوة يجعل المسيحيين هنا يشعرون معه بالتحدي والخوف من غلبة الإسلام عليهم.

وأعظم الأشياء إيلاماً للمسلمين هناك كما أخبرونا هو أن الشعب لا يعرف الإسلام. ولذلك يأخذ الحكم عليه من تصرفات بعض المنتسبين إليه والمتسمين به فمثلاً تتلقف الصحافة ما تذيعه الوكالات العالمية من أعمال القتل والتعذيب التي تحصل في إيران على أيدي رجال الجمهورية الإسلامية كما يسمون أنفسهم فيعتقد الناس أن هذا هو الإسلام وأنه دين القتل والتعذيب وإهدار حقوق الإنسان.

ويقول إخوتنا المسلمون هنا: إنه من السهل محو هذه الصورة المشوهة عن الإسلام من أذهان هؤلاء القوم إذا وجد جهاز للدعوة قوي يقوم عليه أناس مؤهلون بالفهم الصحيح للإسلام والقدرة على إفهام الآخرين ذلك.

* * * * * *

* اللغـــــــات:

اللغة في نيوزلندا السائدة، بل السيدة التي لا تباريها لغة أخرى، هي لغة المستعمرين(الإنكليزية) التي أصبحت لغة عالمية حتى بالنسبة إلى أعداء الإنكليز.

واللغة الثانية: هي لغة (الماوري) وهى لغة غير مكتوبة لأنه ليس لها آداب مدونة وليست بلغة حضارة وكانت مهملة أو شبه مهملة لا يسمع بها سائر الناس إلا في برامج ضعيفة من الإذاعة.

ولكنهم في المدة الأخيرة بدأوا في إذاعة مرئية أي متلفزة بها لمدة قصيرة.

* * * * * *

* حالة الأمن:

الأمن في هذه الجزر مستتب بشكل عجيب، والجرائم الكبيرة قليلة، وجرائم الاختلاس والسرقة نادرة.

هذا ما أخبرنا به المقيمون فيها ولمسنا ذلك في الفنادق و الأَنزال حيث لم نجد النصائح التي توجهها إدارات الفنادق إلى نزلائها تكتبها في غرفهم، وتتضمن التحذير من السرقة أو الاختلاس كما تتضمن براءة ذمة الفندق عما ينتج عن ذلك من مسئولية، وتضعها على عاتق النزيل الذي لا يتقيد بنصائح الإدارة وتعليماتها. وهي أمور كثيرة الحدوث بل هي الشائعة في البلاد المضطربة في الأمن وحتى الغنية منها التي تأتي على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أغنى دول العالم، التي لم يمنعها ذلك من أن يكون المرء الذي يحمل نقوداً فيها أكثر خوفاً على نقوده فيها من أي مكان آخر.

وأذكر من الأمثلة على ذلك أنني نزلت في فندق (هولدى إن) من الفنادق المشهورة في منطقة شاطئ ميامي (ميامي بيتش) فإذا بالتحذيرات المعتادة في الفندق شديدة، ولذلك ينصح الفندق نزلاءه الكرام بأن يودعوا ما لديهم من نقود وأشياء ثمينة في الخزائن الحديدية في الفندق وهذا أمر معتاد، إلا أن غير المعتاد أنهم أضافوا: مع إحاطة النزيل علماً بأننا لا نضمن ما قد يفقد من هذه الخزائن. فإذا كان النزيل لا يضمن حتى ما يكون في خزائن حديدية محفوظة في الفندق كيف يفعل بنقوده؟

وحالة الأمن الممتازة في (نيوزلندا) أحسن منها في جارتها (أستراليا) مع أن حالة الأمن في أستراليا لا تعتبر سيئة وبخاصة إذا قيست بعاصمة الوطن الأم للبريطانيين (لندن) التي لا تبعد عن المدن الأمريكية كثيراً من السوء في هذا المجال.

أهم صادرات (نيوزلندا) هي اللحوم ويقال: إنها تصدر في السنة ما يصل إلى سبعة ملايين رأس من الغنم، يذهب قسم منها كبير إلى بلدان إسلامية.

ولذلك تطالب الجمعيات الإسلامية التي يجمعها (اتحاد الجمعيات الإسلامية النيوزيلندية) بأن تعتمد البلاد الإسلامية شهادات الذبح التي تصدرها هذه الجمعيات للمواشي المذبوحة في نيوزلندا أسوة بما هو حاصل في أستراليا حتى تستفيد من العائدات التي تنتج عن ذلك في تقوية العمل الإسلامي. وليس ذلك فحسب وإنما تطلب ألا تقبل البلدان الإسلامية لحماً مستورداً من نيوزلندا ما لم يكن يحمل عليه شهادة من هذه الجمعيات.

ولقد قالوا لنا: إن هذا مطلب مهم من مطالبنا، وإذا كنتم لا تعتقدون أن لدينا الأهلية لهذا العمل والفقه اللازم له فإن بإمكانكم أن ترسلوا شخصاً ذا خبرة من المملكة العربية السعودية ليعلمنا الطريقة الشرعية في الذبح ونحن نلتزم بما نأخذه عنه. ولا شك في أن هذا مطلب عادل، بل هو أمر مطلوب ففيه توثيق للذبح وفيه نفع لإخواننا المسلمين.

فمن المعلوم أن اتحاد المجالس الإسلامية الأسترالية يتقاضى خمس دولارات أي: عشرين سنتيما أسترالياً على كل رأس من الغنم يمنحه شهادة بأنه قد ذبح و تولى ذبحه مسلمون على الطريقة الشرعية وذلك يساوي حوالي ثلثي ريال وهو مبلغ كبير إذا تجمع.

ولذلك يؤلف فصلاً مهماً من فصول الإيرادات في ميزانية الاتحاد الإسلامي في أستراليا.

ويذكر في هذا الصدد أنه رغم كون السكان بأكثريتهم من الأوروبيين أو من أصل أوروبي فإنهم يفضلون الرعي على الزراعة وهم يشعرون بأن تربية

الأنعام من الأبقار والغنم أكثر عائدة وجدوى عليهم من العمل في الزراعة وذلك لخصوبة أرضهم وبرودتها التي تجعل من أصواف الأغنام مورداً مهماً من موارد الدخل؛ لأنهم يستعملون من ذلك في البلاد ويصدرونه إلى بلاد أخرى.

وليس معنى هذا أنه لا توجد في البلاد زراعة متطورة، بل هي موجودة غير أنها لا تجتذب العدد الأكثر من أهل البلاد.

* * * * * *

*** في مدينة أوكلاند:**

هذه هي المرة الثانية التي أزور فيها مدينة (أوكلاند) والمرة الأولى كنت فيها وحدي. وأما في هذه المرة فإن معي صديقي وزميلي الشيخ محمد بن قعود، ونعم الرفيق في السفر هو.

كما أن إخوتنا في اتحاد المجالس الأسترالية في سدني قد هتفوا بالجمعية الإسلامية في أوكلاند يخبرونهم بوصولنا فوجدنا الأخ (أمجد علي) ينتظرنا في المطار وهو مسلم أصله من جزر فيجي وجنسيته نيوزيلندية.

وقد صرفنا في المطار مائة دولار أمريكي بمائة وثمانية وثلاثين دولاراً نيوزلندياً على حين كان صرفها عندما وصلت في المرة الأولى ١١٨ دولاراً.

وهذا معناه نقص ظاهر في قيمة عملتهم بالنسبة إلى الدولار الأمريكي.

انطلقت سيارة الأخ (أمجد على) إلى قلب المدينة البعيد وهي سيارة صغيرة جداً من صنع محلي لم تستطع حملنا وأمتعتنا إلا بصعوبة مع أنه ليس معه أحد غيرنا ونحن اثنان.

ولاحظت أنه ليس في نيوزلندا جفاف كالذي أصاب أستراليا. إلا أنها أقل خضرة، وخضرتها أقل نضارة مما رأيتها عليه في المرة السابقة.

أما الجو فإنه بديع حقاً فليس فيها حر كحر أستراليا أو كالبرد الذي وجدته فيها في الزيارة التي كانت خلال فصل الربيع لأن نيوزلندا ذاهبة جهة الجنوب والجنوب في هذه الناحية هو الأبرد كما هو معروف.

وقال الأخ (أمجد علي): إن رئيس الجمعية الإسلامية الأخ (عبد الرحيم رشيد) غير موجود في المدينة وإنه سوف يعود مساءً.

ودخلنا قلب المدينة نبحث عن فندق مناسب فوقفنا عند فندق من الدرجة الأولى اسمه (رويال انترنشنال) وعندما سألت العاملة عن أجرة الغرفة فيه كنت أتصور أنها ستقول: إنها خمسون دولاراً من دولاراتهم لأن ذلك يعني أقل من أربعين دولاراً أمريكياً غير أنني فوجئت بقولها: إنها عشرة دولارات، فلم أصدق ذلك حتى كررته وفسرته بقولها (ون زيرو) وهذا إيضاح لا يقبل الشك. وسألتها عن السبب في هذا الرخص المتناهي؟ فقالت: إنها الدعاية للفندق، فقد قل الزبائن فأحببنا أن نلفت الأنظار إلى فندقنا بهذا الرخص المؤقت و إلا فإن السعر المعتاد للغرفة هو ثلاثة وأربعون دولاراً. ووجدنا غرفة في غُرف الدرجة الأولى إلا أنها غير واسعة وفيها التلفاز الملون والهاتف. وهذا أمر طبيعي في فندق من ذوات النجوم الأربع، ولكن الغريب أن الفندق مجهز بأشياء لا تكون حتى في فنادق الدرجة الأولى، من ذلك أن كل طابق من طوابقه فيه ثلاجة أكبر من الثلاجات الصغيرة فيها الماء البارد والحليب البارد يأخذه النزيل بالمجان إذا لم يكفه الحليب الموجود مع القهوة والشاي الذي وضعوه في غرفته كما هو عليه الحال في كل فنادق هذه المستعمرات الإنكليزية السابقة.

وبعد أن انصرف الأخ (أمجد علي) ذهبت مع زميلي الشيخ محمد بن قعود في جولة على الأقدام أجدد أنا فيها عهدًا ليس ببعيد بمدينة أوكلاند. أما هو

فإن هذه أول مرة يزورها ولذلك كان كل شيء فيها جديداً بالنسبة إليه. إلا أن معظم الحوانيت فيها مغلق لأن اليوم هو الأحد.

* * * * * *

* مع رئيس الجمعية الإسلامية:

حضر إلينا في الفندق مع المغرب الأخ (عبد الرحيم رشيد) ومعه اثنان من أعضاء الجمعية وكان أول ما قال لي أول ما رآني: شكراً لقد وصلت المساعدة. وكنت قد نسيتها، فسألته عما يقصده؟ فقال لي: ألم تكن قد وعدتنا بأن تسعى في مساعدة من المملكة العربية السعودية؟ فتذكرت ذلك وقلت له: أعرف أنها قد أرسلت إليكم.

وكنت عندما التقيت بهم في المرة السابقة وذكروا أنهم يتطلعون إلى مساعدة من المملكة. إسوة بغيرهم من المسلمين، وبخاصة في أستراليا المجاورة التي كان الفضل الأول بعد الله في المساعدة على إنشاء أكثر المساجد فيها للمملكة العربية السعودية.

وعندما عدت إلى المملكة سعيت فيما طلبوه. فوافقت الحكومة مشكورة على التبرع للجمعيات الإسلامية في نيوزلندا بخمسمائة ألف ريال سعودي. ويساوي ذلك حوالي مائة وخمسين ألف دولار أمريكي وقد قسموها على الجمعيات الخمس في نيوزلندا، وذكر الأخ رشيد أن نصيب جمعيتهم وهي الجمعية الإسلامية في (أوكلاند) كان اثنين وستين ألف دولار أمريكي، وهو أكبر مبلغ من التبرع مما تلقته الجمعية على الإطلاق.

كما أخبرني أن الإمام الذي كان الأخوة المسلمون في مدينة (وليقنون) طلبوا العمل على إرساله قد وصل بالفعل إليهم.

فحمدت الله على ذلك.

وقد لبثوا عندنا فترة من الوقت بحثنا معهم فيها الشئون الإسلامية في هذه البلاد وتناولوا فيها العشاء معنا في الفندق. ثم ذهبوا مع الأخ الشيخ محمد بن قعود ليروه المسجد الذي كنت رأيته من قبل.

* * * * * *

*** سعوديون في أوكلاند:**

بعد العشاء هتف بنا اثنان من الإخوة السعوديين وهما طبيبان كانا قد أنهيا دراستهما ويقضيان الآن فترة التمرين هنا وهما الدكتور أحمد المشيقح والدكتور خالد العمران وقالا: إن زميلاً لهما ثالثاً هو الآن في إجازة.

وقد علمنا بعد ذلك أن هناك غيرهم من السعوديين أيضاً مثل الدكتور صالح السماحي ولكنه في مدينة (كريست تشيرتش) وهذا أمر غير متوقع في هذه البلاد النائية لأنها تقع إلى الجنوب من (ولنقتون) في الجزيرة الجنوبية من نيوزلندا.

يوم الاثنين: ١٥ جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٨/ ٢/ ١٩٨٣م.

أمضيت أول هذا الصباح في التمشي مع زميلي الشيخ محمد بن قعود فيما قرب من فندقنا من القلب التجاري لمدينة أوكلاند، وقد أعجبنا بالأرصفة العريضة التي تشهد حالتها الجيدة على أنها قد أعطيت حظها كاملاً من العناية والإصلاح إلى جانب النظافة التي تفوق ما هو موجود في مدينة (سدني) كبرى المدن الأسترالية بكثير.

وهذه العناية بالشوارع والأرصفة والأماكن العامة قد صاحبها رخص في الأسعار على وجه العموم بالنسبة إلى الأسعار في أستراليا.

فنيوزلندا من هذه الناحية قد جمعت مرافق البلاد الغنية، ورخص البلاد الفقيرة أو المتوسطة وقل مثل هذا عن الناس وحسن معاملتهم بعضهم

لبعض وللغريب مثلي، حتى إن المرء إذا رأى لطف العاملين في الفندق أخذ يعصر ذهنه ويقول: لماذا يعاملونني هكذا؟ أأنا صديق لهم قديم أنسيت صداقتهم؟

* * * * * *

* المركز الإسلامي لجنوب أوكلاند:

هذه جمعية إسلامية جديدة لم أزرها في المرة السابقة أو هي على الأدق فرع من الجمعية الإسلامية النيوزيلندية في أوكلاند والاسم الرسمي لهذا المركز هو كما هو مكتوب على واجهة المركز بالإنكليزية (نيوزلندا مسلم اسوسيشن سوث أوكلاند.إسلامك سنتر).

والقصد من إيجاد هذا المركز في جنوب أوكلاند هو وجود عدد من المسلمين الذين يحتاجون إلى أداء العبادة والمعرفة الدينية ويشق عليهم الذهاب إلى جامع أوكلاند للصلاة لتفرق المدينة و تباعد أحيائها.

حضر إلينا الأخ محمد جلال الدين وهو فيجى الأصل نيوزلندي الجنسية ومعه الأخ (نوري عبدالعزيز بن فايد) وهو ليبي الأصل أسترالي الجنسية، ونعم الرجل هو. ومن الطريف أنه يرتدي الملابس العربية وقد رأينا قميصه عربياً أبيض يميل إلى القصر: وعلى رأسه (طاقية بيضاء) وقال بحضور عدد من الإخوة المسلمين: إنه قد مضت عليه مدة طويلة وهو هكذا لا يرتدي غير الملابس العربية سواء في أستراليا أو في نيوزلندا. وهو مقيم في نيوزلندا للدعوة والإرشاد مع أنه أسترالي الجنسية، وهو يستطيع ذلك بسهولة شأنه شأن المواطنين الأستراليين الآخرين الذين يحق لهم أن يقيموا في نيوزلندا.

ويقع هذا المركز بالقرب من مطار (أوكلاند) لذلك حملنا أمتعتنا لكي نسافر إلى (ولينقتون) العاصمة بعد زيارته لأنه واقع في حي (مونقري) بقرب المطار.

وجدناه في بيت صغير اشتراه مع أرض واسعة تابعة لـه بسـبعة وثلاثـين ألف دولار فقط وفي آخر الأرض بيت آخر بُنِيَ في الأصـل ليكـون مسـكناً للحارس، وحظيرة للسيارة.

ومن الطريف أننا وجدنا أرضه خضراء، خضرة طبيعية يصعب على المرء السير فيها لكثافة أعشابها لأنها قد تركت مدة بدون أن تقطـع أو يحـد منهـا. وهي كلها أعشاب وحشية وفيها زهور صفر نابتة بدون بذر.

قال الأخ (محمد جلال الدين) لقد اشترينا البيت هكذا وجعلنـا القاعـة الرئيسية فيه مصلى بعد أن أزلنا الحواجز ما بينها وبـين الغـرف الأخـرى ولم نضف أكثر من ذلك إلا في محلات الوضوء حيث جعلناها سهلة للمتوضئين يتوضأ المسلم منها وهو جالس وما عدا شيئاً واحـداً أحضرنـاه كلـه بطبيعـة الحال وهو المنبر الذي يخطب عليه الإمام يوم الجمعة.

وقال: إن هناك ثلاثين أسرة مسلمة تقطن في حي مونقري، هـذا وتنتفـع من المسجد على صغره. ومن لطيف الأمر في هذا البيت من بيوت الله في هذه البلاد من بلاد الله النائية عن الحواضر الإسلامية أننا وجدنا فيه لافتة وحيدة قد كتبوا فيها الحروف العربيـة. وذلـك لتعلـيم الحـروف العربيـة للأطفـال المسلمين ومن يريد ذلك من الكبار. وهذا له معنى عظيم.

ولا يقال إنهم كتبوها من أجلنـا لأن المسـجد لم يفـتح بعـد يـوم الجمعـة الماضية وهم لم يعرفوا بأننا سنأتي إلى نيوزلندا إلا أمس.

* * * * * *

*** الشرطة في المسجد:**

مما يدل على أن هذا المسجد لم يفتح إلا يوم الجمعة أننا وجدنا عنده ضابطاً وجندياً من الشرطة و معهما غـلام مراهـق وقـال الضـابط: إن هـذا الغـلام

أخبرنا أن هناك صبياناً قد كسروا زجاج الباب في هذا المنزل - يريد المسجد لأنه ليس له منارة وليس لديهم رخصة باتخاذه مسجداً - وأن أولئك الصبيان يجتمعون فيه على أشياء غير طيبة، ورأيناه معهم لم يصبه ضرر إلا في زجاج الباب.

وقال الأخ محمد جلال الدين: إننا لم نقل لهم إنه مسجد لأن معنى هذا أنه لا بد من هدمه ثم إعادة بنائه على أساس أن يكون محلاً عاماً وذلك له شروط صعبة في هذه البلاد. ولا نقوى على هدمه وإعادة بنائه.

وقال: إن الاستعمال الخاص أيسر شروطاً في البناء من الاستعمال الجماعي.

ولا يسمحون لبناء رخصته في الأصل أن يكون منزلاً خاصاً بأن يجعل معبداً. أي: مسجداً لأن ذلك يقتضي مواقف ومرافق واستعداداً كبيراً.

وعلى أية حال فقد نصح الضابط بأن لا يبقى خالياً بل يسكن فيه أو يصان صيانة تامة حتى يمنع دخول أولئك الصبيان أو أمثالهم إليه.

وقد أخبرونا أنهم يقيمون فيه صلاة الجمعة. أما الأوقات الخمسة فإنهم لم يجدوا له إماماً إضافة إلى قلة عدد المصلين كما أن الأخ (نوري بن فايد) هو الذي يخطب فيهم خطبة الجمعة.

* * * * * *

* مع رئيس الجمعية الإسلامية:

كان الأخ فضل الدين بركار رئيس الجمعية الإسلامية في تسمانيا قد هتف بنا من بيته الليلة البارحة وقال: إنه علم بوجودنا في هوبارت من بعض المسلمين في ملبورن وأنه سيحضر لدينا الآن إذا كنا نود ذلك فشكرنا له قوله واتفقنا معه على أن يحضر إلينا اليوم الأحد.

وقد حضر في هذا الصباح وهو كاسمه رجل فضل ودين أصله من بومبى في الهند، ويعمل الآن مفتش ضرائب في الحكومة وهو إلى جانب عمله في رئاسة الجمعية فإنه الإمام الرسمي للمسجد محتسباً في ذلك الأجر من الله تعالى لا يبتغي ثواباً غير ذلك حتى إن الجمعية كانت قد خصصت له مبلغاً من المال بمثابة التعويض عن وقته وعن محروقات سيارته التي ينفقها في الذهاب إلى المسجد والعودة إلى بيته الذي يبعد كثيراً عن مقر المسجد فأخذ ذلك لمدة يسيرة ثم رفض أخذه احتساباً للأجر من الله وحده.

وقد حضر معه الأخ (حمزة صيام) أمين الجمعية الإسلامية وهو تاجر أو من رجال الأعمال كما يعبر عن ذلك عوام الكتاب في الوقت الحاضر وقد هاجر إلى هذه البلاد من مدينة (كيب تاون) في جنوب أفريقية.

فذهبنا مع الأخوين الكريمين إلى المركز الإسلامي في المدينة وهو المركز الإسلامي الوحيد في جزيرة تسمانيا كلها كما أن الجمعية الإسلامية هذه التي تشرف عليه هي الجمعية الإسلامية الوحيدة كذلك في كل أنحاء الجزيرة. وذلك لقلة سكان الجزيرة على وجه العموم ولقلة المسلمين فيها.

* * * * * *

* **المركز الإسلامي**: دخلنا إليه مع فناء واسع فيه أشجار عالية خضر وأطفال من أبناء المسلمين يلعبون إحدى الألعاب الرياضية وذلك لأن اليوم هو يوم الأحد العطلة الأسبوعية ويحرص المسلمون على إحضار أولادهم معهم إلى المركز الإسلامي حتى يستفيدوا من ذلك دروساً في أمور دينهم ويقضوا وقتاً من فراغهم فيه. وكان المطر يهطل رذاذاً في هذا اليوم ولقد أخبرونا أنهم لم يشهدوا يوماً ماطراً مثل هذا اليوم منذ مدة مع أن بلادهم تشهد أمطاراً غير كثيفة في غير موسم المطر الذي هو في فصل الشتاء.

والمركز بيت مؤلف من طابقين على مدخله لافتة خضراء تحمل اسمه بالإنكليزية (المركز الإسلامي في تسمانيا) أو (إسلامك سنتر تسمانيا) وفوق ذلك الشعار الإسلامي وهو الهلال والنجمة وفوق ذلك كله البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم).

وقد اشتروه في عام ١٩٨٠م باثنين وستين ألف دولار كان عمادها معونة من المملكة العربية السعودية قدرها خمسة وعشرون ألف دولار أضافوا إليها مساعدة جاءت من الكويت وماليزيا والبقية من تبرعاتهم الخاصة.

ويتألف المركز من مصلى جيد الإعداد فيه مدفأة قالوا إنهم يستمرون في إشعالها مدة ستة أشهر كاملة وتقع في الطابق الأعلى وفي هذا الطابق أيضاً غرفة فيها ثلاجة مليئة بالدجاج الذي ذبحه مسلمون يبيعون منه على المسلمين ويضيفون على ثمنه زيادة طفيفة تذهب لمصالح المسجد. وبمناسبة الحديث عن الدجاج وجدنا أنها أغلى مما هي عندنا مرتين، ولا أعرف سبب ذلك وليس كذلك بسبب رخص الدجاج المستورد وإنما هو أيضاً بالنسبة إلى ثمن الدجاج الذي يربى في المملكة.

وفيه غرفة للضيوف وكل ذلك مفروش بالسجاد الموحد (الموكيت) حتى الدرج.

وفي المسجد عقدنا جلسة طيبة مع رئيس الجمعية ونائب الرئيس الأخ (رفعت عطار) وهو تتري هاجر من روسيا بعد تسلط الشيوعيين عليها وعدد قليل من المسلمين.

وكان مما قالوه: إنهم يحتاجون إلى توسعة المسجد نظراً لكون المسلمين يزيدون الآن. وعندما سألتهم عن سبب هذه الزيادة؟ أجابوا: أنها الزيادة الطبيعية والهجرة من أنحاء أستراليا إلى هذه الجزيرة ودخول عدد جديد من

غير المسلمين في الإسلام إلا أن هذا الأمر قليل مع الأسف لأنه يحتاج إلى دعاة متفرغين لا يوجدون في هذه الجزيرة.

وذكروا أن تقدير التكلفة لهذه التوسعة (٤٥) ألف دولار جمعوا منها حتى الآن عشرة آلاف والتوسعة هي إضافات إلى المسجد من رواق في أسفل البناء يريدون إدخاله في الطابق الأسفل وإدخال شرفة فوقه إلى المسجد في الطابق الأعلى. وقد لاحظت في ركن المسجد مدفأة كهربائية أخرى غير الأولى فسألتهم عن ذلك فأجابوا أنهم يحتاجونها في شدة البرد لأن الثلوج تنزل في الشتاء والمدفأة الواحدة لا تكفي.

وبعد ذلك قمنا بجولة في أرض المركز التي تبلغ مساحتها ألفي متر مربع فيها حديقة أمامية وخلفية. وسط منطقة سكنية فسألتهم بهذه المناسبة عن جيرانهم هؤلاء من غير المسلمين وعما إذا كانوا يجدون منهم مضايقة أو ما إذا كانوا يحسون أن جيرانهم يتضايقون منهم. فنفوا ذلك كله وقالوا: إننا لا نحس بشيء من ذلك مطلقاً.

وقالوا أيضاً إن علاقة الجمعية الإسلامية مع الحكومة المحلية جيدة.

* * * * * *

*** المسلمون في تسمانيا:**

يبلغ عدد السكان المسلمين في الجزيرة ثلثمائة شخص نصفهم تقريباً من المقيمين في تسمانيا المتجنسين بالجنسية الأسترالية ونصفهم من الطلاب الذين قدموا من بلاد إسلامية بخاصة ماليزيا وباكستان.

ويؤدي صلاة الجمعة في مسجد المركز عدد يتراوح ما بين مائة شخص ومائة وعشرين شخصاً، كما يؤدي صلاة التراويح في ليال رمضان حوالي أربعين شخصاً في كل ليلة. ويتألف المسلمون من الهنود واليوغسلافيين

والماليزيين ومن سكان المناطق الإسلامية في روسيا ومنهم أربع أسر عربية قال لنا إخواننا وهم يأسفون لذلك: إن حضورهم إلى المسجد ليس كثيراً ما عدا واحداً منهم وقالوا: إنهم يدفعون رسم عضوية الجمعية وقدرها عشرة دولارات في السنة.

ويبلغ سكان مدينة هوبارت عاصمة تسمانيا حوالي مائة ألف شخص من مجموع سكان الجزيرة كلها الذين يبلغ عددهم مائتين وخمسين ألفاً.

* * * * * *

*** سكان تسمانيا:**

سكان تسمانيا بأغلبيتهم الكبيرة من الأوروبيين البيض وأكثرهم من الجزر البريطانية وربما كان أكثر هؤلاء فيها هم من الإنكليز.

ولا يوجد بينهم أسود أو ملون إلا عدد لا يستحق الذكر من هؤلاء أي الملونين وهم بأغلبهم من أهل القارة الهندية ولكن المرء لا يراهم ظاهرين لقلتهم. وأما السود فإنه لا يوجد فيها منهم أحد لأن المفهوم في مثل حالة هذه الجزيرة أن يكون السود فيها من إحدى طائفتين: إما من الأفارقة من سكان المستعمرات البريطانية وهؤلاء غير موجودين لأسباب منها أن حكومة أستراليا كانت قبل مدة طويلة قد سارت على سياسة مرسومة في عدم السماح للسود بالهجرة إلى أستراليا وحتى الملونون من أهل القارة الهندية والصفر من الصينيين وأشباههم لم يكن يسمح لهم بالهجرة إليها وذلك اتقاء منها لمشاكل لونية وعرقية قد تحدث فيها في المستقبل إذا سمح بالهجرة لأولئك السود والملونين إضافة إلى أنها بلاد باردة لا يناسب جوها طبيعة المهاجرين الأفريقيين في ذلك الحين. وإن كان هذا لم يمنعهم من العيش في المناطق الباردة في الولايات المتحدة.

والطائفة الثانية من السود الذين قد يحتمل أن يكونوا موجودين في (تسمانيا) هي طائفة السكان الأستراليين الأصليين الذين يسميهم الأستراليون (أبو ريجنال) بمعنى السكان الأصليين وهم موجودون في أنحاء القارة الأسترالية حتى الآن وهم سود الألوان إلا أن بعضهم سواده غير حالك وإنما هو مثل سواد أهل القارة الأفريقية التي تقع بلادهم جنوب الصحراء مباشرة. وهؤلاء كانوا موجودين في تسمانيا عند وصول الرجل الأبيض فقضى عليهم الأوروبيون قضاءاً تاماً وقتلوهم قتلاً.

وكان من أهم الأسباب التي قدموها لهذا العمل الإجرامي أن السكان السود يقتلون أغنام الأوروبيين لكونهم لم يعتادوا على رؤيتها فالأسترالي الأصلي لم يكن يعرف الأغنام ولا الأبقار فضلاً عن الإبل والحمير، ولم يكن في القارة الأسترالية من ذلك شيء قبل وصول الأوروبيين إليها. وإنما كانوا يعتمدون في اللحوم على الصيد الذي منه السمك من البحار والأنهار، ولحم الكنقرو حيوان أستراليا المميز لها الذي لا يوجد في أية قارة غيرها في العالم.

۞ بالي جزيرة الأحلام[1]

إن إندونيسيا أكثر بلاد المسلمين سكاناً، وربما كانت أوسعها مكاناً، إذا حسبنا معها ما بين جزرها من بحر وخليج، وذلك بأن جزرها تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي مسافة تعادل المسافة التي تفصل بين جدة على البحر الأحمر ولندن في أقصى غرب القارة الأوروبية.

وقد زرتها أكثر من مرة، وكتبت عنها كتابين كبيرين بالنسبة إلى كتب الرحلات، وذلك ليس بكثير على تلك البلاد المسلمة، ولكنني وجدت فرصة لزيارة جزيرة من جزرها الكُثُر واقعة بين قارتي آسيا وأستراليا، ولها حالة خاصة من حيث إن أكثرية سكانها من غير المسلمين، وهذه الحال قد يكون موجوداً لها ما يماثلها في تيمور الشرقية و (إيريان جايا) الضخمة التي هي كانت غينيا الغربية، وكان اسمها إبان الاستعمار الهولندي غينيا الجديدة الهولندية.

ولكن الشيء الذي يميز جزيرة (بالي) هو شيء يعيبها عندنا، وإن كان لا يمنعنا من زيارتها، وهو أن أكثرية السكان فيها هم من الهندوكيين أو الهندوس باصطلاح الإنكليز الذين سموا أتباع الديانات الكفرية القديمة في الهند بالهندوس، على اختلاف مذاهبهم في تلك الديانات، وكثرة الفروق التي بينهم فيها، حتى إن بعضهم يكفر بعضاً، ومن أقرب ذلك وأظهره أن (راون) الذي يزعم أهل جنوب الهند أنه إلههم، أو كبير آلهتهم، يزعمه أهل

---

(١) انظر: الطبعة الأولى لهذا الكتاب. والتي طبعت عام: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، وقد طبع بمطبعة النرجس التجارية بالرياض.

وسط الهند فضلاً عن شمالها شيطاناً من الشياطين لكونه آذى إلههم أو كبير آلهتهم (رام)، فاختطف زوجته الجميلة (سيتا)، وهرب بها إلى جزيرة (لنكا) التي هي سيلان، المسماة الآن (سريلنكا)، ولم تعدها إليه إلا شهامة القرد (هانومان) الذي أخذ بذنبه ناراً واجتاز البرزخ البحري الذي يفصل بين الهند و سريلنكا فأحرق الجزيرة بتلك النار التي معه، وأعاد (سيتا) إلى زوجها (رام).

ولذلك رأيت بنفسي أهل مدينة (أندور) في ولاية (مد هي بريديش) بمعنى الولاية الوسطى لكونها واقعة في وسط الهند، يقيمون تماثيل من الأعواد والخشب، ويلبسون الخيش لـ(راون)، ثم يحرقونها بين صراخهم وزعيقهم، يزعمون بذلك أنهم يحرقون (راون) خصم إلههم (رام) وغريمه؛ ولذلك عبدوا القرد (هانومان)، وشيدوا له معابد متعددة ظاهرة في أنحاء الهند الوسطى والشمالية، وخصصوا يوماً في السنة يسمونه عيد هانومان، أو (هانومان داي)، تعطل فيه المدارس والشركات والمؤسسات أعمالها.

وقد صادف أن كنت في مدينة (لكنهو) عاصمة ولاية (أترا بريديش) بمعنى الولاية الشمالية، وهي أكثر الولايات الهندية سكاناً، إذ يبلغ عددهم الآن (١٣٩) مليوناً، فحل عيد هانومان وأنا فيها، فرأيت كيف يجتمعون حول معبد القرد الذي تتصدره صورة ضخمة له، وشاهدت كيف يتعبدون له، ويتقربون إليه بأن يزحف الواحد منهم على صدره فوق رصيف الشارع حتى يصل إلى المعبد، وكلما بعد موضع ابتداء زحف المرء منهم إليه عظم أجره من هانومان، لأنه صار مقرباً إليه أكثر.

والحمد لله على نعمة العقل والدين.

ولم يكن أسلافنا المؤرخون من العرب المسلمين يسمونهم هنادك أو هنادكة، وإنما كانوا يسمونهم كفار الهنود، وهذه أصدق تسمية لهم، لما سبق.

وتلك الاختلافات في هذه الديانة التي تعرف الآن بالهندوكية في الهند نفسها. أما في جزيرة (بالي) التي هي جزيرة كافرة في محيط إسلامي، فإن الخلاف أكثر وأظهر.

ومن أوضح ذلك أن الهنادكة من أهل الهند لا يأكلون اللحم، ولا يجيزون ذبح الحيوان، وأما الهنادكة في (بالي) فإنهم يأكلون لحم الخنزير أكلاً لمّاً، قد رأيتهم يبيعونه ويأكلونه في السوق مطبوخاً.

******

* سبب زيارة (بالي):

لم يكن السبب في زيارة جزيرة بالي هو كون الهنادكة فيها أغلبية – بطبيعة الحال – ولا كون المسلمين فيها أقلية، لأنهم في جزء من بلادهم ذات الأكثرية الغالبة من المسلمين، وإنما كان ذلك لخصائص في هذه الجزيرة قرأت عنها كثيراً.

ومن ذلك ما ذكره الغربيون في صحفهم ومجلاتهم، ومنها مجلة (ريدرز دايجست) التي كانت تصدر طبعتها العربية من القاهرة.

فكانوا ينوهون بها، وبعراقة التقاليد الباقية فيها، وبخاصة ما يتعلق بالرقص التقليدي لأهلها الذي يقولون: إنه فريد في بابه، وإنه يرمز إلى حكايات وأساطير لا توجد في غيرها.

ولولا ذلك لقلنا: إنهم متحيزون لهذه الجزيرة الإندونيسية لمجرد كون أكثرية السكان فيها هم من غير المسلمين، غير أننا صرنا نشاهد طوائف من

الشرقيين من اليابانيين والمهاجرين الصينيين خارج الصين من أهل (هونغ كونغ) أو سنغافورة وتايوان يسافرون إليها، بل يخصونها بالسفر، ويرغبون في قضاء الإجازة فيها دون غيرها من الجزر الإندونيسية وغير الإندونيسية.

وهؤلاء لا نتصور أنهم يتعصبون للمذهب الهندوكي، فضلاً عن أن يميلوا إليه، فصاروا ينظمون الرحلات السياحية إليها من تلك العواصم، تقلع الطائرات منها وتنزل في (بالي)، ثم تعود كذلك من دون أن تمر بالعاصمة جاكرتا، حتى إن لها رحلات من طوكيو خاصة، رغم البعد الشديد، وذلك لكون الجزيرة ذات جو استوائي طول العام، وكون أجزاء منها لا تزال كالطبيعة العذراء، وفوق ذلك فهي تحفل بآلاف من أنواع النبات الغريب الذي يقل نظيره أو يعدم في أي مكان آخر من المنطقة، وذلك رغم كونها ذات زلازل تزورها، فتهز بعض أنحائها في بعض الأحيان.

وقد قرأت عدة مقالات تتحدث عن بعض تلك الزلازل، وعن عواقبها على النبات والحيوان والحشرات، فذكرت أنها ما إن ينتهي الزلزال الذي يمحق النبات، بل ينهي مظاهر الحياة في المنطقة التي يصيبها، حتى تسرع الحياة إليها فتزدهر أكثر مما كانت مزدهرة في بضع سنين، وتعود إليها الطيور والحشرات، بل وأنواع المخلوقات الغريبة، حتى تعود أحسن مما كانت قبل الزلزال.

وفيها ميزة مهمة عند طلاب العطلات من سكان البلدان الباردة في الشتاء كاليابان، وهي أنها ذات شواطئ رملية فيها فنادق كثيرة رخيصة، بل مناسبة لكل المستويات، والخدمات فيها رخيصة جداً، بالنسبة إلى ما اعتادوا عليه من غلاء المعيشة في بلادهم.

كل ذلك حملني على التطلع إلى زيارة هذه الجزيرة، وشوقني إليها.

وقد وجدت فرصة سانحة لذلك في المرور بها في الطريق إلى مدينة (دارون) الواقعة في شمال القارة الأسترالية، إذ لم نجد خطاً متيسراً لدارون إلا بالمرور بجزيرة (بالي) هذه.

إننا لسنا كالغربيين من الأوروبيين والأمريكيين، بل الشرقيين من اليابانيين الذين يسمون (بالي) (جزيرة الأحلام) لأن أكثرهم يحلمون بزيارتها، ولكننا نزورها من واقع محبتنا في الاطلاع على أنحاء من الوطن الإسلامي الكبير، ولكون جزيرة (بالي) رغم وجود الأكثرية فيها من غير المسلمين فيها أقلية مسلمة نشطة، كان الناس في بالي يزعمون أنها من العرب، وهي وإن لم تكن كلها ذات أصل عربي، فإن فيها من إخواننا العرب الحضارم نسبة لا بأس بها، كما سيأتي بيانه في المشاهدات.

******

❊ إندونيسيا في سطور:

تعتبر جزر إندونيسيا أكبر أرخبيل في العالم، وتتكون من خمس جزر كبرى تسمى جزر الصوندا الكبرى، حوالي ٣٠ مجموعة من الجزر الصغرى، من بينها جزر الصوندا الصغرى، يبلغ عددها الإجمالي: ٦٧٧ , ٣ جزيرة، من بينها ٠٠٠ , ٦ جزيرة مأهولة.

واسم إندونيسيا مركب تركيباً مزجياً من كلمتين يونانيتين هما (إندوس) ومعناها: الهند، و (نيسوس) ومعناها: الجزر، وبذلك يكون معناها: (جزر الهند)، وتقع ما بين الخط ٩٥ وخط ١٤١ خط طول شرقي، ومن الشمال إلى الجنوب ما بين خط ٦ شمال خط الاستواء وخط ١١ جنوبيه، وهي محصورة

بين المحيط الهندي والمحيط الهادئ (الباسفيك)، وتكاد تكون جسراً بين قارتي آسيا وأستراليا.

وكان لموقعها الجغرافي هذا أثر على نمطها الحضاري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتقدر مساحة اليابسة منها بـ: ٠٠٠ , ٧٣٥ ميلاً، بينما مساحة مياهها أربعة أضعاف اليابسة، وتنبسط هذه الرقعة الجغرافية من الشرق إلى الغرب بطول ٢٠٠ , ٢٣ ميل.

أما الجزر الخمس الكبرى فهي: (سومطرا) ومساحتها: ٠٠٠ , ١٨٠ ميل، ثم (جاوا) ومساحتها: ٢٠٠ , ٥١ ميل، وتعتبر جاوا أكبر الجزر من حيث الكثافة السكانية وخصوبة التربة، ثم جزيرة كاليمنتان وتغطي ثلثي مساحة جزيرة بورنيو المقسمة بين إندونيسيا في الجنوب وماليزيا في الشمال، ومساحتها ٠٠٠ , ٢٠٨ ميل، ثم جزيرة سولاويسي ومساحتها ١٥٠ , ٧٣ ميل، ثم إيريان جايا، (وتمثل القطاع الإندونيسي من جزيرة غينيا الجديدة)، ومساحتها: ٢٠٠ , ١٦٢ ميل، أما غير ما ذكر فهي جزر صغيرة نسبياً.

وتغطي مناطق اليابسة في إندونيسيا عموماً، غابات الأمطار الاستوائية الغزيرة، حيث يزيد من خصوبة الأرض الخصبة هناك الطفح البركاني المستمر، كالمشاهد في جزيرة جاوا مثلاً، ويوجدفي جاوا وحدها ١١٢ بركاناً، خمسة عشر بركانا منها ما زالت عاملة ناصبة، تقذف الحمم الحامية، وهذه الحمم التي يطفح منها ذات قدر عال للتخصيب، وتمتاز جزيرة جاوا بأن شطآنها الشمالية لا يعكر صفوها المستنقعات مثل سواحل سومطرا الشرقية، ولا ركام الصخور المرجانية مثل سولاويسي. ويوجد في سومطرا الطفح البركاني أيضاً، إلا أنه يشوبه بعض الأحماض مما يقلل من قدر تخصيبه، إذا ما قورن بجزيرة جاوا، ويقل وجود السهول في الجزر الإندونيسية، إذ لا توجد

إلا في السواحل وفي أحواض الأنهر، أما المرتفعات فتوجد في أكثر الأماكن، وموقعها بالقرب من المناطق الجبلية طبعاً.

وتقوم في إندونيسيا سلاسل جبال، لا يقتصر وجودها على البر فقط، ولكن في أعماق البحار أيضاً، وأما السلاسل الكبرى فهي:

١ - سلسلة سومطرا وجاوا ونوساتنقارا.

٢ - سلسلة ما حول بحر باندا العميق.

٣ - سلسلة سولاويسي - ماندو - سانغيهي - تالاود - الفلبين.

٤ - سلسلة إيريان جايا - كاليمنتان.

أما الموجودة فوق سطح الأرض فهي كالآتي:

١ - سلسلة جبال بوكيت باريسان في سومطرا.

٢ - منطقة جبال (تنقر) - (دييغ) - (ايجين) في جاوا.

٣ - منطقة جبال (كابواس هولو) - (موللر) - (سخوانير) - (مراتوس) في كاليمنتان.

٤ - منطقة جبال (مولنغراف) - (بومبانغيو) - في سولاويسي.

٥ - جبال إيريان جايا ذات القمم المكسورة بالجليد المستديم.

وتوجد في هذه المناطق بحيرات رائعة، مثل بحيرة (توبا) وأخرى أن تسمى (طوبى) و(سينكاراك) و (ماينجاو) و (راناو) في سومطرا، وبحيرات (بوسو) و (تونداو) و (تيمبس) و (ماتانو) و (تاووتي)، وكلها في سولاويسي و(داناو باتور) في بالي.

وتعتبر تلك الجبال والبحيرات المنابع الثرة للأنهر، وأنهر إندونيسيا فسيحة وطويلة ذات جدوى ملاحية، إلى جانب مهمتها في الري، من ذلك

نهر (موسي)، (باتانغ هاري)، و (اندراقيري) و (سياك)، و (ماهاكام)، وكلها في كاليمنتان، ونهر (ديقول)، و(مامبرانو) في إيريان جايا، ونهر (بينغاوان)، و(برانتاس) في جاوا.

* الإسلام والمسلمون في بالي:

عندما أردت طباعة هذا الكتيب، وكانت مضت على كتابته مدة طويلة لم أتمكن خلالها من العودة إلى جزيرة (بالي) وتجديد المعلومات عنها، طلبت من الشيخ (محمد تيجاني جوهري) وهو شيخ إندونيسي من تلاميذي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وعندما تخرج منها عمل في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وكان زميلاً لنا في رابطة العالم الإسلامي لسنوات عديدة، وقد عرفته بالصدق بالقول، ودقة الملاحظة، أن يكتب لي بما استجد في (بالي)، وأن يشرح الأمور الإسلامية شرحاً وافياً، وهو مدير معهد الأمين الإسلامي، وهو معهد كبير يقع في جزيرة مادورا في إندونيسيا، وكنت ظننت أنه سوف يتصل بإحدى الجمعيات الإسلامية الكبيرة في إندونيسيا التي لها فرع في الجزيرة فيحصل منها على المعلومات المطلوبة، ولكنه جزاه الله خيراً أبى إلا أن يقف بنفسه على الوضع في الجزيرة، ويرسل إلي التقرير من جزيرة (بالي) نفسها، وذلك رغم بعدها عن مكان إقامته في جزيرة مادورا، أثابه الله وزاده حرصاً على الخير، فسافر ومعه اثنان من حملة الدكتوراه إلى بالي لهذا الغرض، وقدم لي التقرير المرفق، وقد رأيت أن أثبت جميع ما جاء في تقريره، حتى خط السير إلى بالي.

* * * * * *

* الإسلام والمسلمون في جزيرة بالي (إندونيسيا):

المقدمة:

تلقيت يوم ٣ محرم ١٤٢١هـ من الأخ الأستاذ عبد الرحيم جمال الدين الذي يقيم في مكة المكرمة مكالمة هاتفية، تبعتها رسالة الفاكس برغبة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة في الحصول على معلومات وافية عن دخول الإسلام إلى جزيرة بالي، وعن أوضاع المسلمين من حيث عددهم، والجمعيات والمنظمات الإسلامية القائمة، والمشكلات التي تواجههم في نشر الدعوة الإسلامية بالمنطقة. وتنفيذاً لهذا التوجيه تم ترتيب زيارة وجولة إلى جزيرة بالي بمرافقة كل من:

١ - الدكتور ندوس الحاج شرقاوي ظافر - رئيس قسم البحوث والدراسات والتطوير بمؤسسة معهد الأمين الإسلامي.

٢ - الدكتور ندوس هشام القادري - المحاضر بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية التابع لمعهد الأمين الإسلامي، وهو أصلاً من بالي، وقد انتقل إلى جزيرة مادورا في عام ١٩٧٣م.

قمنا بهذه الزيارة براً بسيارة خاصة قاطعة المسافة بين معهد الأمين وجزيرة بالي ذهاباً وإياباً والتي بلغت ١٨٠٠ كلم مروراً بمضيقي مادورا وبالي، واستغرقت الرحلة من أولها إلى آخرها ستة أيام، وفيما يلي تقرير موجز عن هذا الموضوع:

* **خط الرحلة وفعاليتها:** قضينا اليوم الأول للرحلة لقطع المسافة بين مادورا ونقارا بجزيرة بالي التي وصلنا إليها قرب منتصف الليل حسب

توقيت إندونيسيا الوسطى المستخدم في منطقة بالي، مع فرق قدره ساعة واحدة بينه وبين توقيت إندونيسيا الغربية.

توجهنا مباشرة فور وصولنا إلى مدينة (نقارا) إلى منزل السيد مصطفى القادري الشقيق الأكبر لمرافقنا الدكتور ندوس هشام القادري، وهو إحدى الشخصيات الإسلامية البارزة في بالي.

في اليوم الثاني جمعنا السيد مصطفى القادري بالأستاذ فتح الرحيم الذي تولى مرافقتنا حتى محافظة (تبانن) وهو مدير معهد منبع العلوم للبنات (من أوائل المعاهد أنشئ عام ١٩٣٠م) والنائب الأول لعميد المعهد العالي لعلوم التربية الإسلامية في نقارا.

كانت زيارتنا شاملة لمحافظة (جمبرانا) حيث زرنا ١٢ معهد ومدرسة وهيئة لرعاية الأيتام والمساكين، وممن قابلناهم خلال ذلك داعية الرابطة بالميناء الشرقي لجزيرة بالي (قيلى مانوك) الأستاذ صفر فوزان، وكان من أنشطته إدارة معهد الصديقية والإسهام في الإشراف على المدرسة الدينية الواقعة بجوار منزله، وإلقاء المحاضرات والدروس لبعض الفرق التي قام بتكوينها، كما قابلنا مسؤولي المعهد العالي لعلوم التربية الإسلامية، ورئيس مجلس العلماء لجمبرانا، ومدير معهد الحكمة الحاج محمد ياسين، والحاج عبد الله مدير معهد المشهور، وهو أحد تلاميذ الدكتور محمد علوي المالكي، وفضيلة الشيخ الحاج عبد الرحمن مدير معهد دار التعليم الذي أنشئ عام ١٩٤٢م في عهد الاستعمار الياباني، وهذا الشيخ كان مقيماً في مكة المكرمة في الثلاثينيات، وهو شيخ كبير بلغ عمره نحو ٩٠ سنة، ومع ذلك فإنه ما زال يتمتع بلسان فصيح، وسماع صحيح، ماشاء الله، كما اجتمعنا بفضيلة الشيخ الحاج تفصيل أحد خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو من

مسؤولي معهد نور الفلاح بمدينة نقارا.

وفي اليوم الثالث قمنا بجولة في مدينة (تبانن فكديري) فالعاصمة (دنبسر) وانتهاء بمدينة (كالونكوج) بدأنا الرحلة بمعهد لا ريب لرعاية الأيتام (بالي بنا إنساني) ومديره الأستاذ كتوت عماد الدين جمال، وهو الذي رافقنا خلال رحلة هذا اليوم واليوم الذي بعده، ويعتبر هذا المعهد من أحسن المعاهد تنظيماً وهو ينظم مدرسة دينية أولية ووسطى، إضافة إلى الثانوية والعالية.

وكان من بين أعضاء سلك تدريسه ثلاثة من خريجي معهد الأمين الإسلامي، مما مكنه من تطبيق بعض البرامج التربوية اللاصفية في معهدنا، مثل تدريب الطلبة وتعويدهم على التحدث بالعربية وعلى الخطابة.

كانت الزيارة التالية لمعهد تحفيظ القرآن الكريم بمدينة (كديري) روضة الحفاظ، حيث يلتحق فيه نحو عشرين طالباً، وإضافة براعم الروضة مديره الحاج نور هادي، وهو أصلاً من جاوا الوسطى.

وبعده زرنا مكتب الإدارة الإقليمية للشؤون الدينية لجزيرة بالي بالعاصمة (دنبسر) حيث تباحثنا مع مسؤوليه حول شتى الموضوعات المتعلقة بالحياة الدينية، وعلاقة المسلمين مع غيرهم، والهيئات والمعاهد التابعة لهم. ثم واصلنا الزيارة لمكتب مجلس العلماء الإندونيسي لمحافظة بالي، حيث قابلنا رئيسه العام الشيخ سوهريو حبيب عدنان، وهو يعتبر عمدة المسلمين في الجزيرة (عمره ٨٠ سنة)، وتولى رئاسة مجلس علماء بالي منذ أول إنشائه ١٩٦١م إلى الآن، وكان في مقابلتنا كذلك بعض المسؤولين في المجلس وأحد دعاة الرابطة الشيخ محمد جميل الذي يقوم بأعماله الدعوية والتربوية في بعض المناطق النائية.

لقد حاول هؤلاء إقناعنا بأن المسلمين والهنادكة يعيشون في سلم وأمان طيلة هذه الفترة، وأنهم يمسكون زمام الوضع مع كبار المسؤولين الهندوكيين، بل ثمة مجلس يضمهم جميعهم للمحافظة على هذا الوضع السلمي الآمن، ولكن ما أخبرنا به مسؤولو إدارة الشؤون الدينية ومرافقنا يختلف عن ذلك، وسيأتي بيانه بالتفصيل لاحقاً.

ثم زرنا بعد ذلك معهد (ديبو نقورو) الإسلامي الواقع بمدينة (كلونكجونج) على بعد ٤٠ كيلو متراً من دنبسر، ويعتبر هذا المعهد هو الوحيد الذي يطبق اللغة العربية كلغة التخاطب والتدريس، لأن المنهج المطبق فيه مزيج بين مناهج معهد العلوم العربية والشرعية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بجاكرتا والمعهد العصري بكنتور الذي تخرج فيه أحد مؤسسيه الأستاذ عبد الله باهرمز رئيس مؤسسة الرحمة بجاكرتا حاليا، إضافة إلى ذلك فالمعهد يطبق منهج المدرسة العالية الدينية التابعة لوزارة الشؤون الدينية، وقد تحدثت أمامهم باللغة العربية كما ألقى أحد الطلبة كلمة ترحيب بالعربية الفصحى، ومدير هذا المعهد (الحاج معصوم) كان مقيماً ودارساً في مكة المكرمة في الأربعينيات، ومازال يتمتع بصحة جيدة ولله الحمد.

وفي اليوم الرابع توجهنا إلى مدينة كرنج اسم (أملابورا) مروراً بميناء العبور إلى جزيرة (لومباك)، وقمنا فيها بزيارة لأحد العاملين الشيوخ في مجال الدعوة وهو الحاج (هاشم أحمد) حيث تناقشنا حول مختلف الموضوعات ذات العلاقة بأحوال الإسلام والمسلمين عبر خلال ذلك عن انتقاده لبعض حالاتهم الاقتصادية والإدارية والاجتماعية.

كما زرنا معهد (الأمين) الديني الواقع بمسجد النور أحد المساجد الموجودة في المدينة، وهو الآن ينظم دراسة دينية وسطى، وهو مرحلة ما بعد الدينية الأولية، علاوة على روضة الأطفال والدينية الأولية القائمتين من قبل. ثم توجهنا بعد ذلك صوب مدينة (سنجاراجا) العاصمة السابقة لمحافظة بالي و (نوسانتجارا) وذلك عبر طريق ساحلي من شمال شرقي بالي وشمالها تحت جبل شعبان (كونوج أكونج) أعلى جبال الجزيرة، حسبما شاهدنا آثار انفجار بركانه عام ١٩٧٦م، وكان من المشاهد الفرق الكبير بين هذا الجزء الشمالي من الجزيرة وشرقها وجنوبها ووسطها، حيث قلت مظاهر المعابد والهدايا المقدمة للآلهة كما في بقية المناطق.

وفور وصولنا إلى (سينجارجا) توجهنا إلى بيت الحاج مصباح وهو طالب بمعهد الأمين، تخرج في معهد تربية المعلمين الإسلامية، ويواصل دراسته حالياً في إحدى الجامعات بسورابايا، وبمرافقته زرنا معهد إحياء علوم الدين بقرية (نقال لنجاه) الذي يضم روضة الأطفال والابتدائية والمتوسطة، علاوة على دار الأيتام.

وفي اليوم الأخير للرحلة، بدأنا بزيارة لمعهد الإيمان بقرية (بقايامن) على بعد ٩كلم من (سنجاراجا) في الطريق الجبلي المؤدي إلى العاصمة دنبسر، وكان مؤسسه هو مرافقنا الحاج كتوت جمال، ويتولى إدارته حالياً أخوه الشيخ محمد سرور الدين، ولكنه ما زال يتحمل نفقات هذا المعهد والأطفال والأيتام والمساكين الذين يدرسون فيه. ثم واصلنا سيرنا برفقة الحاج مصباح عبر الشاطئ الشمالي للجزيرة على طريق عودتنا إلى ميناء العبور إلى جاوا، قمنا خلال ذلك بزيارة لمبعوث الرابطة بمدينة (سرريت) الأستاذ عبيدالله الذي يقع منزله بجوار مكتب حاكم المأمورية الذي تعرض

للتخريب والإحراق من قبل مؤيدي الحزب الديمقراطي الإندونيسي النضالي للمتعصبين، وقد شهدنا أطلاله هو والمكاتب الحكومية الأخرى في (سنجاراجا) ومن خلال حديثه تبين أن نشاطه يدور حول التدريس في المدرسة الدينية العربية، وتنظيم حلقات الدروس المنتظمة للمسلمين رجالاً ونساء، ومن منجزاته أنه نجح في استخراج وثائق لأرض مساحتها قرابة هكتار تمهيداً لإقامة قرية إسلامية عليها.

وعقب ذلك توجهنا غرباً إلى قرية (فناباجن) حيث معهد نور الأيتام الديني الأولي ومرحلته المتوسطة. وبالقرب منه تقع مدرسة (نور النجاح) المشتملة على المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية (العالية)، وكان يشارك في إدارته أحد خريجي معهد الأمين زوج بنت مديره الحاج بصري، ومعه وزميله نفس خريجي معهدنا الأستاذ فوزان الذي قدم لهذا المعهد منذ أربع سنوات.

وبعده مباشرة فإننا في طريق العودة إلى مادورا مروراً بموانئ (قلى مانوك) ببالي، و (كتابنج) على الطرف الشرقي لجاوا، و (أوجنج بسورابايا)، و(كامل بمادورا) بعد رحلة استغرقت ستة أيام.

******

* النشاطات الإسلامية وأبرز هيئاتها:

بالنظر إلى ما سبق شرحه عن العلاقة القائمة بين المسلمين والهنادكة بجزيرة بالي، فإن النشاطات التي تمارسها مختلف الهيئات والتنظيمات الإسلامية تختصر على المجتمعات الإسلامية، ولا تستهدف غيرها سوى عن طريق غير مباشر، وتنطبق هذه القاعدة العامة على النشاطات في مجال الدعوة

والتربية والتعليم، ومعظم الأعمال الخيرية كرعاية اليتامى والمساكين وما شابههما.

ومن ناحية بناء المساجد والمصليات فوفقا للمعلومات المقدمة من مجلس العلماء لعام ١٩٩٧م أن مجموع المساجد الجوامع (٦٩) معظمها في بوليلنج (٦٦)، فكرنج اسم (٣٦)، فدنبسر (٢٥)، والمساجد غير الجوامع (١٤٩) أكثرها في دنبسر (٦٤)، فجمبرانا (٣٢)، بوليلنج (٧٠)، والمصليات (١٦٢) الأكثر في جمبرنا (٧٠)، فوليلنج (٦٥)، فدنبسر (١٢)، أما إدارة الشؤون الدينية فأعطت إحصاء أكثر بأن عدد المساجد الجوامع (٢١٦)، والمساجد غير الجوامع (٢٣٤)، والمصليات (١٥٢)، والمجموع (٦٠٢).

وفي المجال التربوي والتعليمي الديني فإن الهيئات العاملة في ذلك المجال يمكن تصنيفها إلى ٣ أنواع:

١- رياض الأطفال والمدارس الدينية والوسطى والابتدائية حتى المرحلة الجامعية التي لا تعد أقساماً داخلية لطلبتها وطالباتها.

٢- المعاهد الدينية وهي عادة في نطاق المساجد، وهي تنظم حلقات دراسية مسائية وصباحية، وتعد مبيتاً لطلبتها ولطالباتها الذين يرجعون إلى بيوتهم بعد حلقة صباحية استعداداً لدخول مدارسهم الرسمية.

٣- المعاهد التي تنظم البرامج التربوي والتعليمية وتعد أقساماً داخلية لجميع طلبتها أو طالباتها أو بعضهم فقط.

ووفقاً لإحصائيات إدارة الشؤون الدينية لمحافظة بالي عام ١٩٩٩/ ٢٠٠٠م فإن عدد المدارس الحكومية الابتدائية (١٣٩) والأهلية (١١٦) والمدارس المتوسطة الحكومية (٦) والأهلية (١٤) والمدارس

العالية/ الثانوية الحكومية (٣) والأهلية (٥) والمدرسة الثانوية العامة (٢) والمعاهد الدينية الأولية والوسطى (٥٧) أما رياض الأطفال الأهلية (١٥) وفي التقرير كشف بأسماء وعناوين كبريات تلك المدارس والمعاهد المقترح دعمها.

أما في مجال الدعوة فمعظم المنظمات الإسلامية على مستوى إندونيسيا لها فروع ببالي، وفي مقدمتها الجمعية المحمدية وجمعية نهضة العلماء والمنظمات المتفرعة عنهما، ولكن نشاط هذه الجمعيات مختصر على الأوساط الإسلامية كما سبق بيانه، وما حصل في اعتناق الهنادكة الدين الإسلامي إنما أبرز دافع له هو العلاقات الشخصية والزوجية، ويكثر الإقبال على الإسلام من قبل البنات لأنهن يشعرن ويعتقدن أنهن سينلن حقوقهن وشرفهن في الإسلام أضمن من الهندوكية.

ومن الإحصاءات تبين أن ازدياد عدد المسلمين نتيجة وجود حديثي العهد بالإسلام قليل نسبة لازدياد عددهم نتيجة الهجرة لأسباب اقتصادية، وكما يلاحظ كثرة المؤسسات العاملة في مجال رعاية الأيتام والمساكين مع تنظيم بعض البرامج لهم في نطاق مقار تلك المؤسسات أو خارجها، والدافع لذلك هو الخوف من سقوط هؤلاء اليتامى على أيدي المنصرين النشطين في اصطياد أمثالهم بكل الوسائل القانونية وغيرها.

وفي مجال التجارة والاقتصاد فالمؤسسات والمعاهد الإسلامية تحاول تأمين مصادر تمويلها عن طريق بعض المشاريع التجارية مثل إقامة جمعية تعاونية ومحلات تجارية مبسطة وحوانيت الهاتف ومطاحن وغيرها من المشاريع الزراعية والحيوانية، ولكن حصيلة هذه المشاريع محدودة ولا تفي.

أما على مستوى السكان المسلمين فتتراوح أعمالهم ما بين الفلاحة والملاحة وصيد الأسماك وتربية الحيوانات والتجارة العامة، وبعضهم له محلات لإنتاج الأعمال اليدوية الفنية المعروضة للبيع للسياح، وخلال عهد الرئيس الأسبق سوهارتو دخل الكثير من كبار رجال الأعمال المسلمين إلى بالي ومنهم أولاده وحاشيته، وذلك لاستثمار أموالهم في مجالات السياحة وغيرها في مناطق إستراتيجية.

وفي مجال السياسة والإدارة الحكومية فكما سبق بيانه فإن دور المسلمين فيها محدود لا سيما للاتجاه السائد إلى الاستقلالية الإدارية الإقليمية كانت الفرصة سانحة لهم عن طريق حزب العمل قولكار الحاكم سابقاً، فنجد الكثير من المسلمين يتولون مناصب راقية سواء في الهيئة التنفيذية أو التشريعية أو القضائية، كما أن المجال العسكري أصبح مجالا خصباً للمسلمين لإثبات وجودهم، أما مع سيطرة حزب الديمقراطية النضالي المطلقة على مقاعد البرلمانات المحلية فقد تقلص دور المسلمين بشكل واضح، وذلك لسيادة الهنادكة على هذا الحزب، ومن الدلائل على ذلك انتفاضتهم لتخريب المكاتب الحكومية فور انهزام رئيسة الحزب ميقاواتي في انتخابات رئيس الجمهورية.

******

* المشكلات والعراقيل التي يواجهها المسلمون:

هناك العديد من المشكلات التي يواجهها المسلمون ببالي في مجالات الدعوة والتربية والاقتصاد والإدارة وغيرها، وذلك نتيجة مواقف وتصرفات الأغلبية الهندوكية والعادات والتقاليد المطبقة بكل شدة، منها ما يلي:

أولاً: المشكلات الداخلية:

١- قلة الطاقة البشرية ذات الكفاءة العالية للعمل في مجال الدعوة والتربية والتعليم وتوجيه المجتمع، فالموجودون في الساحة قدراتهم محدودة، وعددهم لا يكفي.

٢- النقصان في الوسائل والمرافق اللازمة، وخاصة لنشاطات التربية والتعليم، بما فيها المزيد من مساحة الأرض وبناء بعض المباني الجديدة تمشياً مع التوسع في البرامج.

٣- قلة الموارد المالية الثابتة، مع أن الكثير أو الأغلبية من الطلبة ليس بمقدورهم دفع الرسوم المدرسية المقررة بالنظر إلى مستواهم الاقتصادي الأدنى من المتوسط، والكثير من المؤسسات القائمة تقدم خدماتها في مجال رعاية اليتامى والمساكين في الوقت الذي تزداد المصاريف التشغيلية يوماً بعد يوم.

٤- قلة الكتب والمراجع والدوريات الإسلامية في المكتبات العامة.

٥- محدودية عدد الراغبين في الالتحاق وخاصة للمرحلة الجامعية مثل المعهد العالي لعلوم التربية الاستقامة، مما دفع القائمين عليه إلى فتح مدارسة ثانوية عامة ومعهد اليتامى، وحصل هذا كذلك في بعض المدارس العالية / الثانوية الأخرى.

٦- كون بعض الجامعيين المسلمين المتخرجين في مختلف الجامعات والأكاديميات خارج بالي يفضلون البقاء والعيش حيث كانوا يدرسون، ولا يعودون إلى الإسهام في الأعمال والمشاريع التي يرجع نفعها للإسلام والمسلمين في بالي.

ثانياً: المشكلات الخارجية:

١ - قوة تأثير العادات والتقاليد على الحياة اليومية الفردية والجماعية حتى قيل بأن تأثيرها أقوى من تأثير الديانة الهندوكية نفسها، فلا يخلو بيت من مظاهر هذه العادات، إضافة إلى الإحساس بالتضامن والتكافل فيما بين أفراد مجتمعاتهم.

٢ - التعاليم الهندوكية لها تأثيرها الواضح على مجتمع بالي حتى لقبت بجزيرة الآلهة، وجرى تلقينها وتعويدها وترسيخها في نفوس أعضاء المجتمع منذ نعومة أظفارهم عبر القدوة في المنازل والطقوس الدينية في المعابد، كما أنها لا تؤثر على حياة الأسرة فحسب، بل تعدت إلى المكاتب الإدارية الحكومية الأسرة أو الأهلية، وكانت علاقتها بالناس غير محدودة بطبقة معينة من المجتمع دون غيرها، كل هذه الأمور تحول دون دخول الإسلام إلى قلوبهم إلا بهدى من الله تعالى.

٣- الإجراءات الإدارية في الدوائر الحكومية لا بد أن تتأثر من قريب أو بعيد بهذه المواقف وأوضاع غير المشجعة إذا كانت متعلقة بقضايا الإسلام والمسلمين، فثمة تقييم مزدوج وغير عادل، كأن هذه المقاطعة ليست بقطعة من إندونيسيا.

٤ - الحركة السياسية الحرة والمتفتحة لابد أن تترك آثارها السيئة المدمرة لأخلاقيات سكان الجزيرة وشبابهم خاصة، فمظاهر الإباحية، وانتشار المخدرات والمشروبات الكحولية، وممارسة الدعارة العلنية أو المستورة، بما فيها دعارة الشبان من قبل السائحات الأجنبيات والشذوذ الجنسي، كل ذلك يمثل خطراً داهما على أخلاقيات المجتمع المسلم والهندوكي على حد سواء، ويمثل تحدياً لا بد من التصدي له ومعالجته.

المبحث الخامس
عجائب وغرائب وحديث عن المسلمين
في رحلات الشيخ محمد بن ناصر العبودي

۞ ولاية المسلمين الضائعين:

ولاية بهية من أهم الولايات البرازيلية في الناحية السياسية، فقد كانت بهية تقود البرازيل إذ كانت عاصمتها (سلفادور) عاصمة البرازيل لعقود طويلة من السنين. وقد انتقلت العاصمة من سلفادور إلى ريودي جانيرو في عام ١٧٦٣م.

وبهية هذه اشتهرت أيضاً عند بني قومنا من المسلمين في البرازيل وعند غيرهم بأنها هي ولاية المسلمين الضائعين وهم الأفارقة المسلمون الذين كان البرتغاليون المستعمرون وغيرهم من الأوروبيين قد جلبوهم من غرب إفريقية، وخاصة من بلاد (مالي) التي كانت تمتد حتى سواحل ما يعرف الآن بدولة السنغال، فكانوا يحملون الرقيق بالقهر والانتهاب، أو بالشراء من المنتهبين بأسعار زهيدة، يأتون بهم إلى هذه الدنيا الجديدة من أجل المستعمرين المغامرين. ولم يكونوا يقصدون المسلمين دون غيرهم من الإفريقيين، ولكن كانت المنطقة التي يجلبون منها الرقيق موطناً للمسلمين كما هو معروف وكان في الرقيق مسلمون وغير مسلمين ولكن المسلمين كانوا أعداداً كبيرة. وكان فيهم نساء وأطفال ورجال مغلوبون على أمرهم فأجبرهم المستعمرون البرتغاليون على ترك دينهم الإسلامي الحنيف واعتناق المسيحية دين المستعمرين.[1]

---

(١) انظر كتاب: في شرق البرازيل ص: (٣٤).

۞ الإسلام والمسلمين في نيبال:

بتصرف من كتاب (في نيبال بلاد الجبال رحله وحديث في شئون المسلمين).

تقع مملكه نيبال في آسيا الوسطى بين الهند والصين تحدها من جهة الشمال سلسله طويلة من جبال الهملايا العظيمة، ويحدها من الجنوب جمهورية الهند وتبلغ مساحتها ما يقارب ١٤١٠٠ كيل مربع.

وأغلب أرضها مغطاة بجبال الهملايا المرتفعة وغيرها من الجبال، وليس في جبال نيبال ما يصلح للزراعة إلا قليلاً.

والهملايا تعرف بالجبال البيضاء و بها أعلى قمم في العالم، إذ تبلغ ارتفاعاتها ٦٠٠٠ متر، وقِمَّة إفرست أعلا قمة فيها.

******

۞ دخول الإسلام إلى نيبال:

لا يوجد في التاريخ ما يمكن أن يعرف منه بداية دخول الإسلام إلى هذه الديار ولكن الاستقراء والتتبع لبعض الأحداث التاريخية يشيران إلى أن الإسلام دخل المنطقة مع دخوله إلى شمال الهند في القرن الخامس الهجري عن طريق التجار العرب وغيرهم من المسلمين.

******

۞ عدد المسلمين وحالتهم الدينية والاقتصادية في نيبال:

إن وثائق البلاد الرسمية تشير إلى أن عدد المسلمين فيها يبلغ مليوناً أما تقديرات الجمعيات الإسلامية فهي تشير إلى أن عددهم يزيد على ذلك.

وأما حالتهم الاقتصادية فهم متأخرون جداً من هذه الناحية أيضاً فأكثرهم ليس لهم نصيب في التجارة ولا في الصناعة.»[1]

كانت رحلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي إلى هذه البلاد في محرم عام ١٣٩٩هـ الموافق ١٢/ ١٩٧٨م.

ولابد أن الإحصاءات قد تغيرت في الوقت الحاضر لذلك وجب التنبيه إلى هذا.

******

۞ الإسلام في شاد:

تقع جمهورية شاد، في قلب إفريقية، وتبلغ مساحتها ١٢٨٤٠٠٠ كيلو متر مربع مابين خطي عرض ٨ , ٢٢ درجه شمال خط الاستواء وخطي الطول ١٦ , ٢٤ درجة شرق خط قرينتش.

شعب شاد مسلم بأكثريته، إذ تبلغ نسبة المسلمين في سكانه مابين ٨٥ ٪ و ٨٨ ٪.

وهو شعب مسلم عريق دخل الإسلام إلى بلاده منذ القرن الهجري الأول واستقر فيها، ثم صار يتوسع ويدخل إلى مواضع أخرى منها حتى أصبح بنواحيه كلها بلداً مسلماً ماعدا قطعة من الجنوب.

يتفق الباحثون الأفارقة والأجانب في الوقت الحاضر على حقيقة أن أول انتشار للحضارة الإسلامية حول بحيره شاد كان في القرن السابع الميلادي: الأول الهجري.

---

(١) كانت رحلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي إلى هذه البلاد في محرم عام ١٣٩٩هـ الموافق: ١٢/ ١٩٧٨م.

يسمى الكثير من الناس تشاد وقد ذكر الشيخ في كتابه (شاد) بشين صحيحة فألف فدال لأسباب تجدها.... في كتاب الشيخ الموسوم بـ(المستفاد من السفر إلى شاد).

كانت زيارته لهذا الجزء من العالم في ذي القعدة ١٤١٣هـ مايو ١٩٩٣م.

******

۞ جامع الملك فيصل في مدينة (إنجمينا) بشاد:

يقول: ذهبت مع الشيخ حسين حسن أبكر رئيس المجلس الأعلى الإسلامي في شاد لزيارة المجلس والاجتماع بأعضائه الذين ذكروا أنه قد اجتمع نفر منهم في مقره بجامع الملك فيصل.

وقبل الوصول إلى جامع الملك فيصل لاحت منارة المسجد متوسط الارتفاع يعرفونه أحيانا بمسجد الملك فيصل مثلما يعرفون الجامع العظيم بجامع الملك فيصل.

وذلك أن الملك فيصل عندما وصل إلى شاد وجد المسلمين يصلون الجمعة في مساجد صغيرة، وليس في هذا الحي المهم من قلب المدينة أي جامع مناسب من حيث الحجم والبناء يؤدي المسلمون فيه صلاة الجمعة على حين أنه رأى الكنيسة الرئيسية ذات برج عال شاهق في السماء، وهي واقعه وسط ساحات مكشوفة واسعة، فأمر ببناء هذا المسجد بصفة عاجلة كما أمر ببناء (جامع الملك فيصل) بل مركز الملك فيصل الضخم وأمر أن ترفع منارتاه حتى تكون أعلى بناء موجود في مدينه (إنجمينا) وقد تم ذلك.

ومن عند هذا المسجد الصغير يرى المرء منارتي جامع الملك فيصل سامقتين كأنهما السبابتان المرفوعتان، بالشهادتين (لا اله إلا الله محمد رسول الله) لخالق الأرض والسماء.

ويبدو جامع الملك فيصل متميزاً ليس في المدينة وحدها، بل هو مبنى متميز في المنطقة كلها، بسعته وطراز بنائه العربي الإسلامي المطعم بطراز إفريقي غربي لم يخرجه من الطراز الإسلامي.[1]

******

۞ الصحف العربية في استراليا:

تصدر الآن في استراليا عدة صحف باللغة العربية بعضها لها أسماء صحف عربية مشهورة داخل الوطن العربي كالتلغراف والنهار ومنها (صوت المغترب) و (النهضة) و (الوطن) و صوت لبنان والشعلة الخ..

وأكثر هذه الصحف ذات اتجاهات تعتبر أمدادا للاتجاهات السائدة في الوطن العربي وإن كانت تجمع بين أكثرها أمور منها الإعلانات عن الحفلات والمحلات التجارية والتخفيضات في السلع.[2]

******

۞ أكبر مسجد في استراليا:

وذلك ضمن جولة لتفقد أحوال المسلمين في استراليا.

يقول: وكان الانتقال بعد ذلك إلى أكبر مسجد في استراليا ويسمى مسجد علي بن أبي طالب وهو لأهل السنة وليس للشيعة كما يفهم بعض الناس من هذه التسمية.

ويقع في حي يسمى (لاكمبا) يقع غرباً من وسط مدينة سدني والمسجد

---

(١) أنظر كتاب: المستفاد من السفر إلى شاد ص ٨١.

(٢) انظر كتاب: إطلالة على استراليا وحديث عن المسلمين.

ليس كبيراً بل هو متوسط وإنما كبره نسبي لأن معظم المساجد أو لنقل كل المساجد الموجودة الآن في استراليا هي أصغر منه ومن أغرب ما فيه أن محرابه في الزاوية وليس وسط الحائط المواجه للقبلة.

وهو جميل المنظر على طراز إسلامي عربي له منارة واحدة ظاهرة وبني في عام ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.[1]

******

۞ الإسلام في القارة الاسترالية:

أول من وصل من المسلمين إلى استراليا هم المسلمون الأفغان الذين كان معهم أخلاط من المسلمين من القارة الهندية ولكن غلب عليهم اسم الأفغان وقد أحضرهم الانجليز مع إبلهم لأجل العمل في الصحراء الاسترالية التي لا يستطيع العمل الشاق فيها من الحيوان إلا الإبل وكان قدومهم إليها في أواخر عام ١٨٥٠م من كراتشي وغيرها من مدن باكستان ثم من شبه القارة الهندية ومعهم الإبل التي حملتها السفن.

ولقد كان أولئك المسلمون فخورين بدينهم جادين في القيام بتأدية عبادتهم، حرصوا على تأسيس عدد من المساجد في أنحاء مختلفة من استراليا.

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها بدأت أفواج المهاجرين المسلمين تصل إلى استراليا بحثا عن العمل وكسب المال، وبرزوا في المجتمع الاسترالي كقوة عاملة وبأعداد متميزة.

ويقدر عدد المسلمين في استراليا الآن بنحو (٣٠٠) ألف نسمة.

---

(١) انظر كتاب: إطلالة على استراليا وحديث عن المسلمين.

منهم ١٢٠ ألف في ولاية نيوساوث ويلز، فيما يتوزع الباقون في سدني وملبورن وفكتوريا وبيرزين وغيرها من مناطق استراليا.

كانت زيارة الشيخ حفظه الله إلى هذا الجزء من العالم في عام ١٤٠١هـ.

مما لاشك فيه أن عدد المسلمين قد ارتفع بإذن الله إلى عدد يفوق هذا العدد في وقتنا الحاضر وللمزيد الرجوع إلى كتاب الشيخ أدناه.[1]

******

۞ الخطبة العجيبة:

في (سرنقر) عاصمة كشمير يوم الجمعة ٢١/ ٦/ ١٣٩٩هـ.

يقول: قلت لأحد الخدم الذين يعملون في الطابق الذي أسكن فيه من الفندق إني أريد أن أصلي الجمعة وأريد أحداً يدلني على جامع قريب فقال:إن مديرنا يصلي الجمعة، والخروج إلى المسجد يكون في الثانية إلا ربعاً لأن الصلاة في تمام الساعة الثانية والنصف وسوف أخبرك بالموعد فما عليك إلا أن تبقى في غرفتك حتى أخبرك. ولكنني استبطأته، ونزلت إلى قاعة الاستقبال السفلي فلبثت قليلاً حتى أقبل ذلك الخادم ومعه رجل بدين وجيه قال لي بعد أن سلم: أتريد صلاة الجمعة ؟ قلت نعم، فقال هيًا.

ولما سألته عن اسمه قال: (شيخ محمد أفضل) فسألته عن عمله فقال: أنا مدير الفندق. فسرنا على أقدامنا إلى المسجد مع شارع عجيب ذي حوانيت على جانبيه فوقها طبقتان من المنازل أمام تلك المنازل رواشن جمع روشان كما نسميها نحن في الحجاز وهي الشرفات الخشبية وهنا معمولة من الخشب

---

(١) انظر كتاب: إطلالة على استراليا وحديث عن المسلمين.

المخروط وكلها ذات عقود ومحاريب بديعة بحيث يكاد يبدو الشارع لوحة واحدة لا يرى البصر فيها موضعاً ليس فيه شيء من هذه الشرفات البديعة التي كان يوجد ما يقرب منها عندنا في الحجاز في بيوت الأغنياء، و الوجهاء.

وصلنا إلى المسجد الجامع فإذا بنا ندخل مع باب ضيق أفضى بنا إلى أماكن للوضوء مظلمة بعدها يدخل المرء إلى مسجد صغير فوجئت بصغره رغم أن فيه محراباً في جهة القبلة إلا أنني عرفت السبب في ذلك ولم نكد نجد مكاناً بسبب صغر المسجد وامتلائه بالمصلين وكان قد بدأ الخطبة إلا أنني أسمع صوته ولا أراه وإنما نسمع الخطبة واضحة من سماعة مكبرة للصوت في المحراب.

وتبين بعد ذلك أن المسجد الرئيسي هو في طابق أعلى من هذا الذي نحن فيه وأن الأعلى قد امتلأ وهذا الجزء الأسفل في المسجد كأنه مسجد مستقل وبجانبه جزء آخر كأنه مسجد مستقل أيضاً ولكن يصل بينهما باب ونافذة.

وكانت خطبتهم عجيبة حقاً إذ يتخللها ما يشبه الأناشيد والأصوات المنغمة الجماعية هي بالأوردية أو الكشميرية لا أدري ولكن الخطيب يورد آيات قرآنية فيقرأها بألحان عجيبة غريبة جميلة حتى إذا بدأ فيها شاركه في تلاوتها بالألحان جماعة من الحاضرين في الصلاة وقد تكرر منه تلاوة الآيات الكريمة ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾[1]. ثم إذا أتم هو ومن معه تلاوتها بالألحان أخذ يفسرها بلغته دون أن يشاركه أحد ثم عاد يتلوها بألحان جميلة لا تشبه الألحان التي تقرأ بها في البلدان العربية وإنما قد يقال إن فيها شبها قليلاً من ألحان القراءة

---

(١) سورة الفجر: الآيات (٢٧-٣٠).

عند الفرس فتابعه القوم بأصواتهم وهم مثله يتلونها بالألحان ثم يعود ليتكلم بلغته حتى يأتي شعر أو ما يشبه الشعر في تلك اللغة فيقرأه بلحن يتابعه عليه المصلون حتى يظن المرء أنه يسمع تواشيح دينية جماعية وليست خطبة في مسجد جامع ثم يعود فيورد آية قرآنية أخرى بلحن منغم يتابعه عليه بعض المصلين وهكذا. وقد تذكرت بعد ذلك أن هذه لا تعد من الخطبة الشرعية للصلاة وإنما ذلك حسب عادتهم في الهند وباكستان وما قرب منها أن يلقي الخطيب قبل الخطبة الشرعية موعظة باللغة الوطنية تكون طويلة في الغالب لأنه يلقيها ثم بعد ذلك يؤذن المؤذن لصلاة الجمعة فيبدأ بخطبة قصيرة إما أن تكون بالعربية أو يكون جزء منها بالعربية.

وكدت أجزم عندما دخلنا المسجد بأن هذه هي الخطبة الوحيدة لولا أن المؤذن أذن دون فاصل ثم عاد الخطيب نفسه فقرأ باللغة العربية خطبة قصيرة مسجوعة ربما كانت من أحد الكتب القديمة صلّى فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ترضَّى عن أصحابه الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكل واحد له سجعة تخصه لا يشاركه فيها غيره وقد يخصه أكثر من سجعه، ثم على السبطين الكريمين الحسن والحسين ثم على عدد من الصحابة الآخرين بسجعات أخرى ثم قال: وعلى الإمامين الجليلين الربانيين السيد عبد القادر الجيلاني والسيد أمير الهمداني وكنت أعرف أن الهمداني هو الذي انتشر الدين الإسلامي على يديه في كشمير فأعرف السبب في الدعاء له ولكنني عجبت كيف يدعون للشيخ عبد القادر الجيلاني وهو لم يصنع لهم شيئاً إلا مثل ما صنعه لهم غيره من العلماء ولاسيما أنه مات قبل أن ينتشر الإسلام في كشمير. وعندما فرغ من خطبته القصيرة بالعربية التي أعتقد أن أحداً لا يعرفها غيري، بدأ بخطبة أخرى قصيرة دعا فيها للإسلام والمسلمين فأمن

بعض الناس على دعائه إلا أنه عندما أخذ يدعو باللغة الوطنية ضج المسجد بالتأمين لأنهم كانوا آنذاك قد بدأوا يفهمون ما يقول.

ثم أقام الصلاة وصلى صلاة مطمئنة وعندما سلم منها أخذ هو وجميع المأمومين يدعون بأصوات منغمه وبشكل عالٍ بحيث ارتجت لذلك جنبات المسجد واستمروا على ذلك فترة دون انقطاع وكلهم يشارك فيه.

فلما فرغوا منه أخذوا بالتنفل فصليت ركعتين كعادتي إلا أنهم استمروا بعد ذلك يصلون وأنا الوحيد الجالس بدون تنفل.[1]

******

۞ زيارتي وافقت زيارة أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

في زيارة إلى مسجد الشعرة في مدينة سرنقر عاصمة كشمير في ٢٢/ ٦/ ١٣٧٩هـ.

يقول: الخرافة التي أصغيت لها بانتباه هي أن دليل المسجد قال لي بشيء من الاهتمام: إن زيارتك وافقت حضرة أبو بكر الصديق ﷺ، فلما استفسرت منه عن ذلك أجاب: أن أبا بكر الصديق ﷺ، يأتي لزيارة هذه الشعرة من شعر الرسول الكريم ﷺ في كل سنة مرة حيث قبره في المدينة المنورة ولذلك يأتي الناس للزيارة بكثرة هذا اليوم، فيزورونها بعد الصلوات الخمس كلها، وهذا اليوم الثاني والعشرون من جمادي الآخرة من كل عام، وهو هذا اليوم، ولم أقل له بسرعة إنني لا أعتقد بذلك أولاً لأنني لا أريد أن أجعله يقطع ما يريد أن يقوله قبل أن أستمع إليه وثانياً: ربما لكوني قد افتقد شرفاً جاء إليَّ رغما عني ومن دون علمي لأنني لم أقصد هذه الزيارة ولا أقصدها ولا أجزم

---

(١) انظر كتاب: سياحة في كشمير.

بصحة وجود الشعرة هنا وإذا وجدت فلا أقول بأن تبنى عليها الأبنية ويقصدها الناس، كما لم أقل له: كيف يأتي أبو بكر الصديق رضي الله عنه من قبره في المدينة المنورة لزيارة هذه الشعر التي تزعمونها من الجسد الشريف وهو كان بجوار رسول الله ﷺ الذي هو بجسمه وشعره كله لأن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء كما ورد في الأثر.

فقلت له: أنت تكلمت عن اليوم الذي يأتي فيه أبو بكر الصديق من بلاد العرب كما قلت إلى هنا لزيارة هذه الشعرة فما قولك في عمر بن الخطاب الخليفة الثاني أله يوم مخصوص أيضاً ؟

فأجاب: نعم إنه يحضر في يوم ١٨ ذي الحجة، ثم قال وعثمان بن عفان يجيء في يوم واحد في السنة وهو يوم ٢٧ ذي الحجة، وعلي يحضر لزيارة الشعرة يوم ٢٠ رمضان، أما المعراج فثلاثة أيام. وهنا قاطعته فقد عجزت عن تحمل سماع هذه الخرافات وعن معاناة كون بعض المسلمين في هذه البلاد يعتقد ذلك حتى يزوروا هذه الشعرة في اليوم الذي يصادف فيه زيارة أحد الخلفاء الراشدين كما يزعمون.[1]

******

۞ بلعوم الشيطان:

الشلالات مدينة فوزادو اقواسو بالبرازيل في ٢٨/ ١٠/ ١٩٨٤م.

يقول: انطلق موكبنا يشق الغابات التي حافظوا عليها عذراء لم تمس، ولا يستطيع أحد أن يغير منها أي شيئ قاصدا شلالات عظيمة كنت رأيتها من

---

(١) انظر كتاب: سياحة في كشمير. ص: (٦٨).

الطائرة على البعد ويسمونها (كاتاراتس) بمعنى الشلالات بالبرتغالية وهي مساقط للمياه من نهر (قواسو) الذي هو نهر البرازيل أصلاً فهو ينبع من أرض البرازيل ويسير مسافة طويلة فيها قبل أن يقترن مع نهر (بارنا) العظيم عند مثلث الحدود بين البرازيل والأرجنتين والبارغواي،لم أستطع عندما رأيتها أن أعبر عما في نفسي من المشاعر تجاه منظرها إلا التكبير الله أكبر، الله أكبر، عندما وصلنا إليها كان هناك حشد من سيارات المنتزهين اللذين يقضون عطلتهم الأسبوعية في مشاهدة هذه الشلالات لأن اليوم هو الأحد. فأوقفنا السيارات ثم نزلنا من مصعد إلى حيث يشاهد المرء الشلالات وهي تسقط من أعلى، ليرفع رأسه ويشاهد ذلك، وذلك في مقابل رسم قليل لاستعمال المصعد أو لنقل: المهبط لأنه يهبط إلى أسفل عندما تأتي إليه من مستوى الشارع.

وإذا نزلنا إلى أسفل اختلطت المرئيات بالمسموعات بالمشاعر في سمعك وبصرك وذهنك فأصبحت لا تستطيع أن تعبر في وقت واحد عن روعة ما تحس به أو تسمعه أو تبصره، إذ تتساقط المياه في تدافع محموم إلى الأسفل كأنها هي جماعات من الناس أصابها الجنون فأقدمت على الانتحار الجماعي بالسقوط من سامق.

إن زمجرة هذه الشلالات التي لا تكاد تدع لك فرصة التحدث مع أصحابك لأنها تشغل كل حيز في سمعك وتريد أن تستأثر بتفكرك فتزاحمها على ذلك روعة مناظرها.

وهم يسمون هذا المكان بلعوم الشيطان لأن الاقتراب منه دون احتراز وبدون الوسائل الحديثة التي استعملتها الدولة الآن يسبب الموت المحقق لأنه يتألف من مياه قوية.

منظر غريب في نفس الموقع:

يقول: ومن المناظر الغريبة ولا تستطيع أن تقول إنها لطيفة منظر امرأة أوروبية المظهر وإن لم نكن نعرف إلى أي بلد تنتمي رأيتها تحمل رضيعها وقد أذهلها المنظر، إلا أن طفلها لم يشاركها ذلك فأخذ يصيح ويتطلع إلى أن يرد صدر أمه، وحاول الرذاذ أن يعوضه عنه فذهلت عن نفسها وأخرجت ثديها أمام الناس تلقم رضيعها لا تبالي في ذلك عذل عاذل أو لوم لائم إن وجدت لائماً.[1]

******

۞ الأرقام بديلة عن البسملة:

قادنا السائق المسلم إلى مطعم أشار إلى لافتة تعلوه وهو يقول: إنه للمسلمين، انظروا (بسم الله الرحمن الرحيم). ولم نر (البسملة) لا بالإنكليزية ولا بالعربية ولكن رفيقي الشيخ علي عيسى لفت نظري إلى أرقام تعلو اللوحة وقال: إن القوم هنا وفي بعض البلدان المجاورة يكتبون البسملة رموزاً لحروفها بالأرقام بحساب الجمل وليس بالحروف وأرقامها هنا (٧٨٦) وذلك احترازاً من أن تقع على الأرض، أو في مكان غير طاهر وهذا هو الأصل في شيوع هذا الاستعمال، ولم يفهم السائق كلامنا وإنما كرر قوله: انظروا بسم الله الرحمن الرحيم. فسألته مستوضحاً عن مكانها.[2]

******

---

(١) انظر كتاب: (على أرض القهوة البرازيلية)جولة في المنطقة الجنوبية الغربية من البرازيل وحديث عن أوضاع المسلمين - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٢) انظر كتاب: بورما الخبر والعيان.

۞ بيت الضعفاء المسلمين في رانقون عاصمة (بورما):

وبيت الضعفاء هكذا أسموه هو ملجأ لكبار السن من الرجال يقام على أرض من حديقة العزيزية محاذية للمسجد تبرع بها صاحبها (عبد العزيز بن شودر تاج الدين رحمه الله) وأقاموا عليها بناءاً خشبياً مرفوعاً عن الأرض اتقاء للرطوبة يصعد إليه مع درج خشبي أيضاً والبناء على الأرض من تبرعات المسلمين.

ويقول لي الشيخ المفتي والذين معه إن (بيت الضعفاء) هذا تشرف عليه جمعية علماء الإسلام في بورما. جلسنا في المكتب المشرف على هذا الملجأ الذي أسموه بحق بيت الضعفاء وأظن ذلك أصدق من الملجأ الذي لابد من تعريفه بأنه لكبار السن أو من إضافة توضح أمره.

فأخبرونا أنهم يقبلون فيه من تزيد سنه على ستين سنة و لا يقبلون من هم دون ذلك. وقالوا إن عدد الموجودين بصفة دائمة فيه يتراوح بين ستين إلى سبعين و إنهم يعيشون فيه ويصلون في المسجد الموجود بجانبه ويستمعون إلى المواعظ. (١)

******

۞ المسلمون في كولمبيا :

تقع جمهورية كولمبيا ضمن دول أمريكا اللاتينية بين فنزويلا والإكوادور وتحدها البرازيل من الجنوب ويبلغ سكانها ٢٦ مليون نسمه، والدين الرسمي للدولة هو النصرانية الكاثوليكية ويبلغ عدد المسلمين بها نحو سبعة آلاف مسلم جلهم من لبنان ويتركزون في ولاية جواهير من منطقة ميكاو -

---

(١) انظر كتاب: بورما الخبر والعيان.

ثم نحو ألفي مسلم أكثرهم من فلسطين يقيمون بالعاصمة وضواحيها وهناك حوالي أربعين أسرة من أهالي كولومبيا يدينون بالإسلام ويقطنون في الساحل الغربي من البلاد.

ومدينة ميكاو مدينة تجارية وهي تقع على الساحل الشمالي الشرقي من كولمبيا ونظراً لوقوعها قريبا من مجموعة من الدول المجاورة فقد نشطت فيها الحركة التجارية التي ترتكز على البضائع المهربة ويبلغ عدد مسلمي ميكاو نحو ١٥٠ أسرة جلهم من بقاع لبنان وغالبهم من أهل السنة.

(كانت زيارة الشيخ لهذا الجزء من العالم في شهر ربيع الأول من عام ١٤٠٢هـ).[1]

******

۞ المسلمون في بنما :

تقع دولة بنما بين كولومبيا في الجنوب وكوستاريكا في الشمال ويحيط بها المحيطان الأطلسي من جهة الشرق والهاديء من الغرب، وعاصمتها بنما سيتي أي مدينة بنما وعدد سكانها نحو مليوني نسمة، والديانة السائدة فيها المسيحية.

والمسلمون في بنما يبلغ عددهم نحو مائتين وخمسين أسرة ويقسمون إلى قسمين رئيسيين:

١ - المسلمون من أهالي بنما وهم قليلون يقدرون بنحو من خمسين نسمة وأكثرهم يقيمون في مدينة كولون وقليل منهم في المدينة الحديثة.

٢ - المسلمون المهاجرون إلى بنما وهم مجموعة من التجار أكثرهم من أهل

---

(١) انظر كتاب: رحلات في أمريكا الوسطى.

الهند ولبنان وهم يقدرون بنحو مائتي أسرة يسكن غالب الهنود منهم في العاصمة ويسكن اللبنانيون في مدينة كولون.

(كانت زيارة الشيخ لهذا الجزء من العالم في شهر ربيع الأول هو عام ١٤٠٢هـ) إيراد إحصائيات جديدة عن عدد المسلمين.[1]

******

۞ الرمل الثمين:

في زيارة للشيخ ضمن وفد رابطة العالم الإسلامي إلى مقدونيا في عام ١٤١٧هـ.

يقول: من أغرب ما رأيته أن الرمل لا يكاد يوجد عندهم رغم هذه الخضرة الشاملة، وذلك لكون بلادهم تتألف في معظمها من جبال ووديان متسعة بينها ولا يوجد رمل طبيعي، فكان عليهم إذا أرادو الحصول على الرمل للبناء بالإسمنت أن يشتروا الرمل من الخارج، وهذا غير عملي لذلك صاروا يصنعونه من الحجارة الرملية يطحنونها في مصنع مخصص لذلك مررنا به اليوم ليحصلوا على الرمل للبناء.

وقال الشيخ (نجاني) وكان حج من الرياض إلى مكة عن طريق المدينة فالقصيم فحسدت أهل القصيم على ذلك فقلت له: ألا يقال هنا: إنه لا يحسد الثرثار إلا الأبكم، وهذا مثل قديم وليس لنا مثل السوء ولكن أن يجتمع رمل وأنهار خضر وجبال خصبه فهذا لم يحصل لأهل مقدونيا.

وعلى ذكر الغرابة في عدم وجود الرمل و نفاسته، أذكر أن أهل جزر القمر ليس عندهم رمل في جزيرتهم الرئيسية (موروني) لأن بلادهم مثل

---

(١) انظر كتاب: رحلات في أمريكا الوسطى.

مقدونيا خضراء كلها خالية من الرمل، فكان أحدهم يتندر لذلك يقول: إن أحسن هدية نأتي بها نحن العرب من بلادنا إلى جرر القمر هي كيس الرمل.

الشيخ نجاتي هذا هو (مفتي محافظة تيتوفوا).[1]

******

۞ الإسلام والمسلمون في بلغاريا ومقدونيا :

ضمن جولة لوفد رابطة العالم الإسلامي إلى بلغاريا ومقدونيا وقد زار الوفد عدد من المدن واطلع على أحوال المسلمين فيها كانت الزيارة في عام ١٤١٧هـ وهي كما يلي:

١- خاصكوفو haskovo : مدينة يسكنها (١١٠) آلاف نسمة، فيهم (٢٢) ألف مسلم يتكونون من (١٠) آلاف مسلم تركي و (١٠) آلاف مسلم بلغاري وألفان مسلم بوماك ولهم مسجدان.

٢- قرية كولت kults:

قرية إسلامية يقطنها (٦٠) عائلة إسلامية عدد أفرادها ٢٨٠ مسلماً وفيها مسجد من دورين.

٣- مدينة كردزالي kardzali:

يبلغ عدد سكانها أكثر من ستين ألف نسمة منهم ثلاثون ألف مسلم أكثرهم من الأتراك.

٤- موجيل غراد momcilgrad:

بلدة يقطنها أكثرية مسلمة تقدر نحو ٧٠ ٪ من سكانها البالغ (٨) آلاف نسمة ولهم مسجدان وفي البلدة مدرسة تسمى ثانوية الأئمة والخطباء.

---

(١) انظر كتاب: بلغاريا ومقدونيا ص ١٧٧.

٥- بلدة مادان madan:

يسكنها أكثرية إسلامية من البوماك المسلمين الذين يبلغ عددهم (١١) ألف نسمة لهم عدة مساجد.

٦- مدينة سمولیان smolgan:

تقع في الجنوب من حدود اليونان.يبلغ عدد سكانها (٨٠) ثلاثون ألف مسلم.

٧- صوفيا sofia:

عاصمة جمهورية بلغاريا في عام ١٩٩٠م يقدر عدد سكانها بنحو (١١٤١١٤٢) نسمة ويقدر نسبة المسلمين فيهم ١٠ ٪ من قوميات مختلفة.

******

۞ المسلمون في مقدونيا:

تحدث الأستاذ / سليمان أفندي رجبي رئيس الاتحاد الإسلامي في مقدونيا عن الوضع الإسلامي في مقدونيا بقوله: (تذكر مصادر حكومة مقدونيا الرسمية أن المسلمين يشكلون نسبة ٣٠ ٪ من جملة سكان مقدونيا البالغ نحو مليون نسمة.[1]

******

۞ الأقلام التي تكتب على السماء:

أثناء زيارة لمدينة سراييفو مدينة المساجد.

---

(١) انظر كتاب: بلغاريا ومقدونيا.

أجمل ما في هذا الموقف منظر الجزء القديم من مدينة (سراييفو) بمآذنه القديمة هي كلها لمساجد أثرية قديمة ماعدا أربعة مساجد أو نحوها هي جديدة بنيت في مناطق حديثه العمارة من المدينة.

وعندما أعجبت بمنظر هذه المآذن إعجاباً لم يقلل منه كوننا ننظر إليها الآن عن بعد قال الشيخ عبد الرحمن هو كيتش: إن أجمل وصف خلع على منظر هذه المآذن قاله كاتب - أو قال شاعر- مسيحي من أهل البلاد حيث قال: أن منابر سراييفو هذه أقلام تكتب اسم الله على السماء.[1]

******

۞ لقد هان لحم الغزال:

خلال جولة في مدينة (كرايست تشيرتش) بنيوزلندا. يقول: كان موعد الفقرة التالية من برنامجنا هو تلبية دعوة الدكتور صالح السماحي على مائدة العشاء التي أقامها لنا في السابعة في هذا الفندق (فندق تشاتو ريجنسي) ولا نقول من هذه الليلة بل نقول من أصيل هذا اليوم لأنه رغم بلوغ الساعة السابعة مساء فإنه قد بقيت من النهار بقية صالحه تصل إلى نحو ساعتين.

كانت المأدبة في مطعم الفندق نفسه (تشاتو ريجنسي) لأنه أفخر الأماكن في المدينة، ولذلك عندما أردنا الدخول سألتنا موظفة المطعم عما إذا كنا حاجزين، لأنه لا يستطيع أن يجد فيه مائدة إلا من حجزها مقدماً لشدة الإقبال عليه، مع أن الفندق فيه مطعمان.

وكان من الأشياء اللافتة للنظر في قائمة الطعام (لحم الغزال) وبادرت بطلبه بطبيعة الحال لما في أذهاننا نحن النجديين عن لحم الغزال من طيب

---

(١) ذكريات من يوغسلافيا.

ونفاسة، وبخاصة إذا تذكرنا ما كان يبذله آباؤنا وأجدادنا من جهد ووقت في صيد الظباء ذكرتها في كتاب ((شعراء العامية في بريدة)) الذي لايزال مخطوطاً.

ولكن عندما ذكر لنا الإخوة هنا أن الغزلان تربي في مزارع نيوزلندا وقال آخر: إن الإحصائيات ذكرت أن لديهم مليون غزال للتربية، وقال آخر: بل هي أكثر من ذلك وهي من الغزلان ذوات القرون التي تقترب من الآيايل جمع أيل - ويربونها بقصد استغلال قرونها حيث يصدرونها إلى بلاد الشرق الأقصى: إلى سنغافورة مثلاً، وتصدر منها لاستعمالها دواء في البلدان الشرقية أوروبا ولو كانت بالنسبة إلى نيوزلندا بلاداً غربية أو شمالية غربية.

ولما استكثرت هذا الرقم الذي ذكروه للغزلان التي يربونها هنا ذكر الإخوة الرقم الرسمي لعدد الضأن في نيوزلندا وهي الخروف والشاة عندهم وهو تسعون مليون رأس من الغنم تضاءل عندي رقم المليون غزال.

ومع ذلك قلت في نفسي: لقد هان الغزال حينما أصبح لحمه يباع في المحال، ويعرض مع لحم الأبقار والحملان، بل هان عندهم حتى صار سعره فيما أخبرونا أقل من سعر لحم البقر الممتاز وإن كان أرفع من لحم الضأن لأنه - فيما يقولون عنه - أكثر صلابة من لحم البقر.

ومع ذلك فإنهم عندما أحضروه لي وجدت له طعماً خاصاً، ووجدت بالفعل - فيه صلابة لكنها لم تفقده نكهته الخاصة، فضلاً عن النكهة التي أضافها عليه الخيال.[1]

******

(١) انظر كتاب: نظرة إلى وجه الآخر من الأرض ص٢٤ .

۞ وصف طائرة:

يقول: «والطائرة للخطوط السورية، وهي نفاثة صغيرة من طراز تي يو ١٥٤ ومن صنع روسي.. ونظرا لأن تذاكرنا في الدرجة الأولى، فقد أجلسونا في مقدمة الطائرة.. ولكنني لاحظت وأنا في أول صف من الطائرة أنه أسوأ من مقاعد الدرجة السياحية في الطائرات العالمية، لأنني إذا وقفت مستقيما ضرب السقف رأسي.. ولم أستطع أن أمد رجلي كما أفعل إذا كنت راكبا في الدرجة السياحية، وقل مثل هذا أو قريبا منه في الطعام.. المائدة التي يوضع عليها الطعام تكاد تدخل في صدرك.. احتجت الدخول إلى الحمام فوجدته ضيقا خاليا من الورق الذي تنشف به الأيدي..».[1]

ويقول عن طائرة سعودية: " كانت الطائرة من طراز بوينج ٧٣٧ وقائدها هو سعودي اسمه (أحمد زهران)، و كانت الدرجة الأولى مليئة كلها بركاب من السعوديين ما عدا كوريا واحداً.

أما المضيفات فهما فتى سعودي وامرأة أوربية أظن أنها إنكليزية، ولكن قامت بالخدمة كلها تلك المرأة بنفس مستبشرة ووجه باش هاش ".[2]

******

۞ وصف السحاب:

يقول: "بدأت الطائرة بالتدني فوق السحاب الأبيض... اخترقته إلى فراغ تحته خطوط أو خيوط من غيم أبيض رقيق نسمية في بلادنا (السدى)... ثم اخترقته إلى سحاب ينخفض عنه كثيراً بحيث صار ذلك (السدى) يبدو

---

(١) الرحلة الروسية: ص (٢٨-٢٩).

(٢) جولة في بلاد الزنج: ص(١٤).

عالياً جداً، فذكرت عند ذاك اختلاف اللغويين في تعريف (السدى) من الغيم، بسبب كونهم لم يدركوا موقعه من السحاب وهم على الأرض".[1]

******

۞ وصف طريق:

يصف الطريق من مدينة (سق تونا) إلى مدينة (أستكهلم): «.. طريق واسع سريع اسمه (طريق أوربا رقم ٤).. اخترق الطريق جنات ملتفة إلا أنها منسقة، ولا يشينها إن لم تقل يزينها إلا أوراق قد بدأت تحمار أو تصفار حين مسها برد أكتوبر الذي هو كبرد ديسمبر في نجد فصارت كالمريض الذي اصْفَرَّ لونه قبل أن يذبل ويموت إلا أن موتها إلى نشور لا يستمر إلا عدة شهور حتى يحل عليها الربيع، وهو كربيع الشباب قصير في هذه البلاد، ولكنه ربيع كالشتاء عندنا يتبعه صيف كربيعنا، وفي خلال هذه الفصول الثلاثة غير الشتاء.. تنزل الأمطار الغزار حتى تستمر أحياناً طول الليل وأحياناً طول النهار مما جعل البلاد بلاد الأنهار والبحيرات..».[2]

******

۞ وصف مدينة:

يقول عن (فيلونس) عاصمة لتوانيا: «.. عدد سكانها لا يزيد على ٧٠٠ ألف.. فيها وسائل متعددة من وسائل النقل العامة.. (الترللي باص).. في كل الشوارع.. إلى جانب الحافلات.. وعربات الترام.. إلى جانب سيارات الأجرة المعتادة.. شوارع القسم القديم من المدينة ضيقة إلا أنها ذوات

---

(١) الرحلة الروسية: ص (٢٩-٣٠).

(٢) إلى جنوب الشمال، بلاد السويد: ص (٦٠).

أرصفة جيدة يكثر فيها المشاة الذين هم من الأوربيين الذين نعرفهم، إلا أنهم يتميزون بكثرة الشقرة فيهم، وبرشاقة ظاهرة في نسائهم بالنسبة إلى جيرانهم من الروس».[1]

******

۞ الشفق في بلاد البلطيق:

ويقول عن الشفق: الشفق هو النور الذي يكون بعد غروب الشمس، يضمحل بعد الغروب شيئاً فشيئا حتى يذهب كله...، والعادة أن يستمر في بلادنا ساعة وثلثا، أما في البلدان الشمالية فإنه يطول في الصيف حتى يبلغ طوله في بعضها أنه لا يتلاشى أبداً، وإنما يستمر في الغرب حتى يظهر نور الفجر في الشرق...، وغياب الشفق مهم من الناحية الفقهية، لأن دخول وقت صلاة العشاء يبدأ من غياب الشفق".[2]

******

۞ معلومات سياسية:

«خلعوا على بلادهم كلها اسما عاما هو الاتحاد السوفيتي الذي يعني بالترجمة الحرفية الاتحاد الشورى، فالسوفيت معناها الحرفي الاستشاريون، والجمهورية السوفيتية من هذه الجمهوريات هي جمهورية سوفيتية أي شورية بمعنى أن الأمر فيها هو شورى بين أهلها وهو شورى فيما بينها وبين الجمهوريات الأخرى داخل الاتحاد السوفيتي، هذا هو المدلول اللفظي

---

(١) في بلاد البلطيق: ص (٤٢).

(٢) في بلاد البلطيق: ص (١٢٢).

للكلمة وإن كان في الحقيقة من باب تسمية الشيء بنقيضه».[1]

- «ومما يجدر ذكره هنا أن البلاد (السويد) كان يحكمها الحزب الاشتراكي منذ ٤٠ سنة إلى ما قبل سنة واحدة حيث انتخب الحزب المحافظ الذي حاول أن يعالج اقتصاد البلاد بالحد من النفقات التي كان الحزب الاشتراكي قد التزم بها، ومن ذلك بعض ما يتعلق بالضمان الاجتماعي، مما جعل بعض الناس الذين يمسهم هذا الأمر بصفة مباشرة يغضبون على سياسة هذا الحزب المحافظ».[2]

******

۞ معلومات سكانية:

يقول: «الشعب السويدي ثابت العدد، بل إن الإحصاءات الأخيرة تدل على أن عدده ينقص بمعدل ما يقارب ٢٠٠ ألف نسمة في العام، ولكن المهاجرين يزيدونهم قليلا.. وعلى هذا تكون المدن السويدية ثابتة العدد (عدد السكان)، وبعضها ينقص عدد سكانه، ولذلك يمكنها أن تبقى على حالتها أو ما يقارب حالتها القديمة في عدد السكان وعدد المنازل إلا ما كان من العاصمة التي قد تزيد بسبب مجيء المهاجرين إليها من الريف والمدن الصغيرة.. وإن كان بعض أهلها (العاصمة) القادرين يغادرونها للعيش في مدن صغيرة أو في مناطق ريفية، طلباً للهدوء وبعدا عن تكدير المدينة وتقيداتها».[3]

---

(١) في بلاد المسلمين المنسيين: ص(٢٠).

(٢) إلى جنوب الشمال، بلاد السويد: ص (١٦٨).

(٣) إلى جنوب الشمال، بلاد السويد: ص (٦٥-٦٦).

۞ الصـــلاة:

يقول في يومياته عن مدينة ريقا عاصمة لتوانيا: «..صلى بنا الإمام.. صلاة الظهر، فجهر في الركعة الأولى بقراءة الفاتحة وسورة الإخلاص بعدها، ثم جهر في الركعة الثانية بقراءة الفاتحة وسورة الكوثر.. الأغرب منه أنه جهر بالتشهد.. والأفظع من ذلك كله أنه سلم للظهر عندما صلى ركعتين فقط».[1]

ويقول في يومياته عن مدينة في بولندا: «.. صلينا الظهر خلف إمام المسجد.. فصلى الظهر أربعاً يجهر فيها كلها.. وكان قال لي: إن الظهر عشر ركعات، أربع قبلها، واثنتان بعدها، وهي أربع، والأغرب.. أنه يسألني في محضر من القوم عن عدد ركعات صلاة الجمعة، أهي اثنتان أم أربع؟ فأسرعت أقول له: إنها اثنتان، فالتفت إلى قومه، وقال: ألم أقل لكم إنها اثنتان؟!».[2]

******

۞ إعجاب بالبرازيل:

- «.. بلاد البرازيل - عمرها الله تعالى - التي يكون الإفطار فيها أكثر تنوعا من طعام العشاء وقد ذكرت ذلك في الكتب التي ألفتها عن البرازيل وعددها سبعة».[3]

- «على غاية من الأدب في المرور والجلوس والتعامل مع الآخرين..

---

(١) في بلاد البلطيق: ص (١٥٠).

(٢) في بلاد البلطيق: ص (١٥١).

(٣) في بلاد البلطيق: ص (٤٠).

فهؤلاء البرازيليون يفعلون ذلك من قلوبهم بإخلاص غير متكلف».[1]

- «سبحان الذي أعطى أهل البرازيل هذا العطاء الجزيل».[2]

******

۞ إعجاب بالسويد:

- «.. الذي لا يكاد يصدقه المرء.. أنها (الحكومة السويدية) تساعد الجمعيات الإسلامية في السويد على قيامها بالدعوة إلى الدين الإسلامي حتى إذا عرفت أن جمعية إسلامية قد فترت همم أصحابها عن العمل في الدعوة الإسلامية، وأنها تركت ذلك لسبب من الأسباب، قطعت عنها المساعدة المالية وصرفتها إلى غيرها من الجمعيات الإسلامية العاملة، أو احتفظت بها لمن يعملون عملا إسلامياً أكثر».[3]

- «كثير من بني قومنا، وبخاصة من المتدينين.. يجعلون ديدنهم هجو السويديين، وتكرار نعتهم بالانحلال والفسوق..، إذ يتجاهلون الخطوات الإنسانية التي اتخذها السويديون في الميادين الاجتماعية وغيرها.. وفعلهم ذلك قد يجعل الشباب المسلم ممن لا يعرفون الأمر على حقيقته، وإنما يسمع ذلك سماعاً من أولئك الغيورين، يظن بل ربما يرسخ في ذهنه، أن العدل والضمان الاجتماعي والأمور الإنسانية الجيدة التي عند السويديين، إنما مرجعه إلى كونهم فسقة منحلين، وإنه لابد لبلوغ تلك المرتبة من العدل والضمان الاجتماعي من أن يكون الشعب الذي يريد أن يصل إلى ما وصلوا

---

(١) في غرب البرازيل: ص (١٣).

(٢) في غرب البرازيل: ص (١٤).

(٣) إلى جنوب الشمال، بلاد السويد: ص (٣٣).

إليه مثلهم، بأن يعمل مثل عملهم مع أن ذلك غير صحيح، بل ربما كانوا هم أنفسهم متذمرين من الانحلال الاجتماعي ومن الفسوق المستشري في بلادهم».[1]

******

۞ إعجاب بمسلمي الهند:

مما يدل على ذلك أنه ألَّف عشرة كتب عن الهند (حتى ١٤١٩هـ)، يقول في واحد منها: «وهدفي من هذا الكتاب - بالدرجة الأولى - هو أن يطلع الإخوة المسلمون في العالم على حال إخوتهم المسلمين في الهند، وعلى ما بذلوه بل ما أسسوه واستنوه من عادات حميدة في عمارة المساجد، وإقامة الجامعات والمدارس، وتخصيص دور الأيتام، ورعاية العجزة وذوي العاهات..».[2]

******

۞ رأيه في اللباس العربي والعالمي:

- يقول في رحلة إلى الاتحاد السوفيتي: «وأما نحن فإننا كلنا نلبس الثياب العربية الكاملة، وذلك لكون زيارتنا رسمية».[3]

- ويقول في رحلة إلى السويد: «من عادتي أن ألبس اللباس العالمي المسمى الإفرنجي في المطارات الدولية..»، «هذا اللباس الذي يلبسه بنو قومنا في الوقت الحاضر، ليس بلباس العرب المسلمين الأوائل..، ولا نستطيع أن نقول: إنه اللباس الإسلامي»، اللباس العربي في أوروبا يدل عند

---

(١) إلى جنوب الشمال، بلاد السويد: ص (٣٤-٣٥).

(٢) في شرق الهند: ص (٧-٨).

(٣) في بلاد المسلمين المنسيين: ص (٣٧).

الأوروبيين «على أن لابسه أحد رجلين: إما ثري من العرب الذين يعتبرونهم من الأغنياء الأغبياء..، وإما رجل مغفل متأخر - في نظرهم - لا يقدر الأمور حق قدرها، ولا يعرف للظروف حكمها، لأنهم هكذا عرفوا أناسا من بني قومنا»، «الزي العالمي الذي كان يسمى بالزي الإفرنجي قد أصبح شاملاً للعالم كله حتى أصبح لابسوه في العالم أكثر من لابسيه الإفرنج».[1]

******

۞ سوق القات:[2]

مررنا بسوق مسقف بسقف من الإسمنت المسلح وجميع المعروض فيه نبات واحد، فسألنا عنه فقيل لنا إنه القات، وقد رأينا الأهالي هنا حتى بعض النساء يأكلونه بينهم، وقد رأينا بعد ذلك أن خدم المطاعم يأكلونه وهم يباشرون إحضار طلبات الزبائن، ولذلك فقد زال عجبنا من تخصيص سوق للقات. وكثير ما كنت أرثي لبعض المساكين الذين تبدو عليهم مظاهر البؤس والشقاء وقد افترشوا أرض الشارع، وأخذوا يمضغون قشور القات وعيدانه الدقيقة، وهم ينظرون إلى المارة ببلاهة. والعجيب أن الذين يأتون هنا من أي مكان يتزودون بالقات من هذه المدينة، مدينة دردوا، لأن الذي يباع في هذه المدينة من القات في زعمهم من أحسن أنواعه، وهم لا يرون به بأسا حتى إننا عندما فرغنا من تناول الطعام في أحد المطاعم العربية بادرنا الخادم بقليل من أعواد القات لنستعملها كخلال، فرفضنا ذلك بطبيعة

---

(١) إلى جنوب الشمال، بلاد السويس: ص (٤٠-٤٣).

(٢) انظر: «في إفريقية الخضراء» للشيخ محمد العبودي (ص: ١٦٠-١٦٢). ط: دار الثقافة - بيروت.

الحال. وكان هذا مثار عجب الخادم الذي لم يقتنع بما أخبرناه بـه مـن مضـار القات.

رأينا قبل المغرب مقهى نظيفاً ينبعث منـه صـوت المذياع بلغة لم نعرفـها ولكنها ليست أمهرية، فسألنا أحد الموجودين عنه فقال: إنه مقهى صـومالي، فشربنا فيه الشاي وقد أعجبنا بروح الصوماليين الـذين فتحـوا المـذياع عـلى إذاعة جمهورية الصومال وباللغة الصومالية، مع العلم أن الصـومال الآن في حالة تشبه حالة الحرب مع الحبشة. وقد صلينا المغرب في جامع النور، وهـو أكبر جامع في مدينة دردوا، كما قدمت، وقد غـص بالمصـلين قبـل غـروب الشمس، ثم قدم المؤذن فأذن لصلاة المغرب - ثم لبث مدة ثـلاث دقـائق - ثم وقف أمام مكبر الصوت الموجود في المسجد وقال بصوت مرتفع: اللهـم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعـلى أصـحابه أجمعـين.. اللهـم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين... ثم أقام الصلاة.

ولما كبر الإمام تكبيرة الإحرام كبر النـاس مـن خلفـه بصـوت مرتفـع لم نألفه، وكذلك رفع الناس أصواتهم بالتـأمين رفعـاً شـديداً وبنغمـة جماعيـة واحدة يمدون أصواتهم بالتأمين حتـى تـردد أصـداؤه فـيما حـول المسـجد، ويزيد من ذلك أصوات الصبيان من خلف الصفوف. وعنـدما فـرغ الإمـام من صلاته استمر مستقبلاً القبلة، ولم يلتفت إلى المأمومين برهة طويلـة، ثـم التفت إليهم وقال بصوت مرتفع: سبحان الله.. فقالوا كلهم بصوت مرتفـع أيضاً بعده: سبحان الله.. فسكت قليلاً يعد التسبيح على أنامل أصـابعه، ثـم قال بصوت مرتفع أيضاً: الحمد لله. فتابعوه بصوت مرتفع أيضاً.. ثم سكت كالأول، ثم قال: الله أكبر. فتابعوه أيضاً، فلـما فـرغ مـن عـد التسـبيح عـلى أنامله، قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو عـلى

كل شيء قدير.. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.. ثم أخذ يدعو وهم في كل ذلك يتابعونه بشكل جماعي وبصوت مرتفع وعلى نغمة واحدة، وقد رفعوا أيديهم بالدعاء.

والحقيقة أنني تأثرت في مسجد دردوا وأنا أرى المسلمين وهم لا سلطان لهم ولا حول ولا طول، وقد غص بهم المسجد وأحضروا معهم أولادهم للصلاة وغشيني من التأثر بجلال العبادة ما لا عهد لي به منذ مدة.

******

۞ هل نحن مغامرون حقا...؟

تقع منطقة هرر ضمن منطقة الثورة التي أشعلها إخواننا الصوماليون للتخلص من نير الحكم الحبشي هنا، تماماً كما تقع مدينة اغردات في ارتيرية ضمن منطقة الثورة التي يقوم بها الارتيريون هناك، إلا أن في هذه المنطقة، أي منطقة هرر، يوجد عامل له أهمية عظمى في الموضوع، وهو كون منطقة هرر تقع على الحدود مع جمهورية الصومال التي تمد الثوار بما يحتاجون إليه من مساعدات، وذلك لأن منطقة هرر ذاتها تعتبر أراضي صومالية لأنها يقطنها مسلمون أغلبهم من الجنس الصومالي. وكانت عاصمة سلطنة إسلامية عظيمة كانت على طول القرون تكافح الأحباش وتنتصر عليهم في أكثر المواقع. إلا إن النوم الطويل الذي ران على بلاد المسلمين، والخرافات التي دخلت في دينهم وغزت أفكارهم، قد مهدا لضعفهم وبالتالي لاستيلاء أعدائهم عليهم، وعندما أردنا السفر إلى هرر سألنا كما هي عادتنا عن الشخصيات الإسلامية التي يمكن أن يركن إليها في المساعدة على التعرف على المدارس والجهات الإسلامية هناك، فأخذنا أسماء بعضها، ولكننا حذرنا من الاتصال بهم علانية لئلا يفضي ذلك إلى إيذائهم من قبل الحكومة

الحبشية. وهكذا أرسلنا زميلنا الشيخ عمر محمد منفرداً متنكراً إلى حانوت أحد المسلمين المذكورين. وكان قد أخبر بنا قبل قدومنا فأرسل يقول لصاحبنا إنه لا يستطيع التحدث إليه إلا بعد المغرب وإن موعده المسجد ثم ذهب وتركه. وفي وقت صلاة العشاء الليلة البارحة التي التقى به وقال له: إنكم حقاً مغامرون كيف تأتون إلى هرر وأنتم تعرفون أنها منطقة ثورة أو قل مسرح حرب، ولا شك أنكم رأيتم التحركات العسكرية وأفراد الجنود والسيارات والمصفحات الحبشية، فقال له زميلنا: لقد رأينا ذلك ولكن الرغبة في الإطلاع على أحوال المسلمين والاتصال بزعمائهم ومساعدة الهيئات الإسلامية هي التي حملتنا على ذلك.

ثم قال له زميلنا: إننا على استعداد لكي ندفع بعض المساعدات المادية من الجامعة الإسلامية للمدارس الإسلامية هنا في هرر فقال: إننا لا نستطيع أخذ شيء من ذلك ولن تستطع أن تجد من يقدر على ذلك مع الحاجة الماسة إليه، لأن أية شبهة في مثل هذه الظروف معناها الكارثة على الجميع.

وهكذا لم نستطع بذل أية مساعدة مادية في هرر.[1]

******

۞ يقتحم الغرفة:

وبعد العشاء وكنا نتحدث في الفندق لم نشعر إلا بباب الغرفة قد فتح وإذا برجل المباحث الذي كان قد أوقفنا في الشارع يدخل بدون استئذان وهو يتكلم العربية بطلاقة ثم يبدأ تحقيقه معنا بطريقة العارف المتمرس بهذه الأمور. ولا ندري كيف عرف أننا نسكن في هذا الفندق إذا لم يكن من

---

(١) انظر: ((في إفريقية الخضراء)) للشيخ: محمد العبودي (ص: ١٧٥-١٧٧). ط: دار الثقافة - بيروت.

المباحث، وبعد حوالي الساعة تركنا ونحن نكاد نتيقن الآن أنه مباحثي، وهكذا عزمنا على سرعة مغادرة الحبشة.

و أخذنا أوراقنا التي فيها مذكراتنا وملاحظاتنا إلى مكان آخر.[1]

******

۞ على ضفاف بحيرة فيكتوريا :

يطل فندقنا الذي ننزله على ضفاف بحيرة فيكتوريا إذ أننا ونحن في شرفته كنا نشاهد المراكب الكبيرة التي تمخر عباب البحيرة ذاهبة و آيبة وكنا نرى أسراب الطيور الإفريقية الجميلة في فروع الشجر النامية على شعاب ضفافها. وكان قد رحب بنا بصفة خاصة من مستخدمي الفندق عربي حضرمي يدعى سالم سعيد وهو ذكي له مدة طويلة في كينية حيث كان يعيش في ممباسا على الساحل ثم انتقل إلى هنا. وقد صاحبنا بعد العصر في سيارة أجرة سارت بنا على ضفاف بحيرة فيكتوريا نيانزا، ثم دخلنا إلى ميناء كبير على البحيرة بموجب إذن خاص من إدارة الجمرك هناك، وقد شاهدنا البواخر وهي تفرغ حمولتها وينزل منها المسافرون وبعضهم من السياح الأوربيين الذين قدموا من أوغندة بهذه البواخر التي تمخر عباب البحيرة الكبيرة والبواخر كبيرة بحيث تلفت النظر ويتعجب المرء كيف يستطيع ماء البحيرة أن يتحمل ثقلها، فهي لا تقل حجماً عن بواخر الخطوط البحرية السعودية التي تسافر من ميناء جدة إلى الموانئ الأخرى. وتمتد هذه البحيرة مسافة طويلة يسير المرء فيها بالباخرة المذكور مساحة ١٥٠ كيلومتراً داخل كينية ثم تصل إلى حدود أوغندة والميناء المذكور على البحيرة غاص بالسفن

---

(١) انظر: ((في إفريقية الخضراء)) للشيخ: محمد العبودي (ص: ١٧٩-١٨٠). ط: دار الثقافة - بيروت.

وبعضها ينزل البضائع وبعضها ينتظر دوره في إنزال البضائع التي يحملها. وقد حدثونا أن السائحين الأوربيين يختارون هذا الطريق للسفر بين كنية و أوغندة لما يوفره من المتعة والراحة وقد يقترب طريق السفن من الشاطئ والأدغال فيشاهدون الوحوش، والحيوانات على طبيعتها. وقد تجمع على الأشجار التي تحف بالبحيرة عدد كبير من الطيور المائية المهاجرة كالبط والرهو والغرانيق ولا من صائد في هذا المكان، لأنه حرم للجمرك ولأن بعض الأماكن البعيدة موحلة لا يستطاع الاقتراب منها. أما في الأماكن الأخرى، فإن بعض الموسرين من الأوروبيين والهنود قد اعتادوا صيد الطير هنا. أما الأسماك فهي متوفرة في البحيرة ورخيصة وقد وجدنا ذلك في المطعم ولكنهم هنا كما في الحبشة لا يبيعون السمك بالوزن ولكن بالعد ككثير من الفواكه والخضروات ولا يبيعون وزناً إلا اللحم الذي يساوي البقري منه (ريالاً وربعاً سعودياً) للكيلو الواحد ولحم الضأن ريالين للكيلو وذلك بسبب توفر المراعي، لأن الأرض جميعها خضراء فلا يمكن أن تقع عينك على مكان يابس أو خال من العشب.[1]

******

۞ قرية باندانى الإسلامية:

قلت: إن المسلين هنا أقلية ولذلك فإن من بين من زارنا هنا شخص يدعى (عبد الكريم) وهو مسلم كان قد عاش في ممباسا على الساحل. وقد عزم علينا أن نزور قريته التي تبعد حوالي ثلاثة أميال عن مدينة كيسومو لأنها قرية إسلامية. فأخذنا سيارة أجرة بعد العصر ووصلنا القرية وقد رحب بنا

---

(١) انظر: ((في إفريقية الخضراء)) للشيخ: محمد العبودي (ص: ٢٢١-٢٢٣). ط: دار الثقافة - بيروت.

أهلها وكان كل من يرانا منهم حتى النساء يسلم علينا أو يومي لنا بالسلام من بعد مما أعاد إلى آذاننا التحية الإسلامية التي افتقدناها منذ فارقنا السودان، لأن التحية في الحبشة هز الرأس والانحناء، وفي كينية لا يسلمون إلا على من يعرفونهم كعادة الإنكليز. كما نعمنا بسماع الأسماء الإسلامية الخالصة مثل محمد وحسن وعمر. (وأبو بكر وصالح).

وقد دخلنا بعض بيوت القرية بدعوات من أهلها وهي جميعها تتألف من بيوت بنيت من الطين وظللت بسقوف من الصفيح مسنمة حتى تنزلق عنها الأمطار الكثيرة وبلطت أرضها بالإسمنت، وداخل البيوت نظيف جداً إلى حد لا تبلغه نظافة أكثر البيوت القروية في بلاد الشرق الأوسط وفيه مقاعد وثيرة، وقد اعتادوا أن يعلقوا على الحيطان بعض المناظر الجميلة، وصور الأقارب والأصدقاء. وبعض البيوت هنا يتألف من غرفتين وبعضها من ثلاث إلا أن مساحة الغرف صغيرة، وقد اعتادوا أن يبنوا خارج كل بيت مكاناً منفرداً حجرة صغيرة بالصفيح يخصصونها لقضاء الحاجة حيث لا يوجد في بيوتهم مراحيض لصغرها. وكان الجو في هذه القرية الإسلامية الصغيرة تحت خط الاستواء وبجوار البحيرة العظيمة المشهورة (فكتوريا نيانزا) رائعاً حقاً فالنسيم العليل والسحب الكثيفة السوداء التي كانت تجلل الأفق الغربي من السماء والقطارات التي مرت بالقرية عابرة إلى أوغندة أو غيرها من أنحاء كينية ومنظر الأهالي المسلمين وهم يستبشرون برؤية وجوه قادمة من جوار المصطفى صلى الله عليه وسلم منظر لا يمكن أن يمحى من الخاطر وصورة تظل في أغلب الظن خالدة في الشعور.

وقد أدينا صلاة المغرب معهم في المسجد والواقع أنني كنت أغالب الدمع من فرط التأثر وأنا أرى وأسمع وألمس مدى فرحهم واغتباطهم برؤية

إخوان لهم في الإسلام على بعد الشقة وطول المزار.

ويقول أهل القرية: إن قريتهم تعد أكثر من ألف نسمة ومسجدها الذي بناه الأهالي بجهدهم وعرقهم وصرفوا عليه مبلغ ١٣ ألف شلن وهو مسجد صغير يتسع لحوالي ثمانين مصلياً إلا أنه تحيط به مساحة كبيرة من الأرض اشتروها معه لكي يسوروها ويلحقوها بالمسجد ويبنوا فيها كتّاباً للأطفال ودورة مياه للمسجد إن استطاعوا لذلك سبيلاً، وقد لفت نظري قبر في جانب الفناء المكشوف فسألناهم عنه، فقالوا: إن هذا قبر (المولم بلال) أي المعلم بلال وأنه كان إمام المسجد السابق وممن حمل العبء الأكبر من السعي على بنائه وأنه لما توفي لم يدفنوه في مقابرهم وإنما دفنوه فيما قالوا (قريباً من المسجد) الذي كان يصلي فيه وفاء لما قام به من عمل للمسجد، وليستأنس من قبره بأصوات قرّاء القرآن فيه.

وقد احتجنا للوضوء قبل الصلاة فأحضروا لنا من البيوت ماء بالأباريق، واعتذروا إلينا لأنهم لم يستطيعوا مد مواسير المياه إلى المسجد لعدم وجود النقود وقالوا: إنهم يتمنون لو أمكنهم مد مواسير المياه للمسجد حتى ينتفع من ذلك المصلون في المسجد وكل أهالي القرية وإن أنابيب المياه لا تبعد عنهم إلا حوالي (٥٠٠) متر من قريتهم ولكن الحكومة لا يمكن أن توصلها إليهم إلا إذا دفعوا المصاريف اللازمة، وقالوا: إنهم يشربون الآن مياها غير صالحة تتجمع من مياه الأمطار في بعض الآبار التي حفرت لهذا الغرض. وقد بحثنا معهم بعد الصلاة في هذا الموضوع فعلمنا أنهم قد جمعوا لذلك مبلغ (٥٠٠) شلن أي (٣٠٠) ريال، وإن ذلك لا يكفي فتبرعنا لهم بمبلغ من المال وطلبنا منهم أن يحضروا غداً إلى القاضي حتى نسلمه لزعيمهم ويكون ذلك على يد القاضي وبحضور كبراء أهل القرية وهو مبلغ يكفي لمد

المسجد وبالتالي القرية بأنابيب المياه كما يكفي لبناء دورة مياه في المسجد. وكنا نسير على أرضهم المعشبة حتى يكاد يصل العشب إلى ركبة الماشي فسألناهم: ما دام العشب موجوداً في كل بلادكم بهذه الوفرة لماذا لا تقتنون بقراً أو شاءاً وتربونها؟ فأجابوا: (والكلام جميعه بالإنكليزية لأنه لا يوجد فيهم من يحسن العربية حتى إمامهم) أجابوا: بأن العشب موجود وتربية المواشي ممكنة ولكن النقود غير موجودة!

وقد شيعنا الأهالي ونحن نعود بعد المغرب إلى مدينة كيسومو بالتبجيل والاحترام.[1]

******

۞ في مسجد عبد الله شاه:

أدينا صلاة الجمعة اليوم في المسجد الجامع الكبير الذي وصفته من قبل، وقد امتلأ المسجد على رحبه بالمصلين، حتى صلى بعضهم في الشمس، وأغلبهم من الباكستانيين ومسلمي الهند، وفيهم من الأفريقيين والعرب، وقد ألقى صاحبنا الشيخ أبو بكر جابر موعظة بعد الصلاة بالعربية ترجمها أحد الحاضرين من الأفريقيين الذين تعلموا العربية في زنجبار إلى اللغة السواحلية التي يعرفها الجميع، وكان لكلمته أثر طيب في نفوس سامعيه فجزاه الله خيراً.

******

۞ حديقة البلدية:

ذهبنا بعد الظهر إلى حديقة البلدية وتدعى (بارك سيتي) وهي تشبه متحفاً لأنواع النبات الحي النامي، ففيها من الأنواع الغربية ما أثار عجبنا

---

(١) انظر: ((في إفريقية الخضراء)) للشيخ: محمد العبودي (ص: ٢٣٠-٢٣٣). ط: دار الثقافة - بيروت.

ودهشتنا. أما أنواع الزهور وألوانها فشيء لم نسمع ببعضه فضلاً عن رؤيته، وقد ساعد جو نيروبي المعتدل على نمو نباتات البلاد الحارة والباردة معاً، والدخول إليها مجاني، وقد كتب على بابها بالإنجليزية إعلاناً عنوانه (باسم القانون) أدرجت تحته عدة أوامر منها عدم لمس النباتات، والسير في المواضع المخصصة للمشي فقط وعدم وطء الأعشاب.... الخ.[1]

******

۞ عراة من الماساي:

وبعد مسيرة ما يقرب من (٢٠٠) كيلو متراً. وفي إحدى المحطات التي وقف فيها السائق فوجئت بأن صعد إلى السيارة رجل وامرأتان وطفل عمره (١٠) سنوات. أما الطفل فكان عرياناً تماماً ولكن عري الأطفال في القرى الأفريقية ليس غريباً، وإنما الغريب أن الرجل والمرأتين كانوا عراة ليس عليهم إلا قطعة من القماش الخفيف الذي يشبه الرداء وقد وضعه كل منهم على ظهره وعقد طرفه تحت حنكه. وعندما صعدوا السيارة انفرج أمامه فبدت عورة كل منهم ظاهرة بارزة، وقد سارعت لأرى أثر ذلك في وجوههم خجلاً أو استحياء ولكنني لم ألمس ذلك منهم. ومن حسن حظنا أنهم قصدوا مقاعد الدرجة الأولى وجلسوا معنا، فجعلت أتأملهم، والحقيقة أنك لا تستطيع تمييز الرجل من المرأة إلا بما خلق الله لهما، فالمرأة والرجل كلاهما ليس في وجهه شعر وكلاهما قد خرق أذنيه، وأثقلهما بعدد من الأقراط (والدناديش)، بل وجعل في أعلاهما حلقا بيضاء لعلها من الفضة أو الصفيح تكون قائمة في أعلى الأذن زيادة على الأقراط والأشياء

---

(١) انظر: ((في إفريقية الخضراء)) للشيخ: محمد العبودي (ص: ٢٤١-٢٤٢). ط: دار الثقافة - بيروت.

الأخرى التي تتدلى منها، وعلى كل منهما عصابة سوداء من الجلد. وبعد مدة لاحظت أن الرجل يضع أساور في عضده وفوق ركبته بخلاف المرأة كما أنه يحمل عصا غليظاً وهي لا تحملها. وعندما جلسوا في السيارة كانت جميع عوراتهم بادية مما يجعل المرء تتقزز نفسه ويشمئز من منظرهم، ثم حضر الجابي وأبعدهم من الدرجة الأولى. وقد علمت بعد ذلك أنهم من قبائل الماساي التي تقطن كينية وتنجانيقة كما رأيتهم بعد ذلك وهم لا يرون بالعري بأساً وقد شاهدت الواحد منهم إذا أراد أن يحك ظهره أو دبره رفع الخرقة الوحيدة الموجودة على ظهره وأخذ يحتك بعصاه وعورته بادية للناس، وقيل لنا عنهم إنهم من أغنى القبائل الأفريقية لأنهم رعاة مهرة يمتلكون قطعاناً كثيرة من الأبقار، كما أنهم محاربون أشداء، ويقال إن أصلهم من الحاميين أي الصوماليين والجالا الذين قدموا في فترة بعيدة إلى تلك البلاد وتغلبوا على السكان الأصليين الذين كانوا موجودين فيها قبل قدومهم.

وهم يعتمدون في غذائهم على اللبن واللحم، وأفضل الأشربة عندهم هو الدم الممزوج باللبن، وقد رأينا في المتحف الأدوات التي كانوا يفصدون بها البقر ويستخرجون الدم من شرايينها وهي حية، ثم يمزجونه باللبن الذي يحلبونه منها ثم يشربونه، وهم جفاة ونسبة التعليم فيهم قليلة، ولم يدخل إلى الدين المسيحي ولا في الدين الإسلامي منهم إلا القليل، أما أغلبيتهم فوثنية حتى الآن.[1]

وقبل الوصول إلى ممباسة بحوالي (٨٠) كلم، لاحظنا أن زي السكان قد بدأ يتغير، فأصبحت ترى النساء لا يسترن النصف الأعلى من أجسامهن

---

(١) انظر: ((في إفريقية الخضراء)) للشيخ: محمد العبودي (ص: ٢٤٩). ط: دار الثقافة - بيروت.

فيبدو الصدر مع أعلى النهدين عارياً وكذلك ما يقابله من الظهر. أما قبل ذلك فقد كان زي الأفريقيين هو الزي الإفرنجي. وقبل الوصول إلى ممباسة بحوالي (٣٥) كيلومتراً بدأت البساتين والأشجار المغروسة تجلل الأرض ومنها أشجار النارجيل (أي جوز الهند) التي يشبه منظرها على البعد منظر النخيل فتذكرنا ببلادنا. ثم أخذت هذه الأشجار تزداد كثافتها حتى وصلنا ممباسة. وكان سائق سيارة الأجرة التي أقلتنا من موقف الحافلة التي قدمنا بها، عربياً عماني الأصل قال لنا: إن اسمه الشيخ عبد الله كذا أثبت كلمة الشيخ لنفسه أمام اسمه، وهو يتحدث العربية بصعوبة، ويلبس اللباس العماني التقليدي، ولكن ليس له لحية طويلة. وذهب بنا إلى فندق يسمى (الياس هوتيل) أي فندق الياس قال إنه فندق إسلامي صاحبه هندي مسلم وهو رخيص الأجرة إذ أن الليلة الواحدة فيه (٥) شلنات أي ثلاثة ريالات سعودية. وقد تناولنا العشاء بعد ذلك في المطعم التابع للفندق وهو نظيف إلا أن طعامه مطهو على الطريقة الهندية التي لا نستسيغها إطلاقاً ومع ذلك فكان الطعام غالياً حيث أخذ منا لقاء وجبة تمتاز بالشح والتقتير مكونة من حبات من الأرز وقطعة من اللحم لا تزيد عن حجم البيضة ٣,٥ شلنات أي ريالين وربع، وقد اخترنا هذا الفندق لما ذكره لنا السائق ولأنه يقع في قلب الحي الإسلامي من مدينة ممباسة، وقريب من المساجد فيها كما ذكر لنا، ووجدنا ما ذكره صحيحاً.

******

۞ هل نحن في نجد...؟

استرعى انتباهنا فجر اليوم كثرة المؤذنين وارتفاع أصواتهم خلال الليل الساكن وهذه البلدة كثيرة الحركة، وقد ابتهجنا لذلك ونزلنا لصلاة الفجر

في أقرب مسجد لدينا، وقد استرعى انتباهنا أكثر وجود المنبهين لصلاة الفجر الذين كانوا يطوفون الشوارع و ينادون بأصوات عالية كأنهم (المسحراتية) في شهر رمضان: الصلاة... الصلاة... يا عباد الله الصلاة، فأخذنا نتساءل هل نحن في نجد؟.. وقد كان المسجد عامراً بالمصلين في هذا الوقت الذي لا يلبي فيه نداء المؤذنين في كثير من البلاد الإسلامية إلا القليل. ولا غرو فنحن في ممباسة التي إذا نظرنا إلى نسبة السكان المسلمين فيها تعتبر مدينة إسلامية.

******

۞ مع فضيلة رئيس القضاء:

وفي الصباح تناولنا طعام الفطور في مطعم الخيام ويتولى طهي الطعام فيه عربي يظهر أنه من اليمن أما صاحبه فهو هندي، ثم توجهنا إلى بناية المحكمة في ممباسة حيث سألنا عن رئيس قضاة المسلمين في كينية وهو فضيلة الشيخ محمد قاسم المزروعي، وكنا قد سمعنا عنه من قبل فدخلنا عليه مكتبه وهو غرفة واسعة عليها مكتبان أحدهما له والثاني كان فارغاً ولعله لكاتبه الخاص. وفضيلته قد نزح أجداده قبل مئتي سنة من عمان إلى شرقي أفريقية فبدا مظهره بين العرب و السواحليين، ويلبس قميصاً طويلاً وجبة، وعلى رأسه عمامة خفيفة أدارها حول طاقية سواحلية، ويتكلم العربية بطلاقة وفصاحة. ويمتاز حديثه بالعمق والأصالة، وقد أعجبتنا آراؤه الصائبة وأفكاره النيرة. وقد رحب بنا أكثر عندما عرفناه بأنفسنا وقلنا إننا من المدينة المنورة وقلنا لفضيلته: إننا جئنا إلى هذه البلاد فرأينا أداءً للواجب لكم على المسلمين، أن نزوركم، ونستفيد منكم بعض المعلومات من المسلمين وأحوالهم في هذه البلاد، لا سيما وأنتم بحكم منصبكم وشخصيتكم أولى

من يتكلم عن ذلك.

وقد استمر الحديث معه عن هذا الموضوع مدة تزيد على الساعتين، ووعدنا بناء على طلبنا بأن يزودنا بمعلومات أكثر من ذلك كما علمنا أن حالة المسلمين هنا تدعو للرثاء.

وأنهم منقسمون على أنفسهم، فمسلمو الهند يعزلون أنفسهم عن مسلمي العرب. ومسلمو العرب يعزلون أنفسهم عن مسلمي الأفريقيين. ومسلمو الأفريقيين يعزلون أنفسهم عن الجميع. بل وقد يظهرون العداء للعرب. وقد نشرت الجرائد قبل مدة أن جماعة من مسلمي الأفريقيين قد طلبوا مقابلة الزعيم جومو كينياتا رئيس وزراء كينية ليطلبوا منه أن يعين لهم قضاة من غير العرب الذين كان العرف المتبع أن يتولوا القضاء الشرعي للمسلين في كينية عربهم وأفارقتهم. وبعد الاستقلال أمرت الحكومة أن تشمل صلاحية قاضي المسلمين مسلمي الهنود أيضاً. وقال: إن المسلمين على الرغم من كونهم أغلبية في مدينة ممباسة فإن المناصب الحكومية وأغلب الحركة التجارية فيها ليست في أيديهم، وقال إن مستوى حياة أكثرهم ليس عالياً، بل إنه دون المتوسط، ثم شكرناه مودعين. ولا شك أن ما ذكره فضيلته عن مظهر بعض الأفريقيين للعرب كانت له أسباب عميقة الجذور ساعد على نموها فورة القومية الأفريقية التي نتجت عنها مأساة زنجبار، وأرجو أن أتحدث عن ذلك في المستقبل عندما أحصل على المعلومات الكافية المقنعة عنه.[1]

******

(١) انظر: ((في إفريقية الخضراء)) للشيخ: محمد العبودي (ص: ٢٥٣-٢٥٥). ط: دار الثقافة - بيروت.

۞ حديقة الحيات:

ذهبنا بعد ظهر اليوم إلى حديقة الحيات في نيروبي، وكان رسم الدخول شلنين للشخص الواحد. أما الأنواع المنوعة من الحيات والأفاعي والثعابين الموجودة في الحديقة فمنظرها رائع بل مفزع فهناك مجموعة بل مجموعات كبيرة منها وقد وضع بعضها في الحوائط تحجزها من الخروج نوافذ زجاجية يمكن للمتفرج مراقبتها من داخلها، وكتب على واجهاتها بيانات عن تلك الحيات، ومواطنها الأصلية، وبعضها قد أحيط بما يشبه البيئة الطبيعية التي كان يوجد فيها في الأصل فنثرت حوله أوراق الشجر، أو جعل معه أعواد الحطب، أو فرش مكانه بالرمل أو الحصى، وكان أخطرها ما لا تستطيع أن نميزه عما يحيط به إلا بعد جهد، وهذا هو الخطر لأن المرء لا يراه، وبعض الأفاعي قد ترك في قفصه غذاءه من الجرذان وصغار الضفادع.

ومن أعجب ما فيها أفعى كبيرة سوداء اللون منقطة ببياض قد أفردت لها حجرة أرضيتها خاصة ويطل المرء عليها من نافذة زجاجية فوقها فتراها هنا وقد انطوت عدة طيات فيخيل إليك أنها مجموعة من إطارات السيارات الصغيرة الداخلية السوداء قد نفخت وأعدت للاستعمال.

شي عجيب، لا يمكن للمرء إلا أن يذهل له ويدهش، وأعتقد أنها لو وزنت لبلغ وزنها وزن خروف. ومن الحيات القصير الضخم الذي لا يزيد طوله على ذراع ولكنه أعرض من ذراع الرجل، ورأسه مفلطح لا يميزه غير ذلك عن بقية جسده، وهناك مكان مسور غرست فيه مجموعة أشجار وحشائش ووضع فيه مستنقع صناعي للمياه وتركت فيه الحيات تعيش على طبيعتها فتتسلق الأشجار، وتتلوى على الأغصان، أو تختبئ بين الحشائش، أو تدخل تحت الأحجار، أو تقرب من المستنقعات، وجداره يبلغ ارتفاعه

قامة الرجل ولكنه مطلي بمادة ملساء لا تسمح للحيات بأن تتسلقها ويشرف عليها المتفرج من فوق.

وفي ركن آخر من المتحف موضع للسلاحف بأنواعها.

وآخر للورل وثالث للتماسيح الضخمة التي رأينا عيونها كأنما تغرق بالدموع فذكرنا المثل (دموع التماسيح).

وقد خرجنا من الحديقة المذكورة قبل الغروب وفي ذهن كل واحد منا صورة لذلك العالم المفزع الذي كنا قد عشنا فيه من قبل: عالم الحيات.[1]

******

۞ صخرة الجمل:

من زيارة إلى سامو الأمريكية وعاصمتها باقوباقو.

يقول: كنت قرأت في منشور كانوا قد أعطونا إياه يتحدث عن الأشياء التي يراها من يذهب في هذه الجولة، وفيه الحديث عن صخرة الجمل الذي يريدون به البعير، فكلمة جمل التي تدل في العربية على الذكر من الإبل أصبحت في الإنجليزية علماً على البعير سواء أكان جملاً أم ناقة.

فقلت في نفسي: ما للبعير سواء منه جمله أو ناقته، وهذه الجزر التي لو كانت للعرب لما استطاع الجمل أن يعيش فيها فكيف وهي خالية من العرب؟

وجاءت المناسبة عندما أقبلنا على جزيرة صغيرة في البحر غير بعيدة من الشاطئ وكان الطريق يسير قرب الشاطئ، فقال السائق: سوف نقف قليلاً

---

(١) انظر: ((في إفريقية الخضراء)) للشيخ: محمد العبودي (ص: ٢٧٧-٢٧٩). ط: دار الثقافة - بيروت.

لتأمل صخرة الجمل وليصورها من يريد منكم التصوير، واسمها بالإنكليزية (كامل راك).[1]

******

۞ المقبرة بأجرة شهرية:

في جولة في مدينة لواندا عاصمة انقولا. يقول: (تركنا حي بالنقا) عائدين إلى قلب المدينة فمررنا بمقبرة فيها أسست في عهد البرتقاليين فأخبرنا المرافقون أن مدة إقامة الميت في قبره محدودة بستة أشهر، لا يجوز أن يتعداها، وإذا أراد هو أو أهله بعد وفاته أن يقيم جسده في القبر أكثر من ستة أشهر كان عليه أن يدفع أجرة شهرية مقابل ذلك بمعنى آخر أخرج كما يخرج كل ميت بعد ستة أشهر - أو تخرج بقاياه على الأصح إلى مدفن جماعي تترك فيه حتى تحلل وهذه عادة رأيتها في مدينة بورت إليقري عاصمة ولاية (ريو قراندي دى سول) وهي آخر الولايات البرازيلية الجنوبية جهة الجنوب أخبرني بها الإخوة المسلمون المقيمون في تلك المدينة.[2]

******

۞ يعبدون ما ينحتون:

يقول: قال لي إخواننا الشيخ علي عيسى، والشيخ طه فوتنقهام، والشيخ أحمد بعد أن انتهينا من تناول العشاء في أحد مطاعم المسلمين: سنريك هذه الليلة شيئاً لم تره من قبل في بانكوك قلت: ما أحوجني إلى ذلك.

---

(١) انظر كتاب: نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض ص ٢١٠ .

(٢) انظر كتاب: من أنقولا إلى الرأس الأخضر.

فذهبنا في الساعة العاشرة والنصف ليلاً إلى فندق من فنادق الدرجة الأولى في بانكوك اسمه (فندق إروان) أكثر الذين ينزلونه هم ضيوف الدولة.

وذلك لرؤية صنم للبوذيين يسمونه (ذا الوجوه الأربعة) وهو تمثال صنعوه منذ ثلاث عشرة سنة، وأخذوا وهم الذين صنعوه يعبدونه من دون الله، يبررون زعمهم ذلك بأنهم عندما صنعوه على الهيئة التي اعتقدوها لأحد آلهتهم الذي هو ذو الوجوه الأربعة أصبح صالحاً لأن يحل فيه الإله المذكور لأنه روح لا تنزل إلا إذا وجدت هيكلاً أو وسطاً مناسباً لنزولها حسب زعمهم. وجاءت عامة الناس تعبد هذا الهيكل المصنوع، وأخذ عددهم يتزايد حتى أصبح المتفرج لا يكاد يجد لقدمه موطئاً بينهم وجلب الفندق له ما يجلب للمعابد التقليدية حتى يكون له أيضاً طابع سياحي يغري بالإطلاع عليه. أول ما يراه الداخل إلى مكانه وهو في مكان مكشوف (برحة) من أرض الفندق، فإنه يشاهد لوحة كتب عليها مقدار التبرعات التي تلقاها الصنم هذا، وأنها بلغت أحد عشر مليون (بات) أي: خمسمائة وخمسين ألف دولار، ولم أعرف المدة التي جمعت فيها هذه النقود.

ثم يشاهد المرء عشرات المتعبدين يقدمون إلى التمثال ما يتقربون به إليه، وأغلبه من الشموع التي يوقدونها حول التمثال، وأعواد البخور التي تشعل في رؤوسها النار فتنطلق رائحتها، وإذا أراد المتعبد أن يقدم ما يحمله من قربان فإنه يجثو على ركبتيه، أي: يضع ركبتيه على الأرض، ويجلس على أطراف قدميه، ثم يطبق كفيه ويحني رأسه إلى الأمام، ثم يهمهم بشيء من الدعاء أو نحوه ويقوم من عبادته، ولكنه لا ينصرف بسرعة، بل يظل ينظر إلى هذا الصنم بخشوع. ومن ضمن عبادتهم إياه أن ترقص فتيات حوله

رقصاً فيه شبه من الرقص الهندي الديني، أي الذي يكون في المعابد الهندوكية والراقصات أربع، أعمارهن في حدود العشرين أو تزيد قليلاً وقد لبسن ألبسة مشدودة نوعاً ما إلى الجسم، عليها أشياء تتلألأ كالأصداف البراقة، وهن حافيات الأقدام، عليهن خلاخيل في سيقانهن، وعلى رأس كل واحدة تاج مخروطي الشكل عال، ومنظرهن أبعد ما يكون عن منظر الإغراء، إذ يرقصن وهن مشدودات الأكف، يقلبن أكفهن على أوضاع مختلفة، وقد يبسطن أيديهن بسطاً كاملاً مشدوداً، فيبدين كأنما هن يردن العوم في الهواء.

وهن في رقصهن يتمايلن قليلاً بطريقة غير حادة، ويمشين أحياناً على أطراف أصابع أرجلهن وفي الرقص كن يفعلن ذلك وهن يطفن بهذا التمثال، إلا أنهن بدأن برقصة أخرى من نوع آخر وهن واقفات أمام كل ناحية من النواحي الأربع للتمثال على اعتبار أن له في كل ناحية وجهاً.

والناس منهم الذين جاءوا يتقربون لهذا التمثال لا ينظرون إليهن، ولا يبالون برقصهن وإنما ينظر إليهن نحن وأمثالنا من الأجانب، لأن ذلك أمر غريب بالنسبة إلينا. والمكان مزدحم بالمتقربين وبعضهم قد أحضر أطفاله معه، مع أن الوقت متأخر من الليل بالنسبة إلى الأطفال، ولكنه جاء بهم يرجو لهم البركة كما يزعم، ومن بين الزوار نسبه كبيرة من ذوي الملامح الصينية، وبعض المتعبدين تكون عبادتهم بالطواف بالصنم علاوة على الركوع له.

وهناك فرقة تعزف الموسيقى مؤلفة من ثلاثة أشخاص جالسين على الأرض وأمام الواحد منهم ما يشبه القطعة من الفراش عليها أوتار مشدودة وهو يضرب عليها موسيقي تايلندية أقرب الموسيقي إليها الهندية.

وأما هيئة التمثال فإنه مرفوع على الأرض أعلى من قامة الإنسان قليلاً وهو على هيئة جسم ابن آدم ذهبي اللون، قد وضعوه وسط ما يشبه المنارة الصغيرة، وتحت قدمه وحوله أكوام القربات وتركنا أولئك الجموع يعبدون ما صنعوه بأيديهم حامدين الله على نعمتي العقل والدين.[1]

۞ طبل في المسجد:

خلال زيارة لمسجد أساس الإسلام في هادياي بتايلند مع إمام المسجد.

يقول: جلست معه (أي إمام المسجد فتح بن الحاج عبد المنان) في فناء تابع للمسجد، فرأيت فيه طبلاً ضخماً جداً محمولاً على ما يشبه المكتب الضخم من الخشب أيضاً، فسألته عن الحكمة من وجوده في المسجد؟

فقال: إنه يقرع في صباح الجمعة خمس مرات، ويقرع إذا مات ميت ذكر سبع مرات وإذا كان الميت أنثى قرع خمس مرات.

فسألته: لماذا هذه القرعات؟ فقال: بالنسبة ليوم الجمعة حتى يعرف الناس بذلك فيحضروا لصلاة الجمعة في ذلك اليوم.

وبالنسبة للقرع للجنازة حتى يسمعوا: ذلك القرع فيعرفوا أن أحد المسلمين قد مات فيحضروا للصلاة عليه، وقد يعزون أهله، أو يتصدقون عليهم إذا كانوا فقراء. ثم قال إن عادة وجود الطبل في المساجد منتشرة هنا.[2]

******

۞ المسلمون في كتك:

مدينة كتك تبعد عن ضواحي مدينة بونيشر ٣٩ كيلومتراً.

---

(١) انظر كتاب: مشاهد في تايلند.

(٢) انظر كتاب: مشاهد في تايلند.

يبلغ عدد المسلمون في (كتك) ٢٥ ألفاً من مجموع سكان المدينة البالغ (٢٠٠) ألف نسمة والأكثرية الساحقة من السكان هم من الهنادكة وقسم منهم من أهل الريف والقرى الذين جاؤوا إلى المدينة للعمل. ويبلغ عدد المساجد في مدينة كتك ٢٧ مسجداً وهذا يعني عدد قليل بالنسبة إلى كون المدينة في وقت من الأوقات كانت عاصمة لاريسا تحكم الولاية منها قبل استقلال الند تحت حكم ملك مسلم، وإلا فإن عدد المساجد لا بأس به بالنسبة إلى عدد المسلمين من أهل المدينة.

و يوجد مسلمون في القرى والمدن الصغيرة القريبة من تلك ولكن لم أتمكن من زيارة هذه المدن والقرى لضيق الوقت.[1]

******

۞ الموت والحياة في الهند:

عجيب أمر الهند ولذلك سمى بعضهم الهند بلاد العجائب. وهذا صحيح وسيمر بنا بعض تلك العجائب. ذلك في الحياة.

أما في الموت وما يرافق الموت فإن الهند بلاد العجائب، بل غرائب العجائب فالهنادك الذين يعتقدون الديانة الهندوكية يحرقون موتاهم على تفاوت بينهم في طريق الحرق فالأغنياء يوقدون على جثث موتاهم بخشب الصندل وهو خشب غال ذو رائحة جيدة. أما الفقراء، فإنه يكفيهم الحطب العادي. وذلك يجري في احتفال يختلف بين الفقير والغني أيضاً.

وبعد حرق الجثة يلقي رمادها في نهر الكنج المقدس عندهم إذا تيسر ذلك.

---

(١) انظر كتاب: الرحلات الهندية في شرق الهند.

ولذلك يغتسل الأحياء بمياهه وربما يشربون منه تبركاً وإذا لم يتيسر قرب ذلك ألقي في بعض الأنهار الأخرى المقدسة مثل نهر جمنى الذي يمر قرب مدينة دلهي أو بعثوا بالرماد المتبقي منه بعد الحرق إلى أحد تلك الأنهار... إن هذا من العجب!

ولكن من المفزع ما كانت تفعله زوجات المتوفين من الهنادك في الزمن القديم حيث كانت الزوجة تلحق بزوجها المتوفى، وذلك عن طريق دخولها النار وهي حية، وإحراق جسدها معه وهي في كامل عافيتها. ولم يكن العرف يجيز لها حتى التأفف من الميتة الفظيعة فضلاً عن التأوه والتوجع، وهي إذا فعلت ذلك فإنها تفعله بحضور أقاربها وأقارب زوجها وهي بذلك ترفع رؤوسهم وتعلي أقدارهم كما يزعمون.

إن هذا من العجب الفظيع. ولكنه تلاشى الآن بعد أن أصدرت الحكومة الإنكليزية وتبعتها الحكومة الهندية قوانين تحرم فعله. وطائفة أخرى من سكان الهند هم طائفة البارسي وهم بقايا من المجوس يلقون بموتاهم في بئر خاصة مهجورة فتنقض طيور جارحة هناك قد ضريت على الأكل فتأكل لحومهم ولا تترك من أجسادهم إلا العظام.[1]

******

۞ الحكمة المتنقلة:

يقول: من طريف ما رأينا عند باب الحديقة سيارة أشار إليها الدكتور ممتاز أحمد وقال: هذه محكمة متنقلة، إنها تفصل في القضايا المستعجلة سواء ما يطلب الناس منها أن تحكم فيه أو المخالفات القانونية الصغيرة التي

---

(١) انظر كتاب: في جنوب الهند.

لا تستدعي إجراءات طويلة كمخالفات المرور.[1]

******

۞ البقرة والثور:

يقول: الهند مشهورة بأنها البلاد التي تعبد البقرة، وهذا صحيح في الأصل، لكن الأصعب من ذلك أنه كانت في زمن الإنكليز وحكمهم الهند تحدث مذابح طائفية فاجعة بسبب البقرة فالمسلمون في الهند يحبون أن يذبحوا البقرة ويأكلوا لحمها، والهنادك لا يحتملون ذلك، وكيف يحتمل المرء أن يرى معبوده يذبح ويؤكل!! على أنهم لم يستعملوا عقولهم وإلا كيف تعبد أو تقدس من لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الذبح.

وحتى الآن البقرة معظمة في الهند، يلطخ الناس أو بعضهم أجسادهم بروثها ويشربون أبوالها ويستشفون بذلك. وقد رأيت بنفسي مظهراً من مظاهر تعظيم البقرة في الهند، وهي في خارج المدن إذا اعترضت طريق السيارات بقرة أو بقرات، فإن سائق السيارة يقف وينتظر حتى يطيب للبقرة أن تتزحزح عن الطريق فيواصل سيره، وإلا وقف منتظراً ولو امتد ذلك إلى زمن طويل وسمعت من يقول منهم إنه قد تجمع في البقرة - في رأي بعض الهندوكيين - مظهر من مظاهر أكثر من ثلاثمائة وعشرين إلها من آلهتهم الكثيرة المتعددة. أما الثور فإنه يلقى من الهنادك عكس معاملة البقرة، فهم يقسون عليه فيحملونه الأثقال، ويقضون عليه حوائجهم، ويركبونه كما يركب الأعراب البعير. بل إذا رحل الفلاحون والفقراء منهم من محل إلى محل آخر حملوا الثور وزر ذلك كله فكأنهم قد اقتصوا لأنفسهم من الثور عن

---

(١) انظر كتاب: في جنوب الهند.

البقرة. وهذه تفرقه بين الذكر والأنثى في جانب الأنثى غير عادلة، ويزيد بعدها عن العقل إذا عرفنا سبب تعظيمهم للبقرة، وهي أنها تهب الحياة فيما يقولون فمنها اللبن والحليب، ولكن أليس مرجع ذلك إلى الثور الذي يلقحها، ويسبب استمرارها و نماءها؟

كذلك يصح القول من باب القياس أن تكون العنز معبودة في الهند كالبقرة لأنها سبب للحياة والنماء فهي تدر اللبن، وتلد الماعز، ويصح القياس أيضاً في الجاموس وربما صح أيضاً في الحمارة، وقد سألت أحد الإخوان من المسلمين عن ذلك فأجاب: إن في الديانة الهندوكية شيئاً يشير إلى اطراد القياس عندهم وذلك في تعظيمهم للفروج بل في عبادة بعضهم لها لأنها تهب الحياة. ولذلك يرى المرء في بعض المعابد الهندوكية صوراً مجسمة للفروج ويراها تعظم وتقدس وقد رأيت ذلك في شوارع بنارس قرب نهر الكنج المقدس عندهم. وذلك في معابد صغيرة على قارعة الطريق تشبه حانوت البضائع المعروضة في الأسواق، ورأيت بعضهم من الرجال والنساء المسنين يقفون عندها ويتعبدون برفع أكفهم مطبقة الواحدة إلى الأخرى وانحنائهم إلى الأمام وهي علامة الإيماء بالسجود عندهم، ثم يضع المتعبد بعد ذلك قطعة من النقود في إناء معد لهذا الغرض بجانب تمثال الفرجين الذي يظهر أنه من الحجر أو من الإسمنت.[1]

******

۞ مشكلة القبلة:

يقول: وإن أردنا تخفيفها قلنا: إنها مسألة القبلة في تاهيتي.

---

(١) انظر كتاب: في جنوب الهند، ص١٨.

كنت كلمت أم ناصر زوجتي في بيتي في الرياض ونحن في الليل فقلت لها: مساء الخير، فقالت: صباح الخير، وذلك أن الفرق في التوقيت ما بيننا وبين تاهيتي هو أحد عشر ساعة ونصف، ومعنى هذا أن وقت الشروق هنا هو وقت الغروب في بلادنا والعكس بالعكس.

وليس هذا بالمهم مع كونه يستحق التنويه، وإنما المهم في موضوع القبلة في الصلاة، فقد كنت أصلي منذ أن فارقت المملكة جهة الغرب، لأن البلدان التي مررت بها كلها قبلتها إلى الغرب مثل باكستان، وأستراليا، ونيوزلندا، وحتى تونغا الواقعة قبل خط التاريخ الدولي، مع فارق قليل منا في الاتجاه.

أما في تاهيتي، فإن الأمر فيها أشكل عليَّ كما كان قد أشكل عليّ في جزيرتي (ساموا) اللتين هما دولة (ساموا) وجزيرة ساموا الأمريكية، فهما خلف خط الطول الدولي، و عندهما كما في تاهيتي تتساوى المسافة إلى الكعبة على وجه التقريب للذاهب جهة المشرق وجهة المغرب، ومن الأمثلة على ذلك أنك إن أردت السفر إلى البلدان العربية في آسيا خيرتك شركات الطيران في الذهاب جهة الشرق عن طريق أستراليا ثم جنوب شرقي آسيا، أو جهة الغرب عن طريق الولايات المتحدة الأمريكية لا تزيد الأجرة في أي اتجاه عن الاتجاه الآخر. ومع أن هذا لا يعني التساوي في المسافة بالضبط، وإنما هو تقريبي، فإن المسافة متقاربة بدون شك.

وإذا كان الأمر كذلك، فهل يصلي المسلم في هذه الجزر، وبخاصة في (تاهيتي) هذه جهة الشرق أم جهة الغرب؟

وهل يمكن أن يقال: إذا كان المرء في منطقة تتساوى فيها بالضبط أو بالتقريب المسافة إلى الكعبة المشرفة جهة الشرق وجهة الغرب أنه إذا صلى اثنان أحدهما مستدبر الآخر، بمعنى أن أحدهما صلى إلى المشرق والآخر

صلى إلى الغرب صحت صلاة كل واحد منهما؟

بل يمكن أن يقال: إن المرء نفسه إذا صلى صلاة جهة الشرق وصلاة أخرى عكسها أي جهة الغرب، فإن صلاته تكون صحيحة في كلا الاتجاهين؟[1]

أما أنا فإنني واصلت الصلاة متجهاً جهة الغرب، وذلك لسهولة الاستدلال على القبلة في هذه الجهة، لأنها جهة اليمين من مغرب الشمس وأما في الشرق فإن تحديد القبلة فيه صعوبة لمن يكن مثلي لم يألف الصلاة إلى الشرق. وفي هذه الحالة وأمثالها ينبغي أن يتدبر المسلم قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.[2] فذكر في الآية الكريمة أن المشرق والمغرب كليهما لله تعالى، وهذا تمهيد للجملة بعدها وهي ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ ثم ختم الآية بذكر سعة علم الله تعالى قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.[3]

(١) من كتاب: تائه في تاهيتي للشيخ محمد العبودي، (ص:١٠٢).

(٢) سورة البقرة: الآية (١١٥).

(٣) انظر كتاب: تائه في تاهيتي ص ١٠٢ .

الفصل السابع

تكريمه والثناء عليه

۞ تكريمه والثناء عليه

❖ تمهيد: الهدف من الإحتفاء بالشيخ العبودي وتكريمه:

إن الاحتفاء بالعلماء والدعاة والأدباء المفكرين الذين قدموا جهداً صادقاً ومخلصاً لأمتهم ووطنهم ودينهم عمل تهنأ به النفس وينشرح له الصدر، وليس القصد منه تسجيل الذكرى وتعليق الأوسمة فحسب كما هو حال كثير من الأمم، وإذا كانت الشخصيات النابغة الفاعلة تستحق أكثر من هذا فإن مقصد الاحتفال بها يهدف إلى أمرين:

أولاً: تقدير جهودها والتأريخ لمسار حياتها وإبراز آثارها ونتاجها.

ثانياً: إبراز معاني الأسوة في الشخصية الإسلامية أمام الأجيال للاقتداء بها والاستفادة من خبرتها وتجاربها في معالجة ظواهر الحياة ومشكلاتها.

وحق لنُبغاء هذا البلد التكريم والتقدير، وحق للشيخ العلامة والأديب الرحالة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي أن يكون محل تكريم إخوانه، وتبجيل أهله وعناية قادة هذا البلد العزيز وعلمائه ومثقفيه، وحُق له - حفظه الله - أن يُمنح أرفع أوسمة الثقافة والفكر والأدب لما سطره قلمه النابض في هذه المجالات وما قدمه في خدمة الدعوة والتربية وتنشيط المؤسسات الإسلامية في هذا الميدان. والثناء إذا كان بحق فهو مشروع وقد ندب إليه الشرع، فعن أنس ﷺ قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله: ما رأينا قوماً أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل، من قوم نزلنا بين أظهرهم، لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى خفنا أن يذهبوا

بالأجر كله، فقال النبي ﷺ: ((لا، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم))[1].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس))[2].

إنه ما من أحد جلس إلى الشيخ محمد العبودي - حفظه الله - واستمع إلى حديثه وتضلع من معلوماته القيمة والمفيدة إلاّ وأثنى عليه أجمل الثناء بما هو له أهل.

ولله دَرُّ من قال:

شهادة أهل العلم بالحق تُقصد ويُرغب فيها للمعاد وتُحمد

إنّ ما كُتب عن الشيخ العلاّمة محمد العبودي يبين عن وفاء عميق وشعور كريم نحو هذا العالم الذي سخّر قلمه وأسهر ليله خدمةً لنصرة دينه ومعايشة قضايا أمته. وأن هذه الأمة أمةٌ أمّارة بالمعروف ناهية عن المنكر، صبّارة على المكاره ولادةٌ للخير وفيةٌ لعلمائها ودُعاتها ومُثقفيها.

وفي الصفحات التالية باقةٌ من ثناء العلماء عليه هي دليل صدقٍ وشهادة عدلٍ على سعة علمه وكثرة محاسنه ورجاحة عقله وتقدمه وفضله.

(١) الترمذي: (٢٤٨٧) واللفظ له، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وقال: رواه أحمد على شرط الشيخين: (٣/ ٢٠٠، ٢٠٤)

(٢) أبو داود (٤٨١١) واللفظ له، والترمذي (١٩٥٤) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢/ ٢٥٨) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

۞ مهرجان الجنادرية.. يكرم الشيخ العبودي

الشخصية السعودية الثقافية هذا العام[1]

١٤٢٥هـ

معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي شخصية دعوية وثقافية وأدبية كبيرة المستوى في المملكة العربية السعودية، ومن الذين أثروا المكتبة العربية بإنتاجه الوفير في أدب الرحلات وغيره من المجالات الأخرى؛ وتربو مؤلفات الشيخ العبودي على ١٦٠ مؤلفاً طبع منها ١٠٣ كتاباً، وكتابات هذا المثقف السعودي الرائع تمتاز بطابع التوثيق وخاصة في كتب الرحلات، إذ يدون في هذه المؤلفات ملاحظاته بطريقة توثيقية، مع وصف دقيق لمشاهداته في تلك البلدان المختلفة التي يرحل إليها وبأسلوب شيّق يدفع القارئ إلى إعادة قراءة كتب رحلات العبودي، ويحرص محمد بن ناصر العبودي على تاريخ الإسلام في تلك البقاع وبيان حال المسلمين فيها.

ولد الشيخ العبودي في مدينة بريدة عام ١٩٣٠م، تعلم في مدارسها وتلقى العلم على مشايخها، ثم على مشايخ آخرين في المملكة شغل وظائف رئيسية عديدة منها مدير المعهد العلمي في بريدة ١٣٧٣ - ١٣٨٠هـ

نقل إلى وظيفة الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لمدة ثلاثة عشر عاماً، عين وكيلا للجامعة الإسلامية لمدة عام،شغل وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية برتبة وكيل وزارة (المرتبة الخامسة عشرة) وبقي فيها ثماني سنوات. ثم نقل إلى منصب الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي حيث يلعب دوراً رائداً في تفعيل آليات الرابطة وتحقيق أهدافها النبيلة.

---

(١) انظر مجلة الصحوة – العدد: ٣٨ – مارس/ إبريل ٢٠٠٤ .

شارك العبودي في مؤتمرات إسلامية وأدبية عديدة.

أهم مؤلفاته: معجم بلاد القصيم، الأمثال العامية في نجد، حِكَم العوام، المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر، حكايات تحكى، إفريقيا الخضراء، بقية الحديث عن إفريقية، في نيبال بلاد الجبال، مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، العالم الإسلامي والرابطة، نفحات من السكينة القرآنية، رحلات في أمريكا الجنوبية، في شرق البرازيل، كنت في ألبانيا، نظرة في وسط إفريقيا، رحلة إلى جزر مالديف، مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين، داخل أسوار الصين، الأطول الفصيحة للأمثال الدارجة، وغيرها من المؤلفات التي تذكر فيشكر عليها معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي. ولقد عبَّر الرحالة الكبير والأديب والداعية الشيخ العبودي في حوار أجرته مع معاليه جريدة الوطن السعودية عن سروره باختياره شخصية هذا العام، واعتبر تكريمه من المهرجان الوطني للتراث والثقافة دليلاً على عناية الدولة بالبحث والتأليف، وقال إنه لم يتوقع التكريم ولم يتطلع إلى أن يكون رجل العام[1]، وأن ما يهمه هو أن يواصل جهوده في ميدان البحث والتأليف، وأكد العبودي على أن حركة البحث والتأليف في المملكة قطعت خطوات كبيرة ويطالب الشيخ العبودي بإنشاء مجمع علمي لغوي في السعودية.

---

(١) كرمت الجنادرية (١٩) الأستاذ محمد بن ناصر العبودي ضمن تكريم الشخصية السعودية لهذا العام. وقد منح وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى، وبهذه المناسبة تحدث الأستاذ العبودي فقال: الواقع إن هذ التكريم من قبل مهرجان الحرس الوطني للتراث والثقافة ليس تكريما للأدب والمثقفين بل والباحثين في شتى حقول المعرفة. وهذا يدل على أن الحرس الوطني مؤسسة عسكرية حضارية تعنى دوماً بالأدب والثقافة ورجال الفكر والعلم.

انظر: جريد الندوة، الأحد ٢٧ شوال ١٤٢٤هـ - ٢١ ديسمبر ٢٠٠٣م - السنة ٤٨، العدد (١٣٧٣٠).

۞ الشيخ محمد العبودي: كبير يستحق التقدير [1]

سمعت باسم الشيخ محمد بن ناصر العبودي قبل أن أراه، ورأيته قبل أن أقرأ له، كان ذلك عام ١٣٨٠هـ بضاحية الملز في ضواحي الرياض، كنا نسكن منزلاً متظاهراً مع منزل الشيخ صالح السليمان العمري رحمه الله، وكان منزل الشيخ العمري في تلك الأيام مقصداً لبعض القادمين من رجالات القصيم. في تلك الفترة رأيت " أبو ناصر "، كان يشغل منصب مدير المعهد العلمي ببريدة - على ما أذكر - وقد ذكَّرني منظره ومظهره ومرآه لأول مرة باهتماماته بالتاريخ والعادات والآثار ومسالك الديار.

ولما صدر كتاب " تاريخ ملوك آل سعود " للأمير سعود بن هذلول رحمه الله، سارعت إلى شرائه وقمت على مطالعته وتتبع محتواه بدقة وعناية. أدركت بعدها ما للشيخ العبودي من دور في تقديم الكتاب والإشراف على طباعته، وقبل ذلك حثَّ الأمير المؤلِّف وتحفيزه على إخراج ما لديه من معلومات وعدم حبسها في الذاكرة والصدر، وهكذا يكون الجليس الصالح يُعِين صديقه على تدوين ما لديه من محفوظات وتداركها وعدم طيها أو تركها.

وترك الشيخ العبودي القصيم ونجد وانتقل إلى المدينة المنورة لشغل منصب الأمين العام للجامعة الإسلامية، وهناك ظهرت كفاءته وكفايته وقدرته ومقدرته، وهكذا الرجال الكبار أينما ذهبوا يُحسنون الصنع، ويتقنون العمل، ويملأون المنصب ويبارك الله في أوقاتهم.

---

(١) انظر جريدة المدينة - ١١ ديسمبر ٢٠٠٣م.

باشر رحلاته إلى الخارج وجولاته حول العالم، وأخرج للناس أول كتاب " في إفريقيا الخضراء " ولم يقل السوداء وتتابعت الرحلات وأتبعها بالكتب والإصدارات حتى بلغت العشرات، وما بالغ الدكتور عبدالرحمن الصالح الشبيلي يوم كتب في عكاظ يُحيّي الشيخ العبودي ويثني على مؤلفاته ويُذّكر بجهوده ورحلاته، وبالمناسبة فأبو طلال (الدكتور الشبيلي) رجل منصف غير متكلف يضع الموازين القسط وينزل الناس منازلهم ويُسَرّ بتكريمهم ويسعى للتذكير بهم.

أعود للشيخ محمد العبودي، كنت أتابع ما يصدر من كتب وأتتبع ما ينشر من أحاديث وأستمع إلى ما يسجل معه من لقاءات إذاعية، فأعجب بذاكرته القوية ومعلوماته الثرية وترتيبه لفن القول وحسن تصرف فيما قابله أثناء رحلاته من مواقف عجيبة أو مفاجآت غريبه، وهكذا الرجل المُجرّب المحنك العاقل المتَعقّل، يتصرف في المواقف بهدوء ويواجه الأمور بتُؤَده لا ينفعل ولا يرتبك ولا يُحرج نفسه ومن معه، وقد أكسبته الرحلات الطويلة والقراءات الواسعة (قيمة مضافة) كما يقال في قاموس رجال الأعمال. كنت أعجب به وأتعجب منه كيف لا يُستفاد من تجاربه ومؤلفاته وخبراته، وقد تمنيت أن أكتب عن الرجل أو أتحدث في مناسبة تقام له، وصادف أن لقيت الأخ الكريم والصديق القديم أبو أحمد الدكتور صالح التويجري مدير عام التربية والتعليم بمنطقة القصيم كان ذلك قبل ثلاثة أعوام أثناء فترة الصيف في الطائف وجرى الحديث حول الشيخ العبودي وجهوده فسرني الدكتور بأن اسمه أطلق على مدرسة في مدينة بريدة مسقط رأس العبودي، وأن صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز أمير منطقة القصيم ترأّس حفل تكريم أقيم له هناك وتحدث سموه أمام الجميع وأثنى

على دور الشيخ العبودي الثقافي وريادته وإجادته وشارك الحضور الاحتفال تقديراً للرجل الكبير، فحيّا الله سمو الأمير فيصل والحضور من الجمهور الذين لا يبخسون الناس أشياءهم ويقدرون من يستحق ويثنون على من يستاهل (وقولوا للناس حُسنى).

أعود إلى الماضي والصيف والطيف والضيف والشيخ بعد أن ترك الجامعة الإسلامية وشغل منصباً آخر قبل أن يأتي للرابطة، فقد صادف أن اصطاف الشيخ صالح السليمان العمري بدار له بمنطقة زراعية بين الطائف والحوية تسمى (القيم) فسعيت للسلام عليه والجلوس بين يديه ودعوته لقبول دعوتي وتشريف منزلي، وقد تلطّف رحمه الله فطيب خاطري ولبى واستجاب ومن حسن حظي أن كان الشيخ العبودي حاضراً فسرني بموافقته ومرافقته للشيخ صالح وكانت ليلة أدبية وجلسة طائفية لا تنسى كان محييها وقائد سفينتها ومُجريها أبو ناصر وحسبك به متحدث مدره وراوية محيط يحسن إدارة دقة الحديث وتنقل المواضيع وتنوعها وقد ذكر لنا في تلك الليلة أن لديه مشروعاً عن ظرفاء القصيم الذين يسمون بلغة العامة "العيايرة" وقد رجوته ورجاه الحضور بالتعجيل في إخراجه للناس يخفف عنهم كربات الحياة المادية المتوحشة وكرب اللهاث والجري المسعور وراء ما يجوز وما لا يجوز وبعد. فقد أثار لدي اختيار الشيخ محمد العبودي شخصية العام تذكر تلك الأيام وقد أتيت الآن أحيّي كبيراً من رجالنا الكبار بحق ورمزاً من رموزنا الوطنية الذين يستحقون كل تقدير من المجتمع والجميع..

أحيّي الرجل الذي يعمل بصمت ويؤلف بعمق، يرحل ويتجول لا يمل ولا يتحول، أحيّي المؤرخ الكبير والعالم النّحرير المجغرف و الباحث المحقق والمدقق إنه كل هؤلاء وأكثر، إنه أعظم من هذا وأكبر.

۞ الأمير فيصل بن بندر يكرم شخصية العام [1]

"الشيخ العبودي"

ويعلن عن إنشاء مركز ثقافي ببريدة يحمل اسمه

بريدة - صالح الهويمل

أعلن صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم عن إنشاء مركز ثقافي باسم المركز الثقافي للشيخ: محمد بن ناصر العبودي والذي سيكون إن شاء الله بمدينة بريدة.

جاء ذلك في الحفل الذي رعاه سموه الكريم مساء أمس الأول بمركز الملك خالد الحضاري بمدينة بريدة والذي نظمته لجنة مهرجان بريدة الترويحي الثاني، ضمن نشاطاتها الثقافية في تكريم شخصية العام للمهرجان معالي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي الشيخ محمد بن ناصر العبودي والندوة المصاحبة له.

بُدئ الحفل بالقرآن الكريم، ثم ألقى مدير عام التربية والتعليم بمنطقة القصيم المشرف العام على برامج المهرجان صالح بن عبد الله التويجري كلمة المهرجان، رحب في بدايتها بسمو أمير منطقة القصيم والحضور مشيراً في كلمته إلى أن هذا التكريم اعتراف بالمكانة ووفاء للعطاء لأمثال الشيخ محمد العبودي.

بعد ذلك بدأت الندوة المصاحبة اشترك فيها د. حسن بن فهد الهويمل رئيس نادي القصيم الأدبي والذي يتعلق بالجانب الأدبي في عطاء العبودي،

---

(١) انظر جريدة الرياض- التاريخ: ١٤/ ٥/ ١٤٢٥هـ.

حيث استعرض عنه الجهود الأدبية وبداياتها وأنواعها، مشيراً بأسلوبه الأمثل وطرحه البناء، فهو يكتب كما يتحدث مؤكداً أن كتبه أقرب للموسوعة، وهو عالم من أعلام الأدب.

أما الجانب التاريخي للعبودي فقد تحدث عنه د. فهد بن عبد الله السماري الأمين العام لدارة الملك عبد العزيز، مشيراً إلى أن شخصية العبودي متعددة الاهتمامات والعناوين كمؤرخ وهو عالم بارز في الفنون والعلوم، وشخصية لها أكثر من عنوان وله عطاءات وامتدادات من رجالات بريدة بل من رجالات القصيم، بل من رجالات المملكة فهو يستحق التكريم وفاء لهذا الشخص مشيراً بإصداراته المتعددة والذي أبدع في ربط الحديث في المعلومة وربط تلك الروايات في نص مكتوب واستخدم أسلوب المشاهدة إضافة إلى ما قدمه من لوحة علمية في التاريخ الاجتماعي.

كما تطرق الدكتور/ محمد بن صالح الربدي عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض حيث تحدث عن الجانب الجغرافي ونتائجه وعطاءاته من خلال معجم بلاد القصيم وعرضه لمشاهداته في البلاد التي زارها ومصطلحاته وإبداعاته وما يتميز به من دقة الوصف، وذكر الساعة والدقيقة لرحلاته وقلّ ما يَجد رحّالة بهذه الدقة.

وقال: إذا كان مهرجان بريدة صيف مختلف فإن العبودي عالم مختلف.

عقب ذلك ألقى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز أمير منطقة القصيم كلمة قال فيها: من منطلقات ديننا الحنيف وقيمنا العربية الأصيلة دأبت دولتنا الرشيدة على تقدير الرجال المبدعين، ولاشك أن التكريم لشخص علَّامة، فأستاذنا الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي في هذا المساء يأتي بعد تكريمه بأمر مولاي خادم الحرمين الشريفين

والذي تفضل بتقديمه لأستاذنا سمو سيدي ولي العهد الأمين ومن هذا المنطلق أبلغ زملائي بهذه المنطقة من المفكرين والتربويين والأكاديميين أن يعطوا لهذا الرجل حقه، فهم بادروا بإيصال فكرتهم إليَّ كزميل لهم وأستفيد دائماً من طموحاتهم ومن رُؤَاهم، ولذلك فإنه يسعدني باسم الأخوة الذين تقدموا بفكرة تكريم الشيخ وتبنيهم أيضاً إنشاء ((مركز ثقافي باسم المركز الثقافي للشيخ محمد بن ناصر العبودي)) والذي سيكون إن شاء الله بمدينة بريدة بمنطقة القصيم تقديراً لهذا الرجل ولاستفادة الأجيال مما قدمه من أعمال ومؤلفات في مناهج التاريخ والجغرافيا والتربية في نفس الوقت.

وأضاف سموه: و كل ما قدم لهذا الشيخ الفاضل هو وفاءً وعرفاناً له ولعطاءاته من نتاج علمي غزير، وأرجو أن نوفق وزملائي لإخراج هذا المركز إلى حيز الوجود في الوقت القريب إن شاء الله وأنتظر من الزملاء ممن يجد لديه فكرة تدعم إنشاء المركز فسوف نتقبلها بصدر رحب وندعو لشيخنا بطول العمر ليقدم أعمالا نحن بوضعنا بحاجة إليها لأنه إنسان يتمتع بالاستقامة والتواضع ويتمتع بفكر نير وبالاعتدال في كل أعماله وبالكثير من الخبرات نظراً لما تدرج به من مناصب.

ثم ألقى معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي كلمة شكر من خلالها سمو أمير منطقة القصيم واللجنة المنظمة للمهرجان على تكريمه، معيداً الأذهان إلى شيء من تاريخ المكان الذي تم فيه الحفل بشكل خاص ولمدينة بريدة بشكل عام.

بعد ذلك سلّم صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم درع المهرجان تكريماً ووفاءً لمعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي.

******

۞ بعد إعلان أمير القصيم إقامة مركز باسمه

العبودي: أعتز بهذه الثقة وآمل استمرار العطاء [1]

إثر إعلان صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم الموافقة على إقامة مركز ثقافي خيري باسم معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي مقره مدينة بريدة، عبر معاليه عن اعتزازه وفخره وقال: أحب أن أقدم جزيل الشكر لسمو الأمير فيصل، والشكر موصول للجميع على هذا الصنيع حيث إن المركز مهم لحفظ الوثائق والمخطوطات.

كما ثمَّن الشيخ العبودي اختياره شخصية العام وتكريمه من قبل سمو أمير القصيم وقال: أحمد الله أن وفقني إلى ما أنا فيه، كما أحمده على أن قيض لهذه الأمة وُلاة أمرٍ يُكرّمون من يعطي ويبذل. كما أشكر سمو الأمير فيصل على حضوره ورعايته حفل التكريم، والشكر أيضاً للرجال المخلصين في بريدة ولا شك أن هذا التكريم سيكون دافعاً للعطاء والاستمرار في العمل والعطاء.

(١) انظر جريدة الجزيرة - التاريخ: ١٥/ ٥/ ١٤٢٥هـ.

۞ العبودي.. وشذرات من الذكريات [1]

بقلم/ عبدالله بن إدريس

خصصت الحكومة التنزانية لكل واحد من الوفد السعودي.. سيارة بسائق يتكلم العربية.. ومرافقاً على مستوى وكيل وزارة.. أقل من السائق معرفة بالعربية.. وكنت أعلم قبل الزيارة لتنزانيا أن بها قبيلة تأكل لحوم البشر..! وبتقدير الله أن كان مرافقي.. وهو (محافظ) سابق لإحدى المحافظات.. ينتمي إلى قبيلة (الماساي) البدائية المشهورة بهذا الطبع المخيف.

كان هذا المرافق وهو في العقد الخامس من عمره أنيقا في تعامله معي، كما هو أنيق في لباسه، وتصرفاته.. فأراد هو والسائق أن يؤنسا ضيفهما بأحاديث طريفة.. أثناء التوجه إلى (دار السلام) العاصمة..

بدأت بالتعريف بأسماء الأماكن والمحافظات والمؤسسات العلمية والثقافية..

ثم سألني وقد صادفنا في الطريق رجالاً ونساء بائسين وشبه عراة أتعرف من أي قبيلة هؤلاء..؟!

قلت: لا.. قال هؤلاء من قبيلة (الماساي) التي تأكل لحوم البشر..!

فتصنعت الجهل بما كنت قد سمعته قَبْلا عن هذه القبيلة.. قلت أعوذ بالله.. تأكل البشر..؟!

قال (نعم.. وأنا منهم). ولكن اطمئن لا تخف فقد كان هذا في الزمن الغابر.. عندما كان المستعمرون الأوروبيون يستعمرون بلادنا.. وكان جزءاً

---

(١) انظر جريدة الجزيرة: الأربعاء ٨/ ١١ / ١٤٢٤هـ/ العدد: ١١٤١٦ .

من حربنا ضدهم وللانتقام منهم..ولكن القبيلة لا تأكل كل آدمي.. إنما هي تأكل لحوم أصحاب البشرة البيضاء فقط..!

عندما دخلنا (فندق كلمنجارو) وهو أكبر وأفخم فنادق دار السلام.. واستراح كل منا في غرفته دقائق معدودة.. خرجت أتمشى في ردهات الفندق وأطلُّ على بعض المناظر الطبيعية الخضراء وإذا بالشيخ العبودي يفاجئني بإمساك كتفي ويُصْلِتُ (وريقة) صغيرة في جيبي. ويعود إلى غرفته مسرعا.. أخرجت الوريقة من جيبي وإذا بها أربعة أبيات دعابية.. كأنه يريد أن يستفزني لأقول شعراً في جمال الطبيعة الساحرة في هذه البلاد الأفريقية.

هذه إحدى المداعبات الظريفة التي يؤنس (أبوناصر) زملاءه ومحبيه. بعد الغداء بالفندق أخذونا في جولة على مدينة (دار السلام).. والحق أنها مدينة جميلة في بعض مبانيها وحدائقها وبعض معالمها.. وتشعرك بأن لها من اسمها نصيباً.. حيث لا تشعر فيها برهبة الغربة ليس لأننا محاطون بموكب رسمي.. للمحافظة علينا كضيوف على الدولة.. ولكنه الشعور الداخلي بأننا بين إخوان لنا في الدين.. وأصدقاء لم تعرف عنهم النزعة العدوانية لمن يختلف معهم في الدين.

كانت المائدة خوانا على الأرض. وكان أهم ما يلفت النظر أنواع (الموز) التي قال عنها نائب الرئيس (عبيد جومي) أن الموز عندنا يقارب الـ (٢٠) نوعا.. فمنه ما يطبخ ومنه ما يشوى.. ومنه ما يؤكل على طبيعته.. ومنه... الخ. نائب الرئيس هذا مسلم.. أما الرئيس في ذلك الوقت فهو (جوليوس نيريري) نصراني.

برنامج الزيارة كان حافلاً بزيارات جميع محافظات تنزانيا الـ(١٦) إلا أنه اختصر وفقا لرغبة الوفد.

خصصوا لنا طائرة تتسع لعشرة أشخاص فقط تنقلنا من محافظة إلى أخرى، فنحن أربعة. والمرافقون لنا في هذه الرحلات هم أعضاء في المجلس الإسلامي الأعلى في الدولة.

يوم السبت ٢٠/ ٣/ ١٣٩٩هـ اتجهنا إلي (تنجا) وزرنا بعض المدارس والمراكز الإسلامية والمساجد. وبتنا فيها.

وفي صباح الأحد رحلنا إلى (كلمنجارو) ومدينة موشي التي تحف بهذا الجبل العملاق الذي تشترك في امتداده أربع دول.

وقد تصورت هذا الجبل كأنه شيخ بعمامته البيضاء يعظ سكان تلك الدول المرتبطة به جغرافيا، وسبحان الخلّاق العظيم، فليس من طبيعة إفريقيا أن تكون فيها ثلوج. وهي جنوب خط الاستواء.. لولا شهوقه إلى كبد السماء. وتجاوزه طقس أفريقيا.

ولعل من أهم المعالم التي زرناها بحيرة (فكتوريا) التي تتغذى عليها دول افريقية عديدة.. آخرها السودان ومصر. كما زرنا محافظة (كيجوما) في أقصى جنوب تنزانيا وهي تقع بجوار بحيرة (تنجنيقا) التي يبلغ طولها من الشمال الى الجنوب (٣٥٠) كيلاً ومن الشرق إلى المغرب (٣٠٠) كيل، وتقع عليها عدة دول منها رُوَّاندا وبورندي والكنغو. بفندقها المتواضع بتنا تلك الليلة المطيرة، على جمال تلك البحيرة وبشواطئها الخلابة خضرةً وخصباً عجيباً.

هناك تحركت شاعريتي وبدأت أكتب قصيدتي (بحيرة تنجنيقا).. خرج الشيخ العبودي من غرفته المجاورة تحت صب المطر وطرق عليَّ باب غرفتي ففتحت له فإذا هو يقول: الآن الآن جاء دور الشعر قلت صدقت.. وها أنا أكتب القصيدة.. وفي الصباح وعلى مائدة الإفطار التي حضرها المحافظ وعدد من المسئولين ألقيتها عليهم.

ولأن هذه البحيرة بخلاف شقيقتها (فكتوريا) منغلقة على نفسها فلا يخرج منها ماء إلا إلى السماء.. وليس لها مخارج أبداً.. خاطبتها بقصيدة طويلة منها:

لماذا عليك السحاب انحنى ... ومنك ارتوى بدل المطر؟
بربك يا (تنجنيقا) انثري ... أحاديث عن كونك المُبْهِر
لماذا بخلت فلم تفتحي ... طريقاً إلى ظامئٍ مُضجر..؟
عقمت فلم تلدي مرة ... ولو (جَدْوَلاً) ضيق المعبر
وكنت مثال الغني البخيل ... جَدَاه على بيته الأصفر

۞ يستحق التكريم[1]

أ. د. عبد الله بن علي بن ثقفان

الشيخ (العبودي): بقية من أولئك الجادين الذين لا تغريهم المناصب،ولا تشغلهم مباهج الحياة. كان يهوى رياضة الصيد، لكنه تركها ليعاني من رياضة العقل.

أصبح هاوياً لاصطياد المشاهد. وهي مشاهد تنطلق من هم ذاتي أملاه عليه عقله ودينه قبل منصبه كأمين مساعد لرابطة العالم الإسلامي.

لم يكن همه الرحلة قدر همه الكشف عن الأحوال والديار.

إنه قد كشف عنها أو عن بعضها في أكثر من عشرين ومائة مؤلف بين مخطوط ومطبوع، مستخدماً لغة طيعة، لينة، سهلة.

إن كل تلك المؤلفات تمثل جهداً عظيماً خاصة عندما يكشف فيها عن حالة من أحوال المسلمين الذين يعيشون في أنحاء عدة من هذه الكرة.

إن (العبودي الرحالة) قد استغل تنقلاته ليسجل لنا كل مشاهداته، لا، بل مذكراته لتمثل جسراً للتواصل ليحوّل) الكتابة) بهذه القدرة إلى «نشاط إنساني»، فالكتابة في أساسها «خدمة للناس وليست لنيل إعجابهم» كما قال «لوكاس».

إن الذي يرغب (الرحلة) إلى البلدان الأخرى في شرق الكرة أو غربها، فإن بإمكانه معرفة شيء عن عادات وأخلاق وجغرافية المكان الذي له رغبة في زيارته.

والذي يرغب معرفة شيء عن «حياة وأفراد الجماعات» فما عليه إلا قراءة

---

(١) انظر جريدة الجزيرة، الاثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ - ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣م/ العدد: ٣٩.

كتابات العبودي (الرحالة).

إن المهم في رحلات العبودي لقاءاته بالمسلمين، وزياراته لأماكن عباداتهم (المساجد)، إن هذه اللقاءات، وتلك الزيارات قد كشفت لنا شيئاً عن أحوال إخواننا المسلمين، وهو كشف يجعلنا نشعر بشعورهم، «والمسلم هو من يحس بأخيه المسلم ويشعر بشعوره، فيفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، ويرى أنه جزء منه...»[1]

إن (العبودي) بهذا العمل يستحق التكريم، وكنت أتمنى أن جامعاتنا قد سبقت إلى هذا التكريم، لكن للأسف، الأمر الذي جعل (الحرس الوطني) كعادته يحقق هذا السبق، ويسعى لتكريمه أسوة بمن كرمهم من الرعيل الجاد، وهذا سبق يستحق الشكر لأن الحرس الوطني ممثلاً في (مهرجان الجنادرية) قد حَقَّق مالم تحققه الجامعات في هذه البلاد، وإلاَّ ما الذي سيخسرها لو منحته درعاً تذكارياً؟ أو دعته لإلقاء محاضرات عن معاناته؟، أو طبعت رحلاته!!

إنها أسئلة تجعل جامعاتنا في محل التساؤل، وبُعدها عن تكريم من يستحق التكريم، وهل تحولت إلى شبه مدارس؟، أم إلى إلقاء محاضرات على الطلاب؟ أم ماذا؟؟، وأين مراكز البحوث فيها؟، وأين عمادات كليات الآداب واللغة العربية؟؟.

إن التكريم للرعيل الجاد ينبغي ألا يتوقف عند كتابة رسالة عنه، أو إلقاء بحث، أو... أو... بل ينبغي أن يتعدى إلى التكريم الفعلي، وسؤال أخير: ما المانع من اختيار مثل هذا الرعيل الجاد الذي عمل وعمل أعضاء في مراكز البحوث في الجامعات إن كانت هناك مراكز بحث..!!؟.

---

(١) فقه السنة: (ج: ٢، ص: ٥٩٩).

۞ محمد بن ناصر العبودي.. عُلماء في عَلَم..[1]

الأديب المجدُّ

د/ عبد العزيز الخويطر

الأخ محمد العبودي علم مضيء عند المثقفين، لما ساهم به من جهد ثقافي، ولما وضعه على الساحة الفكرية من موائد ملأى بغذاء مفيد وشهي، وبما شارك، من جهد لنقش اسم المملكة العربية السعودية على خارطة الانجاز في الثقافة والتراث والجغرافيا، وجوانب من اللغة العربية في مكتبتنا العربية.

يصعب حصر الحديث عن هذا الأديب المجد الجاد، في أسطر محدودة، أو صفحات معدودة، فلكل جانب من جوانب إنجازه الفكري المتشعب يحتاج إلى وقفة طويلة متأنية، تكون حصيلتها كتابا كاملا.

وجد الشيخ محمد العبودي الحقل أمامه بكراً في كثير من المجالات في بلادنا، فشمَّر عن ساعد الجد، وحاول بنجاح أن يختط أكثر من خط جديد، بعد أن أدرك انه آن الأوان لملء الفراغ بما يشفي طموحه، وطموح المتطلع من مثقفي بلاده، فالتفت، في إحدى المرات، إلى التراث، فوجد انه يحتاج إلى عناية في بعض جوانبه، تتجاوب مع ما يحتاجه المعجبون بتراث بلادهم.

كتب الشيخ محمد عما رأى أنه يمكن أن يكون مما يفيد، دوّن القصص التي على ألسن الناس، وما تحويه من صور تمثل البيئة، وما كانت عليه قبل أن تلونها الحياة الحديثة بألوانها، وما طرأ عليها من وسائل في المجالات المختلفة، سواء ما يلمس البيئة مادة أو يلمس حياة الناس سِيَراً وعادات،

---

(١) الجزيرة: الاثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ - ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣م/ العدد (٣٩).

ووجد أن الأمثال تستحق عناية متميزة، لما تلعبه في حياة الناس، فأضاء ما قد يكون مظلماً من جوانبها، ووضع لها الإطار اللائق بها، وجرَّ ذلك إلى الألفاظ التي تدل على الأشياء أو التصرفات مما بدأ يبهت، ويجهله الجيل الجديد.

أعطى هذه الجوانب حقها، فجاء بعضها في مجلدات، تشهد بالجهد المبذول، والفائدة المرجوة وهو خير من يتطرق لهذه الأمور، لمعاصرته لبعضها، ورؤيته لشمسها وهي تجتمع للمغيب، أو معاصرة من عاصرها ممن سبق جيله، فجاء التوثيق هذا ليضع لها القيمة التي تستحقها، وبهذا حفظ تراثاً ثميناً، ووضع مثلاً ملموساً يقتدي به من أراد ممن عاش في منطقة غير منطقة القصيم، لها عاداتها وتقاليدها، وأدواتها، وما وخط تلك من مشيب بدأ يزحف على لون شبابها، أو قضى عليه، بدهس أقدام السير الحثيث بما فيه من أدوات حديثة، أخذت تحجب الماضي، حتى لم يعد منه إلا ذكريات إن لم تدون بدقة، فسوف يشوه ما بقي منها الزمن، وفعل الرواة، والثقافة العربية، وعلمه بأمور اللغة العربية، جاء أسلوبه معضداً في القبول للأفكار التي سجلها، فالسلاسة في التعبير، والبعد عن التكلف من الأمور التي تجعل الكاتب مقبولاً، لأن هذا يجعل الذهن يتابع الفكرة كما أراد لها المؤلف أن تفهم، دون حاجة إلى الحدس أو التخمين، أو الظن بأن هناك مرامي غير ما تظهره الجمل.

ومن الأمور التي أخذت من عنايته نصيباً وافياً الجغرافيا، فجاء جانب منها عن بلادنا، محدداً مواقع، وواصفاً أحوالها، وتاريخها أحياناً، مما أصبح مرجعاً لا بد منه لمن أراد أن يكتب عن إحداها، أو يتطرق لها من بعيد أو قريب، وهي ركيزة باقية لمن أراد أن يعيش مدى تطور بلادنا مقارنة بالإنجاز، والمدة وما كان عليه الأمر قبل ذلك.

والجانب الجغرافي رحلاته بحكم عمله إلى البلاد الإسلامية، ووضعه لما كانت عليه، وقت زيارته، بدقة، لأنه شاهد عيان، وصلته بمن من أهلها يطمئن إلى حكمه عنها، سواء كانت تلك قرى أو مدناً أو شعوبًا أو عادات، وقد خدم بهذا هذه البلدان عند مواطنيه، الذين رأوا بعينه ما لم يستطيعوا رؤيته بعيونهم هذا الجهد في تسجيل ما يراه، وما يرى أهمية قيده بقيد الجهل والكلمات، وهي قيود ذهبية نبيلة، تكشف عن حرصه على وقته، وتقديره له، وحرصه على أن تكون كل دقيقة تمر يستفاد منها، إذ إن كثيراً ممن زاروا هذه البلدان وغيرها لم يدونوا لأنفسهم شيئا، ولم يكتبوا ما قد يفيد الناس، ومن فعل من بين هؤلاء فعددهم لا يقاس بمن لم يفعل.

وتقديره للوقت، واستفادته منه، وإظهار ما جاء من ذلك من حصيلة، ظاهرٌ في كثرة إنتاجه، فهو شهادة بينة وموثقة على ما بذله، وتوصل إليه.

هذه لمحة سريعة عن جانب من الصورة التي تبرز أمام ذهن من يسمع اسم الشيخ محمد بن ناصر العبودي. زاده الله من فضله وأدام عليه ثوب الصحة ضافياً، والعافية فضفاضاً، وأخذ بيده ليتابع عمله المفيد هذا.

۞ العالم الموسوعة محمد العبودي وأكثر من تكريم[1]

عبد الله الصالح الرشيد

جاء في الأثر الثناء الحسن عاجل بشرى المؤمن وقال أحد الشعراء:

إنَّ الثناء ليحيي ذكرَ صاحبِه كالغيثِ يحيي نداه السهل والجبلا

وفي مسلسل الوفاء والعرفان اختطت الجزيرة ممثلة بمجلتها الثقافية طريقاً رحباً في هذا المجال أسعد وأثلج صدور الكثير ما وصل إليه من عطاء من حيث الإشادة برجال الفكر والأدب في بلادنا مهد العرب والأدب وإعطائهم ما يستحقونه من تكريم وتقدير، وفي نفس الوقت إعطاء الأجيال الحاضرة بعض الصور والفصول عن حياة وعطاء هؤلاء الرواد الأفذاذ أمثال عبد الكريم الجهيمان وعبدالله الجلهم، وعبدالله القرعاوي، وعثمان الصالح، وعبدالله بن ادريس، وعبدالله عبدالجبار وغيرهم كثير، قرأنا ملفَّات حافلة عن عطائهم بأقلام تلامذتهم وذلك منذ بروز هذه المجلة المشرقة بالعطاء المتجدد والفعال والمنافس.

لذا لم أستغرب أن تبادر هذه المجلة الوليدة كعادتها بتكريم رائد متميز بل موسوعة في مجال الأدب والتاريخ والرحلات، فاقت مؤلفاته المائة. كل كتاب بغزارة مادته وإفاضته يقول: هأنذا هو الشيخ الأديب والعالم والمؤرخ وابن بطوطة زمانه، الرجل الواسع الأفق معالي الأستاذ الكبير محمد بن ناصر العبودي أمدّ الله في حياته. لقد عرفنا عطاء وإبداع وجهود هذا الرجل المفضل في أول شبابنا وتعلقنا بالقراءة في وقت مبكر عرفناه في كتابه الماتع

---

(١) انظر صحيفة الجزيرة – الملف: الإثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ/ ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣ / العدد: (٣٩).

الحافل الأمثال الشعبيّة في نجد صدر قبل أربعين عاماً وعرفناه فيما بعد بموسوعته الكاملة عن تاريخ وجغرافية منطقة القصيم أما مؤلفاته عن رحلاته في دول إفريقيا وآسيا وغيرها فلم يسبق أحد في تفاصيلها وكثرتها وخاصة عن جولاته في إفريقيا الخضراء.

ولقد سبق لي أن كتبت مقالاً في جريدة عكاظ قبل عشرة أعوام طالبت بتكريمه ومنحه ما يستحقه لقاء جهوده المتواصلة العظيمة في مجال عمله برابطة العالم الإسلامي وكذلك تقدير عطائه الغزير الحافل في التأليف في مجالات العلم والأدب والتاريخ وعن هذه المكتبة الكاملة في أدب الرحلات وقلت إنه يستحق عن كل فرع من الفروع التي بسط قلمه وعلمه وجهده ووقته في التأليف فيه يستحق شهادة الدكتوراه مع مرتبة الشرف.. وهنا أجدد الدعوة في هذه المناسبة التي أتاحتها «الجزيرة الثقافية» بأهمية تكريمه وتقديره بما يليق بمكانته، وما أكثر مناسباتنا الثقافية والعلمية التي تتيحها الجامعات والأندية والمهرجانات الثقافية.

كما أنَّ مؤلَفه القيّم الشامل عن تاريخ وجغرافية منطقة القصيم بكافة مدنها وقراها وأريافها سيبقى أثره وصداه في ذاكرة الأجيال في الحاضر والمستقبل يستحق عليه الشكر والتقدير والإكبار.

ولا يسعني في الختام إلا أن أشكر» الجزيرة الثقافية» على مساهماتها البارزة المتواصلة في سجل الوفاء والعرفان لرواد العلم والأدب في بلادنا وأستميح صديق الجميع الأستاذ المفضال إبراهيم التركي العذر بهذه المساهمة المتواضعة المستعجلة وأشكره على ثقته التي تثبت كل يوم معدن وفائه وأصالته وشهامته ولكن كما قيل الشيء من أصله ومعدنه لا يستغرب وإلى الأمام على الدوام.

۞ الشيخ العبودي والرحلات بصبغة الدعوية !![1]

د. إبراهيم بن عبد الله السماري

الرَّحَّالَةُ عُمْلَة نادرة في كل مجتمع؛ لأن عَمَلَهُ يوصف بأنه متعب بدنياً وذهنياً، وإنما يخفف وطأته ما يتحلى به هذا الرحَّالة غالباً من الرغبة في توسيع الدائرة المعرفية، ولذا كانت الرحلات مصدراً مهماً من مصادر المعرفة عموماً؛ بما تتضمنه من الإشارة إلى الأحداث والوقائع والتعريف بالأمكنة والأشخاص ووصف الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في زمن محدد هو زمن الرحلة التي تتحدث عن مكان ما، أو حادثة ما، كما تتحدث عن طبيعة العلاقات والمعاملات التي تحكم سير المجتمعات البشرية في حقبة تاريخية معينة وهكذا.

ومما يزيد أهمية الرحلات بصفتها مصدراً معرفياً مهماً أن الرحَّالة يحرص على الاتصال بالأشخاص العاديين الذين هم عادة يعبرون عن انطباعاتهم وانفعالاتهم بعفوية واسترسال لا تثقله قيود التحفظات بحكم أنهم يتحدثون في مجالسهم، ومع أشخاص يشاركونهم حياتهم، ويزيد التألق تألقاً أن تُصَاغ الرحلةُ بأسلوب أدبي مميز، ولا سيما إذا كانت لدى كاتب الرحلة ذائقة أدبية وبلاغية ثرية.

ومعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي رحالة متميز، وأحسب أن الله عز وجل قد ضرب له بتوفيقه بسهم وافر في أدب الرحلات حيث يملك دقة متناهية في وصف الرحلة والتعريف بدقائقها فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما

---

(١) انظر جريدة الجزيرة – الملف: الإثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ/ ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣م/ العدد: (٣٩).

هو في متاحات البشر إلا سجله وسلط عليه إضاءات تكفي لإشباع نهم المتلقي بما يملكه من قدرات وتوفيق في مجال تصيد تساؤلات وتوقعات المهتمين بمتابعة أخبار الرحلة، كما رزقه الله توفيقاً آخر يتمثل في أسلوبه السهل الممتنع عند عرض عناصر رحلته، وأين العجب في ذلك وهو قد حاز ميدالية الاستحقاق في الأدب عام ١٣٩٤هـ، فإذا تحدث عن رحلاته بلسانه فستجد أنه يشد المستمع له بما يملكه من أدوات التأثير واللغة المحببة ونبرات صوته المميزة والترابط المنطقي بين ما يعرضه من مواقف وأحداث ورؤى، مع حرصه على نطق الأسماء والمسميات كما ينطقها أهلها، وغوصه كثيراً في تعليل مدلولاتها.

من المؤكد من وجهة نظري أن بعض الرحلات تكتسب خصوصية تضفي عليها مزيد أهمية، وهذه الخصوصية ترجع حيناً إلى طبيعة الرحلة، وأحياناً إلى صاحب الرحلة، وأحياناً إلى مكانها، وأحياناً إلى زمانها، وأحياناً إلى الظروف المحيطة بها، ولكني في رحلات الشيخ العبودي أكاد أجزم أن صاحب الرحلة يفيض على كل رحلة من رحلاته شيئاً كثيراً من ذاته وذائقته فتكتسب بذلك أهمية وخصوصية، والله يرزق من يشاء بغير حساب.

هذا عن الجانب الذاتي في تكوين شخصية الشيخ العبودي ومَلَكاتِه الشخصية، أما عن الرصيد المعرفي والثقافي عند الشيخ العبودي فإن نظرة عابرة إلى مؤلفاته عن رحلاته التي شملت كل قارات الأرض وبلغت أكثر من مائة وخمسين كتاباً بعضها مازال مخطوطاً، إضافة إلى تأليفه الموسوعي المعجم الجغرافي عن (بلاد القصيم)، ومؤلفاته الأخرى التي بلغت ستة عشر مطبوعاً استفاد فيها من رحلاته تلك سوف تنبئك حق البيان عن حجم ذلك الرصيد الضخم، حتى يكاد المتابع له يجزم بأن الشيخ العبودي قد طاف

الأرض كلها، ويؤيد ذلك أن كثيراً من المثقفين - ولا أقول من عامة الناس- لا يعرف كثيراً من أسماء البلدان التي زارها في رحلاته على الخارطة فضلاً عن الواقع وربما لايُحسن النطق الصحيح لأسمائها، حيث ستجد في سجل زياراته استراليا وإندونيسيا والفلبين والهند والصين وجمهوريات الموز هندوراس ونيكارقوا وكوستاريكا والبرازيل وغيانا وسورينام ودول أفريقيا ودول أوروبا وروسيا البيضاء وروسيا الحمراء وداغستان وجورجيا وسيبيريا وأقصى جنوب المحيط الهادي وغيرها، بل ستجد حديثاً ماتعاً عن مناطق نائية في تلك البلدان لم يسمع بها الكثير!.

الشيخ محمد بن ناصر العبودي هذا العَلَم الجهبذ، الذي ولد في مدينة بريدة بالقصيم عام ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م، قدَّم لدينه ولأمته ولوطنه الكثير؛ مخلصاً نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، وفوق ذلك فهو يتزين بتواضع جَمّ يضفي على شخصيته مهابة وسمتاً، ولا غرو في ذلك فهو من حيث التلقي من تلاميذ الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي عام المملكة رحمه الله وكان من الملازمين للشيخ عبدالله بن حميد من كبار علماء المملكة رحمه الله وهو من حيث الممارسة عمل أميناً عاماً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم وكيلاً لها ثم أميناً عاماً للدعوة الإسلامية برابطة العالم الإسلامي ثم أميناً عاماً مساعدا للرابطة.

ولتسليط الضوء على جانب آخر من شخصية الشيخ العبودي أقول: إن الحوار ركن ركين من خصائص كل رحَّالة؛ لأن المفترض أنه إنما يحصل على كثير من المعلومات في رحلاته عن طريق الحوار مع الأشخاص الذين يلتقيهم فيستنطقهم ليجيب عن التساؤلات التي تثيرها مشاهداته، ولذا فقد تنوعت موارد ثقافة الحوار عند الشيخ العبودي، فمع التحصيل العلمي في

حجرات الدرس، ومع التلقي من الشيوخ مشافهة وسلوكاً، فإننا نجد في دفاتر سيرته الذاتية مشاركات كثيرة في المؤتمرات والندوات في الداخل وفي الخارج، فهذه الموارد التي نهل منها الشيخ العبودي لا ريب أنها صقلت قدراته الحوارية؛ ثمرةَ الدّربة والتلاقح الفكري والتواصل مع الآخرين بحكمة وإقناع، فَأثرَت رحلاته إثراءً بيِّناً، وزادت وهجَها تألقاً.

وعودا على بدء، كي لا أشطح بعيداً عن عنوان هذا المقال أقول: إن الشيخ العبودي بحكم تكوينه التعليمي والثقافي وبحكم انتمائه لهذه البلاد الطاهرة التي هي مهد الإسلام وقبلة المسلمين فإنك تجد رحلاته كلها قد صبغت بالصبغة الدعوية الحكيمة: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[1]. البعيدة عن التحجر وعن الغلو، حيث يجتمع في رحابة الطهر صفاءُ العقيدة ومحبةُ كل المسلمين، وقد عبَّر عن هذه الصبغة المحمودة أبلغ تعبير من خلال روايته لجهوده في أفريقيا وغيرها بتكليف من الملك فيصل رحمه الله أكثر من مرة في كتابه (مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين وبخاصة الأقليات المسلمة) وفي كتابه (وراء المشرقين: رحلة حول العالم وحديث في شؤون المسلمين).

هذا وبالله التوفيق.

(١) سورة البقرة: الآية (١٣٨)

۞ العبودي.. الباحث الأديب[1]

د. أحمد بن محمد الضبيب

عرفته أول مرة - دون لقاء - عندما صدر القسم الأول من كتابه: (الأمثال العامية في نجد)، كان ذلك في أواخر الخمسينيات الميلادية، وعلى وجه التحديد سنة ١٩٥٩م.

كنت حينذاك في مصر على وشك التخرج من جامعة القاهرة، وقد اشتريت الكتاب وضممته إلى مكتبتي في ١١/ ٦/ ١٩٦٠م، على ما سطرته آنذاك في صفحة العنوان، وزدت على ذلك بأن قمت بتجليده وذلك شأني مع الكتب التي تهمني.

كان الشيخ آنذاك مديراً للمعهد العلمي في بريدة، ولم أكن أعرف عنه شيئاً لكن كتابه الرائد كان بالنسبة لي فتحا جديداً فلأول مرة تجمع أمثال هذه المنطقة، وتفسر ويوازن بينها وبين ما ورد في التراث القديم من جهة وما يدور من أمثال في البلاد العربية الشقيقة من جهة أخرى، وكان أسلوب الكتاب رصيناً ينحو إلى إثبات الوشائج بين لهجة أهل نجد وفصيح العربية، كما كان المؤلف حريصاً على إيراد الشواهد الشعرية والأقوال المأثورة التي تستمد منها تلك الأمثال أو تدخل ضمن إطارها الثقافي. وباختصار كان عملاً مميزا بين كتب الأمثال العربية المعاصرة، ولذلك فقد قرأته آنذاك باستمتاع، وعلقت على بعض صفحاته، ومن تعليقاتي أنني لم أوافق المؤلف الكريم عندما انتصر لرأي الأصمعي ففضله على رأي أبي عبيد البكري في

---

(١)انظر جريدة الجزيرة - الملف: الإثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ/ ١٥ديسمبر ٢٠٠٣م/ العدد: (٣٥).

تفسير المثل «سمنكم في أديمكم» فقد فسر الأصمعي الأديم بأنه: الجلد، بينما رأى البكري أن الأديم: هو الطعام المأدوم قلت ويؤيد ما ذكره أبو عبيد أن المثل في الحجاز: «سمننا في دقيقنا» وبهذا يكون للمثل معنى ومضربا واضحين.

لم يكتف الشيخ بهذا الجزء الذي أصدره من عمله المتميز الذي ضم ١٠٠٠ مثل مرتباً حسب حروف الهجاء، وإنما رأيناه فيما بعد يتابع نشر «الأمثال العامية في نجد» في مجلة العرب ابتداء من المجلد الثاني، ثم أعاد الشيخ إصدار هذا العمل كاملاً فجاء في خمسة أجزاء بلغ عدد أمثالها ٣٠٠٠.

هذا العمل الذي أحسبه الأول للشيخ العبودي كان خير تقدمة له في عالم الكتابة والتأليف، فقد عرفناه فيه باحثا مدققا رصينا، وهو أمر قلما نجده في الأعمال الأولى للمؤلفين، كما عرفناه ظريفا واسع الاطلاع يتمتع بروح أدبية عالية.

وتصدى الشيخ العبودي مرة أخرى لقضية ريادية كبرى، هي تأليف المعجم الجغرافي لمنطقة القصيم، في إطار المشروع الضخم الذي نادى به العلامة حمد الجاسر لكتابة المعجم الجغرافي للمملكة. فأصدر ستة أجزاء في هذا العمل الضخم بني مادته فيها على الخبرة الميدانية فجعله معجماً حيا يعتني بالموجود المذكور من المواضع في هذا العصر، أما المعلومات التراثية حول الموضع فتأتي في سياق المادة لكنها ليست الأساس في بناء هذه المادة. وبذلك يخالف العبودي خطة العلامة حمد الجاسر في التركيز على المعلومات التراثية ورد الموضع إلى اسمه القديم المذكور في كتب التراث.

ويبدو العبودي أديبا نابها دقيق الملاحظة، جميل الأسلوب من خلال ما كتبه في أدب الرحلات فقد أصبح بحق ابن بطوطة هذا الزمان بما أصدره من

عشرات الكتب التي وصف فيها البلدان ما زاره من بلاد العالم في مهمات رسمية، فكتب عنها بعيداً عن الأمور الرسمية بعقل متفتح ونظر فاحص، ناقلاً إلى قارئه كل طريف وغريب من عادات الأمم التي زارها ذاكراً ممارساتها الدينية والاجتماعية، وملامح الحياة الأخرى، إلى جانب الوصف الطبيعي والجغرافي لتلك البلدان.

تلك في تصوري هي الأعمال الريادية الكبرى التي جعلت من الشيخ العبودي علما بارزا في دنيا الثقافة لدينا وللشيخ أعمال أخرى كثيرة بين تأليف وتحقيق، بعضها اطلعنا عليه، وكثير منها لم نطلع عليه، وإنما سمعنا عنه ولم نره، ولا شك أن جميع أعماله جديرة بالتنويه والدراسة.

أمد الله في عمر رائدنا الشيخ محمد بن ناصر العبودي، ووفقه إلى العمل المثمر في خدمة العلم والثقافة.

۞ رحالة العصر[1]

د. فهد بن عبد الله الرشودي

الحمد الذي لم يزل يجود على هذه الأمة برجال يحفظون لها تاريخها وتراثها وفضائلها زماناً بعد زمان ليفيدوا أمتهم وبلادهم أمثال العالم المؤرخ الأديب رحالة العصر معالي الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي الذي ولد في مدينة بريدة عام ١٣٤٥هـ، وتخرج من مدرسة شرعية وهي حلق العلم في المساجد، فأخذ من كبار العلماء كالشيخ عمر بن محمد بن سليم كبير قضاة القصيم وقاضي بريدة، وسماحة مفتي المملكة ورئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محاكم القصيم، والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة آن ذاك ورئيس مجلس القضاء الأعلى فيما بعد، وهو شيخه الذي تخرج عليه ومن أبرز تلاميذه وقد لازمه وقت الطلب حضرا وسفرا، وبعد تخرجه على العلماء انطلق من التخصص في العلوم الشرعية إلى الموسوعية، فألف في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك، وكتب خلال ترحاله إلى أغلب بلدان العالم عن كل بلد حط قدمه عليها وعما شاهده فيها من مناظر وآثار وغير ذلك، كما انه يسجل غالباً عدد سكان تلك البلد وعدد المسلمين والمساجد والمدارس الإسلامية فيها وديانة أهلها ولغتهم وآدابهم وعاداتهم وما يمتازون به من أعمال ويذكر الأحوال الجوية للبلد وتضاريسه.

---

(١)انظر جريدة الجزيرة – الملف: الإثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ/ ١٥ديسمبر ٢٠٠٣ م / العدد: (٣٥).

لقد عُرف الشيخ قارئا نهما في أمهات الكتب وكتب التراث والدوريات والمجلات المفيدة، قضى شبابه وكهولته في خدمة الإسلام والمسلمين وأسهم في نهضة البلاد العلمية والدعوية بالإضافة إلى المناصب الإدارية التي تولاها والمؤلفات التي دونها والزيارات التي قام بها لمعظم دول العالم.

فقد شارك في نهضة البلاد العلمية من خلال عمله قيماً لمكتبة الجامع الكبير في بريدة التي كانت تحت إشراف شيخه سماحة الشيخ عبدالله بن محمد ابن حميد، وهو أول عمل رسمي عين فيه، ثم مدرسا في إحدى المدارس الحكومية في بريدة فمديراً لها، ثم كلف بتأسيس المعهد العلمي في بريدة في عام ١٣٧٢هـ وتولى إدارته حتى عين أمينا عاماً للجامعة الإسلامية في أول تأسيسها وشارك في وضع نظامها وهيكلها الإداري عام ١٣٨٣هـ وعمل فيها لمدة ثلاث عشرة سنة ثم عين وكيلاً للجامعة نفسها.

وشارك في النهضة الدعوية من خلال عمله أمينا عاما للهيئة العليا للدعوة الإسلامية بالمرتبة الخامسة عشرة عام ١٣٩٥هـ لمدة ثماني سنين، ثم العمل الحالي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي من عام ١٤٠٣هـ وهو الآن بالمرتبة الممتازة.

ولقد أتاح له عمله في رابطة العالم الإسلامي الترحال إلى بلدان العالم حيث زار معظم دول العالم للاطلاع على أحوال المسلمين فيها وكتب عن جميع مشاهداته في البلدان التي زارها، وقد بلغت عدد مؤلفاته عن هذه الرحلات مائة وبضعة وستين مؤلفا طبع منها أكثر من مائة مؤلف والباقي تحت الطبع، وهي ثروة أدبية تاريخية جغرافية فكرية تهم كل مثقف ومسئول.

ورغم كبر سنه وكثرة أعماله وانشغاله بالأعمال الإدارية وأسفاره الكثيرة إلا أن ذلك لم يثن من عزيمته عن قيامه بالتأليف ومطالعة الكتب الكثيرة في

فنون متنوعة وإقامة البرامج الإذاعية عن أحوال المسلمين في العالم والمشاركة في مناقشة الرسائل العلمية، وهو حالياً بصدد إكمال كتابة « مُعجم أسر القصيم» أسأل الله أن يوفقه ويعينه على إتمامه.

كما كتب أربعين مؤلفاً في علوم متنوعة بعضها تحتوي على عدة مجلدات، طبع منها «معجم بلدان القصيم» في خمس مجلدات و «الأمثال العامية في نجد» في أربع مجلدات و «كلمات قضت» في أربع مجلدات.

والشيخ وفقه الله راوية للتاريخ المعاصر يحفظ الوقائع والأحداث ويروي عن ثقات كما أنه يحفظ الأسر التي استوطنت بلدان القصيم وتاريخها ويذكر غالبا أول من استوطن من تلك الأسر لتلك البلدان وهو حريص على توثيق ذلك من خلال الوثائق وأفواه الرجال الثقات.

كما أنه يشجع المهتمين بتاريخ بلدانهم وأسرهم والشخصيات البارزة فيهم وتدوين الروايات التاريخية عمن وجد وعمن عرف بالرواية عنهم ويحثهم على مواصلة السير والعمل والتدوين والإنتاج.

وقد عرفت عنه التجرد والإنصاف والموضوعية فيما يقول ويكتب في وصفه للشخصيات والبلدان التي ذكرها في كتبه ولا أدل على ذلك من وصفه لجميع بلدان القصيم في كتابه «معجم بلدان القصيم» حيث استوفى لكل بلد حقه من الوصف، كما انه حينما يذكر هذه البلدان يشير إلى الأسر التي تسكنها ويذكر أسماء الشخصيات البارزة من تلك الأسر سواء كان بروز تلك الشخصيات في العلم أو الزعامة أو الجاه أو المال أو الكرم أو الشجاعة أو الشعر.

والشيخ وفقه الله طيلة حياته العملية في القصيم والمدينة المنورة والرياض ومكة المكرمة التي تزيد على نصف قرن من الزمن من الشخصيات البارزة

التي نالت ثقة ولاة أمر هذه البلاد يدل على ذلك تعيينه في المناصب الإدارية المهمة إضافة إلى رحلاته إلى أغلب بلدان العالم بمهام رسمية للاطلاع على أحوال المسلمين ومساعدتهم فتحدث وتكلم وحاضر في المساجد والقاعات وأماكن التجمعات هناك، كما قابل كبار مسئولي تلك الدول والبلدان وتحدث معهم وقام بالدور الذي كلف به خير قيام.

وحقيقة فإني لا استطيع أن أوفي هذا الأنموذج الفذ معالي الشيخ محمد العبودي حقه في هذا المقال ولكن آمل أن أكون قد أسهمت بشيء مما أعرفه عنه، وتكريم الشيخ وأمثاله من رجال العلم والدعوة والأدب الذين أفنوا حياتهم في خدمة أمتهم ووطنهم بادرة طيبة وأمر محمود يشكر لولاة أمر هذه البلاد المباركة الذين دأبوا على تكريم أهل العلم والفكر والأدب .

۞ الشيخ محمد العبودي وفكره التربوي

د. عبد الحليم العبد اللطيف

إن دراسة وإظهار سير أولئك الرجال ذلك الأنموذج الرفيع من أبناء هذا البلد العزيز يلقي ظلالاً رفافة «حية» بهية «وندية» عبقة وعميقة، وفي كل صفة من صفاتهم تتحقق سمة ذات قيمة ومعنى في حياة الأمة وخاصة الشباب الذين يفترض فيهم أن ينهجوا منهج الكبار ويتمثلوا طريقهم، وأنا هنا عندما أكتب عن فكر الشيخ محمد العبودي التربوي أجزم أن الجوانب الأخرى من سيرته العطرة ستغطى من قبل أصحاب الشأن وفرسان الميدان من الأدباء والكتاب وأصحاب القلم السيّال، فالشيخ محمد بحكم مواهبه الكثيرة وعلمه الغزير والبصير أيضاً قد كتب وأطنب وأطرب في فنون عدة منها على سبيل المثال والتميز) المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية بلاد القصيم وهو فذّ في بابه، تحقق به الربط بين الماضي والحاضر، وقد تميز بشموله وسعة مباحثه، كذلك كتابه النفيس معجم أسر القصيم الذي أصبح مرجعاً مهماً في بابه، ينهل منه الكبار، أما الأدب بفنونه المختلفة فقد لمع فيه وتميز خاصة أدب الرحلات حيث زار العديد من دول العالم موفداً من قبل هذه الدولة الرشيدة يحمل الخير والنور والعطاء الثرّ سواء منها ما كان وقت مسئولياته في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، أو في رابطة العالم الإسلامي، إن شيخنا الكريم قد نهل من معين علماء بريدة وارتوى خاصة وشيخه وأستاذه الأول سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد العالم النحرير الفطن اللبيب الذي لمع كثيراً في مجالات عدة وخاصة القضاء والتدريس، فكان الشيخ محمد من أميز طلابه وأكثرهم التصاقاً به هو وأستاذنا الكبير سعادة

الأستاذ علي الحصين طيب الله ثـراه، راجيـاً أن تتـاح لي الفرصـة بحـول الله لإطلاع القارئ الكريم على فكر هذا الرجل أعني الحصـين ووطنيتـه وحبـه للعلم والتعليم وبذله والسعي الحثيث لتحقيقه، أما موضـوع حـديثنا اليـوم فهو الشيخ الأستاذ محمد بن ناصر العبودي متعه الله بالصحة والعافية الـذي كان بحق وصدق أنموذجاً حياً وفريداً في القيادة التربوية الصـحيحة، وهـي ما سأتعرض له الآن بحسب المقام فهو حفظـه الله لم يتـول القيـادة التربويـة بدون تربية علمية وخُلُقِية وتزكية نفس، بل مكث طويلاً تحـت سـمع وبصر وإشراف دقيق من قبل علماء أجلاء أمثال شيخه الأول عبدالله بن حميد رحمـه الله، ثم لما تولى القيادة التربوية في معهد بريدة العلمي أصبح أنموذجـاً حيـاً، للإداري الناجح والقائد التربـوي المسـدد. كـان مربيـا قـديراً أحبـه طلابـه وإخوانه وزملاؤه، غـرس أثنـاء تلـك الفـترة غراسـاً كـريماً نفـع الله بعلمـه ومواهبه القيادية الفذة ونصحه وتوجهـه وتوجيهـه شـباب وطـلاب معهـد بريدة العلمي الذين هم الآن في أماكن مختلفة من أجهزة الدولة هـذا، ولقـد اقترن اسمه كثيراً بهذا المعهد بصفته أول مدير لـه وهـو المؤسـس بحـق لهـذا المعهد الذي نفع الله به البلاد والعباد، وكان خـيراً كثـيراً وعطـاءً متجـدداً لا لمنطقة القصيم وحدها ولكن لأماكن عدة داخل البلاد وخارجها، هذا ولقد عرف عـن شـيخنا أمـد الله في عمـره الحـزم والعـزم والأمانـة والإخـلاص والمتابعة الجادة والمفيدة، كما عرف وبحق بالتفوق العلمي والتأصيل التربوي والتميز المعرفي وحسن التوجيه وسلامة القصد، وبعد النظر وسـعة الصـدر وبعد الأفق، كما أنه عديم المشاكل مفتاح للخير مغلاق للشر ينزع إلى الهـدوء والسكينة واللطـف والعطـف والملاينـة والملاحظـة في عملـه يكـره العنـف والشدة والإثارة والتسلط، وهـو مـن الرعيـل الأول الـذين أثـروا العمليـة

التعليمية في المنطقة، وغيرها ورسموا الخطوط العريضة لمن بعدهم، كما كان مد الله في عمره فكها لطيف المعشر يألف ويؤلف مجلسه كله أنس ومؤانسة لا تمل الحديث معه، لديه معرفة تامة وإحاطة شاملة بالكثير من الأمور، يتذوق العديد من الفنون المفيدة تستفيد كثيراً من الجلوس معه، فمعلوماته غزيرة وتجاربه كثيرة وفريدة وخبرته واسعة، لكنه كحال الكبار يؤثر السمت في وقته ولا يتحدث بدون مناسبة أو حاجة داعية يحبه الكثير والجم الغفير ويأنسون بقربه ومحادثته هذه حاله وبعض خصاله الطيبة كما عرفناها نحن طلابه في منطقة القصيم، أما بعد أن انتقل إلى المدينة النبوية ليساهم في تأسيس الجامعة الإسلامية فيها وقد اختاره من يعرف الرجال حقاً سماحة مفتي المملكة ورئيس قضاتها سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم طيب الله ثراه فكان شيخنا محمد على مستوى المسئولية وأهلاً للأمانة التي أنيطت به، فأرسى هو وخيرة من أبناء هذه البلاد وعلى رأسهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله وبدعم ومؤازرة من هذه الدولة، دولة التوحيد والتجريد أقول أرسوا قواعد هذه الجامعة على أساس مثير وأمين توالت خيراتها وكثرت عطاءاتها ونفع الله بها وبخريجيها بلاداً عديدة، أمدوا هذه البلاد بالعلم الصحيح وبالعقيدة الصافية وسهلت لطالب العلم أن ينهل من معينه في طيبة الطيبة ذات الأصالة والتميز فكان شيخنا، الكريم يذهب لهم في ديارهم شارحاً وموضحاً وداعماً، فأتى الشباب والطلاب من كل مكان إلى هذه الدوحة الظليلة، هذه البلاد الطيبة، وكان لأسلوبه المميز وقدراته التربوية والقيادية أعظم الأثر في ذلك حتى أصبحت هذه الجامعة بفضل الله ثم بفضل هذه الدولة المعطاءة، ثم بفضل هؤلاء الرجال أقول أصبحت هذه الجامعة بحمد الله مضرب المثل، ومعقد الأمل، ومحط الرحال لطلاب العلم

والمعرفة، ثم بعد ذلك انتقل شيخنا إلى رابطة العالم الإسلامي مساعداً للأمين العام فواصل جهده وعطاءه المميز، وفي الرابطة مجال رحب وخصب لأمثاله من القادة التربويين الذين ما فتئوا ينشرون فكرهم وعلمهم للناس، وتلك إحدى نعم الله عليه كما أنها إحدى المواهب التي كرمه الله بها، وهذه السمة الفريدة هي التي تعطي للحياة وللإنسان الخير والصلاح والإصلاح وإن الدارس لفكر وعلم المترجم حفظه الله يجد فيه شخصية إيجابية فاعلة بسيطة منتجة مستمتعة راضية، وهو بحق يمثل جيل الكبار من علمائنا الأخيار في سَمْته ووقاره، وهدوء نفسه وحبه للعلم والشغف في تحصيله، والبعد عن الاهتمام بالدنيا حاله في ذلك حال العلماء العاملين النابهين والأئمة المصلحين، وهذا جزء مما تعلمه وحصل عليه من مجالسته للعلماء العاملين الذين أتيت على بعض منهم في صدر هذه الكلمة، إنني وبهذه المناسبة الطيبة مناسبة الحديث الشيق عن شيخنا العبودي حفظه الله أدعو الشباب والطلاب للاقتداء والاهتداء بهؤلاء الرجال الذين أعطوا لأوطانهم وأمتهم ودينهم الشيء الكثير. إن التشبه بهم فلاح ونجاح وصلاح:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاحُ

حيث تتسامى في شخصية المسلم القدوة الحسنة، وهذه القدوة الطيبة تكشف لهم طريق الحق والخير وتنير لهم مسالك الحياة فيمضون على هدى مترسمين معالم الرشد والإصلاح فتتميز شخصياتهم عن غيرهم وترتقي بالقدوة الصالحة شخصياتهم، وتسمو منزلتهم حيث للقدوة الطيبة أثر بيِّن في تهذيب النفس وصقلها وتربيتها تربية جادة فاعلة، وإذا كان للعلم أثره الأصيل والنبيل في بناء الشخصية فلمن يحملونه مكانتهم المرموقة وأثرهم الذي يثري الحياة بالنور والأمل ثم العمل.. هذا والله الهادي والمعين.

۞ الشيخ العبودي.. واتساع المعارف [1]

د. محمد بن سعد الشويعر

كلمة مأثورة قالها أحد الشعراء: لا بأجدادي شَرُفت بل شرفوا بي، تنطبق على الشيخ محمد العبودي: الأديب الرحالة.

ذلك أن كثيراً من الناس، وخاصّة في الخارج، يعرفون الشيخ العبودي، بأنه الرجل الداعية، الذي يجوب البلاد في رحلات عالمية متتابعة، يعيد معها ذكرى: رحلات ابن بطوطة المغربي، إلا أنه أوسع منه انتشاراً، وأكثر عطاء.

فابن بطوطة زار ديار محدودة بالنسبة لمقاييس هذا الزمان، ذكرها في رحلته المطبوعة في مجلدين، لكن الشيخ محمد العبودي، في رحلاته التي عبّر عنها فيما دون من كتبه، التي تزيد على الثمانين، وفيما قدم من ملفات إذاعية استمرت سنوات.. وما بقي في ذاكرته أكثر.

تلك المعلومات الشيقة في أحداثها، الرصينة في طريقة عرضها، لأنها تشدّ المستمع في تسلسل الأحداث وطريقة العرض.. بأسلوب هو من السهل الممتنع.

ففي هذه العطاءات يتبين للقارئ المقارن، أن الشيخ العبودي قد فاق ابن بطوطة في الكم والكيف، الكم في البلدان التي زار، والكيف بما انصهر فيه، وتابعه ووثقه من عادات الشعوب وحالة المسلمين هذا الجانب الذي يهتم به كثيراً.. ويبرز لمن يتابع ويهتم بهذا الجانب.

---

(١) انظر جريدة الجزيرة – الملف: الإثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ/ ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣م/ العدد: (٣٥).

ويصح أن نطلق عليه تجاوزاً: ابن بطوطة القرن الحادي والعشرين، إذ ما كتب ورصد، يعطيه وصفاً مميزاً، يفوق ما تعرض له الرحالون، قديماً وحديثاً، بالرصد والتوثيق والانصهار مع الشعوب التي زار ديارهم.

ولئن جدّ في العصر الحاضر: ما أسموه بأدب الرحلات، فإن جهد الشيخ العبودي، وبما أعطاه الله من ملكة أدبية، وقدرة لغوية، فإنه قد صاغ رحلاته العديدة، بأسلوب أدبي هو من السهل الممتنع، حيث يخاطب المشارب المتعددة، بما يتلاءم معها جميعاً، بالإيجاز غير المخلّ، وبالمعلومات الواضحة التي يدركها كل قارئ.. مع العرض المشوق، الذي يأسر ذهن المتابع ويشده: قراءة أو سماعاً.

فعرف لدى المتابعين لهذا الجانب عند الشيخ محمد العبودي بأنه:أديب الرحلات، بالرحالة المتنقل، وبواصف هموم المسلمين، وبالكاشف لعادات وتقاليد الشعوب... بل كل يصف رحلات الشيخ العبودي من الزاوية التي تراءت له، وهو يتابع بشغف ما طرح في كتبه، وما يذاع عن رحلاته.

أما الجانب الثاني: في شخصية الشيخ العبودي، فهو دخوله ميدان الأدب من غير تكلفّ، فهو أديب بفطرته وإحساسه، وناقد لم يقرأ تقنين النقد الحديث، المستمد من اصطلاحات علماء الغرب، الذي أخذه بعض المتأدبين عنهم: تقليدا أو محاكاة أو مترجماً مستحسناً.

بل نرى الشيخ الأديب العبودي يغوص في الميدان، بما ظهر للقارئ مما طبع له أو بما هو جاهز عنده ينتظر النور، بقدرة الأديب المتمرس: فكراً وخيالاً خصباً، المستمد من اطلاعه ومخزون معلوماته، صاغ ذلك بخيال خصب، يشدّ القارئ: فيكون ما عبر عنه، بأنه خيالي، كما في كتابه المطبوع: حكايات تحكى، وفي مطوّع في باريس، والمقامات البلدانية، اللذين ينتظران

الخروج إلى النور.

يتراءى للقارئ أن ما رصده قلم الشيخ العبودي، وما تَفَتَّق عنه خياله، ما هو إلا حقيقة.. إنه لا يبالغ ولا يطبع بطل القصة، بأنه لا يغلب ولا يموت، ويخرج من كل حادثة مهما كانت سليماً لم يخدش بجرح.. كما في «طرزان» كما هو الشأن عند بعض الكتاب، مما يجعل القارئ في حيرة: بين حال الحكاية وواقع المجتمعات.

لكنه في عطائه الأدبي يختلف عن أولئك، بما يعطيه من تناسق فني، يتسلل في الوقائع، مما يجعله يعرض الحوادث التي تمر بكثير من الناس، وتوقع البطل في الشبكات المنتظرة لمثله في كل مجتمع أن يقع فيها فلا يزكى البطل بل يخرجه حسب حاله: فائزاً أو خاسراً.

والذي يقرأ هذا النوع من الأدب عند العبودي، يدرك تفاعله مع المجتمع، وانصهار حواسه مع البيئة التي نبتت منها الحكاية، فيرتفع خيال القارئ مع حوادث مماثله عايشها أو سمع عنها في حياة الناس ليعتقد أن هذه الحالة ما هي إلا ما حصل لفلان من الناس.

وهذا من رصانة الأديب، وتفاعله مع الوقائع، وأسلوب العرض، لأنه منصهر في حياة الناس، لإحساسه بما يدور في بيئاتهم.

ذلك أن الشيخ العبودي مهتم بربط عطائه العلمي والأدبي بطابع المجتمع عندنا قبل زمن الأمن والاستقرار، وما تبع ذلك من تغير في نمط الحياة، وبذلك يتمازج عنده: ربط الحديث في حياة الأمة، بالتاريخ الاجتماعي، الذي ينتقل فيه بالقارئ لما في مجتمع ذلك الوقت.

والجانب الثالث: في ثقافة الشيخ العبودي، نراه يستمده من بيئة القصيم، وهذا الجانب ذو شقين: ١ - الأمثال الشعبية. ٢ - المعجم الجغرافي.

وكل منهما من أجزاء متعددة استوحى معلوماتها بجده وجهده ومتابعة أيام حيوية الشباب من منطقته التي ترعرع فيها: حباً للوطن وارتباطاً بالبيئة.

فالأول: له فيه ميزة تختلف عن غيره ممن كتب وألف في الموضوع: فهو يقارب بين المثل الشعبي والمثل العربي الفصيح، ليجد بين الحالين تلازماً، يبرهن على أن الفكر العربي لا يتغير والبيئة واحدة قديماً وحديثاً، فما يصدر من مثل أو حكمة، فهو نابع من إحساس ووقائع متماثلة عن الشعوب.

ومقارنته هذه تَحكي واقع العرب: قديماً وحديثاً، وتُعطي انطباعاً عن تفكيرهم وثقافتهم، وأن اللغة الفصحى والشعبية جذورها واحدة.

وكل ذلك في المماثلة والمشاكلة، يُستمد من معينٍ ثابت، وقاعدة أساسية هي قاعدة الإسلام وتعاليمه.. بحيث نرى هذا أساساً يتركز عليه عطاؤه وخياله.

والثاني: عن المسميات والمواقع في القصيم: وهذا رصد مهم، لأن أبناء هذا الزمان قد نسوا كثيراً من المسميات بعد توافر المواصلات الحديثة والطرق المعبدة.

فكانت المقاييس والمعالم بوسائل السفر السريع السائق اليوم: طائرة وسيارة، تختلف عما كانت عليه بالأمس: دابة أو ترجلاً.. مما يعني أن كثيراً من المسميات التي اهتم برصدها الشيخ العبودي، قد يأتي يوم تندرس فيه.. لو لم يقيض الله من اهتم بها ورصدها، حيث تحمس الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله في دار اليمامة للنشر والطباعة.. بهذا الجانب، وتعاون معه عن كل جهة من بلادنا، من إعانة على رصد حصيلة جيدة عن الجزيرة العربية، خرجت في سلسلة من: دار اليمامة. وقد اختص ا لشيخ العبودي بمنطقة القصيم.

وقد كان من سمة العبودي في مؤلفه هذا الاهتمام بأمور منها:

الشواهد والوصف، وربط بأصله عند العرب القدامى، من أيام الجاهلية، وما يتعلق بالموقع من أحداث ووقائع.. كما عمل الشيخ محمد بن بليهد في كتابه: صحيح الأخبار، إلا أن الشيخ محمد العبودي، قد قصر عمله على منطقة القصيم، وهي منطقة واسعة والشيخ البليهد كان أوسع منه نطاقاً فيما مرّ به من معلومات عن بلاد العرب كلها.

وهناك جوانب عديدة في ثقافة الشيخ محمد العبودي، فهو قصصي ونسابة، وصاحب نوادر وملح، وحكايات ومسامرات..

هذه الجوانب التي ألف فيها: خرج للنور شيء، وبقي مستتراً الأكثر، مما يعطيه وصفاً، بأنه أنيس المجالس وموسوعة متحركة.. زانها ما وهبه الله له من ذاكره جيدة تختزن الشيء الكثير من المعارف مع قدرة على تصيّد ما يناسب المقام.

ولا يعدم من يجالس الشيخ العبودي: أن يجد لديه حديثاً لكل حادثة، وشاهداً على كل موقف.. وهذا من اتساع ثقافته سواء منها المقروء أو المسموع.. ويبرهن على ذلك كثرة إنتاجه العلمي وتطرقه في هذا الإنتاج لجوانب عديدة، من الثقافة، ولعله آخذ في هذا بالمفهوم الإصطلاحي عند العرب، عن الأدب، بأنه الأخذ من كل جانب بطرف.

۞ تقلّد الوسام صاحبه[1]

لقد أسعد تكريم الشيخ محمد بن ناصر العبودي الكثيرين من رجال الفكر والأدب والعلم، المتأملين لمسيرة هذه الشخصية التي ظلت على مرّ عقود من الزمن تجوب أرجاء المعمورة استكشافاً ودعوة وأداء وأمانة، وتبليغ رسالة العلم والدعوة، وتوطيد علاقات حسنة بين هذه الدولة المعطاءة وباقي الدول القاصية التي لا تعرف عن هذا البلد وعن عقيدته وعن رجالاته إلا القليل.

لقد أعطي الوسام صاحبه، ولقد أعطي التكريم مستحقه، وهذا إنما يدل على حكمة وإنصاف من اختار وأشار بالتكريم لهذه الشخصية الفذة.

فعن نفسي، وعن كل من عرف الشيخ محمد، بل وعن كل سعودي أقدم أسمى آيات الشكر والعرفان لمقام خادم الحرمين الشريفين وولي عهده ونائبه.

وإنني بهذه المناسبة أدعو المسئولين إلى أن يقام حفل تكريم خاص يتضمن نبذة عن حياته الدعوية ويكون في مدينة بريدة ليشارك فيه أحباؤه وأقرباؤه، ويكون ذلك تحت إشراف إحدى الدوائر التعليمية سواء وزارة التربية والتعليم أو النادي الأدبي أو مكتبة الملك عبد العزيز.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صالح بن عبد الله بن عبد الكريم العبود

مدير مكتبة الطلبة الحديثة - ص . ب: ٧٧٠

---

(١) انظر جريدة الجزيرة السعودية، الأربعاء ٨/ ١١/ ١٤٢٤هـ - العدد (١١٤١٦).

۞ بلدانيات العبودي ريـادة وتميز [1]

الدكتور/ أسعد بن سليمان عبده

مقدمة:

أشكر المهرجان الوطني للتراث والثقافة، وأبارك لمعالي الأستاذ محمد بـن ناصر العبودي هذا التكريم الذي هو أهـلٌ لـه، ويشرفنـي المشـاركة في هـذه الندوة بحديث عـن الجانـب (الجغـرافي - البلـدانيات) في إنتاجـه، ومـع أن إنتاجه في هذا المجال كثير كثير، فقد التزمت بأن يكـون مـا أكتبـه في حـدود عشر صفحات. لهذا أدخـل مبـاشرة إلى الموضـوع، وأبـدأ بتقسـيم مـا نشره العبودي عن البلدان إلى قسمين:

- ما كتبـه عـن المملكـة العربيـة السـعودية خاصـة كتابـه المتميـز (بـلاد القصيم).

- كُتبه عن رحلاته إلى بلدان غير المملكة العربية السعودية.

ثم أحاول أن ألقي بعض الضوء على كـل مـن هـذين القسـمين، خاصـة القسم الثاني معتمداً على ما تمكن من الاطلاع عليه.

*** أولاً: كتاب «بلاد القصيم»:**

صدر هذا الكتاب عام ١٣٩٩هـ في سـتة أجـزاء ضـمن كتـب (المعجـم الجغرافي للبلاد العربية السـعودية) وهـو معجـم جغـرافي اخـتص بمنطقـة القصيم يذكر اسم المكان ويبحث فيما كتب عنه في اللغة العربيـة، وفي أبيـات

---

(١) المهرجان الوطني للتراث والثقافة التاسع عشر - الخميس ٢٤/ ١٠/ ١٤٢٤هـ. نشرت في جريدة الجزيرة.

من الشعر، ويعطي معلومات عن المكان، معتمداً على معرفة المؤلف الشخصية للمكان وزياراته الميدانية.

أشرت في مقال منشور عن « المعجم الجغرفي للبلاد العربية السعودية »، إلى مميزات في كتاب (بلاد القصيم) مقارنة مع كتب أخرى في (المعجم) منها أن العبودي رتب مواد كتابه «حسب حروف المعجم لا بالنسبة للحرف الأول فقط بل بالنسبة أيضاً للحرف الثاني والثالث الخ»، كما أنه جَعَلَ الاسم الحالي للمكان - وليس الاسم القديم - هو المدخل في كل مادة من مواد المعجم « لكنه يذكر الاسم القديم أثناء التعريف بالمكان، كما أنه يشير إلى الأسماء القديمة في الفهرس مُبيناً الصفحات التي ورد فيها ذكر الاسم القديم...»[1].

❊ ثانياً: كتب رحلات العبودي:

هذه كتب كثيرة، فيها معلومات لا نجدها في غيرها عن بلدان يعيش فيها مسلمون؛ كما أن في هذه الكتب آراء وانطباعات وأحاسيس إنسانية، وهي كتب أسلوبها سهل تصور المكان بأبعاده وألوانه بمن فيه وما فيه، يأخذك مؤلفها معه في رحلته، يتحدث إليك بصدق فتثق به وتأنس لما يقول.

بلغ عدد كتب الرحلات المنشورة (إلى عام ١٤٢٤هـ) مئة وثلاثة كتب، إضافة إلى ستين كتاباً لم ينشر بعد، وبذلك يكون مجموع كتب الرحلات مئة وثلاثة وستين كتاباً؛ وهذا رقم قد يجعل العبودي أكثر مؤلف عربي معاصر ألف في مجال الرحلات، لكن تميز كتب رحلات العبودي ليس بسبب كثرتها

---

(١) عالم الكتب: رجب ١٤٠٠هـ.

وحسب، وإنما أيضاً لكون هذه الكتب تعتمد على رحلات قام بها المؤلف لهدف خدمة الإسلام والمسلمين، خاصة في البلدان التي فيها أكثرية غير مسلمة، وبالأخص البلدان التي لا نعرف عن المسلمين فيها إلا القليل، أولئك المسلمون المنسيّون من إخوانهم في الدول الإسلامية، من أجل هؤلاء رحل العبودي إلى كل القارات وكثير من جزر البحار والمحيطات.

وكتب عن المسلمين هناك وعن بلدانهم مذكرات يومية تحولت إلى هذا العدد من الكتب.

و للعبودي كتب أخرى - غير كتب الرحلات - منشورة وغير منشورة تجعل عدد كتبه يصل إلى مئة وتسعة وثمانين كتاباً.[1]

*** مشكلة عناوين بسبب كثرة الكتب:**

نشر كتابه الأول عن رحلته إلى إفريقية وسمّاه (في إفريقية الخضراء) ويبدو أنه لم يتوقع أن يكون له كتاب آخر عن هذه القارة، لذا عندما نشر كتابه الثاني: (صلة الحديث عن إفريقية) ثم جاء كتاب ثالث سماه (بقية الحديث عن إفريقية) ثم كتاب رابع سماه (بقية البقية من حديث إفريقية) وعندما واجه السؤال: " ماذا لو صح عزمك على كتاب جديد بعد (بقية البقية) هذا؟ "، أجاب: " إن كتب المؤلف كالأولاد لذي الأولاد، لا يعدم إذا كثروا أن يجد لهم أسماء قد تكون مطابقة للمسمى، وقد تكون غير ذلك... "[2]

---

(١) إلى شمال الشمال، بلاد النرويج وفنلندا، (ص: ٢-١٣).

(٢) بقية الحديث عن إفريقيا (ص: ٥-٦)، الإسلام والمسلمين في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية (ص: ١٣-١٥).

* كتب مشاهدات وملحوظات:

يقول في مقدمة أحد كتبه: «..أذكر القاريء الكريم.. بما حاولت أن أذكره به في كثير من كتبي في الرحلات، وهو أنه كتاب مشاهدات وملاحظات وليس بكتاب دراسة عميقة، أو بحث مجمعي موثق بالإحصاءات والتفصيلات، فذلك له أماكن أخرى من كتب أخرى»[1]، ومع ذلك فإنه في كتاب (بلاد العرب الضائعة: جورجيا) كتب فصلا عن «جورجيا عند مؤرخينا القدماء» (ص ٢٣-٤٥).

* **محتوى هذه الكتب:** يحتوي كل كتاب من كتب رحلات العبودي - بشكل عام - معلومات يعتمد معظمها على ما يجمعه ميدانياً وما يشاهده ويلاحظه، وتشمل اسم البلد، والموقع الجغرافي مع توضيحه بخارطة، والمساحة، وشيء عن مظاهر سطح الأرض، وعن أحوال الجو والنباتات ومعلومات عن السكان والاقتصاد والحياة السياسية.

كما تحتوي كتب رحلات العبودي معلومات عن المسلمين ومساجدهم ونشاطهم الديني، وتكون المذكرات اليومية معظم صفحات هذه الكتب، وتشتمل هذه المذكرات على تسجيل عن أحداث الرحلة حسب اليوم والتاريخ والوقت، من بدء الرحلة إلى انتهائها (الاستعداد للرحلة والحجوزات، والمرافقون، ومطار المغادرة والخدمات فيه، والطائرة والخدمة فيها، وما يراه بعد نهوض الطائرة من سطح الأرض وسحاب وسماء وكذلك عند هبوط الطائرة، ومطار الوصول والخدمات فيه، والاستقبال والمستقبلون، والذهاب إلى الفندق، والفندق ومستوى الخدمة فيه،

---

(١) ذكريات من خلف الستار الحديدي (ص: ١٣-١٦).

وغرفته في الفندق وملحقاتها، والجولات والزيارات والاجتماعات، والكلمات التي تلقى في المناسبات، والهدايا، والمساعدات..)، كما تحتوي على صور التقط المؤلف معظمها.

ويلحظ أن اهتمام العبودي بالبلدان التي لا نعرف عنها وعن المسلمين فيها إلا قليل، أكثر من اهتمامه بغيرها من البلدان خاصة من حيث التفصيل في المعلومات. بُنية الأسماء العربية لأماكن معروفة بأسماء غير عربية:

من ذلك نهر إيتل (الفولقا) (الفولجا) وبلاد الشاش (طشقند)، وبلاد الكرج (جورجيا)، ونيل غانه (نهر السنغال)، وبر الزنج (زنجبار)، والبحر الزنجي (المحيط الهندي) المقابل لساحل أفريقيا الشرقي.. وغير ذلك.

*** يذكر معاني الأسماء الجغرافية الأجنبية:**

من ذلك السويد تعني الجنوب، والنرويج تعني الشمال، وأستوكهولم تعني مستودع الجزر، وولاية (ماتور قروسو) في البرازيل تعني ولاية الحشائش الكثيفة.. وهكذا.

*** يستعمل كلمات عربية بمعنى كلمات شائعة لكنها ليست عربية:**

من ذلك: المصورة (الكمرة)، و شرائط للمصورات (أفلام للكمرات) و (قاعة العابرين) (قاعة الترانزيت)، وحاشدة الكهرباء (البطارية)، و السروال الغليظة (البنطال) وغير ذلك.

*** يعرف اللغة الإنكليزية:**

يستخدم العبودي أحياناً اللغة الإنكليزية في رحلاته، يشير إلى ذلك كثيراً مثل قوله:" كان جميع كلامي على وجه التقريب منذ غادرت جزيرة (كرساو)

في البحر الكاريبي الواقع بين الأمريكتين الجنوبية والشمالية هو اللغة الإنكليزية".

*** رحلات عمل:**

قام العبودي برحلاته التي ألف عنها هذه الكتب بناء على تكليف من جهات كان يعمل فيها: الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، والهيئة العليا للدعوة الإسلامية، ورابطة العالم الإسلامي.

بدأت رحلة العمل الأولى في ٢٦/ ٣/ ١٣٨٤هـ، واستغرقت ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً وشملت زيارة تسع دول أفريقية .

وقام بعد تلك الرحلة برحلات كثيرة يقول: «.. فكان كاتب هذه السطور بتوفيق الله، وحسن ظن أوليـــاء الأمور أحد أولئك الرجال الذين ظلوا كثيري الترحال، بل صاروا من مدمني التسيار في الأقطار».

ولم يكن الهدف من رحلاته تأليف كتب، يقول في مقدمة أول كتب رحلاته: «سجلت خلال زياراتي في مذكرات يومية انطباعاتي ومشاهداتي في تلك الأقطار، وحين كنت أكتب تلك المذكرات لم أكتبها لتكون تأليفا، وحتى بعد كتابتها لم أكن أظن أنها ستكون كذلك..».

وكانت له رحلات عديدة قبل رحلة العمل الأولى إلى أفريقيا، لكنه لم يكتب في تلك الرحلات مذكرات يومية، ولم يصدر عنها كتبا.

*** قد يسافر منفرداً وبدون حجز سكن:**

سافر إلى نيروبي في ١٣٩٨هـ، حيث لم يكن أحد في استقباله في المطار، ولم يكن لديه حجز في فندق، وغامر بركوب (تاكسي) من المطار في الساعة الثانية بعد منتصف الليل يقول: «وليس معي مرافق، ولا يوجد إلا سيارات (التاكسي) التي هي نفسها خطر.. ولكن لا سبيل غير ذلك وتوكلت على الله.. حتى وقف

(السائق) على باب الفندق.. فقلت له إنني لم أحجز، لذا أخشى ألا أجد غرفة فيه فينبغي أن تدخل معي للفندق، قلت ذلك لئلا أتركه مع حقائبي».

*** وقد يرأس وفداً ويُستقبل رسميا:**

يقول عن وصوله إلى موسكو في ٦ رجب ١٤٠٦هـ أنه وجد عند باب الطائرة عددا من المستقبلين المرحبين، صحبوه وأعضاء الوفد إلى قاعة كبار الزوار في المطار، وخصصوا له سيارة رسمية سوداء اللون طويلة تخصص عادة لرؤساء الجمهوريات عندهم، وتقدم للضيوف الكبار من الوزراء ومن في حكمهم، كما خصصوا لأعضاء الوفد سيارة معتادة لكل اثنين منهم، و«أنزلونا في فندق.. أشبه بالقصر العظيم.. وأنزلوني في جناح تألف من غرفة للنوم وغرفة للطعام تفصله عنها قاعة للجلوس وفيه حمامان وعدد من الخزائن.. كما أنزلوا الإخوة (أعضاء الوفد) كل واحد في غرفة واسعة».

*** نصوص مختارة من مشاهداته وآرائه:**

- جوازت وتفتيش:

يقول عن معاملة موظفي الجوازات والتفتيش في مطار جدة عند مغادرته إلى نيروبي:... أما ما يتعلق بمعاملة الموظفين... فهو إذا قورن بمعاملة الموظفين في البلدان الأخرى المتقدمة إدارياً، فإنه لا يساوي في ميزان الحسنات شيئاً كثيرا. ويقول عن سفره في ساعة مبكرة في الصباح من مطار نيروبي: «أما الجوازات فلم أجد في مكتبه (أي: مكتب موظف الجوازت) أحداً، وكان (أي: المكتب) مظلماً، فطرقت المكتب بيدي فإذا به (أي: موظف الجوازات) نائم..،ولّما رأى جوازي سعوديا فرك عينيه مرة أخرى.. ثم وضعه جانباً وأخذ يسأل أسئلة لا معنى لها.. ولما نفذت الأسئلة قال: أريد شيئا، ولما كان لا يستحق ذلك لم أعطه..، وهذا أمر لم أعهده في كينيا من قبل».

- وصف طائرة:

يقول: «والطائرة للخطوط السورية، وهي نفاثة صغيرة من طراز تي يو ١٥٤ ومن صنع روسي.. ونظراً لأن تذاكرنا في الدرجة الأولى، فقد أجلسونا في مقدمة الطائرة.. ولكنني لاحظت وأنا في أول صف من الطائرة أنه أسوأ من مقاعد الدرجة السياحية في الطائرات العالمية، لأنني إذا وقفت مستقيما ضرب السقف رأسي.. لم أستطع أن أمد رجلي كما أفعل إذا كنت راكبا في الدرجة السياحية، وقل مثل هذا أو قريبا منه في الطعام.. المائدة التي يوضع عليها الطعام تكاد تدخل في صدرك.. احتجت الدخول إلى الحمام فوجدته ضيقاً خالياً من الورق الذي تنشف به الأيدي..».

ويقول: " كانت الطائرة من طراز بوينج ٧٣٧ وقائدها هو سعودي اسمه (أحمد زهران)، و كانت الدرجة الأولى مليئة كلها بركاب من السعوديين ما عدا كوريا واحد.

أما المضيفات فهما فتى سعودي وامرأة أوربية أظن أنها إنكليزية، ولكن قامت بالخدمة كلها تلك المرأة بنفس مستبشرة ووجه باش هاش ".

- وصف السحاب:

يقول: " بدأت الطائرة بالتدني فوق السحاب الأبيض... اخترقته إلى فراغ تحته خطوط أو خيوط من غيم أبيض رقيق نسمية في بلادنا (السدى)... ثم اخترقته إلى سحاب ينخفض عنه كثيراً بحيث صار ذلك (السدى) يبدو عالياً جداً، فذكرت عند ذاك اختلاف اللغويين في تعريف (السدى) من الغيم، بسبب كونهم لم يدركوا موقعه من السحاب وهم على الأرض".

- وصف طريق:

يصف الطريق من مدينة (سق تونا) إلى مدينة (أستكهلم): «.. طريق واسع سريع اسمه (طريق أوربا رقم ٤).. اخترق الطريق جنات ملتفة إلا أنها منسقة، ولا يشينها إن لم تقل يزينها إلا أوراق قد بدأت تحمار أو تصفار حين مسّها برد أكتوبر الذي هو كبرد ديسمبر في نجد، فصارت كالمريض الذي اصفر لونه قبل أن يذبُل ويموت إلا أن موتها إلى نشور لا يستمر إلا عدة شهور حتى يحل عليها الربيع، وهو كربيع الشباب قصير في هذه البلاد، ولكنه ربيع كالشتاء عندنا يتبعه صيف كربيعنا، وفي خلال هذه الفصول الثلاثة غير الشتاء.. تنزل الأمطار الغزار حتى تستمر أحياناً طول الليل وأحياناً طول النهار مما جعل البلاد بلاد الأنهار والبحيرات..».

- وصف مدينة:

يقول عن (فيلونس) عاصمة لتوانيا: «.. عدد سكانها لا يزيد على ٧٠٠ألف.. فيها وسائل متعددة من وسائل النقل العامة.. (الترللي باص).. في كل الشوارع.. إلى جانب الحافلات.. وعربات الترام.. إلى جانب سيارات الأجرة المعتادة.. شوارع القسم القديم من المدينة ضيقة إلا أنها ذوات أرصفة جيدة يكثر فيها المشاة الذين هم من الأوربيين الذين نعرفهم، إلا أنهم يتميزون بكثرة الشقرة فيهم، وبرشاقة ظاهرة في نسائهم بالنسبة إلى جيرانهم من الروس».

- الشفق في بلاد البلطيق:

ويقول عن الشفق: الشفق هو النور الذي يكون بعد غروب الشمس، يضمحل بعد الغروب شيئاً فشيئا حتى يذهب كله...، والعادة يستمر في بلادنا ساعة وثلثاً، أما في البلدان الشمالية فإنه يطول في الصيف حتى يبلغ

طوله في بعضها أنه لا يتلاشى أبداً، وإنما يستمر في الغرب حتى يظهر نور الفجر في الشرق...، وغياب الشفق مهم من الناحية الفقهية، لأن دخول وقت صلاة العشاء يبدأ من غياب الشفق".

- معلومات سياسية:

«خلعوا على بلادهم كلها اسماً عاماً هو الاتحاد السوفيتي الذي يعني بالترجمة الحرفية الاتحاد الشوري، فالسوفيت معناها الحرفي الاستشاريون، والجمهورية السوفيتية من هذه الجمهوريات هي جمهورية سوفيتية أي شورية بمعنى أن الأمر فيها هو شورى بين أهلها وهو شورى فيما بينها وبين الجمهوريات الأخرى داخل الاتحاد السوفيتي، هذا هو المدلول اللفظي للكلمة وإن كان في الحقيقة من باب تسمية الشيء بنقيضه».

- «ومما يجدر ذكره هنا أن البلاد (السويد) كان يحكمها الحزب الاشتراكي منذ ٤٠ سنة إلى ما قبل سنة واحدة حيث انتخب الحزب المحافظ الذي حاول أن يعالج اقتصاد البلاد بالحد من النفقات التي كان الحزب الاشتراكي قد التزم بها، ومن ذلك بعض ما يتعلق بالضمان الاجتماعي، مما جعل بعض الناس الذين يمسهم هذا الأمر بصفة مباشرة يغضبون على سياسة هذا الحزب المحافظ».

- معلومات سكانية:

يقول: «الشعب السويدي ثابت العدد، بل إن الإحصاءات الأخيرة تدل على أن عدده ينقص بمعدل ما يقارب ٢٠٠ ألف نسمة في العام، ولكن المهاجرين يزيدونهم قليلا.. وعلى هذا تكون المدن السويدية ثابتة العدد (عدد السكان)، وبعضها ينقص عدد سكانه، ولذلك يمكنها أن تبقى على حالتها أو ما يقارب حالتها القديمة في عدد السكان وعدد المنازل إلا ما كان من

العاصمة التي قد تزيد بسبب مجيء المهاجرين إليها من الريف والمدن الصغيرة.. وإن كان بعض أهلها (العاصمة) القادرين يغادرونها للعيش في مدن صغيرة أو في مناطق ريفية، طلباً للهدوء وبعداً عن تكدير المدينة وتقيداتها».

- الصـــــــلاة:

يقول في يومياته عن مدينة ريقا عاصمة لتوانيا: «..صلى بنا الإمام.. صلاة الظهر، فجهر في الركعة الأولى بقراءة الفاتحة وسورة الإخلاص بعدها، ثم جهر في الركعة الثانية بقراءة الفاتحة وسورة الكوثر.. الأغرب منه أنه جهر بالتشهد.. والأفظع من ذلك كله أنه سلم للظهر عندما صلى ركعتين فقط».

ويقول في يومياته عن مدينة في بولندا: «.. صلينا الظهر خلف إمام المسجد.. فصلى الظهر أربعاً يجهر فيها كلها.. وكان قال لي: إن الظهر عشر ركعات، أربع قبلها، واثنتان بعدها، وهي أربع، والأغرب.. أنه يسألني في محضر من القوم عن عدد ركعات صلاة الجمعة، أهي اثنتان أم أربع؟ فأسرعت أقول له: إنها اثنتان، فالتفت إلى قومه، وقال: ألم أقل لكم إنها اثنتان؟!».

- إعجاب بالبرازيل:

- «.. بلاد البرازيل - عمرها الله تعالى - التي يكون الإفطار فيها أكثر تنوعا من طعام العشاء وقد ذكرت ذلك في الكتب التي ألفتها عن البرازيل وعددها سبعة».

- «على غاية من الأدب في المرور والجلوس والتعامل مع الآخرين.. فهؤلاء البرازيليون يفعلون ذلك من قلوبهم بإخلاص غير متكلف».

- «سبحان الذي أعطى أهل البرازيل هذا العطاء الجزيل».

- إعجاب بالسويد:

- «.. الذي لا يكاد يصدقه المرء.. أنها (الحكومة السويدية) تساعد الجمعيات الإسلامية في السويد على قيامها بالدعوة إلى الدين الإسلامي حتى إذا عرفت أن جمعية إسلامية قد فترت همم أصحابها عن العمل في الدعوة الإسلامية، وأنها تركت ذلك لسبب من الأسباب، قطعت عنها المساعدة المالية وصرفتها إلى غيرها من الجمعيات الإسلامية العاملة، أو احتفظت بها لمن يعملون عملاً إسلامياً أكثر».

- «كثير من بني قومنا، وبخاصة من المتدينين.. يجعلون دَيدنهم هجو السويديين، وتكرار نعتهم بالانحلال والفسوق..، إذ يتجاهلون الخطوات الإنسانية التي اتخذها السويديون في الميادين الاجتماعية وغيرها.. وفعلهم ذلك قد يجعل الشباب المسلم ممن لا يعرفون الأمر على حقيقته، وإنما يسمع ذلك سماعاً من أولئك الغيورين، يظن بل ربما يرسخ في ذهنه، أن العدل والضمان الاجتماعي والأمور الإنسانية الجيدة التي عند السويديين، إنما مرجعه إلى كونهم فسقة منحلين، وإنه لابد لبلوغ تلك المرتبة من العدل والضمان الاجتماعي من أن يكون الشعب الذي يريد أن يصل إلى ما وصلوا إليه مثلهم، بأن يعمل مثل عملهم مع أن ذلك غير صحيح، بل ربما كانوا هم أنفسهم متذمرين من الانحلال الاجتماعي ومن الفسوق المستشري في بلادهم».

- إعجاب بمسلمي الهند:

مما يدل على ذلك أنه ألَّف عشرة كتب عن الهند (حتى ١٤١٩هـ)، يقول في واحد منها: «وهدفي من هذا الكتاب - بالدرجة الأولى - هو أن يطلع الإخوة المسلمون في العالم على حال إخوتهم المسلمين في الهند، وعلى ما بذلوه

بل ما أسسوه واستنوه من عادات حميدة في عمارة المساجد، وإقامة الجامعات والمدارس، وتخصيص دور الأيتام، ورعاية العجزة وذوي العاهات..».

- رأيه في اللباس العربي والعالمي:

- يقول في رحلة إلى الاتحاد السوفيتي: «وأما نحن فإننا كلنا نلبس الثياب العربية الكاملة، وذلك لكون زيارتنا رسمية».

- ويقول في رحلة إلى السويد: «من عادتي أن ألبس اللباس العالمي المسمى الإفرنجي في المطارات الدولية..»، «هذا اللباس الذي يلبسه بنو قومنا في الوقت الحاضر، ليس بلباس العرب المسلمين الأوائل..، ولا نستطيع أن نقول: إنه اللباس الإسلامي»، اللباس العربي في أوروبا يدل عند الأوروبيين «على أن لابسه أحد رجلين: إما ثري من العرب الذين يعتبرونهم من الأغنياء الأغبياء..، وإما رجل مغفل متأخر - في نظرهم - لا يقدر الأمور حق قدرها، ولا يعرف للظروف حكمها، لأنهم هكذا عرفوا أناسا من بني قومنا»، «الزي العالمي الذي كان يسمى بالزي الإفرنجي قد أصبح شاملاً للعالم كله حتى أصبح لابسوه في العالم أكثر من لابسيه الإفرنج».

- مقارنة مسؤولين بمسؤولين:

أعجب باهتمام المسؤولين في سدني (أستراليا) بجميع الشوارع حتى التي ليست في قلب المدينة، ويقارنهم بمسؤولين في بلاد أخرى «.. يقصرون اهتمامهم بالأماكن التي يراها الناس، أو يمر بها الرؤساء أو الكبراء الذين بيدهم الحول والطول، ويدعون الأماكن العامة التي ينتفع بها الجمهور من الناس مهملة ذات أوضاع سيئة.

الشعب في البلاد المتعلمة المتقدمة هو الذي يختار المسؤولين في البلديات والخدمات العامة حتى إذا أساء أحدهم حاسبه وعاقبه على أفعاله في إهماله،

وأما في الشعوب المتخلفة فإن المسؤولين يعينون من قبل الرؤساء والكبراء..».

- سبب ثراء الدول الصناعية:

يقول: «لولانا نحن المستهلكين.. لما أثرت هذه الدول الصناعية.. لأن المهارة الصناعية هي تحويل المواد الخام الرخيصة إلى مواد مصنعة غالية، فمثلا لو نظرنا إلى الساعة.. وجدنا أن المواد الخام الموجودة فيها.. لا تساوي دولارا واحدا، ولكن تلك الساعة تساوي مثلا مئة دولار..»

وبعد:

فإن إنتاج معالي الأستاذ محمد بن ناصر العبودي في: (الجغرافيا - البلدانيات) إنتاج تتوفر فيه ريادة وتميز، كما أنه يبين جانباً مما قامت به بلادنا بهدف خدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان.

أكرر التهنئة لمعاليه، وأشكركم جميعا.

۞ هـــذا الشـيخ [1]

إبراهيم بن عبد الرحمن التركي

قال صاحبكم بعض ما لديه في (مواجهته) مع الشيخ.. فيكفيه.. ليقرأ معكم (هذا الملف) الذي نعترفُ بتأخرنا فيه... فقد نأى الشيخ (مرتحلاً)... وأنسنا (التسويف) مُعتذَراً..

- رجل لا يكفيه (ملف).. ولا يفيه (تكريم) .. لكنهما مع (كتاب) الأستاذ محمد المشوّح الذي نسَّق لنا (المواجهة)، وسعى في الملف، وأصدر مؤلفه عن الشيخ في رمضان إشاراتٌ في (عبارات).

- الملف محاولة بسيطة من (الجزيرة) التي تبنتْ بتوجيه أبي بشار تكريم (المتميِّزين) و (الاختيار) وقفة من «الجنادرية» مع «الرواد» المؤثِّرين، وكتاب أبي عبدالله المشوّح جانب من جهوده في توثيق العطاء وتقدير (المعطين).

- الشيخ محمد بن ناصر العبودي اسم ستتوقف أمامه الذاكرة الثقافية طويلاً... متمنين أن يفرغ لمشروعاته التي لم تكتمل.

وسنعرف ذات ادكار أنا قد عشنا في زمن «ياقوت» و«ابن بطوطة» و«الميداني» و«الفيروز أبادي» دون أن نغادر «المكان».. أو نرتحل في »الزمان».. فقد كفانا «الشيخُ» ذلك فأغنى عن (كثير)..!

- اعذر تقصيرنا!..

---

(١)انظر جريدة الجزيرة – الملف: الإثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ/ ١٥ديسمبر ٢٠٠٣م/ العدد: (٣٥).

۞ الـرّحـالة [1]

د. سلطان سعد القحطاني

عرفت الشيخ محمد بن ناصر العبودي، منذ عقدين من الزمان، عندما قرأت كتابه (مدغشقر) ووجدت في هذا الكتاب روح الرحّالة الصادق في كل ما يذكره من معلومات عن تلك البلاد، وكان لي حوار مع بعض الإخوة من البلاد نفسها، وممن كان لهم معه صداقة ومعرفة عندما زار مدغشقر، في رحلاته الكثيرة، ومنهم الدكتور، علوي آدم، من الصومال، كان يدرس اللغة العربية في إحدى الجامعات، في نيجيريا حيث تحدث عن الشيخ العبودي حديثا يستحق عليه التقدير، فهو يمثِّل الداعية المسلم، المنكر لذاته، الصادق في دعوته، من خلال ما يتمتع به من أخلاق العرب والمسلمين الأوائل. ثم تابعت كل ما كتب عن رحلاته حول العالم، وخاصة ما كان ينشره في مجلة (المنهل) فوجدت فيها كل مقومات أدب الرحلات الحقيقي، البعيد عن الزيف وتبجيل الأناء، وخوارق العادة، التي عوَّدنا عليها بعض الرحالة العرب، وما كانت رحلات الشيخ العبودي، في أقطار العالم، وزيارات المسلمين، إلا من الدافع الشخصي وحب الخير ومساعدة المحتاجين من أبناء المسلمين ومن يرغب في الدخول في الإسلام، وما بخل على أحد منهم بالمساعدة والعون، سواء من ماله الخاص، أو بجاهه، وقد سمعت له حديثاً في الإذاعة السعودية، يشكر الله على ما آتاه من مال أنفقه

---

(١) انظر جريدة الجزيرة – الملف: الإثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ/ ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣م/ العدد: (٣٥).

على الدعوة في سبيل الله، وطاف به أقطارا كثيرة في العالم، وقد يقرأ الإنسان بعض ما كتبه عن تلك البلدان وعن حال أهلها، فيذهل، لكنها الحقيقة لمن يعرف أحوال المسلمين، من فقر وإهانة في بعض البلدان غير المسلمة.

وإن المسلمين بحاجة إلى عدد من الدعاة المخلصين، من أمثال الشيخ محمد بن ناصر العبودي، وأعرف أنني لم أنصف هذا الرجل ولا جهوده العلمية، في هذه العجالة، فهو يستحق دراسة أكاديمية مُعَمّقة تنصفه وتعطيه حقه، من الناحيتين، العلمية والفنية.

۞ الداعية المستنير [1]

علي سعيد القحطاني

لقد كان يحلم أن يجوب العالم شرقا وغربا من أجل العمل على نشر الدعوة الإسلامية، وكان أول رحلة له في «أفريقيا الخضراء» من أجل البحث عن طلاب أكفاء يلتحقون ب«الجامعة الإسلامية» بالمدينة المنورة، ثم التحق فيما بعد ب«رابطة العالم الإسلامي» في مكة المكرمة، يجوب الآفاق، لا يحط رحاله في «مكان «إلا وقد غادرها إلى «مكان» آخر.. والمتابع لكتبه في الرحلات التي تجاوزت أكثر من مائة كتاب ما بين «مطبوع» و«مخطوط» يدرك أنه قد زار جميع بلدان العالم. عاصر معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي أقرانه من العلماء كالشيخ حمد الجاسر والشيخ عبد الله بن محمد بن خميس والشيخ عبدالكريم الجهيمان وأضرابهم.. وأخذ يسابقهم في التأليف نحو المعاجم وتقصيِّ الأمثال، وله مقامات وقصص وروايات.. يسهب في عطائه، يرهق قلمه بمعلوماته، والمتابع لسيرته العلمية يدرك أن الشيخ لا يقف في تأليفه في بعض المصنفات العلمية عند الجزء والجزءين، بل تتجاوز عدد مؤلفاته عشرة أجزاء وكل ذلك راجع إلى سعة اطلاعه وثرائه المعرفي. ونحن نحتفي بشيخنا الجليل كشخصية مكرّمة لهذا العام في المهرجان الوطني التاسع عشر للتراث والثقافة لا ننسى أن نشيد بمدى سماحة الشيخ وسعة أفقه ورحابة صدره مع «الآخر» الذي ظل يجوب بحثا عنه في رحلاته

---

(١) انظر جريدة الجزيرة – الملف: الإثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ/ ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣م/ العدد: (٣٥).

حول العالم في ثمانين عاما وما يزال العبودي أطال الله عمره ينشد «الآخر» ويداعبه بمؤلفاته الغزيرة كـ«مطوّع في باريس» من أجل أن يكسب ودّه، وإيمانه بـ«الآخر» نابع عن إيمانه بأن في الاختلاف رحمة والطبيعة النضرة لا تزدان إلا بجميع الألوان.

۞ العبودي.. ذاكرة لا تخطئ![1]

عبد العزيز المسند

من الأمور المسلم بها أن الحكم على الأشخاص لا يكون مطابقاً ومقبولاً إلا إذا كان المتكلم قد عامل الشخص أو سافر معه، وقد أتيح لنا السفر معاً عدة سفرات إلى بلاد الله البعيدة مثل البرازيل والمكسيك ودول أخرى ..لا قينا فيها التعب والمفاجآت مما يظهر الصاحب في السفر على حقيقته، وكانت رحلاتنا في الدعوة إلى الله.

فوجدت في الشيخ العبودي ميزة ينفرد بها وهي الذاكرة وعدم النسيان.

فأي حادثة أو منظر أو كلمة مرت بنا وسمعها فلن تفوته، وأي مكان رأيناه فلن ينساه، وكنا إذا أردنا الرجوع لاسم أو مكان لا تحتاج لتقليب الورق إذ ذاكرة الشيخ معنا، وهذا ما أتاح له الحديث عن الناس والبلدان بإسهاب، وإن كان قد مر عليها سنوات، وعنده ظاهرة التسجيل كتابة، فهو يكتب ويسجل ما لا يستهوي غيره من البلاد والناس وحركاتهم.

ولديه صبر وتحمل لا يشاركه فيه غيره، فتراه في الغربة يعيش على الكفاف ويتحمل التعب في نفسه وبدنه وصبره على أذى الناس، ويضع نفسه في المخاطر في أدغال أفريقيا أو غابات الأمازون.

وأذكر أننا تعرضنا لأخطار مخيفة مثل وصولنا إلى مطار بلد في أمريكا الوسطى أثناء الليل ولا نعرف أين نذهب، فيسير بنا سائق السيارة في أدغال

---

(١)انظر جريدة الجزيرة: الإثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ/ ١٥ديسمبر ٢٠٠٣م – العدد: (٣٥).

وظلام منذر بالخطر، ثم ينجينا الله وإذا قابلنا المسلمين في النهار حمدوا الله وقالوا لقد أنقذكم الله من موت محقق فهؤلاء مجرمون وأنتم غرباء وإذا علم أنكم من السعودية فالخطر أعظم.

وأذكر أننا وصلنا إلى (سلفادور) في أمريكا الوسطى بعد الساعة الثانية عشرة حيث ظروف الطيران تضطر لذلك وبعد شد للأعصاب أوصلنا السائق إلى فندق، ونحن متعبون فرمينا أنفسنا في غرفة بدون نور، ونمنا وفي الصباح اتصلنا بالمسلمين وهم قلة فعجبوا وقال: إن هذا الفندق مقر المجرمين.

وبساطة الشيخ محمد وتضحياته تجعله يصل إلى كل بلد أو قرية ويعيش مع كل أحد ..وقد تكونت شخصيته من البداية بسبب صحبته للعلماء ثم العمل معهم. ثم انخراطه في سلك الدعاة فصار السفر جزءاً من حياته.

ومن الأمور التي أتاحت له هذه الشخصية المتميزة عدم انشغاله بأمور الدنيا والبيع والشراء وبعده عن تجربة الزواج مما يعجبه أو من بلد اضطر إلى الإقامة بها مدة طويلة، وبعده عن مظاهر الحياة والبذخ والسكن في الفنادق المتميزة التي يرقب المجرمون الخارجين والداخلين منها وإليها.

وفي الختام فهو شخصية متميزة في كل أحوالها.. ولا يستطيع مسايرته والاستمرار معه في بلاد الله الواسعة إلا من هو مثله في التضحية والجلد.. والله المستعان.

۞ نعـــم المـــربـي[1]

د. فاطمة بنت محمد العبودي

قالت العرب: «كل فتاة بأبيها معجبة» ولكن إعجابي بوالـدي لـيس مـن هذا المنطلق فحسب بل لأن والدي متميز وفريد، استطاع أن يوفق بين عمله وهواياته ورعاية أسرته، وأبدع في كل منها.

فعلى الرغم من مشاغله وأسفاره كان قريباً منا يلاعبنـا ويـداعبنا ويقـص علينا القصص وينادينا بأحب الأسماء إلينا عندما كنا صغاراً ويصحبنا للنزهة معظم أيام الأسبوع.

ومازال - أمد الله في عمره لمزيد مـن العمـل الصـالح - يـداعب أبناءنـا ويقص عليهم القصص، ومازال يرفض أن يبدأ في الأكل قبل أن نجتمع على المائدة منذ أن كنا صغاراً وحتى الآن في اجتماعات العائلة الأسبوعية فيسـأل عن كل فرد باسمه حتى يتأكد من حضور الجميع.

وعلى الرغم من مداعبة والدي لنا إلا أنه لم يكن يدللنا بما يفسدنا بل كـان مربياً حازماً ذا هيبة تكفينا النظرة منه لنتراجع عن خطئنا ولم يكن يتهاون أبداً في حق الجار أو احترام الكبير.

ومن أساليبه في التربية تعويدنا على الاستقلال بالرأي، فلا يقبل منـا رأيـاً محايداً عندما يخيرنا بين أمرين، وعندما عرض علي الكتابة في الصـحافة أيـد ذلك بقوله «هي فرصة سانحة لتبدي رأيك فلا تفوتيها».

---

(١) انظر جريدة الجزيرة - الملف: الإثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ/ ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣م - العدد: (٣٥).

كان حفظه الله يوجهنا من خلال القدوة الصالحة في الصدق والأمانة ومراقبة الله وشكر النعم وبره بوالدته رحمها الله ورعايته لإخوته وصلة رحمه. وهو إنسان منظم مبادر يحسن استثمار الوقت فلا تراه إلا قارئاً أو كاتباً أو مجالساً لأسرته أو لضيوفه فهو مضياف كريم، كما انه متابع جيد للأخبار يتأثر بقضايا أمته حتى يمرض أو يكاد.

غرس فينا والدي حب العلم من خلال تشجيعنا على القراءة ومن خلال حثنا على التفوق وسعادته به، فمكتبة المنزل عامرة وهدايا النجاح غالباً ما تكون قصصاً وكتباً، وكثيراً ما كان يردد ((من استطاع منكم أن يكمل دراسته العليا فلا يتردد)) ولا أنسى سعادته الغامرة بعودة أختي الكبرى شريفة لإكمال دراستها العليا في الأدب الانجليزي بعد أن كبر أولادها كذلك سعادته بدراسة ابنتي في كلية طب الأسنان حتى إنه يناديها دكتورة إيمان في حين نحن والديها لا نفعل وكانت كلماته دافعاً لها على الاستمرار في الكلية رغم صعوبتها. وبالنسبة لي فقد كان حصولي على الدكتوراه حلماً حرصت على تحقيقه بعد أن غرسه في والدي منذ الطفولة، وكانت أجمل عبارة هنأني بها عندما أنجبت ابنتي الصغرى قوله ((جعلها الله فخراً لوالديها كما أنت فخر لوالديك)).

حفظ الله والدي وجزاه عنا خير الجزاء فهو نعم المربي وحفظ الله والدتي نبع الحنان الذي لا ينضب وفيض العطاء الذي لا ينتظر مقابلاً، المشرفة المباشرة على تربيتنا والتي عايشت بمشاعرها جميع مراحل دراستنا وكانت نعم العون لوالدي فلولا ثقته بأننا في أيد أمينة لما ارتاح باله ولما استطاع إنجاز ما أنجزه في خدمة الإسلام والمسلمين.

التكريم المستحق[1]

إبراهيم أحمد الصقعوب

هناك شخصيات في المجتمع تتميز بصفات متعددة تجعل من يتحدث عنها يحتار في اختيار الجانب الذي يعتقد أنه يهم القارئ ليكون مدخلاً للحديث، وتكبر المشكلة عندما تكون الكتابة عن إنسان لا يميل إلى الحديث عن نفسه ولا يطربه كثيراً ثناء الآخرين عليه، ويفضل أن يسمع منهم الدعاء له بالعون والتوفيق بدل الثناء، لأنه يرجو من المولى أن يلمس للدعاء أثرا على حياته أكثر أهمية من الثناء الذي يبقى أثره محدوداً بزمانه ثم ينتهي.

ومع هذا فليسمح لنا شيخنا الفاضل محمد بن ناصر العبودي أن نثني عليه في هذه الأسطر ليس من باب إيقاظ نزعة الإعجاب في نفسه ولكن ليتذكر نعمة الله عليه الذي وفقه في حياته، وحباه بصفات متميزة انعكست على سلوكه وعمله وكان لها أثر إيجابي في سنوات عمره.

لعل من أبرز هذه الصفات جلده في طلب العلم صغيراً، ومواصلة البحث والاطلاع في كبره ومازال يستمتع به ويواصل إنتاجه الفكري في مجالات متعددة إلى يومنا الحالي وكأنه في عز شبابه. وهذه نعمة كبيرة أن يمتع الله الإنسان بالصحة والعافية والقدرة على مواصلة العطاء.

والجانب الآخر هو مواصلة العمل الإسلامي والذي بدأ فيه قبل ما يزيد على أربعة وأربعين عاماً عندما صدر قرار بتعيينه أمينا عاماً للجامعة الإسلامية وبعد ذلك أمينا للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ثم مساعداً

---

(١) انظر جريدة الجزيرة – الملف: الإثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ/ ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣م.

للأمين العام لرابطة العالم الإسلامي وفي كل هذه المواقع كان حريصاً على تأدية دوره بأمانة وبعيداً عن الضجيج الإعلامي.

ثم تحمله مشقة السفر والترحال بين قارات العالم من أجل التعرف على أحوال المسلمين حتى أنه في إحدى رحلاته، الطويلة في مداها والقصيرة في وقتها، زار قارات العالم الخمس وعندما وصل إلى المحطة الأخيرة في الرحلة وهي القارة الاسترالية كتب عن هذه الرحلة يقول ((ناهيك برحلة يكون الوصول فيها إلى مدينة سدني الاسترالية بشيراً بالأوبة إلى الوطن)).

إن جميع القراء يتفقون معي على خطورة هذه المرحلة التاريخية من حياة المسلمين نتيجة الهوة التي أحدثتها تصرفات بعض الجهلاء من أبنائه تجاه الآخرين، حيث أصبح ينظر إلى العمل الإسلامي بكثير من الريبة والحذر، ويصل الأمر أحيانا إلى حد الرفض لهذه الأنشطة، ولقد كان الشيخ العبودي الذي تشرف بخدمة الدعوة الإسلامية مبكرا ونجح في إقامة علاقات طيبة بين قادة العمل الإسلامي والمسئولين في المملكة، وكان وسيط خير يحمل الرأي السديد والدعم المادي من هذا البلد الكريم، واهتم كثيرا بإقامة علاقات طيبة مع الجميع، وهذا أتاح له مساحة واسعة للحركة تمكن من خلالها من نقل الدعم للكثير من المؤسسات الإسلامية في أرجاء العالم وكان محل الترحيب من الجميع ليس بسبب ما يحمله من دعم مادي ولكن بسبب سماحته التي اكتسبها من سعة علمه الشرعي وشمولية ثقافته.

وإذا كانت ظروف العمل الإسلامي اليوم قد تغيرت كثيراً فإننا بحاجة إلى جيل جديد من الدعاة الذي ينهجون نفس منهجه في التعامل مع الآخرين لكسب ودهم واحترامهم، ومواصلة التعريف برسالة الإسلام السمحة التي تتعرض للكثير من التهم الباطلة.

۞ عمل موسوعي عن أوضاع المسلمين [1]

مكة المكرمة - واس

تعتبر مجموعة الكتب التي ألفها الأديب الرحالة السعودي محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة حول أوضاع الأقليات الإسلامية في بلدان أوربا الشرقية ومجموعة دول الاتحاد السوفييتي السابق في (آسيا الوسطى والقوقاز) وأوضاع المسلمين في أنحاء الصين انجازاً موسوعياً كبيراً حيث بلغت عشرين كتاباً جمع مادتها إثر العديد من الرحلات المتتابعة التي زار فيها تلك البلدان قبل سقوط الشيوعية وبعدها. و تضمنت كتب هذه الموسوعة مقارنات فريدة نادرة أتقن فيها المؤلف وصف الحياة الاجتماعية لشرائح الأقليات المسلمة من خلال استبطانه الدقيق لسيكولوجية الواقعين الاجتماعي والسياسي للمسلمين هناك وسط مجتمع الأكثرية ذي العادات والتقاليد المختلفة عن العادات الإسلامية. وخرج خلال دراساته العشرين بنتائج باهرة شخص فيها العوامل الأساسية الذاتية لمجتمعات الأقليات المسلمة التي تضافرت للحفاظ على هوية الشخصية الإسلامية واستقلاليتها وعصيانها على الذوبان في مجتمع الأكثرية غير الإسلامية. وأكد العبودي في هذه الموسوعة الثقافية النادرة أن معاناة المسلمين أخذت شكلاً جديداً بعد سقوط الشيوعية الدولية حيث باشرت الهيئات الصليبية والصهيونية بشن حرب جديدة ضد المسلمين

---

(١) انظر جريدة المسلمون - العدد: ٥٩١ - الجمعة ١٤/ ١ / ١٤٢٧هـ.

عن طريق الإيحاء للمجتمعات التي يعيشون فيها بأن المسلمين يعملون على إحياء الجهاد المقدس للسيطرة عليهم. وقدم كذلك تنبيهات تحذر من أساليب الهيئات التنصيرية التي عمدت مؤخراً إلى الإضرار النفسي والعون الاقتصادي لنشر مبادئها بين مسلمي تلك البلدان، وفى موسوعة العشرين كتابا قدم المؤلف مجموعة من المقترحات الميدانية التي أملتها مشاهداته الميدانية ومحاوراته ولقاءاته مع القيادات المسلمة في تلك البلدان إضافة إلى دقة ملاحظته لاحتياجات المسلمين وهم يعيشون معاناتهم الجديدة.

ومن أهم تلك المقترحات تخصيص المنح الدراسية لأبناء تلك البلدان وإعداد المواد الإعلامية المسموعة والمنظورة والمقروءة بلغات هذه الشعوب ودعم أعمال الدعوة الإسلامية وتقديم المساعدات لبناء وترميم المساجد وتزويد الجماعات والأفراد والمدارس الإسلامية بما تحتاجه من وسائل التوعية والتثقيف بالإسلام وإعطاء الأولوية لدعم التعليم الإسلامي وتربية أبناء المسلمين بتقديم المساعدات المالية لإنشاء المدارس ودور القرآن الكريم وتزويدهم بالمدرسين والأجهزة العلمية والمواد التعليمية إلى جانب عدد آخر من المقترحات الحيوية البناءة.

إن القارئ كتب هذه الموسوعة العشرين وغيرها من كتب العبودي التي زادت على ١٤٠ كتاباً يخرج بحقيقة أن كل محاولات تذويب الشخصية الإسلامية باءت بالفشل لسبب أساسي هو أن الإسلام دين الفطرة الإنسانية يلزم جبلتها ملازمة أبدية يصعب إزاءها الفصل بين المسلم ومعتقده الديني الصادق.

۞ فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي كما عرفته

إسماعيل محمد عثمان العلوي

يقول الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، فمن منطلق هذه الآية الكريمة أحببت أن أبين أن حكومة المملكة العربية السعودية التي تعتبر فريدة من نوعها في العالم الإسلامي منذ عهد مؤسسها ليث الجزيرة العربية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - طيب الله ثراه - وإلى يومنا هذا في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله قامت ببذل جهودٍ جبارة لا يستهان بها، ولا يصدقها إلا من رآها في خدمة الإسلام والمسلمين، والبحث عن أحوال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، التي لم تحدث قبلها، وأرسلت في هذه المهمة وفوداً للبحث عن أحوال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها رجالاً أكفاء، وهذه الميزة الفاضلة، نالوها بتمسكهم بكتاب الله وتوحيد صفوفهم، ثم بالطريقة التي رسمها لهم الملك عبد العزيز بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم، وتبعه أبناؤه من بعده على الطريق الصواب، وهذه معجزة من المعجزات التاريخية النادرة غايتها البحث عن الأقليات الإسلامية أو الضعيفة معنوياً، وأرسلت لهذه المهمة رجال الدعوة الإسلامية من المخلصين والمتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله الكريم، ليبحثوا عن أحوال المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض وهذه المكانة وهبهم الله إياها عندما

---

(١) سورة الذاريات: الآية (٥٥).

تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وخرج من وسط المملكة أبناؤها من رجال الدعوة المخلصين الذين يضحون بحياتهم في خدمة دينهم الإسلامي وإطاعة أمر ولاتهم كمثل الشيخ محمد بن ناصر العبودي وهذا دليل ثابت لمن كان مع الله فالله معه.

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

ونحن نرجو من الله العلي القدير ثم من ملوك ورؤساء المسلمين في جميع أرجاء العالم الإسلامي أن يعودوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويتمسكوا بهما، كما تمسكت المملكة العربية السعودية.

لقد درجت المملكة العربية السعودية على إرسال دعاة ومرشدين إلى أنحاء العالم الواسع، يعمل أولئك الدعاة والمرشدين مع الأخوة المسلمين في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ويرشدونهم إلى الطريق الصحيح، وتقوم الجهات في المملكة مثل الرئاسة العامة للإفتاء ورابطة العالم الإسلامي بالتعاقد مع الدعاة والمؤهلين للدعوة سواء كانوا سعوديين أم من غيرهم، بل سواء من العرب أم من غير العرب.

فأصل الداعية إلى الله أو جنسه غير مهم لأن هذا هو الأمر الذي أكده القرآن الكريم كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1]، وإنما المهم أن يكون الداعي إلى الله من أهل المعرفة بالدين يحمل شهادات وتزكيات ترشحه لذلك بشرط أن يكون ملتزماً في نفسه بشرائع الله، مستعدا للقيام بالدعوة.

فتدفع الإدارات السعودية المختصة له الرواتب وتذاكر السفر وتفرغه لهذه المهمة الإسلامية السامية، التي هي جزء من القيام بالواجب الإسلامي الذي وفق الله هذه البلاد المباركة إلى القيام به، وذلك بطبيعة الحال لا يسقط هذا الواجب عن البلدان الإسلامية الأخرى القادرة على القيام به.

وأن المملكة العربية السعودية بمثابة المركز الذي تهوي إليه أفئدة المسلمين ولذلك تنهال طلبات المساعدة عليها من جميع القارات ومن القرى والأرياف والمدن في مختلف العالم مما لا يتصوره إلا من يكون قد مارس العمل الخيري الإسلامي من أمثال الشيخ محمد بن ناصر العبودي.

ثم يقول الأستاذ إسماعيل محمد العلوي: نتحدث في هذه العجالة عن شخصية بارزة من الشخصيات الإسلامية التي ساهمت في خدمة الإسلام والمسلمين، ألا وهو الشيخ محمد بن ناصر العبودي، حيث يعتبر العبودي من أبرز الشخصيات والرحالين سواء بقدر علمه وفكره وأدبه، أو بقدر رحلاته وجولاته، وقد قام الشيخ محمد بن ناصر بجمع معلومات كثيرة وقيمة عن أحوال المسلمين في هذه الرحلات التي قام بها في جمع أقطار الأرض التي قام بزيارتها.

---

(١) سورة الحجرات: الآية (١٣).

والحكومة السعودية تدرك مكانة هذا الرجل وأنه شخصية ممتازة وأنه يقوم بجمع هذه المعلومات عن أحوال المسلمين في العالم بلا كلل أو ملل، ولذلك قامت بتوجيهه ويسرت له السبل للقيام بمهمته حتى يبحث عن أحوال المسلمين والأقليات المسلمة، سواء في أفريقيا أو آسيا أو أوروبا أو أمريكا اللاتينية ومختلف مناطق العالم.

والحكومة السعودية ترسل مثل تلك الشخصيات الأمينة والموثوق بهم لكي يبصرونها عن حقيقة أحوال المسلمين حتى تقوم بخدمتهم وتقدم المساعدات المادية والمعنوية لهم، وقد بذل الشيخ محمد بن ناصر العبودي جهوداً جبارة وقد زار أقطاراً كثيرة في العالم وتحمل عبء الأسفار الشاقة لهذه المهمة، وجمع من ذلك كتباً كثيرة قارب عددها ١٢٤ كتاباً منها ٥٢ كتاباً مطبوعة، والباقي مخطوطة وهي عن مشاهدته في أفريقيا وكذلك في آسيا وأمريكا اللاتينية، ويتمتع الشيخ محمد بذاكرة قوية، وملاحظة دقيقة وصبر على جمع المعلومات وتوثيقها.

لقد شغل الشيخ محمد العبودي مناصب عديدة منها: إدارة المعهد العلمي في بريدة لمدة سبع سنوات، ثم الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لمدة (١٣) سنة ثم وكيل الجامعة لمدة سنة واحدة، ثم الأمين العام للدعوة الإسلامية في المرتبة الخامسة عشرة (رتبة وكيل وزارة) لمدة ثمان سنوات، ثم الوظيفة الحالية (الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي) وهو الآن في المرتبة الممتازة.

وبالرغم من تمتع الشيخ محمد العبودي بالعلم الشرعي إلا أن ميله الأدبي طغى على كتاباته ويعتبر من رواد أدب الرحلات في المملكة العربية السعودية بحكم زياراته وجولاته في أقطار العالم للاطلاع على أحوال المسلمين فيها،

وما ذكرناها من رحلاته هو قليل من كثير، وله مؤلفات عديدة طبع منها (١٣٢) كتاباً منها (معجم بلاد القصيم) في ستة مجلدات و (الأمثال العامية في نجد) في خمس مجلدات، و (في لغتنا الدارجة: كلمات قضت) في أربعة مجلدات، وله من مؤلفات مخطوطة تزيد على مائة مؤلف بعضها في مجلدات كثيرة، وكتب في الرحلات وأحوال المسلمين ما لم يكتبه غيره.

وقد حاز الشيخ محمد العبودي على وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى، وعلى ميدالية الاستحقاق في الأدب سنة ١٣٩٤هـ الموافق ١٩٧٤م، وجرى اختياره في المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) شخصية العام الثقافية في المملكة العربية السعودية.

جزاه الله خير الجزاء على ما قدم للإسلام والمسلمين وجعلها الله في موازين حسناته.

ولقد كتبت هذه الكلمة لهذه الشخصية النادرة حتى يكون عبرة للشباب المسلم من الأجيال الحاضرة والأجيال الجديدة، ليعلموا ما بذله هذا الشيخ في خدمته للإسلام والمسلمين من الدعوة والإرشاد عن طريق رحلاته وحتى تبقى ذكراه عطرة في المستقبل في صفحات كتب التاريخ، ولكي يسير شباب المسلمين على سيرته الخالدة وحتى لا يملون من الرحلات التي يقومون بها إن شاء الله، فإن الإنسان مقدر عليه الموت ولكن تاريخه الذي بذله لا يموت أبداً بإذن الله تعالى جيلاً بعد جيل، ونسأل الله أن يحفظ الشيخ محمد بن ناصر العبودي ويطيل في عمره في خدمة الإسلام والمسلمين حتى يكون عبرة لغيره من أبناء المسلمين ويسلكون طريقه.

۞ الـــوالد المـــربي[1]

منذ أن وعينا ما حولنا ونحن ندرك أننا نعيش في كنف أسرة تختلف عن أسر أقراننا في حي سيد الشهداء بالمدينة المنورة، فقد أنعم الله علينا بوالد عالم مبدع ووالدة أعطت أسرتها كل اهتمامها وعنايتها..

عودنا والدي على حب العلم والقراءة والاطلاع في جميع المجالات، وأن نقرأ كل ما يصله من دو النشر اللبنانية والمصرية التي كان مشتركاً فيها، والتي تزوده بمنشوراتها بانتظام مع تنبيهنا لما في بعضها من دس أو أفكار مضللة على الرغم من صغر سننا – فتعلمنا بذلك الاستماع لوجهات النظر الأخرى قبل إطلاق الأحكام، والنقد الهادف البناء وتحمل مسئولية، لا يكتفي حفظه الله بالنجاح في المدرسة فقط وإنما يحثنا على التفوق ويكافئنا على تفوقنا متلمساً سعادة الطفولة وأذكر عندما كنت في الصف الثالث الابتدائي وأحضرت له شهادة الاختبار الشهري الذي تفوقت فيه قام بإعطائي كل ما في جيبه من القروش المعدنية من فئة الأربعة قروش والقروش التي كان مجموعها ثمانية ريالات ولا زلت حتى الآن استمتع بذكرى رنينها وثقلها في كفي. وفي فترة العطلة الصيفية كان يحثنا على التنافس في إصدار مجلات بدون أن يحدد لنا اتجاهات، ويضع جائزة لمن تحصل مجلته على المرتبة الأولى من حيث المستوى وطريقة الإخراج، وأيضاً في العطلة الصيفية وقبل توفر الآلات الكاتبة كان يكلفنا بإعادة نسخ مخطوطاته أحياناً أو قراءتها للتعرف

---

(١) انظر: جريدة الجزيرة – ثقافة: الأربعاء ٢٣ شوال ١٤٢٤هـ/ ١٧ ديسمبر ٢٠٠٣م. العدد: (١١٤٠٢).

على الكلمات التي ربما تكون غير واضحة لمن يقوم بالطباعة حتى لا تظهر أخطاء مطبعية في كتبه، حيث كان يطبعها خارج المملكة ويكافئنا بمبالغ مادية حسب عدد الصفحات التي نسخناها أو راجعناها، هذه المواقف علمتنا استغلال وقت العطلة الصيفية الطويلة بما يفيد، والاطلاع على العلوم المختلفة مع الكسب المادي في نفس الوقت، وعندما نجتمع على الطعام لا يفوت فرصة دون أن ينبهنا إلى آداب الطعام في الجلسة الصحيحة والمضغ الجيد وتناول الطعام المتنوع، ويحدثنا عن القيمة الغذائية مثل اللحم ومنتجات الألبان والأطباق الشعبية المكونة من الحبوب الكاملة يحث والدتي على إزالة الشحم من اللحم والإقلال من استخدام السمن والزبدة في الأطعمة ما أمكن لعلاقتها بأمراض القلب وتصلب الشرايين، عرفنا منذ أن كنا صغاراً أن هناك علاقة بين زيادة الملح والإصابة بضغط الدم فكان يمنع تناول المخللات وزيادة الملح في الطعام. وكانت قائمة الممنوعات تشمل الحلوى لضررها على الصحة ويحضر لنا العسل من إفريقيا ويوفر التمر للاستعاضة به عن الحلوى، وكذلك منعنا من الشراء من الباعة المتجولين حرصاً على السلامة وعدم تلوث الغذاء، ويأمر والدتي بغلي اللبن عند شرائه من اللبان قبل انتشار التعليب والبسترة، كان يحرص على أن نتناول المكسرات بكثرة خاصة أثناء فترة الامتحانات، وعندما كبرنا عرفنا دورها الكبير في تنشيط الذاكرة زرع فينا أسس التغذية السليمة منذ أن كنا صغاراً فقام بدوره في ترسيخ الثقافة الغذائية في نفوس أفراد أسرته على أكمل وجه، وله الفضل الأول بعد الله سبحانه وتعالى في تخصصي في مجال التغذية وعلوم الأطعمة وفي حصولي على درجة الدكتوراه في هذا التخصص. وفي الوقت الحالي وبعد أن كبرنا وكوَّن كل منا أسرته لا يزال - حفظه الله - حريصاً على

السؤال عنا وعن أولادنا ولا يتردد عن مساعدتنا بكل ما يستطيع، ويكافئ أبنائنا على نجاحهم وتفوقهم، ويحثهم على القراءة والاطلاع وقضاء الوقت فيما يفيد ومازلنا نشعر بنفس الشعور أن الله حبانا بوالد فريد حفظه الله ورعاه.[1]

(١) د. لطيفة بنت محمد العبودي - عضو هيئة التدريس بقسم التغذية وعلوم الأطعمة.

۞ كلمات مضيئة ورؤية عن أوضاع المسلمين في العالم الإسلامي[1]

هو عالم جليل، عرفته مجلات الدعوة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه، كأحسن ما يكون الدعاة إلى الله قولاً وعملاً.. التقيت به في زيارتي الأخيرة لمكة المكرمة وقد أسندت إليه أخيراً مهام الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بالنيابة، وكان إلى عهد قريب الأمين العام للدعوة الإسلامية بالمملكة العربية السعودية..

وهو سماحة الشيخ محمد بن ناصر العبودي الذي يحلو للبعض أن يطلق عليه (ابن بطوطة المعاصر) لكثرة رحلاته وجولاته التي كادت تغطي معظم بلاد العالم شرقه وغربه، بحثاً عن أحوال المسلمين، وعلاجاً لمشكلاتهم.

تحدثت معه طويلاً عن واقع الدعوة الإسلامية اليوم، ورؤيته لحركة العالم الإسلامي في داخل البلاد الإسلامية وخارجها.. فقال لي: إنه متفائل، ويرجوا أن يبذل الدعاة المزيد من الجهد، وأن يحرصوا على أن يكونوا بقولهم وسلوكهم قدوة صالحة لجذب الناس إلى الإسلام.. ويرى سماحة الشيخ العبودي أنه من المفيد جداً للدعوة الإسلامية أن يتم تنسيق بين جهود المؤسسات والهيئات والمراكز الإسلامية المحلية والدولية التي تعمل في مجال الدعوة.

وعن أوضاع المسلمين اليوم في غير البلاد الإسلامية قال لي إنه من واقع زياراته لهم يمكنه القول: إنهم أصبحوا الآن بسبب الدعوة النشيطة مرتبطين بإخوانهم المسلمين في البلاد الإسلامية ارتباطاً كبيراً.. وقد أصبحنا نحن

---

(١) حديث أجراه بمكة المكرمة محمود مهدي.

نعرف عنهم الكثير، ونقدم لهم الكثير من العون الذي يتطلبونه.. وهذا بخلاف ما كان عليه الحال منذ عشرين أو ثلاثين سنة مضت..

*** التطرف... والعنف:**

وسألت الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بالنيابة عن أسباب ظاهرتي التطرف والعنف لدى بعض الشباب فأجاب: إذا كنتم تقصدون بالتطرف الغلو في الدين، فهذا أمر مذموم، حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: (إياكم والغلو) (٣ مرات) فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو..

ومن أسباب ظاهرة العنف، التي تشير إليها، وإن كان هذا لا يبررها التقصير من جانب بعض المسئولين في البلاد الإسلامية عن سلوك الطريق المستقيم، وقد لا يكون هناك تقصير أصلاً، ويكون السبب في العنف هو الفهم الخاطئ للأمور... حيث يتصور البعض أن بعض الأمور التي جدت وأنماط الحياة التي استحدثت، ليست من الدين، فيحاربها، وهذا يرجع إما لتقصير من الشباب في القرب من علماء الدين والتعرف على حكم الله و الشرع في هذه الأمور وإما لتقصير من جانب العلماء في توضيح رأي الدين وحكم الشرع في هذه الأمور للشباب. وفي كل الحالات فإن على العلماء المسئولين عن الدعوة مسئولية كبرى في توضيح هذه الأمور، ولا أعفي نفسي أو الآخرين من هذه المسئولية. مطلوب منا جميعاً توضيح رأي الدين في كل ما يحيط بالشباب وتقديم الإجابات الدينية الصحيحة لكل ما يدور في أذهانهم ويتساءلون عنه. بعد ذلك: بعد الإيضاح والتوضيح يجب مواجهة ظاهرة العنف، لا أقول بالعنف، ولكن بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.. ولا أعتقد أن في أحكامها عنفاً، وإنما فيها شدة وفيها عقاب يتناسب مع حجم الجريمة.. فالجريمة الشديدة، لا بد لها من عقوبة شديدة.

* الغزو الفكري... وعلاجه:

وعن الغزو الفكري، باعتباره من أشد الأخطار التي تتهدد الشباب والأجيال الجديدة.. وكيف يمكن التصدي له، وحماية شبابنا منه، كان لي سؤال مع سماحة الشيخ محمد بن ناصر العبودي الذي قال لي...

إن ما نشاهده الآن من تأخر في بعض الأقطار الإسلامية، بل ومن هوان وذلة مع الأسف الشديد، عند بعض المسلمين، مرجعه إلى الغزو الفكري...

فقد تولى مقاليد الأمور في بعض الأقطار التي يسكنها مسلمون أناس أنشئوا تنشئة فكرية غريبة عن الإسلام، فآمنوا بمثل وعادات وتقاليد، بل ربما بمذاهب بعيدة عن الإسلام، ولو كان الأمر اقتصر عليهم لكان الضرر أخف ولكنهم نقلوا تأثرهم هذا إلى مناهج التعليم، وإلى مناح أخرى من الحياة، إن بعض المسلمين الآن أصبحوا لا ينظرون إلى سبل الخلاص إلا عن طريق المفاهيم التي أخذوها عن الغرب، لا ينظرون إلى المستقبل إلا عن طريق ما يرسم لهم أو ما تعلموه في مدارس الغرب... نحن في الحقيقة لا نكن عداء للغربيين كبشر، ولا لمدنيتهم، من حيث هي مدنية مادية، نحن نعترف بتقدمهم المادي ولنا أن نستفيد منه، ولكن كيف نلتمس السعادة من عندهم وهم الذين افتقدوها لدرجة أننا نقرأ كل يوم حالات الانتحار المتزايدة في أكثر الدول الأوربية تقدماً..

إن خير علاج لشبابنا من خطر هذا الغزو الفكري، هو تقديم المزيد من التوعية الدينية وتعريف شبابنا بفكرنا الإسلامي الأصيل، وثقافتنا الإسلامية التي تشمل كل جوانب الحياة.. والتمسك بأحكام الدين والعمل

بقول الرسول ﷺ: ((تركت فيكم ما إن تمسكتم بـه لـن تضـلوا بعـدي أبـداً كتاب الله وسنتي)).

وعن الاهتمام بالثقافة الإسلامية يتحدث الشيخ العبـودي في جولـة مـن جولاته التي يزور خلالها أبناء الأمة الإسلامية يأخذنا فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي إلى رحلة في شرق أوربا وذلـك مـن خـلال كتابـه (نظـرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد سقوط الشـيوعية رحلـة وحـديث في أمـور المسلمين). وخلال هذا الكتاب يقارن الشيخ العبودي بين حال تلك الـبلاد التي سبق له زيارتهـا أبـان كانـت تحـت الحكـم الشـيوعي وفرضـه السـتار الحديدي عليها، وشاء الله سبحانه وتعـالى أن يزورهـا مـرة أخـرى بعـد أن أفلس الشـيوعيون أهـل السـتار الحديـدي والعقيـدي أيضـاً، وقـد صـمد المسلمون هناك متمسكين بـدينهم وعقيـدتهم، وبـدءوا يجـددوا مسـاجدهم ويفتحون فيها الفصول الدراسية الإسلامية ويسعون إلى استعادة مساجدهم المصادرة وأوقافهم المنهوبة..

ويتناول المؤلف حياة المسلمين خلال كتابه الذي يقع في ١٨٣ صفحة من القطع الكبير في يوغسلافيا السابقة، ومحاولات الصرب لاستبعاد المسلمين، واستعرض حال المسلمين في ألبانيا ومعانـاتهم مـع الفقـر، ودور الرابطـة في مساعدة مسلمي ألبانيا...

ويقول أن دخول الإسلام في رومانيا يرجع إلى نزول قبائـل تركيـة إقلـيم دوبرجة عام ١٢٦٤م وكان هؤلاء الأتراك المسـلمون مـن أول سـكان هـذا الإقليم، ثم فتح الأتراك العثمانيـون رومانيـا عـام ١٥٤١م وأخـذ الإسـلام ينتشر بفضل تسامحه وتحولت أسر بل قرى إلى الإسـلام وانـتشرت المسـاجد والمدارس الإسلامية في أنحاء رومانيا خلال الحكم العثماني..

أما عن المسلمين في بولندا فيقول الشيخ العبودي: يعود أصلهم إلى أصول تترية استوطنت بولندا منذ أكثر من ٧٠٠ عام ويتمركزون في منطقة بياوستوك شمال شرق بولندا، وتقلص عددهم بمرور الزمن وحياة الانعزال إلى ٣٠ ألف مسلم...

وفي ألمانيا يتناول الشيخ زيارته إلى مطبعة القرآن الكريم وعدد من مساجدها مثل: مسجد النور، ومسجد الشهداء، ومسجد عمر...

ويقول المؤلف: إذا كان الاعتراف بالدين الإسلامي ذا أهمية في حياة المسلمين في ألمانيا فإن مسألة الثقافة الإسلامية ذات أهمية بالغة لحماية المسلمين من الضياع والانصهار في المجتمع المسيحي الألماني الأكثر عدداً والأغنى مالاً وقوة.[1]

(١) انظر مجلة اقرأ العدد (١٠٥٥) ٢/١١/١٤١٦هـ.

تقاريظ شعرية

۞ خواطر زائر لعالم وشاعر

رحالتنا الغالي محمد ناصر ... فإني لمرتاح فجودك مغداق
فزورتكم حقاً لفضل ومفخر ... وأمن وإيمان، فصفوٌ وأخلاق
وقد نلت يا شيخ العبود مكانة ... هي الغاية القصوى وإنك سبّاق
خصصت بأسلوب هو الضاد كله ... بياناً إذا ما جال في الذهن خلاّق
سعيت إلى البلدان والقوم نوّم ... لكم عند أهل العلم عهد وميثاق
فأفريقيا الخضراء للجيل مرجع ... ونَيْبال ما عادت جبالاً لا الساق
فصومال مدغشقرْ فرنْسَا ومغرب ... وهند ومصر اليوم للكل تنساق
وإني لأرجو أن أفوز بجلسة ... لأشفي غليل النفس إني لمشتاق
لرؤيتكم إذ أنت للقلب واحة ... يطيب بها إن جاء حزن وإملاق

فاضل غي مدير مجلة الصحوة الإسلامية
في السنغال
بتاريخ ٣- رمضان- ١٤١٥هـ
جدة- المملكة العربية السعودية

۞ الأديب البـــارع

عرفت من الأماجد كل ألف ... وحلفاً بعد حلف بعد حلف
وصاحبت الخيار وكل ألف ... من الفضلاء كل عماد صفى
ولكني عرفت اليوم إلفاً ... نسيت به الأماجد عن تقف
فقام الإلف لي كمقام ألف ... ورُبَّت في الثنا رجل كألف
فذالكم العبودي الذي قد ... سما في الجود عن نعت وعطف
محمد ناصر المعروف قدماً ... بمجد ناء عن عدل وصرف
هو الرحالة المشهور من لا ... يجاري في العلا من أي طرف
له في العلم مرتبة تسامت ... فأحجم غيره عنها لضعف
وفي الرحلات حاط مؤلفات ... بها العجب العجاب محل وكف
ترى في طَيِّها ما كان يخفى ... عليك من العجائب دون لف
هو الشهم الرضا المفضال حامي ... حمى العليا بجدران وسقف
فسل ضيفاً وأرملة وجاراً ... تجده على الجميع جميل عطف
وسل كرماً وإنفاقاً ونهياً ... عن العورا، وسل أمراً بعرف
هو الإلف الأليف لنا وإنا ... لنحسبه أعز اليوم إلف
أديب كاتب نبه خطيب ... جواد بارع في كل وصف
بنى المجد الطريف وشاد مجداً ... تليداً كان للآباء يكفي
وشاد من المآثر كل ركن ... وحاز من المفاخر كل صنف
فأصبح للثنا هدفاً وأمسى ... لأجناس المديح مصب وَطْفِ

فكان عميد أهل الجود حقاً ونسخة حاتم حرفاً بحرف
جزاه الله إحساناً على ما تعود من محامد دون خلف
عرفناه قرير العين يرقى سلالم المنى من غير وقف
ولا نال الحسود مناه فيه ولا الأعدا وولوا صفر كف

مع تحيات/ الشيخ أبي بكر محفوظ بن بده

- إمام وخطيب جامع قرية التوفيق

والمدير العام لمحضرة الرشاد السلفية - الخط - الترارزة -

الجمهورية الإسلامية الموريتانية.

١٧/ ١٢/ ١٤٢٣هـ - ١٨/ ٢/ ٢٠٠٣م

لا يبارى في السخاء

نأي فعلاً بقلبك خير نـــاء ... فودعه على أمل اللقـــاء
وما توديع ركاب تولـــوا ... قبيل الصبح في جو السمـــاء
ويا عجباً لمـــن يزداد شوقاً ... على طول القطيعة والجـــاء
فصارمها محمد خير شيخ ... وفيّ لا يبارى في الســـخاء
محمد ناصر الدين العبودي الـ ... مؤمل في الضوائق والرخـــاء
أبيّ الضيـــم ملجـــأ كل لاجٍ ... إذا ضاقت مذاهب الالتجـاء
وحسبـــك أنه في كل أرض ... به ضرب المثال في الاعـــتلاء
عصـــامي عظـــامي أديـــب ... مثـــالي تفـــرد بالـــذكاء
همـــام لم يزل يســـمو ســـمواً ... إلى العليـا بمصعـد كهربـــاء
يـــواسي ذا ويـــدفع ظلـــم هـــذا ... ويبذل جاهـــه في دفـــع داء
ألا يا من سبقت ذوي المعـالي ... إلى بـاب السماحة والوفـاء
ورثت المجد تعصيباً وفرضـاً ... وعنه قد حجبت ذوي الـولاء
أدام الله عـــزكم وصـــلى ... على خير الأنام بلا انتهـاء

بقلم الشاعر الموريتاني/

محمـد فال بن الحسين

باذل العلم والمال

أزف إلى ابن ناصر العبودي ... تحياتي من الشعر العمودي
فتى مذ كان مدرجه بمهد ... تعودَّ كل مكرمة وجود
كريم لا يني يهب العطايا ... ويسلك كل منهاج سديد
سما حتى علا قمم المعالي ... وليس يحزال منا في صعود
له في الراحلين جدود صدق ... وحتم قفو آثار الجدود
يخلد في سجلات المزايا ... جميل الذكر للبلد السعودي
أنار بكتبه دجن الليالي ... بما في العلم يبذل من جهود
وفي تأليفه أبداً مفيداً ... ومن شرواه إبداء المفيد
حبانا قبل ذامنة وعوداً ... ونرجوا منه تحقيق الوعود
ونشكره على ما كان أولى ... من النعماء والفعل الحميد
صلاة الله يتبعها سلام ... على من حبه بيت القصيد

وكما بدأ السلام يعود أخوكم:

السيد آب ولد حمود العلوي

١٤ صفر ١٤٢٢هـ - ٨/ ٥/ ٢٠٠١م

ألطف المعاني

تحيةً بالرَّوح والرَّيحان ... أزفها بألطف المعاني
إلى مقام شيخنا العبُّودي ... بعبق الأزهار والورود
مع نسيم الرَّوض عند السَّحر ... قبل الشروق وهطول المطر
مصونةً بالحب والأماني ... من كل واشٍ حاقدٍ وشاني
شهمٌ كريمٌ لا يضام جارهُ ... وليس تطفي في الديار ناره
من جاءه لحاجةٍ لا يرجع ... إلاّ بها وفضله لا يمنع
كأنه في شخصه أميرُ ... يُعزُّ في مكتبه الفقير
ولا تراه أبداً عبوساً ... يُضاحك الرئيس والمرؤسا
يجلُّ كل عالمٍ أريب ... ويعتني بالشاعر الأديب
أدعوا له الباري بكل حين ... يقيه كل ماردٍ لعين
ولا يريه سوءاً في البنينا ... وفي البنات ربنا أميناً
ولا بأهله ولا ذويه ... ولا بأخته ولا أخيه
ويحفظ الرَّبع له والجار ... من كل مكروهٍ كذا والدار
وحادث الأسفار في السيّارة ... والفُلك والقطار والطيَّارة
وصلى الله ربنا وسلّما ... على النبي خير من قد علَّما

أحمد عبد الله الوهاشي

۞ هذه هدية شعرية متواضعة

إلى فضيلة الشيخ: محمد بن ناصر العبودي حفظه الله

تلاحظ عذلي لنوى نوارِ ... جلياً ما أواري من أواري

عشية قيل لي حجزت لخمس ... من الجاري وأبت للسفار

فبينا في انتظار نوى قريب ... كضوء الصبح يأخذ في انتشار

إذا باب المطار به نوار ... وفي تشييعها إحدى الجواري

تودعها وتعرب عن أساها ... لفرقتها بأدمعها الجواري

فمرت و البليس[1] لها طريق ... يميناً والجمارك عن يسار

وأبدت رقم مقعدها انتظاراً ... وقد جلست بقاعة الانتظار

تراءت لي بسلّم ديس ديس[2] ... تلف ثيابها خوف العثار

فغادرت المطار ولست أدري ... متى كانت مغادرة المطار

سوى أن المرور على دكار[3] ... وما فيد التوقف في دكار؟

عسى الدهر الحنون يلف شملي ... بمن أهوى على بعد المزار

فأصبح بالقصيم بأرض شيخ ... تحلى بالشهامة والفخار

---

(١) البوليس: الشرطة.

(٢) ديس ديس: نوع من الطائرة.

(٣) دكار: عاصمة السنغال.

محمد نـاصر الدين العبـودي الـــــحميد السعي مـن بين الخيـار

فتى ورث المكـارم عـن ذويهـا ذويـه السـادة الشـم الخيـار
له اختـار الإلـه جـدود صـدق وكـان الله يفعـل باختيـار
وما مجـد عليـه أتـت عصـور كمجد من سوى الموروث طاري
فللشـهم المفـدى في المعـالي مراتب دونهـا لمس الـدراري
أغر الوجـه توَّجـه عـلاه بتيجـان السـكينة والوقـار
له ظفر بكأس السبق جـودا وفي مضـماره عـدم المُجـاري
أديـب كاتـب ذرب مَجيـد تَرَحّـلَ في الـبلاد للاعتبـار
كذلك كـل ذي ذهـن صـحيح يحـاول دائـماً رفـع السـتار
سراوة فضـله في النـاس نـار عـلى علـم تلـوح لكـل سـار
وسكان القـرى شـهدوا بـهذا كـما شـهد المنمِّـي والمـزار
أدام الله عـز فتـى كريـم عظـيم القـدر مفتـاح اليسـار

بقلم: الأديب محمد فال ولد الحسين الحسني

تبـــارك ربُّنـــــا

تبـارك ربنـــا رب الوجـــود ... له النعماء مـن منٍّ وجـــود
كتاب منـك تقدمـة ســـيبقى ... يؤرخ عمـر معرفـة ســـعيد
به مـن كـل شيقـــة قطـــاف ... ويغني الفكـر بـالعلم المفيـد
به أدب، به وصـــف بـديع، ... به مـن كـل أصـناف الجديـد
أحيـي فيـك عاطفـة ونبـلا ... أبارك منـك تقـدير الجهـود
فسفرك في الرحال يعد كنـــزاً ... به مـا تشـتهي نفـس المريـد
فطب نفســاً عطـاؤك سـوف ... بمكتبة الحيـاة مـدى العهـود
وأشكر منـــك إهـداء كـريماً ... رفيقاً مؤنسـاً حلـو النضـيد
فيـا شيخـي حبـاك الله عـــزاً ... على ما قمت من عمل مجيـد
أراد الله أن تبقـــى منـــاراً ... وللإسلام جنـــدي الحـدود
إذا مـا هـلّ في بلـــد أذان ... ودوّى في المسـامع كـالرعود
وقيـــل الله أكـبر في بـــلاد ... فإن الذهن يرجـع للعبـودي

حسن محمد عساف - البرازيل

۞ نـــزهة

لا تلومي إن غاب عنك جودي ... أنا ما كنـت مخلفـــاً للوعـــود

كان للطـائف الوديعـة يـــــوم ... فيه سعد، ويـا لهـا مـن سـعود

كان يومـاً تحكـي النسـائم فيـه ... وشوشات بغـير نـــاي وعـود

لم تزغ عـن رؤاك عينـي ولكـن ... هزني الشـوق هاهنـــا للنجـود

فجـــال الربيـــع أضـــفى بهـــاءً ... عبقرياً عـلى جمـال الوجـــــود

فتغنّـَى الفـؤاد لهفـــاً وحطـت ... قـــبلاتي عـــلى شـــفاه الـــورود

ثم عدنـا أدراجنـــا والـهدايـــا ... مكرمات من شيخ علم وجـود

إنـه شيخنـــــا العبـودي لبَّيْـــ ... ـــتُ لشـيخ مبجـل محمـود

هو أنـــس وداره بيت عـــــز ... بارك الله في ديـار العبـــــودي

مكة المكرمة — **محمد الأسعد قاطرجي**

تحية للعبودي

تحيتـــــي للعبـــــودي ... نـــبراس عـــز وجـــــود
فتـــــى ســـما للمعـــالي ... في رفعـــــة وصـــــعود
معطـــــر للنـــــواحي ... بنشـــــر ورد وعـــــود
مورثـــاً للعـــــلا مـــن ... آبائـــــه والجـــــدود
وقـــد أضـــاف طريفـــاً ... عـــلى الرصـــيد التليـــد
بروجـــه قـــد تـــراءت ... في أفـــق ســـعد الســـعود
بـــدا كريمـــاً سخيـــاً ... يقـــول للنفـــس جـــودي
فليـــس يلفـــى نفيســـا ... لديـــه مـــا في الوجـــود
ملـــــوِّح بلـــــواء ... مُظَفَّـــــرٍ معقـــــود
وحكمـــــة وذكـــــاء ... وســـــيد لمســـــود
ونظـــرة ذات معنـــــى ... تنـــــير درب الجمـــــود
إن أمـــــه ذو جـــــداء ... للجـــود غـــير جحـــود
يلفيـــــه لا بضـــــنين ... كنـــــزولا بجمـــــود
وإن تصـــــدى لأمـــــر ... أوفـــاه بـــذل جهـــود
يـــــا عالمـــاً عبقريـــاً ... بكـــل فـــن شـــرود
ومخلصـــــاً ووفيـــــاً ... بمالـــــه مـــــن عهـــــود
وكاتبـــــــــاً ورؤاه ... تـــــروق للجلمـــــود
مؤلفـــا ينثـــر الضـــا ... د مثـــــل در العقـــــود

رحالـــــة كـــــل أرض ... لهـــا أتـــى بجديـــد

إفريقيـــا قـــد حباهـــا ... عنايـــة دون قيـــد

فيالـــه مـــن جـــسور ... مجاهـــد في صـــمود

ويالـــه مـــن رئيـــس ... برغـــم أنـــف الحســـود

لا زال بالمجـــد يرقـــي ... عـــلى دروب الجـــدود

وعـــاش دهـــراً طـــويلاً ... مجـــدداً للعهـــود

ثـــم الصـلاة ودومـــاً ... عـــلى النبـــي المجيـد

مقدمة من طرف الشيخ/

السيد آب ولد حمود العلوي

مبعوث الرابطة تحت إشراف المكتب الإقليمي بدكار

۞ سـلام عليك

سلام كالمعتقة السلاف ... لذيذ الطعم رندي المساف
سلام يقتضي توطيد عهد ... على طول التقادم غير عاف
ويؤذن بالتقارب والتداني ... كما يحمي من أسباب التجافي
ويدعم بالتعاضد والتآخي ... مودتنا المصونة من مُناف
إلى من بالمعالي أخو اتصاف ... ومن هو بالمواثق جد واف
وإن حان انحراف من خليل ... فليس عن المودة ذا انحراف
ومن تصفو مودته إذا ما ... غدا ود المصافي غير صاف
إلى سمح الخليقة، بحر علم ... لأدواء الجهالة جد شاف
ورأس لا يحل حباه جهل ... ولم يعبث به ارجاف جاف
محمد ناصر العبودي مأ ... وى الأرامل واليتامى والضعاف
أبو الأضياف معدن كل خير ... أبيُّ الضيم معقل كل عاف
ألا يا من حوى كل المعالي ... وهو على المحامد ذو اعتكاف
وطار الصيت منه بكل قطر ... وحلق بالقوادم والخواف
عليكم من محبكم سلام ... تشايعه تحيات ضواف

الشيخ أحمد بن المختار بن أمين

١٥/ ١٠/ ١٤١٤هـ

۞ حكيم من عبـــاقرة الوطـــن

غَرِيبٌ أتى للحج من قبَـل اليمـن ... له ولد في السجـــن بالوهم مرتهن
وأُمٌّ لـــه فيهـــا هنـــاك مريضـــة ... تئن عليه قد جفـا جفنهـا الوسـن
وصاحبـة تبكيـه من يـوم سجنـــه ... وطفـل صغيـــر قد بـري جسمـــه
ومالـــه من مـال ولا من وظيفـــة ... ولا مركب في ملكه لا ولا سكـن
يطالب بالإيجار في الصبح والمســـا ... وبالكهربا والمـاء من عند باخشـن
ويطلبـه التقسيـط من غيـر مهلـــة ... وقد قدمت شكوي عليه لدي الأمن
فعالـج هـداك الله أمـري بحكمـة ... فأنت حكيـم من عباقـرة الوطـن
سليل بنـي الأمجـاد مـن آل نـاصر ... ذوي العطف والإحسان في سائر الزمن
عليهـم ســلام الله مـا لاح بـارق ... وجلجل رعد وأنهمت أعين المـزن

أحمد عبد الله الوهاشي اليمني

۞ صاحب الرحلات

سلامي على شيخ القصيم ... محمد ناصر الدين القويم
محمد ناصر الدين العبود الـ ... كريم الأصل ذي الخلق الكريم
محمد صاحب الرحلات مهدي ... نفيس الكتب عن عقل سليم
فكم للشيخ من كتب كبار ... موشحة بأسلوب حكيم
حوت عبراً وأدتها بلفظ ... بديع الشكل كالدر النظيم
ولا عجب إذا كانت بشكل ... يريك نتيجة الشكل العقيم
فإن بيانها سحر حلال ... بحكمة كاتب نبه فهيم
شريف النفس مصدر كل ... ومعرفة ومكرمة وخيم
سخي الكف ما برحت يداه ... على العافين كالغيث العميم
فكم أعطى على عجل جزيلاً ... فكان بفضله كسب العديم
وكم بالجاه ساعد في مرام ... فأدى كل حق للغريم

الشيخ محمد فال بن المسير

مدير مدرسة إحياء علوم السنة

١٠/ ١٢/ ٢٠٠٠م

المصادر والمراجع

۞ المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب:

١ - أرض القصيم . تركي إبراهيم القهيدان. مكتبة الرشد. الطبعة الأولى.

٢ - أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي. دار الفكر. الطبعة الثالثة.

٣-الأعلام. خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين.

٤ - الأمثال العامية في نجد. محمد ناصر العبودي. دار اليمامة للنشر. الطبعة الأولى.

٥ - أدبية الرحلة. عبد الرحيم مودن. دار الثقافة. بيروت.

٦ - أنيس المسافر وسلوة الحاضر. د/ ناصر بن مسفر الزهراني. الطبعة الأولى. ١٤١٦هـ.

٧- أدب الرحلة عند العرب. د/ حسني محمود حسين. الطبعة الثانية. بيروت.

٨- أدب الرحلات. أحمد أبو سعيد. بيروت. ١٩٦١م.

٩- أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب. د/ صلاح الدين المنجد. ٣ أجزاء. بيروت ١٩٥٩، ١٩٦٠، ١٩٦٣م.

١٠ - أدب الرحلة تاريخه وأعلامه. جورج غريب. دار الثقافة. بيروت. لبنان.

١١ - أخلاق العلماء. محمد بن حسين الآجري. تحقيق: أمينة عمر الخراط. الطبعة الأولى. دار القلم. دمشق. ١٤٢٢هـ.

١٢ - أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية. عبد الحميد الزنتاني. الطبعة الأولى. الدار العربية للكتاب. ليبيا تونس. ١٩٩٣م.

١٣- أصول التربية الإسلامية. خالد بن حامد الحازمي. الطبعة الثانية. مكتبة دار الزمان. المدينة المنورة. ١٤٢٦هـ.

١٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين بن المختار الشنقيطي. عالم الكتب. بيروت. لبنان.

١٥- أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر. الطبعة الأولى. دار الشريف. الرياض. ١٤١٦هـ.

١٦- الإثنينية. عبد المقصود محمد سعيد خوجة. الطبعة الأولى.

١٧- ابن بطوطة ورحلاته. حسين مؤنس. دار المعارف. القاهرة. ١٩٨٠م.

١٨- إطلالة على نهاية العالم الجنوبي. محمد بن ناصر العبودي. مكة المكرمة. نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ.

١٩- إحياء علوم الدين. حامد بن محمد الغزالي. الطبعة الثالثة. دار الفكر. بيروت بدون ت.

٢٠- إطلالة على أستراليا. محمد بن ناصر العبودي. طبع في مطابع التقنية للأوفست. عام ١٤١٧هـ.

٢١- إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة. محمد بن ناصر العبودي. مطابع النرجس ١٤٢٤هـ.

٢٢- بريدة ماض مجيد وحاضر مزدهر ومستقبل مشرق. إبراهيم عبد العزيز المعارك. شركة العبيكان للطباعة والنشر. الطبعة الأولى.

٢٣- بريدة ونموها الحضاري. د/ محمد بن صالح الربدي. شركة العبيكان للطباعة والنشر. الطبعة الثانية.

٢٤- بريدة داخل الأسوار وخارجها. أحمد بن حسن المنصور.

٢٥- البداية والنهاية لحافظ ابن كثير الدمشقي. الطبعة الأولى. دار الفكر. بيروت. لبنان ١٤١٩هـ.

٢٦- بالي.. جزيرة الأحلام. محمد بن ناصر العبودي. مطابع النرجس. الرياض ١٤٢٣هـ.
٢٧- بورما.الخبر والعيان.محمد بن ناصرالعبودي.بيروت عام ١٤١٤هـ.
٢٨- تذكرة أولي النهى والعرفان. للشيخ إبراهيم بن العبد المحسن. مؤسسة النور.
٢٩- التعليم غير المنظم في عهد الملك عبد العزيز. د/ عبد اللطيف بن عبدالله بن دهيش. مكتبة الطالب الجامعي. الطبعة الأولى.
٣٠- التعليم في القصيم. الشيخ صالح بن سليمان العمري. المحقق د/ عمر العمري.
٣١- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري. تحقيق عدد من الأساتذة. نشرة دار الكتاب العربي. مطبعة سجل العرب بمصر عام ١٩٦٧م.
٣٢- تاج العروس من جواهر القاموس. مرتضى الزبيدي. المطبعة الخيرية في مصر عام ١٣٠٦هـ.
٣٣- تاريخ ابن جرير (تاريخ الأمم والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. مطبعة الاستقامة في القاهرة عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م.
٣٤- تاريخ مساجد بريدة القديمة وتراجم أعلامها. عبد الله بن محمد الرميان. الطبعة الأولى. بدون ناشر ١٤٢٤هـ.
٣٥- تتمة الأعلام. محمد بن خير رمضان يوسف. الطبعة الأولى. دار ابن حزم الرياض. ١٤١٨هـ.
٣٦- تائه في تاهيتي. محمد بن ناصر العبودي. طبعته مطابع التقنية الرياض ١٤٢٠هـ.
٣٧- تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار. حسين غنام. الطبعة الأولى. ١٣١٨هـ.

٣٨- التعليم في القصيم. محمد بن عبد الله السلمان. الطبعة الأولى. مطبوعات مركز صالح الثقافي. عنيزة. ١٤٢٠هـ.

٣٩- التعليم في عهد الملك عبد العزيز. محمد بن عبد الله السلمان. الطبعة الأولى. مطبوعات الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على توحيد المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ.

٤٠- تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء الحافظ ابن كثير. الطبعة الأولى. دار الفكر. بيروت ١٤١٨هـ.

٤١- تكملة معجم المؤلفين. محمد خير رمضان يوسف. الطبعة الأولى. دار ابن حزم الرياض ١٤١٨هـ.

٤٢- التنظيم القضائي بالمملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية. سعود بن سعود آل دريب. الطبعة الأولى. مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤١٩هـ.

٤٣- توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي. محمد بن عبد الله السلمان. الطبعة الأولى. مطابع مؤسسة المدينة للصحافة. جدة ١٤١٦هـ.

٤٤- تاريخ الشعوب الإسلامية. بروكلمان. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٥٠م.

٤٥- جامع بيان العلم وفضله. يوسف بن عبد البر. تحقيق أبي الأشبال الزهيري. الطبعة الأولى. دار ابن الجوزي. الدمام ١٤١٩هـ.

٤٦- جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد. حمد الجاسر. الطبعة الثانية. دار اليمامة الرياض ١٤٠٩هـ.

٤٧- جهود المملكة العربية السعودية في خدمة الدعوة إلى الله. محمد هنادي. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. بدون ناشر.

٤٨- جوانب من سيرة الإمام ابن باز. رواية محمد بن موسى الموسى. إعداد محمد بن إبراهيم الحمد. الطبعة الأولى. دار ابن خزيمة الرياض ١٤٢٣هـ.

٤٩- جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي. محمد بن ناصر العبودي. الرياض. المطابع الأهلية للأوفست.

٥٠- جولة في جزائر البحر الكاريبي. محمد بن ناصر العبودي. مطابع الرياض الأهلية للأوفست ١٤٠٧هـ.

٥١- جولة في جزائر جنوب المحيط الهادي. محمد بن ناصر العبودي. مطابع الفرزدق التجارية. الرياض ١٤١٠هـ.

٥٢- جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك. لأبي عبيد الله البكري. الكويت ١٩٧٧م.

٥٣- حركة الإصلاح والتجديد في نجد. د/ عبد الله بن محمد العجلان. الطبعة الأولى. عام ١٤٠٩هـ.

٥٤- حمد الجاسر علاّمة الجزيرة العربية. الملحقية الثقافية السعودية. مطبعة علي موسى. بيروت الطبعة الأولى.

٥٥- الحجاز أرضه وسكانه. عمر الفاروق السيد رجب. دراسات إيكولوجية. ط دار الشروق.

٥٦- الحكمة في الدعوة إلى الله. سعيد بن علي القحطاني ط٣. مطابع الرسالة بيروت ١٤١٧هـ.

٥٧- حكم العوام. محمد بن ناصر العبودي.

٥٨- حصاد الرحلات. محمد بن ناصر العبودي. مكتبة الرشد. الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

٥٩- الدعاة إلى الله شرف مهمتهم وطرق دعمهم. محمد بن ناصر العبودي. رابطة العالم الإسلامي.

٦٠- الدعوة في عهد الملك خالد بن عبد العزيز. نمر بن عائش السحيمي. رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للعام الجامعي ١٤٢٤- ١٤٢٥هـ.

٦١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر أباد ١٣٤٩هـ.

٦٢- الدعوة في المملكة العربية السعودية في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز. محمد بن عبد الرحمن التركي. رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم الدعوة والاحتساب العام الجامعي ١٤٢٠ - ١٤٢١هـ.

٦٣- الدعوة إلى الله في عهد الملك عبد العزيز. محمد بن ناصر الشثري. الطبعة الأولى. دار الحبيب الرياض ١٤٢١هـ.

٦٤- دور جامعات العالم الإسلامي في مواجهات التحديات المعاصرة. مقداد يالجين. دار المعرفة بيروت. بدون رقم وتاريخ الطبعة.

٦٥- الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة. محمد بن ناصر العبودي.

٦٦- ذكريات من يوغسلافيا. محمد بن ناصر العبودي. مطابع الفرزدق التجارية الرياض ١٤١٤هـ.

٦٧- رجال من القصيم ٥ أجزاء. إبراهيم المسلّم. الدار الثقافية للنشر.

٦٨- رجال من التاريخ. علي الطنطاوي. ط دار المنارة جدة.
٦٩- رجال وراء جهاد الرابطة خلال ربع قرن. الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة ١٤٠٨هـ.
٧٠- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين. محمد بن عثمان القاضي. الطبعة الثالثة. مطبعة الحلبي القاهرة ١٤١٠.
٧١- الرحلة. ابن بطوطة. سلسلة كتب ثقافية. الجزء الأول والثاني. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٠م.
٧٢- رسالة. ابن فضلان. د/ سامي الدهان. المجمع العلمي العربي. دمشق ١٩٦٠م.
٧٣- رحلة ابن جبير. ابن جبير. دار التراث. بيروت ١٩٦٨م.
٧٤- الرحلة الروسية. محمد بن ناصر العبودي. مطابع الفرزدق التجارية الرياض ١٤١٤هـ.
٧٥- زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية. طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست ١٤٠٥هـ.
٧٦- سير وتراجم. عمر عبد الجبار. تهامة للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. ١٤١٤هـ.
٧٧- سياحة في كشمير. محمد بن ناصر العبودي. مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ.
٧٨- سنن ابن ماجه. محمد بن يزيد القزويني. ط دار الفكر بيروت.
٧٩- سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السجستاني. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط دار الفكر بيروت.
٨٠- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي. دار الفكر بيروت.

٨١- سنن ابن ماجه بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي السندي. وبحاشية تعليقات مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه للبوصيري. حقق أصوله وخرجه ورقمه: خليل مأمون شيحه. الطبعة الأولى. دار المعرفة بيروت ١٤١٦هـ.

٨٢- سنن الترمذي. محمد بن عيسى الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون. دار إحياء التراث العربي بيروت.

٨٣- سوانح أدبية. محمد بن ناصر العبودي. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٨٤- الشعر والشعراء. عبد الله بن مسلم بن قتيبة. دار الثقافة بيروت دون تعريف.

٨٥- شرح مقصورة ابن دريد التبريزي. المكتب الإسلامي دمشق.

٨٦- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. ١/ ٢ أبو الطيب بن علي الفاسي. حقق أصوله وعلق عليه: لجنة من كبار العلماء والأدباء. ط دار الكتب العلمية بيروت.

٨٧- شمال سيبيريا (من سلسلة الرحلات السيبيرية) محمد بن ناصر العبودي. مطابع النرجس الرياض.

٨٨- شرح السنة. البغوي. تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط الطبعة الثانية. المكتب الإسلامي بيروت.

٨٩- الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأثر مدرسته في النهضة العلمية والأدبية والبلاد السعودية. محمد بن عبد الرحمن آل إسماعيل الطبعة الأولى. دار البشائر الإسلامية ١٤٢٠هـ.

٩٠- صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل البخاري. د إحياء التراث العربي بيروت.

٩١- صحيح الجامع الصغير وزياداته. محمد بن ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي.

٩٢- صحيح مسلم بن الحجاج. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

٩٣- صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين. نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ.

٩٤- العالم الإسلامي والرابطة. محمد بن ناصر العبودي. مطبوع.

٩٥- علماء نجد خلال ثمانية قرون. عبد الله بن عبد الرحمن البسام. دار العاصمة.

٩٦- عنوان المجد في تاريخ نجد. عثمان بن بشر. مكتبة الملك عبد العزيز. الطبعة الأولى.

٩٧- علماء ومفكرون عرفتهم. محمد المجذوب. ط دار الاعتصام.

٩٨- عميد الرحالين. محمد بن عبد الله المشوح. الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ. دار الميمان.

٩٩- علماء آل سليم و تلامذتهم وعلماء القصيم. صالح بن سليمان العمري. الطبعة الأولى. دار الإشعاع الرياض ١٤٠٥هـ.

١٠٠- علماء الحنابلة. بكر بن عبد الله أبو زيد. الطبعة الأولى. دار ابن الجوزي الدمام ١٤٢٢هـ.

١٠١- العالم الإسلامي والرابطة. محمد بن ناصر العبودي.

١٠٢- على قمم جبال الأنديز. محمد بن ناصر العبودي. مطابع الفرزدق التجارية الرياض ١٤١٠هـ.

١٠٣- في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) محمد بن ناصر العبودي. مطابع الفرزدق التجارية الرياض ١٤١٧هـ.

١٠٤- في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. محمد بن ناصر العبودي. طبع في مطابع النرجس الرياض ١٤٢٠هـ.

١٠٥- فوق سقف الصين رحلة في الشمال الغربي من الصين وحديث عن المسلمين. محمد بن ناصر العبودي. مطبعة العلا الرياض.

١٠٦- في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) محمد بن ناصر العبودي. تحت الطبع.

١٠٧- في إفريقية الخضراء. محمد بن ناصر العبودي. بيروت. دار الثقافة.

١٠٨- في غرب البرازيل. محمد بن ناصر العبودي. مطابع الفرزدق التجارية الرياض ١٤١٢هـ.

١٠٩- في أعماق الصين الشعبية. محمد بن ناصر العبودي. نشرته مجلة المنهل.

١١٠- في جنوب الصين. محمد بن ناصر العبودي. طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

١١١- القاموس المحيط. محمد بن يعقوب الفيروز أبادي.

١١٢- كبار موظفي ورجال الدولة. عثمان الصالح العلي الصوينع. الطبعة الأولى. بدون ن. ١٤٢٢هـ.

١١٣- الكامل في التاريخ لابن الأثير. دار صادر ودار بيروت عام ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

١١٤- الكامل في اللغة والأدب. لأبي العباس المبرد تحقيق د/ زكي مبارك. مطبعة مصطفى الحلبي بمصر عام ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م.

١١٥- كنت في بلغاريا. محمد بن ناصر العبودي. مطابع الفرزدق التجارية الرياض ١٤١٤هـ.

١١٦- لسان العرب لابن منظور المصري. نشر دار صادر ودار بيروت. طبع في بيروت عام ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

١١٧- المسلمون في لاوس وكمبوديا. محمد بن ناصر العبودي. رابطة العالم الإسلامي.

١١٨- مشاهير علماء نجد. عبد الرحمن آل الشيخ.

١١٩- معجم أسر القصيم. محمد بن ناصر العبودي. مخطوط.

١٢٠- معجم بلاد القصيم. محمد بن ناصر العبودي. دار اليمامة. الطبعة الأولى.

١٢١- المملكة العربية السعودية. محمد بن ناصر العبودي. رابطة العالم الإسلامي.

١٢٢- من مشاهير علمائنا. د/ محمد بن سعد الشويعر. نادي الطائف الأدبي. الطبعة الأولى.

١٢٣- موسوعة أسبار للعلماء (أسبار للدراسات والبحوث) الطبعة الأولى.

١٢٤- الموسوعة في تاريخ نجد. محمد عثمان القاضي. عام ١٤١٤هـ.

١٢٥- مشاهدات في تايلند. محمد بن ناصر العبودي. مطابع النرجس الرياض عام ١٤٢١هـ.

١٢٦- مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية. جولة وحديث في شئون الإسلام. محمد بن ناصر العبودي. مطابع النرجس الرياض ١٤٢١هـ.

١٢٧ - منهج الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في الدعوة إلى الله. عبد الحميد بن عبد العزيز الغليقة. بحث تكميلي غير منشور مقدم لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٨هـ. المستدرك. محمد بن عبد الإله الحاكم النيسابوري. دار الباز للنشر. مكة المكرمة.

١٢٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل. الطبعة الميمنية. مصر.

١٢٩ - معجم المؤلفين. عمر رضا كحالة. ط دار إحياء التراث بيروت.

١٣٠ - ملوك العرب. أمين الريحاني. ط دار الجيل بيروت.

١٣١ - من تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث. عبد الرحيم عبدالرحمن. جزء٢ الطبعة الأولى. ١٩٨١م. دار الكتاب الجامعي.

١٣٢ - الموسوعة الأدبية. عبد السلام طاهر الساسي. دائرة معارف لأبرز أدباء المملكة العربية السعودية ج٢ ، ط دار الثقافة مكة المكرمة.

١٣٣ - المبتدأ والخبر لعلماء نجد في القرن الرابع عشر وبعض تلاميذهم. إبراهيم ابن محمد السيف. الطبعة الأولى. دار العاصمة الرياض ١٤٢٦هـ.

١٣٤ - المذهب الحنبلي. عبد الله بن عبد المحسن التركي. الطبعة الأولى. مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٣هـ.

١٣٥ - الملك فهد قائد حركة الإسلام والعروبة. أحمد عبد الغفور عطار. الطبعة الأولى. دارة الملك عبد العزيز الرياض ١٤٢٥هـ.

١٣٦ - الملك فيصل بن عبد العزيز. حازم السامرّائي. الطبعة الأولى. دار الحكمة لندن ١٤٢٢هـ.

١٣٧ - المملكة بين الماضي والحاضر. مشاهد وذكريات. محمد بن ناصر العبودي. مطابع رابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة.

١٣٨- المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز. فهد بن عبد الله السماري وناصر بن محمد الجهيمي. الطبعة الأولى. دارة الملك عبد العزيز الرياض ١٤٢٢هـ.

١٣٩- منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة. عبد الله بن رشيد الحوشاني. الطبعة الأولى. مركز الدراسات والإعلام. دار إشبيلية. الرياض ١٤١٧هـ.

١٤٠- مدغشقر. بلاد المسلمين الضائعين. محمد بن ناصر العبودي. الرياض النادي الأدبي ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

١٤١- المقامات البلدانية. محمد بن ناصر العبودي. من إصدارات النادي الأدبي بالرياض ١٤٢٦هـ.

١٤٢- مع المسلمين البولنديين. محمد بن ناصر العبودي. مطابع الفرزدق التجارية الرياض ١٤١٣هـ.

١٤٣- المخصص لابن سيده، مطبعة بولاق بالقاهرة عام ١٣١٨هـ.

١٤٤- معجم الأدباء لياقوت الحموي الرومي. طبع دار المأمون بالقاهرة ابتداء من عام ١٣٥٥م.

١٤٥- معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي طبع دار صادر ودار بيروت عام ١٣٧٤م.

١٤٦- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري حققه وضبطه الأستاذ/ مصطفى السقا مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م.

١٤٧- المقدمة لابن خلدون.

١٤٨- مصادر البكري ومنهجه الجغرافي. د/ عبد الله بن يوسف الغنيم الكويت ١٩٧٤م.

١٤٩- من أدب الرحلات. رفاعة رافع الطنطاوي. دار ابن زيدون بيروت. الطبعة الأولى.
١٥٠- نفحات من السكينة القرآنية. محمد بن ناصر العبودي. المؤسسة السعيدية. الطبعة الأولى.
١٥١- النهاية في غريب الحديث ابن الأثير. ط دار الفكر بيروت.
١٥٢- نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان. جولات في أقصى جزر المحيط الهادي الجنوبي. محمد بن ناصر العبودي. مطابع التقنية الرياض ١٤٢٠هـ.
١٥٣- نظرات في شمال الهند. محمد بن ناصر العبودي.
١٥٤- نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية. محمد بن ناصر العبودي. طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.
١٥٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أحمد بن محمد بن خلكان. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٤٨م.
١٥٦- الوافي للوفيات. صلاح الدين خليل أيبك الصفدي.
١٥٧- واجب المسلم في بلاد الأقليات المسلمة. محمد بن ناصر العبودي.

۞ فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

تقاريظ ومقدِّمات

(أ) - تقريظ بقلم سماحة الشيخ عبد الله بن محمَّد بن حميد
(رئيس مجلس القضاء الأعلى) - رحمه الله -..... (أ)

(ب) - تقريظ بقلم معالي الدكتور عبد العزيز الخويطر
(وزير الدولة - عضو مجلس الوزراء).....(ب)

(ج) - تقريظ بقلم فضيلة الدكتور محمَّد بن سعد الشويعر
(مستشار سماحة المفتي العام للمملكة العربية السعودية).....(ج)

(د) - مقدمة بقلم معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد
(رئيس المجلس الأعلى للقضاء) .....(د)

(ط) - مقدمة بقلم سماحة الشيخ العلَّامة عبد الله بن عبد العزيز العقيل
(رئيس الهيئة الدَّائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً).....(ط)

مقدمة المؤلِّف

الافتتاحية ٧

تمهيد: (القصيم بين ماض مجيد ... وحاضر سعيد) ١٣

الفصل الأول: نشأة العبُودي وصفاته

المبحث الأوَّل: اسمه ونسبه وكنيته ٢١

المبحث الثاني: صفاته الخُلُقيَّة ٢٩

الفصل الثاني: حياته العلميَّة والعمليَّة

المبحث الأوَّل: مكانته العلميَّة ٤٥

المبحث الثاني: شيوخه ٥٠

المبحث الثالث: مؤلَّفاته ٦٥

المبحث الرابع: أعماله ووظائفه ٧٧

❖ من أبرز الوظائف التي تقلَّدَها ٧٨

❖ إطلالة على إنشاء رابطة العالم الإسلامي ٨٢

الفصل الثَّالث: جهود العبوُدي

المبحث الأوَّل: جهوده الدعويَّة ٩١

❖ نماذج من كتاباته الدعوية ١٠١

المبحث الثَّاني: جهود العبُودي في المجال التربوي ٢٩٦

المبحث الثَّالث: الجهود الأدبيَّة والثقافيَّة للعلَّامة العبُودي ٣٠٥

الفصل الرَّابع: العُبُودي العالم

المبحث الأوَّل: العبُودي العالم الجغرافي ٣٥٣

المبحث الثاني: العبُودي العالم النسَّابة ٣٧٢

المبحث الثالث: العبُودي العالم المؤرِّخ ٣٧٦

الفصل الخامس: الرِّحلات

المبحث الأوَّل: السفر... أسبابه وثمراته ٣٨٥

المبحث الثاني: الرحلات وأهميَّتها ٣٩٠

المبحث الثالث: دواعي الرحلات ٣٩١

المبحث الرابع: أدب الرحلات ٣٩٨

المبحث الخامس: مقارنة وموازنة بين الرحَّالتين ابن بطوطة والعبُودي .٤٠٥

الفصل السَّادس: رحلات الشيخ العبُودي الدعويَّة والثقافيَّة

تمهيد ٤٢٣

المبحث الأوَّل: الرحلة الأولى والثانية إلى إفريقية الخضراء ٤٢٥

المبحث الثاني: كتاب عن إفريقية الخضراء للعبُودي ٤٣٢

المبحث الثالث: مشاهدات وانطباعات في بلدان إفريقية ٤٣٤

- في مسجد أم درمان ٤٣٤
- الإسلام في جنوب السودان ٤٣٨
- الإسلام والمسلمون في أريترية ٤٤٣
- شلالات سِبت ٤٥٣
- جولات في إفريقيا الخضراء وحديث عن الإسلام والمسلمين ٤٦٧
  - ❖ حالة المسلمين في كينيا ٤٦٧
  - ❖ المرأة في الصومال ٤٧٩
  - ❖ الماء في مقديشو ٤٧٨
  - ❖ الإسلام في أوغندة ٤٨٢
  - ❖ العرب في بوروندي ٤٨٩
  - ❖ جبل كليمنجارو ٥٠٠
  - ❖ على قمة جبل زومبا في مالاوي ٥٠٣

المبحث الرابع: صور ونماذج من رحلاته ٥١٢

- مدغشقر بلاد المسلمين الضَّائعين ٥١٢

- الجراد في تاناناريف ٥٣٨
- جولة في جزائر البحر الزنجي ٥٤٥
- زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية ٥٥٣
- **الرحلات العالميَّة:** (بلغاريا ومقدونيا وسلوفينيا والنمسا وسويسرا).....٥٦٥
- رحلة في غرب البرازيل ٥٨١
- تائه في تاهيتي ٥٨٦
- زيارة القارَّة الاستراليَّة ٥٩٧
- المسلمون في لاوس وكمبوديا ٦٠٣
- رحلة في جنوب الهند ٦١١
- رحلة إلى بورما (الخبر والعيان) ٦١٧
- إطلالة على نهاية العالم الجنوبي (نيوزلندا) ٦٥٧
- في مدينة أوكلاند ٦٧٥
- بالي جزيرة الأحلام ٦٨٧
- إندونيسيا ٦٩١

المبحث الخامس: عجائب وغرائب، وحديث عن المسلمين في رحلات الشيخ ٧٠٦

الفصل السَّابع: تكريم العبُودي والثناء عليه

- **تمهيد:** وفيه الهدف من الاحتفال والتكريم ٧٦١
- **مهرجان الجنادرية** .. يُكرِّم الشيخ العبُودي (١٤٢٥هـ) ٧٦٣
- **الشيخ محمَّد العبُودي كبير يستحق التقدير** ٧٦٥

- **الأمير فيصل بن بندر يكرم شخصية العام:** الشيخ العبُودي ٧٦٨
- العبُودي وشذرات من الذكريات ٧٧٢
- يستحق التكريم ٧٧٦
- محمد بن ناصر العبُودي علماء في علم ٧٧٨
- العالم الموسوعة وأكثر من تكريم ٧٨١
- الشيخ العبُودي والرحلات بصبغة الدعوية ٧٨٣
- العبُودي الباحث الأديب ٧٨٧
- رحالة العصر ٧٩٠
- الشيخ العبُودي وفكره التربوي ٧٩٤
- الشيخ العبودي واتساع المعارف ٧٩٨
- تقلد الوسام صاحبه ٨٠٣
- بلدانيات العبُودي ريادة وتميز ٨٠٤
- هذا الشيخ ٨١٨
- الرحالة ٨١٩
- الداعية المستنير ٨٢١
- العبودي ذاكرة لا تخطئ ٨٢٣
- نِـعـْمَ المربي ٨٢٥
- التكريم المستحق ٨٢٧
- عمل موسوعي عن أوضاع المسلمين ٨٢٩
- فضيلة الشيخ العبُودي كما عرفته ٨٣١

- الوالد المربي ٨٣٦
- كلمات مضيئة ورؤية عن أوضاع المسلمين ٨٣٩
- **تقاريظ شعرية** ٨٤٤

الفهارس

- **المصادر والمراجع** ٨٦٢
- **فهرس الموضوعات** ٨٧٦

وثـائـق

المملكة العربية السعودية

نحن فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية

نمنح

الدكتور محمد بن ناصر العبودي

وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى

فيحق له ابتداءً من هذا التاريخ أن يتقلد هذا الوسام وأن يتمتع بجميع الحقوق ومراسم التكريم العائدة له.

الرياض في ١٤٢٤/١٠/١٤هـ الموافق ٢٠٠٣/١٢/٨م

بأمر خادم الحرمين الشريفين

حققه وختمه وسجله

رئيس المراسم الملكية

وسام الملك عبد العزيز درجة أولى
مع تحيات رئاسة المراسم الملكية

وسام الملك عبد العزيز درجة أولى
من تشكيلات وسام المراسم الملكية

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

براءة

تكريم الأدباء السعوديين

إن وزير المعارف والرئيس الأعلى لجامعة الملك عبد العزيز - بناء على الصلاحيات المخولة له وبناء على المادة التاسعة والعشرين من نظام الجامعة وبعد الاطلاع على محضر مجلس الجامعة الثالث المنعقد بتاريخ ٥ / ٣ / ١٣٩٤ والمبني على توصيات اللجنة الفنية المنبثقة عن المؤتمر الأول للأدباء السعوديين لتكريم الأدباء.

يمنح السيد/ محمد بن ناصر العبودي هذه الشهادة تقديراً لجهوده وإنتاجه الفكري

والله ولي التوفيق.

صدرت بمكة المكرمة في ٥ / ٣ / ١٣٩٤هـ
الموافق ٢٨ / ٣ / ١٩٧٤م

مدير الجامعة

وزير المعارف
والرئيس الأعلى للجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
المجلس الاعلى للاعلام
الامانة العامة

الرقم ٤٢/ص/١٤
التاريخ ١٤/٤/١٤٢٩
التوابع .....

خطـــاب شكـــر

سعادة الاخ الشيخ محمد بن ناصر العبودي وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

لقد كان لجهود وفود الصداقة السعودية التي كلفت بزيارة عدد من الدول العربية والاسلامية والصديقة أثناء أزمة الخليج في عام ١٤١١هـ الأثر الجيد في ايضاح مواقف المملكة من تلك الازمة ودورها الايجابي في معالجتها .

ومن جهة أخرى كان لهذه الجهود أثر طيب في كشف مدى حضور المملكة في الخارج في المجالات المختلفة وكيفية دعم هذا الحضور وتطويره .

ولمشاركتكم الفاعلة مع الوفود يسرنا أن نشكركم ونقدر لكم ما قمتم به من جهود متمنين لكم المزيد من التوفيق في خدمة بلادكم وامتكم .

ولكـــم تحياتنـــا ،،،،

رئيس المجلس الاعلى للاعلام

نايف بن عبدالعزيز

م/ع

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة الحرس الوطني
المهرجان الوطني للتراث والثقافة

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
NATIONAL GUARD HEADQUARTERS
HERITAGE AND FOLK CULTURE FESTIVAL

الرقم ٣٣١/ك التاريخ ١٤٢٤/٦/١٢ الموضوع .....

معالي الأستاذ/ محمد بن ناصر العبودي يحفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو أن تكون في أتم نعمة من الصحة والسعادة . وإنكم تعلمون بلا ريب أن الحرس الوطني ينظم سنوياً المهرجان الوطني للتراث والثقافة في الجنادرية بالرياض، وهو تجمع تراثي وثقافي يدعو إليه الحرس الوطني عدداً كبيراً من الأدباء والمفكرين من شتى أنحاء العالم، وتقام في إطار نشاطاته الثقافية عدد من الندوات الفكرية والأدبية، والأمسيات القصصية والشعرية، إضافة إلى العروض التراثية والشعبية.

وفي كل عام يتم ترشيح أحد الأدباء الرواد في المملكة في مجال الفكر والإبداع لتكريمه في هذا المنتدى الهام، وإقامة ندوة ثقافية عنه وعن نتاجه الأدبي، وأثر ذلك في الثقافة بالمملكة.

ولا شك أنكم أحد الرواد الذين نعتز بهم، وواجهة مشرقة للثقافة السعودية، تدل عليكم أعمالكم الجليلة وعملكم في خدمة دينكم وقيادتكم وطنكم من خلال العديد من المواقع القيادية، وإسهاماتكم المتعددة في جوانب كثيرة.

لذلك يسرني أن أفيدكم أن الحرس الوطني قد رشحكم لتكونوا الشخصية الثقافية السعودية التي سوف تكرم في مهرجان هذا العام الذي سيبدأ فعالياته في يوم الأربعاء ١٤٢٤/١٠/٢٣هـ الموافق ٢٠٠٣/١٢/١٧م وسوف يقع التكريم يوم الخميس ١٤٢٤/١٠/٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣/١٢/١٨م من الساعة ٧,١٥ – ٩,٤٥.

المهرجان الوطني للتراث والثقافة .. ص.ب: ٨٧٠٢٥ - الرياض ١١٦٤٢ - هاتف: ٤٩٣٤٥٠٩ - ٤٩٣٣٣٠٣ - فاكس: ٤٩٣٤١٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

INGDOM OF SAUDI ARABIA
ATIONAL GUARD HEADQUARTERS
HERITAGE AND FOLK CULTURE FESTIVAL

المملكة العربية السعودية
رئاسة الحرس الوطني
المهرجان الوطني للتراث والثقافة

الرقم ..... التاريخ ـــ / الموضوع .....

وسوف تقام بذلك ندوة عنكم، ويشارك فيها عدد من المتخصصين والنقاد، وسيحضرها جميع المدعوين لحضور المهرجان، وحشد من المثقفين والمهتمين.

والمرشحون للمشاركة في هذه الندوة هم :

١- مدير الندوة: د. عبدالرحمن الشبيلي.

٢- أ.د. صالح العايد.

٣- أ.د. حسن الهويمل.

٤- أ.د. أسعد عبده.

إننا في الوقت الذي نشعر بأن لكم حقاً كبيراً علينا جميعاً، نأمل أن يمثل هذا العمل تذكيراً بدوركم الريادي في بلادنا العزيزة، وبعطائكم الثقافي والإبداعي المتميز.

آمل أن نراكم معنا على خير.

والله الموفق .

نائب رئيس الحرس الوطني المساعد
ونائب رئيس اللجنة العليا للمهرجان

عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري

بسم الله الرحمن الرحيم

Sultanate of Oman
Ministry of Heritage and Culture
Office of the Under Secretary
For Cultural Affairs

سلطنة عمان
وزارة التراث والثقافة
مكتب الوكيل
للشؤون الثقافية

الرقم:- ص ا ث/ ٣١/ ٢٠٠٧/ ٢٥ م

التاريخ:- ٢٣/ جمادى الثاني/ ١٤٢٧هـ

الموافق:- ١٨/ يوليو/ ٢٠٠٧م

معالي الاستاذ/ محمد ناصر العبودي المحترم

المملكة العربية السعودية- الرياض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

يسرنا ان نرفق لكم بالطي البراءة السلطانية لوسام السلطان قابوس للثقافة والعلوم والفنون من الدرجة الثانية الذي تم منحه لكم من قبل حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم - حفظه الله ورعاه - بمناسبة احتفاء مسقط عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٦م وذلك بعد ان تفضل جلالته باعتماد هذه البراءة.

متمنين لكم كل التوفيق والنجاح.

وتقبلوا فائق الاحترام والتقدير

حمد بن هلال بن علي المعمري

وكيل الوزارة للشئون الثقافية

ص.ب: ٦٦٨ مسقط - الرمز البريدي ١١٣ - سلطنة عمان - تليفون: ٢٤٦٤١٤٦٤ - فاكس: ٢٤٦٤١٤٦٦ - تلكس: ٥٦٤٩ أو إن
P.O. Box 668 Muscat , Postal Code 113 , Sultanate of Oman , Tel. : 24641464 - Fax : 24641466 - Telex : 5649 ON

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن قابوس بن سعيد سلطان عمان

تقديراً منا على ما بذله من جهد في مجال الثقافة

قررنا منح الأستاذ / محمد ناصر العبودي

وسام السلطان قابوس للثقافة والعلوم والفنون

من الدرجة الثانية

وقد أمرنا بإصدار هذه البراءة إيذاناً بذلك

صدر عنا بقصرنا في مسقط

في اليوم الثالث من محرم عام ١٤٢٨ الهجري

الموافق الثاني والعشرون من يناير عام ٢٠٠٧ الميلادي

بأمر جلالة السلطان

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة تكريم

لاحتفاء مسقط عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٦

يسر وزارة التراث والثقافة أن تمنح هذه الشهادة

للأستاذ محمد ناصر العبودي

تكريماً له وتقديراً لإبداعه في المجالات الثقافية

متمنين له مواصلة عطائه وإبداعه

مسقط ، سلطنة عُمان
في: ٢٢ يناير ٢٠٠٧م

حضرة
هيثم بن طارق آل سعيد
وزير التراث والثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمعية الجغرافية السعودية

Saudi Geographical Society

عضوية شرف

أوصى مجلس إدارة الجمعية الجغرافية السعودية منح الشيخ / محمد بن ناصر العبودي عضوية الشرف في الجمعية الجغرافية السعودية. ويتطلع المجلس إلى استمرار دعمكم لهذه الهيئة العلمية التي تهدف إلى تنمية الفكر الجغرافي وتوثيق الصلة بين الجغرافيين ونشر المعارف والبحوث التي تتعلق باهتمامات الجمعية خاصة جغرافية المملكة العربية السعودية.

رئيس مجلس إدارة الجمعية الجغرافية السعودية

.....

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الشريعة

شهرية - دينية - ثقافية - ادبية - اجتماعية

AL - SHARIA

MAGAZINE

Muslim House Magazine

مجلة البيت الإسلامي

خمسون عاماً في خدمة الدعوة الإسلامية

الرقم : ٣٢٠٢/٧١٢

التاريخ الميلادي: ٢٠٠٤/٠٣/٢٨

التاريخ الهجري : ١٤٢٥/٠١/٠٧

المرفقات :

معالي الشيخ د. محمد بن ناصر العبودي
حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

يطيب لنا أن نبعث إلى معاليكم بأخلص باقات الاحترام والتقدير لما تبذلونه من جهود عظيمة في سبيل رفعة وتطور رابطة العالم الإسلامي التي تنعكس دوماً إيجابياً بكل الخير على الأمتين الإسلامية والعربية.

ويسرنا أن نرفق لمعاليكم العدد الأخير من مجلة الشريعة الذي تزين بـ: (د. العبودي.. موسوعة في رجل) الموضوع الذي تناول مسيرة حياة معاليكم وأهم الجوانب الأدبية والرحلات، وذلك في الصفحتين (٢٨، ٢٩).

داعين العلي القدير أن ينال الموضوع استحسان معاليكم، وأن تبقى (الشريعة) عند حسن ظنكم... والله يرعاكم.

وتفضلوا بقبول فائق الإحترام والتقدير،،

المدير العام

قيس محمد نيسير طبيان

P.O.Box 1829 Amman 11118 JORDAN
Jabal Amman 3th Circle - Abed Al-Mena'm Reyad Str.
Tel. (00962 6) 4628203 - 4637203 Fax: 5819036

ص.ب ١٨٢٩ عمان ١١١١٨ - المملكة الأردنية الهاشمية
جبل عمان - الدوار الثالث - شارع عبد المنعم رياض
هاتف ٤٦٢٨٢٠٣ - ٤٦٣٧٢٠٣ (٠٠٩٦٢ ٦) فاكس ٥٨١٩٠٣٦

تهنئة فضيلة الشيخ محمد بن نصر العبودي

أرق اليكم أسمى التهاني منذي (نفحاتكم)[1] ملكت جناني
فأنتم بهجة الأرواح حقاً وتلهج في العلا أسمى مطان
ففي (نفحاتكم) سلوى لقلبي وفي حكماتكم غرر البيان
لقد فخرت بكم دنيا المعالي كما فخر الربيع على الزمان
إذا ما قيل: من فخر المعالي؟ أشار الـ(ـعبودي) بالبنان

شاعر طيبة
محمد ضياء الدين الصلوي
المدرس بمعهد الأئمة والدعاة
بمكة المكرمة

(٢) مدرس الأنوار ١٣٤٧هـ

(١) كتاب (نفحات من السكينة القرآنية)

تهنئة مقتضبة

هذي قلوبُ الصّادقين تــلالاَ جاءتْ تُهنّيْ شيخَها إجــلالاَ
وتَقولُ إنّ الــحُــبَّ أسمى آية ســلْ رَوْحَهُ سلمانَنا وبــلالاَ
سبعون عاما حكمــةً وإدارةً ودرايــةً وثَقــافــةً تتــوالاَ
علاّمَةٌ رحّالــةٌ ، متوســطٌ في النّهــجِ لا إطْرَا ولا إهمالاَ
فمعاليَ الشيخُ العُبُوديْ في غنًى عن قولِنا مهما شرحنا الحــالاَ
وَوُلاةُ أمرِ المسلمين هنــا لهمْ نَظَرٌ دقيــقٌ يــوزنُ المثقــالا
هم يعرفون رِجالَهم أنصارَ ديــ ـنِ اللهِ والأفــذاذَ والأبطالاَ
إن لم تكنْ أنتَ المكرَّمُ يا تُرى أ يُكرّمــون الجهلَ والجُــهّالاَ
في ربع قرنٍ عِشتُها معكم فلم ألحــظ لما تتعــاملــون مثــالا
يا سيّدَ الكتّابِ والألبابِ والْـ ـآدابِ كَلاّ لا أقــولُ كَمــالا
لكنْ حباكَ اللهُ علْمــاً نافعــاً وتواضُعــاً ومَهابةً وجــلالا
ورُزِقتَ عقلاً راجحاً متأنيــاً يكســو المعانيَ روعةً وجمــالا
أنا لم أبالغ لم أزايد لم أشُــطْ واللهِ ربِّ العــالمــين تعــالى
إنّا إذا قلنا الحقيقــةَ لم نُــردْ من خلفها جاهــاً ولا أمــوالاَ

محبكم في الله ورسوله الباحث والمصحّح اللّغوي
علي عبد القادر أحمد الصعفاني

علي

٢٦ / ١١ / ١٤٤٤هـ

ASSAHWA AL ISLAMIA
MAGAZINE CUTUREL ISLAMIQUE
B.P 7522
DAKAR SENEGAL

مجلة الصحوة الإسلامية
اسلامية ثقافية شهرية
ص.ب ٧٥٢٢
داكار السنغال

DATE:

التاريخ: / /
١٤١٤/١١/١٢هـ
٢٣ ابريل ١٩٩٤م.

فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودى حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

وصلنا خطابكم أو بالأحرى خطاب مدير ادارة الصحافة والنشر بالرابطة والذى يعتذر فيه عنكم عن تسمية دار الصحوة باسمكم الكريم.

ولكننا نؤكد لكم على انه ما دفعنا الى اختيار اسمكم الا فرط الاعجاب بمواقفكم فى مجال الكتابات الادبية وكثرة مؤلفاتكم فى الرحلات، اخترنا اسمكم الكريم لتحمله الصدار فى هذا العصر الذى يسعى فيه الناس الى تسمية المراكز والدور والمعاهد بأسماء الاثرياء والأمراء والرؤساء، ليعرف المسلمون ان لكل مقام مقال ولسنا نرى انسانا يستحق تسمية مقر الصحوة الاسلامية له كما يستحقه محمد ناصر العبودي، وفى نفس الوقت نحن لا نستغرب اعتذاركم لما نعرفه عن فضيلتكم من التواضع.

لكن مهما يكن من شيء فاننا نتسلى بانتشار كتبكم فى العالم كله.

فاضل غى
رئيس تحرير الصحـــــوة

١٩٢١٣